

ديوان

علي محمود طه

ديوان علي محمود طه

تأليف
علي محمود طه



ديوان علي محمود طه

علي محمود طه

رقم إيداع ٢٠١٢/٢٣٥٠٨

تدمك: ٦ ٢١٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١٣	المَلَّاحُ التَّائِه
١٥	الإهداء
١٧	ميلاد شاعر
٢٣	الوحي الخالد
٢٥	النَّشِيدُ
٢٩	المَلَّاحُ التَّائِه
٣١	عُرْفَةُ الشَّاعِرِ
٣٣	رُجُوعُ الْهَارِبِ
٣٥	مَخْدَعُ مُغْنِيَةٍ
٣٧	قُبْلَةٌ
٣٩	أُغْنِيَةٌ رِيفِيَّةٌ
٤١	قَيْنَارَتِي
٤٣	أَيُّهَا الْأَشْبَاحُ
٤٧	قَلْبِي
٥٣	على الصخرة البيضاء
٥٥	الأَجْنَحَةُ الْمُحْتَزِقَةُ
٥٩	الله والشاعر
٧٧	صَخْرَةُ الْمُلتَقَى
٨١	عَاصِفَةٌ فِي جُمُجْمَةٍ

٨٥	القُطْبُ
٨٧	إلى سيد درويش
٨٩	الْأُمْسِيَّةُ الْحَزِينَةُ
٩١	الفن الجميل
٩٣	الْمَلِكُ الْبَطْلُ
٩٥	الشَّاطِئُ الْمَهْجُورُ
٩٩	عَاشِقُ الرَّهْرِ
١٠١	قَبْرِ شَاعِرٍ
١٠٥	حافظ إبراهيم
١٠٩	شَوْقِي
١١٣	اِنْتِظَارُ
١١٥	إِلَى الْبَحْرِ
١١٧	الطَّرِيدُ
١١٩	عَدْلِي يَكُنْ
١٢٣	في القرية
١٢٥	الْبَحِيرَةُ
١٢٩	ليالي الملاح التائه
١٣١	الإهداء
١٣٣	أَغْنِيَةُ الْجُنْدُولِ فِي كَرْنِفَالِ فِينْسِيَا
١٣٧	الْقَمَرُ الْعَاشِقُ
١٣٩	كَأْسُ الْخَيَّامِ
١٤٩	مَصْرَعُ الرَّبَّانِ
١٥١	نَشِيدُ إِفْرِيقِي
١٥٣	حُلْمُ لَيْلَةٍ
١٥٥	إِلَى رَاقِصَةٍ
١٥٧	فِي الشِّتَاءِ
١٥٩	هِيَ
١٦١	بُحَيْرَةُ كُومُو

١٦٥	أَفْرَاحُ الْوَايِدِي
١٦٩	مَهْرَجَانُ الزَّفَافِ
١٧٣	أَمِيرَةُ الشَّرْقِ
١٧٥	سَيْرَانَادَا مِصْرِيَّة
١٧٧	الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ
١٧٩	حَيَالُ
١٨١	التَّمَثُّلُ
١٨٥	دُعَابَةٌ
١٨٧	تَايِيْسُ الْجَدِيدَةِ
١٨٩	خَمْرَةُ نَهْرِ الرَّيْنِ
١٩٣	شَاعِرُ مِصْرَ
١٩٧	مَوْتُ الشَّاعِرِ
١٩٩	الموسيقى العَمِيَاءِ
٢٠٣	النَّهْرُ الظَّامِئُ
٢٠٥	مَأْسَاةُ رَجُلٍ
٢٠٩	صَدَى الْوَحْيِ
٢١١	الْعُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ
٢١٧	زَهْرٌ وَخَمْرٌ
٢١٩	الإهداء
٢٢١	ليالي كليوبترا
٢٢٥	مِيلَادُ زَهْرَةٍ
٢٢٧	حَانَةُ الشُّعْرَاءِ
٢٣١	سَارِيَّةُ الْفَجْرِ
٢٣٣	أَغْنِيَةُ الْحُبِّ
٢٣٥	حَدِيثُ قُبْلَةٍ
٢٣٧	خَمْرَةُ الشَّاعِرِ
٢٤١	زَهْرَاتِي

٢٤٥	مَنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ
٢٤٩	رَاقِصَةُ الْحَانَةِ
٢٥١	الشَّاعِرُ
٢٥٣	عَاشِقَةٌ
٢٥٥	الْكُرْمَةُ الْأُولَى
٢٥٧	الْمَدِينَةُ الْبَاسِلَةُ
٢٦١	بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ
٢٦٣	حُلُمُ لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ
٢٦٥	لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ
٢٦٩	عَامُ جَدِيدٍ
٢٧٣	سَمَرٌ
٢٧٥	الشَّوْقُ الْعَائِدُ
٢٧٧	إِلَيْهَا
٢٧٩	سُؤَالٌ وَجَوَابٌ
٢٨١	الشَّوْقُ الْعَائِدُ
٢٨٣	جَزِيرَةُ الْعُشَاكِ
٢٨٥	طَاقَةُ زَهْرٍ
٢٨٧	أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ
٢٨٩	امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ
٢٩٣	هِيَ وَهُوَ
٢٩٩	ثَلْجٌ وَنَارٌ
٣٠٣	نَارٌ وَنَارٌ
٣٠٧	يَوْمُ الْمُلْتَقَى
٣١١	الْأَيَّامُ
٣١٣	بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ
٣١٧	إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمِصْرِيَّةِ
٣١٩	حَمْرَةُ الْإِلَهَةِ

٣٢٣	الْغَرَامُ الذَّبِيحُ
٣٢٥	امْرَأَةٌ
٣٢٧	نِدَاءُ الْقَلْبِ
٣٢٩	فَارُوسُ الثَّانِي
٣٣٣	هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ
٣٣٥	مَوْكِبُ الْوَدَاعِ
٣٣٧	صَاحِبُ الْأَهْرَامِ
٣٤١	شرق وغرب
٣٤٣	أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رَيْتشارْد فاجنر
٣٤٩	فلسفة وخیال
٣٥٣	على حاجزِ السَّفِينَةِ
٣٥٧	اعتراف
٣٥٩	الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ
٣٦١	تَحْتَ الشَّرَاعِ
٣٦٥	لحن من فيناً
٣٦٧	أُنْدَلِسِيَّةٌ
٣٧١	الْوَرْدَةُ الصَّفْرَاءُ
٣٧٣	راكِبَةُ الدَّرَاجَةِ
٣٧٥	إِلَى أَبْنَاءِ الشَّرْقِ
٣٧٩	يوم فلسطين
٣٨١	من الأعماق
٣٨٣	على النيل
٣٨٧	مِصْرُ
٣٩١	لِقَاءُ وَدُعاء
٣٩٥	عَوْدَةُ المَحَارِبِ
٣٩٩	بطل الريف
٤٠٣	إِنْدُونِيسِيَا

٤٠٥	في صفوف المجاهدين
٤٠٧	شهيد مُسَلُّون
٤١١	سُورِيا وعيد الجلاء
٤١٣	في عالم الذكرى
٤١٥	الأمير المجاهد
٤١٩	مصرع سياسي
٤٢١	أرواح وأشباح
٤٢٣	الإهداء
٤٢٥	هذه الأرواح والأشباح
٤٢٩	الشخصيات
٤٣٣	الشاعر
٤٣٥	في السماء
٤٣٩	الحَيَّةُ الخَالِدَةُ
٤٤٣	المرأة والفن
٤٤٧	الأصلُ والمِثالُ
٤٤٩	ثَوْرَةٌ
٤٥١	انْتِقَامٌ
٤٥٣	دُنْيَا النِّسَاءِ
٤٥٥	الكَيْدُ العَظِيمُ
٤٥٩	شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!
٤٦٣	الفنُّ الشَّهيدُ
٤٦٥	جُنُونُ الحَيَاةِ!
٤٦٧	مَعْرِضُ الحَيَاةِ!
٤٦٩	فَرْعٌ وَعِتَابٌ
٤٧١	السَّحَرُ الأَسْوَدُ
٤٧٣	رُقِيَّةٌ!
٤٧٥	عَوْدَةٌ
٤٧٧	ابْنُ السَّمَاءِ

٤٧٩	الْفَنَانُ الْأَوَّلُ
٤٨١	الْفَنَانُ الْأَعْمَى
٤٨٣	حَنَانُ
٤٨٧	حَوَاءُ
٤٩٣	قُلُوبُ الشُّعَرَاءِ
٤٩٥	الطَّيْفُ الْأَدَمِيُّ
٤٩٧	الرَّجُلُ!
٥٠٣	الْبُعْثُ الْأَوَّلُ
٥٠٥	أُغْنِيَةُ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
٥٠٧	أغنية الرياح الأربع
٥٠٩	تمهيد
٥١١	الْفَصْلُ الْأَوَّلُ
٥٥٥	الفصل الثاني
٥٩١	الفصل الثالث
٦٢٧	باتوزيس يرثي أزمردا

الملاح الثاني

١٩٣٤

الإهداء

إلى أولئك الذين يستهويهم الحنين إلى المجهول.
إلى التائهين في بحر الحياة.
إلى رُؤاد الشاطئ المجهول!
أهدي هذا الديوان.

علي محمود طه

ميلاد شاعر

هَبَطَ الْأَرْضَ كَالشَّعَاعِ السَّنِيِّ
لَمَحَّةً مِنْ أَشْعَةِ الرُّوحِ، حَلَّتْ
أَلْهَمْتُ أَصْغَرِيهِ مِنْ عَالِمِ الْحِكْمِ
وَحَبَّتُهُ الْبَيَانَ رِيًّا مِنَ السَّحَابِ
حِينَما شَارَفْتُ بِهِ أَفْقَ الْأَرْضِ
وَسَبَى الْكَائِنَاتِ نَوْرَ مَحْيَا
صَوْرُ الْحَسَنِ حَوْماً حَوْلَ مَهْدٍ
وَعَلَى ثَغَرِهِ يُضِيءُ ابْتِسَامُ
وَعَلَى رَاحَتِيهِ رِيحَانَةٌ تَنْدُ
فَحَنَنْتُ فَوْقَ مَهْدِهِ تَتَمَلَّى
وَتَسَاءَلْنَ حَيْرَةً: مَلَكٌ جَا
مَنْ تَرَى ذَلِكَ الْوَلِيدُ الَّذِي هُوَ
مَنْ تَرَاهُ؟ فَرَنْ صَوْتٌ هَتُوفُ
إِنَّ مَا تَشْهَدُونَ مِيلَادُ شَاعِرٍ

* * *

كَانَ وَجْهُ الثَّرَى كَوَجْهِ الْمَاءِ
حِينَ وَلَّى الدُّجَى وَأَقْبَلَ فَجْرُ
رَائِقُ الْحَسَنِ مُسْتَفِيزُ الضِّيَاءِ
وَاضِحُ النُّورِ مُشْرِقُ اللَّأْلَاءِ

بَهَجٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُهْدِي
صَفَقَتْ عِنْدَهُ الْخُمَائِلُ نَشَوَى
مَظْهَرٌ يَبْهَرُ الْعَيُونَ، وَسَحَرٌ
وَجَلَا مِنْ بَدَائِعِ الْفَنِّ رَوْضًا
مَا الرِّبْعُ الصَّنَاعُ أَوْفَى بَنَانًا
نَسَقَ الْأَرْضَ زِينَةً وَجَلَاهَا
رَبْوَةٌ عِنْدَ جَدُولٍ، عِنْدَ رَوْضٍ
فَزَهَا الْفَجْرَ مَا بَدَأَ، وَتَجَلَّى
قَالَ: لَمْ تُبَدِّ لِي الطَّبِيعَةُ يَوْمًا
لَا، وَلَمْ يَسِرْ مِلءَ عَيْنِي وَأَذْنِي
أَيُّ بُشْرَى لَهَا تَجَمَّلَتِ الْأَرْضُ
عَلَّهَا نُبُوءَتٌ مِنَ الْغَيْبِ أَمْرًا
قَالَ: مَاذَا أَرَى؟ فَرَدَّدَ صَوْتُ
إِنَّ هَذَا يَا فَجْرُ، مِيلَادُ شَاعِرٍ

كَانَ فَجْرٌ، وَكَانَ ثَمَّ صَبَاحٌ
بَكَرَتْ لِلرِّيَاضِ فِيهِ عَذَارَى
حِينَ لَاحَتْ لَهُنَّ رَنٌّ هَتَافٌ
قَلْنِ: مَا أَجْمَلَ الصَّبَاحَ فَمَا حـ
فَتَعَالَوْا بِنَا نَغْنِي وَنَلْهُو
وَهُنَا جَدُولٌ عَلَى صَفْحَتِيهِ
وَعَلَى حَافَتِيهِ قَامَ يَغْنِي
وَفَرَّاشٌ لَهُ مِنَ الزَّهْرِ أَلْوَا
دَفَّ فِي نَشْوَةٍ يُنَادِيهِ نُوَا
وَهُنَا رَبْوَةٌ تَلَأَلُ فِيهَا
وَنَسِيمٌ كَأَنَّهُ النَّفْسُ الْحَا
مِثْلُ هَذَا الصَّبَاحِ لَمْ يَلِدِ الشَّرَّ

فِيهِ لِلْحَسَنِ غَدْوَةٌ وَرَوَاحُ
تَزْدَهِيَهُنَّ صَبَوَةٌ وَمَرَاخُ
وَعَلَتْ بِالِدُّعَاءِ مِنْهُنَّ رَاخُ
لَّ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا صَبَاحُ
فَهُنَا اللَّهْوُ وَالْغِنَاءُ يُتَاحُ
يَرْقُصُ الظِّلُّ وَالسَّنَا الْوَضَّاحُ
نَا مِنَ الطَّيْرِ هَاتِفٌ صَدَّاحُ
نُ، وَمِنْ رِيْقِ الشَّعَاعِ جَنَاحُ
رُ وَعَطَّرُ مِنَ الثَّرَى فَوَاحُ
خَضِرَةُ الْعُشْبِ وَالنَّدَى اللَّمَّاحُ
ئُرُ تُصْغَى لَهُمِيسَهُ الْأَدْوَاخُ
قُ وَلَمْ تُنَجِبِ الشَّمْسُ الْوَضَّاحُ

لَكأنَّا بِالكَوْنِ أَعْلَامٌ مِيلاً دِ وَعَرْسٌ قَامَتْ لَهُ الْأَفْرَاحُ
أَيِّ حَسَنِ نَرَى؟ فَرَدَّدَ صَوْتُ شَبَهَ نَجْوَى تُسْرِهَا أَرْوَاحُ
إِنَّ هَذَا الصَّبَاحَ مِيْلَادُ شَاعِرٍ

وَتَجَلَّى الْمَسَاءُ فِي ضَوْءِ بَدْرِ وَشُفُوفٍ غُرِّ الْغَلَائِلِ حُمُرِ
وَسَمَاءٍ تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِيهَا الـ سُحُبٌ كَالرَّغْوِ فَوْقَ أَمْوَاجِ بَحْرِ
صُورٌ جَمَّةُ الْمَفَاتِنِ شَتَّى كَرَوَى الْحَلَمِ أَوْ سَوَانِحِ فِكْرِ
لَا تَرَى النَّفْسَ أَوْ تَحَسُّ لَدِيهَا غَيْرَ شَجْوٍ يَفِيضُ مِنْ نَبْعِ سَحْرِ
أَفُقُّ الْأَرْضِ لَمْ يَزَلْ فِي حَوَاشِيهِ هـ صَدَى حَائِثٍ بِأَلْحَانِ طَيْرِ
وَبِأَحْنَائِهِ يَرِفُ ذَمَاءٌ مِنْ سَنَا الشَّمْسِ، خَافِقٌ لَمْ يَقَرُّ
وَعَلَى شَاطِئِ الْغَدِيرِ وَرُودُ أَغْمَضَتْ عَيْنَهَا لِمَطْلَعِ فَجْرِ
وَسَرَى الْمَاءُ هَادِئًا فِي حَوَا فِيهِ يُغْنِي مَا بَيْنَ شَوْكِ وَصَخْرِ
وَكأنَّ النُّجُومَ تَسْبَحُ فِيهِ قَبْلَاتٌ هَفَّتْ بِحَالِمِ ثَغْرِ
وَكأنَّ الْوُجُودَ بَحْرٌ مِنَ النُّوْ رَ عَلَى أَفْقِهِ الْمَلَائِكُ تَسْرِي
هَتَفَتْ نَجْمَةً: أَرَى الْكَوْنَ تَبْدُو فِي أُسَارِيرِهِ مَخَايِلُ بَشَرِ
وَأَرَى ذَلِكَ الْمَسَاءَ يَثِيرُ السَّحْ رَ وَالشَّجْوَ مَلءَ عَيْنِي وَصَدْرِي
أَتَرَانَا بَلِيلَةَ الْوَحْيِ وَالتَّنْ زِيلِ؟ أَمْ لَيْلَةُ الْهَوَى وَالشَّعْرِ؟
مَا لِهَذَا الْمَسَاءِ يَشْغَفُنَا حـ بَّاءٌ وَيُورِي بِنَا الْفَتُونَ وَيُغْرِي
أَيُّ سِرٍّ تَرَى؟ فَرَنْ هَتَافُ بِنَجْيٍ مِنَ الصَّدَى مُسْتَسِرِّ
إِنَّ هَذَا الْمَسَاءَ مِيْلَادُ شَاعِرٍ

قَمَرٌ مَشْرِقٌ يَزِيدُ جَمَالًا كَلِمَا جَدَّ فِي السَّمَاءِ انْتِقَالَ
وَسَكُونٌ يَرْقَى الْفَضَاءَ، جَنَاحَا هُ عَلَى الْأَرْضِ يَضْفَوَانِ جَلَالًا
هَذِهِ لَيْلَةٌ يَشْفُ بِهَا الْحَسـ نَ وَيَهْفُو بِهَا الضِّيَاءُ اخْتِيَالًا
جَوْهَا عَاطِرُ النَّسِيمِ، يَثِيرُ الـ شَجْوُ وَالشَّعْرَ، وَالْهَوَى، وَالْخِيَالًا
وَإِذَا النَّهْرُ شَاطِئًا وَنَمِيرًا يَتَبَارَى أَشْعَةُ وَظِلَالًا

وسرى فيه زورق لحبيبي
يبعثان الحنين في صدر ليل
شهد الحب منذ كان رويًا
وجرت ملء مسمعيه أحاديث
ذلك الباعث الأسى والمثير الذ
لم يجب قلبه لميلاد نجم
بيد أن القضاء أوحى إليه
فأحس الفؤاد يخفق منه
واستخفت من شفاه الحبيب
وتجلت له الحياة، وما في
فجثا ضارعا: أرى الكون ربّي
لم يكن يعرف الصباة قلبي
أتراها تغيّرت هذه الأرض
ربّ ماذا أرى؟ فرن هتاف
إن هذا يا ليل، ميلاد شاعر

وتجلى الصدى الحبيب الساحر
وسكون يبت في الكون روعا
واستكان الوجود، والتفت الده
لم يبن صورة، ولكن رآته
قال: يا شاعري الوليد سلاما
فإليك الحياة شتى المعاني
لا تقل: كم أخ لك اليوم في الأر
إن تكن ساورته في الأرض ألا
فلكي يستشف من خلل الغيب
ولكي ينهل السعادة من نب
فلكم جاء بالخيال نبّي

في محيط من الأشعة غامر
وقفت عنده الليالي الدوائر
رُ وأصغت إلى صداه المقادير
بعيون الخيال من البصائر
هزت الأرض، يوم جئت، البشائر
وإليك الوجود جم المظاهر
ض شقيّ الوجدان، أسوان حائر
م وحفت به الجدود العوائر
ب جمالا يذكي شباب الخواطر
ع شهّي الورود، عذب المصادر
ولكم جنّ بالحقيقة شاعر

إنما يسعدُ الوجودُ وتشقو ن، وإنِّي لكم مثيرٌ وشاكرٌ
ولكم جنتي، اصطفيتكم اليو مَ لتُحيوا بها جميلَ المآثرِ
فانسقوها جداولاً ورياضاً واجعلوها سَرَخَ النُّهى والنواظرِ
اجعلوا النهرَ كيف شئتم، ومُدُّوا شاطئيه بين المروجِ النواضرِ
ماؤه ذوبٌ خمره، وسنا شمـ سيسَ وريراً وردٍ، وألحانُ طائرِ
وضَعُوا هضبةً تُطلُّ عليه ذاتَ صخرٍ منوِّرِ العشبِ عَاطِرِ
واغرسوا النخلةَ الجنيَّةَ فوق النبـ ح في الموقفِ البديعِ الساحرِ
واجعلوا جنتي قصيدةَ شاعرٍ

ادخلوا الآن أيها المحسنونا
جَنَّةً كنتم بها توعدونا
اجعلوها من البدائع زونا
واملاؤها من الجمال فنونا
املاؤها فناً وليس فتونا
وانشروا الصفو فوقها والسكونا
غير لحنٍ يرفُ فيها حنونا
تتغنَّى به الطيور وكونا
وسناً مُشرقٍ يضيءُ الدجوننا
سرمديَّ الشعاعِ يحمو المنونا
رائقِ النورِ ليس يُعشي العيوننا
وتَغَنُّوا بها كما تشتهوننا
وصِفوها جداولاً وعيوننا
ووروداً نديَّةً وغُصوننا
لا تثيروا بها الهوى والمجوننا
واحذروا أن تذكُّروا «المجوننا»
فلقد ثابَ من هواه شجوننا
وخلا مهجةً وجفَّ شؤنونا

ديوان علي محمود طه

وهو في جنتيه أسعدُ شاعرُ

* * *

أيها الشاعرُ اعتمدْ قيثارَكَ واعزفِ الآنَ مُنشِداً أشعارَكَ
واجعلِ الحُبَّ والجمالَ شعارَكَ وادعُ ربًّا دعا الوجودَ وبارَكَ
فزها وازدهى بميلادِ شاعرٍ

الوحي الخالد

وجوهٌ يفيضُ البشرُ من قَسَمَاتِهَا
وتعربُ عن نجواك شَتَّى لغَاتِهَا
ولا افتَرَّ ثغرُ الصبحِ عن بسمَاتِهَا
ولا شَقِيتُ بالحبِّ بين لِدَاتِهَا
ولا رُزِقَ الإبداعُ من نفحاتِهَا
إليكِ ورودُ الأرضِ نورَ نباتِهَا
على قدميكِ العذبِ من قُبَلَاتِهَا
تصيبُ حياةَ الخلدِ بعد مماتِهَا
صوادحُ طارِ الصمتِ عن وُكُنَاتِهَا
يحييكِ، يا ابنِ الفجرِ، من شَعَفَاتِهَا
تطيشُ لها الأحلامُ من وثباتِهَا
يعزُّ على الأوهامِ جمعَ شتاتِهَا
ودنيا يَشيعُ الموتُ في جنباتِهَا
وتفرغُ فيه البومُ من صرَخَاتِهَا
وتعزى الغصونُ النضرُ من ورقَاتِهَا
تخدّدُ وجهَ الأرضِ من عبرَاتِهَا
عرُفتَ، ولا الأيامُ في ضحكَاتِهَا
ونافثَ هذا السحرِ في كلماتِهَا

لوجهك هذا الكونُ، يا حسن، كلُّهُ
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونِهَا
ولولاك ما جاشَ الدجى بهمومِهَا
ولا سَعِدَتْ بالوهمِ في عالمِ المُنَى
وَلَا حَبَبَتِ الْفَنَّاَنَ آيَاتِ فَنِّهِ
بَكَرَتْ إلى الروضِ النّضيرِ فزاحمتُ
وألقَتُ بأنداءِ الصباحِ شفاهاها
نَشَهُى خُطى فيها الرّدَى، وكأنّها
ومِلَتْ إلى الأدواحِ فانطلقتُ بِهَا
ومَدَّ شعاعُ الفجرِ رَيِّقَ نورِهِ
فوا أسفًا يا حسنُ لِلْحِظَةِ الَّتِي
ووا أسفًا، يا حسنُ، لِلْفِرْقَةِ الَّتِي
وما هي إِلَّا الصمتُ والبردُ والدُّجَى
فضاءٌ يروغُ الريحُ في نشيجِهَا
وتنتثرُ الأزهارُ من عَذَبَاتِهَا
ويغشى السماءَ الجهمُ من كل ديمةٍ
هنالكَ لا الوادي، ولا العالمُ الذي
ولكن رَدَى النفسِ التي كنت حُبَّهَا

ديوان علي محمود طه

مَضَتْ غَيْرِ شَعْرٍ خَلَّدَتْ فِيهِ وَحِيهَا إِلَيْكَ، فَخَذُّ، يَا حَسَنُ، وَحْيَ حَيَاتِهَا!

النَّشِيدُ

عندما ظلّلتني الوادي مساء
كان طيفٌ في الدجى يجلسُ قربي
في يديه زهرةٌ تقطرُ ماء
عرفتُ عيني بها أدمعَ قلبي!
قلتُ: من أنتَ؟ فلَبَّاني مجيبا
نحنُ، يا صاح غريبانِ هنا
قد نزلنا السهلَ والليلَ الرهيبا
حيثُ ترعاني وأرعاكُ أنا
قلتُ: يا طيفُ أثرتَ النفسَ شكا
كيف أقبلتَ؟ وقُلْ لي من دعاكا؟
قال: أشفقتُ من الليلِ عليكَا
فتتبَّعتُ إلى الوادي خُطاكا
ودنا مني وغنَّاني النشيدا
فعرفتُ اللحنَ والصوتَ الوديعا
هو حُبِّي هام في الليلِ شريدا
مثلما همتُ لنلقاكُ جميعا
وتعانقنا وأجهشنا بكاء
وانطلقنا في حديثٍ وشجونٍ

ودنا الموعِدُ فاهتجنا غناءً
وتنظَّرناكَ والليلُ عيونُ
أقبلَ الليلُ فأقبلَ موهناً
والتمسَ مجلسنا تحتَ الظلالِ
وإفني نصدحُ بألحانِ المنى
ونعبُ الكأسَ من خمر الخيالِ
أقبلَ الليلةَ وانظرُ واسمع
كلُّ ما في الكونِ يشدو بمزارِكُ
جئتُ بالأحلامِ والذكرى معي
وجلسنا في الدُّجى، رهن انتظاركُ
سترى، يا حسنُ، ما أعددتُهُ
لكَ من ذخِرٍ، وحسنٍ، ومتاعٍ
هو قلبي، في الهوى، ذوّبتَه
لكَ في رَفَافِ لحنٍ وشعاعٍ
وهو شعرٌ صَوَّرتُ ألوانُهُ
بهجةَ الفجرِ وأحزانَ الشفقِ
ونشيدُ مَثَّلَتِ ألحانُهُ
همساتِ النجمِ في أذنِ الغسقِ
ذاك قلبي عارياً بين يديكُ
أخذتُهُ منكِ رُوعاتُ الإله
فتأمله دماً في راحتيكِ
وذمَّاءُ منكِ يستوحي الحياةَ
باكيِ الأحلامِ، محزونِ المنى
ضاحكِ الآلامِ، بسَّامِ الجراحِ
لم يكنِ إلَّا تقيًّا مؤمناً
بالذي أغرى بحبِّيكِ الطَّماحِ
يتمنّى فيكِ لو يَفْنَى كما

يَتَفَانِي الْغَيْمُ فِي الْبَحْرِ الْعُبابِ
أَوْ يُلَاشِي فِيكَ حَيًّا مِثْلَمَا
يَتَلَاشَى، فِي الضَّحَى، لَمَحَ الشَّهَابُ
زَهْرَةً أَطْلَعَهَا فَرْدَوْسُ حُبِّكَ
اسْتَشَفَّتْ فَجَرَهَا مِنْ نَاطِرِكَ
خَفَقَتْ أَوْرَاقُهَا فِي ظِلِّ قَرَبِكَ
وَسَرَتْ أَنْفَاسُهَا مِنْ شَفَتَيْكَ
هِيَ مِنْ حَسَنِكَ تَحْيَا وَتَمُوتُ
فَاحْمِهَا، يَا حَسَنُ، إِعْصَارَ الْمَنُونِ
أَوَّلِهَا الدَّفَاءَ مِنَ الصَّدْرِ الْحَنُونِ
أَوْ فَهْبَهَا النُّورَ مِنْ هَذِي الْعَيُونِ
دَمْعُهَا الْأَنْدَاءُ وَالْعَطَرُ الشَّجَا
وَصَدَى أَنْتَاهَا هَمْسُ النَّسِيمِ
فَاحْبُبْهَا مِنْكَ الرَّبِيعَ الْمُرْتَجَى
تَصْدَحِ الْأَيَّامُ بِاللَّحْنِ الرَّخِيمِ

المَلَّاحُ النَّائِي

أَيُّهَا الْمَلَّاحُ قُمْ وَاطْوِ الشَّرَاعَا
جَدِّفِ الْآنَ بِنَا فِي هَيْنَةٍ
فَغَدًا يَا صَاحِبِي تَأْخُذْنَا
عَبَثًا تَقْفُوا خُطَى الْمَاضِي الَّذِي
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَوْيَقَاتِ هَوًى
فَتَمَهَّلْ، تَسْعِدِ الرُّوحُ بِمَا
وَدَعَ اللَّيْلَةَ تَمْضِي، إِنَّهَا
سَوْفَ يَبْدُو الْفَجْرُ فِي آثَارِهَا
هَذِهِ الْأَرْضُ انْتَشَتْ مِمَّا بِهَا
قَدْ طَوَاهَا اللَّيْلُ حَتَّى أَوْشَكَتْ
إِنَّهُ الصَّمْتُ الَّذِي فِي طَيْهِ
سَمِعَتْ فِيهِ هُتَافَ الْمُنْتَهَى
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، غَنُوا وَاطْرَبُوا

لِمَ نَطْوِي لُجَّةَ اللَّيْلِ سَرَاعَا
وَجْهَةَ الشَّاطِئِ سِيرًا وَاتْبَاعَا
مَوْجَةَ الْأَيَّامِ قَذْفًا وَانْدَفَاعَا
خِلْتُ أَنَّ الْبَحْرَ وَارَاهُ ابْتِلَاعَا
وَقَفْتُ عَنْ دَوْرَةِ الدَّهْرِ انْقِطَاعَا
وَهَمْتُ، أَوْ تَطْرِبِ النَّفْسُ سَمَاعَا
لَمْ تَكُنْ أَوْلَ مَا وَلَّى وَضَاعَا
ثُمَّ يَمْضِي، وَدَوَالِيكَ تَبَاعَا
فَغَفْتُ تَحْلُمُ بِالْخُلْدِ خَدَاعَا
مَنْ عَمِيقِ الصَّمْتِ فِيهِ أَنْ تُرَاعَا
أَسْفَرَ الْمَجْهُولُ، وَالْمُسْتَوْرُ ذَاعَا
مَنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ يُقْرِئُهَا الْوَدَاعَا
وَانْهَبُوا مِنْ غَفَلَاتِ الدَّهْرِ سَاعَا

* * *

آه، مَا أَرْوَعَهَا مِنْ لَيْلَةٍ
نَفَخَ الْحُبُّ بِهَا مِنْ رُوحِهِ
وَجَلَا مِنْ صُورِ الْحَسَنِ لَنَا
فَاضَ فِي أَرْجَائِهَا السَّحَرُ، وَشَاعَا
وَرَمَى عَنْ سِرِّهَا الْخَافِي الْقِنَاعَا
عَبَقْرِيًّا لَبِقَ الْفَنِّ صَنَاعَا

وهفَا النَجْمُ خُفُوقًا وَالتَّمَاعَا	نَفَحَاتُ رَقَصِ الْبَحْرِ لَهَا
حَرَكَ الْعُشْبَ حَنَانًا وَالْيِرَاعَا	وَسَرَى مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ صَدَى
كَسْرَايَا الطَّيْرِ نُفُورَنَ ارْتِبَاعَا	بَعَثَ الْأَحْلَامَ مِنْ هَجَعَتِهَا
بَنَشِيدِ الْحَبِّ يَهْتَفَنَ ابْتِدَاعَا	قُمْنِ بِالشَّاطِئِ مِنْ وَادِي الْهَوَى

* * *

وَأَذِيبَتِ الْقَلْبَ صَدًّا وَامْتِنَاعَا	أَيُّهَا الْهَاجِرُ عَزَّ الْمَلْتَقَى
قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُ الْمَوْجُ صِرَاعَا	أَدْرِكِ التَّائِهَ فِي بَحْرِ الْهَوَى
عَنْهُ ضَاقَتْ رَقْعَةُ الْأَرْضِ اتِّسَاعَا	وَارَعَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا شَارِدًا
لَا يَرَى فِي أَفْقٍ مِنْهُ شِعَاعَا	ضَلَّ فِي اللَّيْلِ سَرَاهُ، وَمَضَى
وَعَذَابٍ يَشْعَلُ الرُّوحَ التِّيَاعَا	يَجْتَوِي الْلَافِحَ مِنْ حَرَقَتِهِ
وَالْهَوَى الثَّائِرَ فِي قَلْبٍ تَدَاعَى	وَالْأَسَى الْخَالِدَ مِنْ مَاضٍ عَفَا
وَأَمْلَأَ السَّهْلَ سَلَامًا وَالْيِفَاعَا	فَاجْعَلِ الْبَحْرَ أَمَانًا حَوْلَهُ
بِيدِ الرِّفْقِ الَّتِي تَمْحُو الدِّمَاعَا	وَأَمْسَحِ الْآنَ عَلَى آلَامِهِ
وَأَنْشُرِ الْحَبَّ عَلَى الْفَلَكَ شِرَاعَا	وَقَدِ الْفَلَكَ إِلَى بَرِّ الرُّضَا

عُرْفَةُ الشَّاعِرِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْكَثِيبُ مَضَى اللَّيْلُ لُ مَا زِلْتَ غَارِقًا فِي شَجُونِكَ
مُسْلِمًا رَأْسَكَ الْحَزِينَ إِلَى الْفَكَ حِرِّ، وَلِلْسَهْدِ ذَابِلَاتِ جَفُونِكَ
وَيَدُ تُمْسِكُ الْيِرَاعَ وَأُخْرَى فِي ارْتِعَاشٍ تَمُرُّ فَوْقَ جَبِينِكَ
وَفَمٌ نَاضِبٌ بِهِ حَرُّ أَنْفَا سَكَ يَطْغَى عَلَى ضَعِيفِ أَنْيْنِكَ

* * *

لَسْتَ تُصْغِي لِقَاصِفِ الرَّعْدِ فِي اللَّيْلِ لَلِ، وَلَا يَزْدَهِيكَ فِي الْإِبْرَاقِ
قَدْ تَمْشَى خِلَالَ غَرْفَتِكَ الصَّمِّ تٌ وَدَبَّ السَّكُونُ فِي الْأَعْمَاقِ
غَيْرَ هَذَا السَّرَاجِ فِي ضَوْئِهِ الشَّأْ حِبِّ، يَهْفُو عَلَيْكَ مِنْ إِشْفَاقِ
وَبَقَايَا النِّيرَانِ، فِي الْمَوْقِدِ الذَّا بَلِ، تَبْكِي الْحَيَاةَ فِي الْأُرْمَاقِ

* * *

أَنْتَ أَذْبَلْتَ بِالْأَسَى قَلْبَكَ الْغَضَّ وَحَطَّمْتَ مِنْ رَقِيقِ كِيَانِكَ
أَهْ يَا شَاعِرِي، لَقَدْ نَصَلَ اللَّيْلُ لُ مَا زِلْتَ سَادِرًا فِي مَكَانِكَ
لَيْسَ يَحْنُو الدُّجَى عَلَيْكَ وَلَا يَأْ سَى لَتَلِكَ الدَّمُوعِ فِي أَجْفَانِكَ
مَا وَرَاءَ السُّهَادِ فِي لَيْلِكَ الدَّا جِي، وَهَلَّا فَرِغْتَ مِنْ أَحْزَانِكَ؟

* * *

فَقُمْ الْآنَ مِنْ مَكَانِكَ وَاعْنَمْ فِي الْكُرَى غَطَّةَ الْخَلِيِّ الطَّرُوبِ

والتمس في الفراش دفئاً يُنسى
لست تُجْزَى من الحياة بما حُم
كَ نهارِ الأسي وليلِ الخطوبِ
لَتَ فيها من الضنى والشحوبِ
فِ، وليستُ للشاعر الموهوبِ! والزَّيـ

رُجُوعُ الْهَارِبِ

إذا تمرّد المحبون على حكم الهوى، وضاق كيوييد بصراخهم وبكائهم، فتح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين، وانطلقوا هاربين من أسره ينشدون السلو والنسيان في حياة أصبحت تنكرهم وكأنهم لم يتصلوا بها، وهاموا في عالم كأنما يجهلهم ويجهلونه، هنالك يرجع الهارب نادماً مأخوذاً بسحر تلك الأيام التي كانت تُشرق عليه من خلال ديره القديم.

ورفعتُ للهبِ الأحمَّ جبيني	قربتُ للنورِ المشعِّ عيوني
قدمي، وتُدمي الشائكاتُ يميني	ومشيتُ في الوادي يمزقُ صخره
فنأى ورداً إلى السرابِ ظنوني	وعدوتُ نحو الماءِ وهو مُقاربي
فوقفتُ، فارتدّتْ هنالك دوني	وبدتُ لعيني في السماءِ غمامةً
فسمعتُ قصفَ العاصفِ المجنونِ	وأصختُ للنسماتِ وهي هوازجُ

* * *

يا ليل: ما للنجم غيرَ مبين؟	يا صبح: ما للشمس غيرَ مضيئةٍ
يا نور: أين النورُ ملء جفوني؟	يا نار: ما للنارِ بين جوانحي
وأتى المساءُ بأدمعي وشجوني	ذهبَ النهارُ بحيرتي وكأبتي
وتنكرتُ للهاربِ المسكين!!	حتى الطبيعة أعرضت وتصاممتُ

* * *

فلمنُ أبثُّ ضراعتي وحنيني؟	إن لم يكن لي من حنانك موئلٌ
----------------------------	-----------------------------

آثرت لي عيشَ الأسيرِ فلم أُطِقْ
فأعدتني طَلَقَ الجناحِ وخلت بي
وأشرت لي نحو السماءِ فلم أطر
نسيَ السماءَ وباتَ يجهلُ عالمًا
ولقد مضى عهدُ التنقلِ، وانتهى
لم ألقَ بعدك ما يشوقُ نواظري
فهتفتُ أستوحى قديمَ ملاحني
ونزلتُ أستذري الظلالَ فِعَفَنِي
فرجعتُ للوَكْرِ القديمِ وبني أَسَى
لما رأتهُ اغرورقتُ عيناَي من
ومضتُ بي الذكري فرحتُ مُكْذِبًا
وصحوتُ من خَبَلٍ وبني مما أرى

صبرًا وجُنَّ من الإِسارِ جنوني
للنورِ جَنَّةَ عاشقٍ مفتونٍ
ورددتُ عينَ الطائرِ المسجونِ
ألقيَ الحجابَ عليه أسْرُ سنينِ
زمني إليك بصبوتي وفتوني
عند الرياضِ، فليسَ ما يصيبني
فتهدَّجتُ وتعثَّرتُ بأنيني
حتى الغصونِ غدونَ غيرِ غصونِ
يطغى عليَّ وذَلَّةُ تعرُّوني
ألم، وضجَّ القلبُ بعد سكونِ
عيني، ومتهمًا لديه يقيني
إطراقُ مكتئبٍ، وصمتُ حزينِ

* * *

فافتحْ لي البابَ الذي أغلقته
دعني أروِّ القلبَ من خمِرِ الرضا
وأعدْ إلي أسِرَ الصبابةِ هاربًا
عافَ الحياةَ على نواك طليقةً

دونِي، وهاتِ القيدَ غيرِ ضنينِ
وأنم، على فجرِ الحنانِ، عيوني
قد أبَ من سَفَرِ الليالي الجونِ
وأُتاكَ ينشدها بعينِ سجينِ!!

مَخْدَعُ مُغْنِيَةٍ

حُسْنُ وَالسَّحَرُ والهوى والمراحُ
هـ قلوبُ، ورفرفت أرواحُ
ودنيا بها يَدِفُ جناحُ
طابَ منها الشذا ورقَّ النفاحُ
ن كما تحمل الندى الأدواحُ
ضُحْكُ لا تملُّه ومزاحُ
رى بأحانها تشيعُ الرّاحُ
تتملّى فتشرق الأوضاحُ
وأباحَتْ لهنَّ ما لا يُباحُ
حنة يُغدي لقسده ويُراحُ
دُ ولكن في كَفِّهِ المفتاحُ
أو يُنَبِّه فأدمع وجراح!!

شاعَ في جوِّه الخيالُ ورفَّ الـ
ونسيمُ مُعَطَّرُ خفقت فيـه
ومُنَى كلهنَّ أجنحة تهفو
ومن الزَّهر حولها حلقاتُ
حَمَلَتْ كُلُّ باقية دمعَ مفتو
وهي في ميعَةِ الصُّبا يزدهيها
وغناء كأنَّ قُمريةً سكـ
أخلصت ودَّها المرايا فراحَتْ
كشفت عن جمالها كلَّ خافٍ
مُعَبَّدٌ للجمال، والسحر، والفتـ
نام في بابهِ العزيزُ (كيوبيـ
إنَّ ينمُ فالحياةُ شدوٌ ولهوٌ

* * *

حيثُ لا ضجَّةٌ ولا أشباحُ
هي دُنيا تُتَبَّحُ ما لا يُتاحُ
ويُرينا وجوهنا المصباحُ
ح؟ فقلتُ المعذبُ الملتاحُ

دَخَلْتُ بي إليه ذاتَ مساءٍ
لم نكن قبلُ بالرفيقين، لكن
وجلسنا يهفو السكونُ علينا
هتفتُ بي: تَرَكَ من أنت يا صا

شاعرُ الحبِّ والجمالِ؛ فقالت: ما عليه إذا أحبَّ جُنَّاحُ
واحتوى رأسيَ الحزينَ ذراعاً ها، ومرّت على جبيني راحُ
ورأت صُفرةَ الأسي في شفاهِ أحرقتها الأنفاسُ والأقداحُ
فمضت في عتابها: كيف لم ند ر بما برّحت بك الأتراحُ؟
إن أسأنا إليك فالיום يجزيـ ك بما نُقّته رِضاً وسماحُ
ولك الليلةُ التي جمعتنا فاغتنمها حتى يلوخ الصباحُ!!

* * *

قلت: حسبي من الربيع شذاهُ ولعيني زهره اللَّمَّاحُ
نحن طيرُ الخيالِ، والحسنُ روضُ كلُّنا فيه بلبلُ صدَّاحُ
فَنَيْتُ في هواهُ منا قلوبُ وأصابت خلودها الأرواحُ!!

قُبْلَةُ

قُبْلَةُ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا	سَمِ دُنْيَا وَحْيَاةُ
تَلْتَقِي الرُّوحَانِ فِيهَا	وَالْمُنَى وَالصَّبَوَاتُ
لُغَةً وَحَدَّتِ الْأَلْ	حَسُنَ فِيهَا وَاللُّغَاتُ
نَبْعُهَا الْقَلْبُ وَمَجْرَا	هَا الشِّفَاهُ النَّضْرَاتُ

* * *

لُغَةً قَرَّ شَتِيْتُ الْ	شَمِلَ فِيهَا وَتَوَاءَمَ
وَبَهَا الْأَعْيُنُ فِي غِي	رَ حَدِيثٍ تَتَفَاهَمُ
مَنْ تُرَى عَلَّمَهَا بِالْ	أَمْسِ حَوَاءَ وَأَدَمُ؟
لَمْ تَزُلْ جِدَّتْهَا وَهـ	يَ حَدِيثُ يَتَقَادَمُ

* * *

قُبْلَةُ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا	سَمِ رَفَّتْ شَفْتَاهُ
مَنْ رَحِيقٍ لَمْ يُحَرِّمَ	هـ عَلَى النَّاسِ الْإِلَهُ
كَلِمَا أُتْرِعَ مِنْهُ الْ	قَلْبُ ضَجَّتْ رِئْتَاهُ
مُسْتَزِيدًا وَهُوَ إِنْ عَلَّ	بِهِ زَادَ صَدَاهُ

* * *

قُبْلَةُ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا	سَمِ تَمَحَوُ كُلَّ مَا بِي
-------------------------------	-----------------------------

وتواريني عن النـا يس وعن دنيا العذابِ
وُتَنَسَّى القلبُ ما جُرَّ عَ من سَمٍّ وصابِ
قبلةً تمزجُ أنفا سَك بالقلبِ المُذابِ

* * *

رُبَّ ليلٍ مرَّ أفنيـ ناهُ ضمًّا وعناقًا
وأدرنا من حديثِ الـ حبَّ خمراً نتساقى
في طريقِ ضَرَبَ الزَّهـ رُ حواليه نطاقًا
وتجلَّى البدرُ فيه، وصفا الجوُّ وراقًا

* * *

ولزمنا الصمتَ إلَّا نظراتٍ تتكلَّمُ
وشفاهاً عن جراحِ الـ قلبِ راحتٍ تتبسمُ
صَحَّتْ بي رعبًا وما را عكِ قلبٌ يتحطَّمُ
نبأتني النفسُ بالبيـ نِ غداً، والنفسُ تُلهمُ

* * *

ثم كان الغدُ ما نُبـ يئتِ هجرًا وفراقًا
ونسينا قبلةً لَدَّ تَ على الأَمْسِ مذاقًا
غيرَ أناتٍ صحا القـلـ بٌ عليها وأفاقًا
فالتقينَا وافترقنا، وكأنَّ لَمَ نتلاقا!!

أُغْنِيَّةُ رِيْفِيَّةٍ

إذا داعبَ الماءُ ظلَّ الشَّجَرِ
وردَّدتِ الطيرُ أنفاسَها
وناحتْ مُطَوِّقَةٌ بالهوى
ومرَّ على النهرِ نغزُ النسيمِ
وأطلعتِ الأرضُ من ليلها
هنالك صفصافةٌ في الدُّجى
أخذتُ مكاني في ظلها
أمرُّ بعيني خلالَ السماءِ
أطالعُ وجهك تحت النخيلِ
إلى أن يَمَلَّ الدجى وحشتي
وتعجبُ من حيرتي الكائناتُ
فأمضي لأرجع مستشرقاً

وغازلتِ السُّحُبُ ضوءَ القمرِ
خوافقَ بين الندى والزَّهرِ
تناجي الهديلِ وتشكو القدرِ
يُقَبِّلُ كلَّ شراعٍ عبرَ
مفاتنِ مختلفاتِ الصُّورِ
كأنَّ الظلامَ بها ما شعرِ
شريدَ الفؤادِ كئيبَ النظرِ
وأطرقُ مستغرقاً في الفِكْرِ
وأسمعُ صوتك عند النَّهْرِ
وتشكو الكأبةَ مني الضجرِ
وتُشفِقُ منِّي نجومُ السَّحَرِ
لقاءك في الموعد المنتظر!!

قِيَارَتِي

ونسيتِ لحنَ صبابتي وغرامي
وعزاءَ نفسِ جمّةِ الآلامِ
وتُذهَّبِينَ حواشيَ الأحلامِ
لحنًا تمشَى في دمي وعظامي
ذابتُ على صدرِ الغديرِ الطامي
أصداؤُك الحيرَى على الأكامِ
لحنُ كفائرِ موجهها المترامي

بدَّدتِ يا قِيَارَتِي أنغامي
مرّتْ ليالٍ كنتِ مؤنستي بها
تروينَ من طربِ الصُّبا وحنينه
كالبلبلِ الشاكي رويتِ صبابتي
أنشودةُ الوادي ولحنُ شبابه
شاقُ الطبيعةِ من قديمٍ ملاحني
وشجا البحيرةَ واستخفَّ ضفافها

من كلّ ماضٍ عاثرِ الأيامِ
ويعيدُ لمحةَ ثغره البسّامِ
تُوحى الخيالَ لريشةِ الرِّسّامِ
وخلّتْ مغانيه من الأرامِ
وذوى بشطّيه النضيرُ النّامي
داوٍ يشقُّ جوانبَ الأظلامِ
وصداك بين الغورِ والأكامِ
وسماءَ وحي الشعرِ والإلهامِ
أنسينَ عهدَ مودتي وذمامي؟

يا ربّةَ الألحانِ غنّني وابعثني
هل من نشيدك ما يجددُ لي الصُّبا
ويصورُ الأحلامَ فتنةَ شاعرٍ
وادي الهوى ولتُ بشاشةُ دهره
طارت صواحه وجفَّ غديره
واعتاظ من همسِ النسيمِ بعاصف
وهو الصّدى الحاكي لضائعِ صرختي
قد كُنَّ الأفى ونزهةَ خاطري
ما لي بهنّ سكتنَ عن ألامي؟

* * *

يا ربّة الألمان هل من رجعةٍ	لقديم لحنيك أو قديم هيامي؟
فاروي أغانيّ القُدّامي، وانفثي	في الليل من نفثات قلبي الدّامي
علّ الذي غنّيتُ عرشَ جماله	وطفقتُ أرقُبَ أفقه المتسامي
تُشجّيه ألحاني فيسعدني به	طيفٌ يَضُنُّ عليّ بالإلّامِ
ما لي أراكِ جمدت بين أناملّي	وعصيتِ أنّاتي ودمعي الهامي
خرساء لا تتلو النشيدَ ولا تعي	سرَّ الغناءِ ولا تعيدُ كلامي
يغري الكآبة بي ويكشفُ خاطري	أنّي أراكِ حبيسةَ الأنغامِ

أَيَّتْهَا الْأَشْبَاحُ

لِمَ أَقْبَلْتِ فِي الظَّلَامِ إِلَيَّ؟ ولماذا طرقتِ بابي ليلاً؟
لَاتَ حِينَ الْمَزَارِ أَيَّتْهَا الْأَشْبَاحُ، فامضي، فما عرفتكِ قبلاً!

* * *

اتركيني في وحشتي، ودعيني في مكاني بوحدتي مستقلاً
لَسْتُ مِنْ تَقْصِدِينَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي، فعذراً إن لم أقل لك: أهلاً!

* * *

لَا تُطِيلِي الْوُقُوفَ تَحْتَ سِيَاجِي لَنْ تَرَيَ فِيهِ لِلثَّوَاءِ مَحَلًّا
ضَلَّ مَسْرَاكَ فِي الظَّلَامِ فَعُودِي واحذري فيه ثانياً أَنْ يَضِلَّ!

* * *

ذَاكَ مَأْوَايَ فِي تَخُومِ الْفِيَاثِي طَلُّ وَاجِمٌ عَلَيْكَ أَطْلًا
قَدْ تَخَلَّيْتُ عَنْ زَمَانِي فِيهِ وهوَ بي عن زمانه قد تَخَلَّى!

* * *

لَنْ تَرَيَ مِنْ خِلَالِهِ غَيْرَ خَفَّاقٍ شعاعٍ يكادُ في الليلِ يَبْلَى
وَحَيَالٍ مُسْتَغْرِقٍ فِي زَهْوٍ باتَ يرعى ذُبَالَهُ الْمُضْمَحَلَّ!

* * *

ابرحي بهوَه الكئيبَ فما فيه لعينيكِ بهجَةً تتجَلَّى
قد نزلتِ العشيَّ فيه على قفرٍ جَفَتُهُ الحياةُ ماءً وظلًّا!

* * *

كان هذا المكانُ روضًا نضيرًا جرَّ فيه الربيعُ بالأمس ذيلًا
كان فيه زهرٌ، فعاد هشيماً كان فيه، طيرٌ ولكن تولَّى!

* * *

فاسلمي من شقائه ودعيه وحده يصحبُ السكونَ المملًا
واطرقِي غيرَ بابِه، إنَّ رَوحِي أحكمتُ دونَه رِتاَجًا وقُفْلًا!

* * *

أوقُوفًا إلى الصباحِ ببابي؟! شدَّ ما جِئْتِه غباءٌ وجهلًا!
ابعدي من وراءِ نافذتي الآن ورفقًا إذا انثنيتِ ومهلًا!

* * *

إنَّ من تحتِها هَزارًا صريعًا سامهُ البردُ في العشية قتلاً
وأزاهيرَ حوله ذابلاتٍ مرَّقتها الرِّياحُ في الليلِ شملًا

* * *

كان لي في حياتها خيرُ سلوى فدعيني بموتها أتسلَّى
فهي بُقيا صبايةً ودموعٍ جثيا عندها شعاعًا وطلًّا

* * *

إن عيني بها أحقُّ من الموتِ وقلبي بها من القبرِ أولى
جُنَّ قلبي فاستضحكتُ المنايا حيثُ أبكتني الحقيقةُ عقلًا

أَيْتُهَا الْأَشْبَاحُ

* * *

لا تُطِيلِي الوقوفَ، أيتها الأشباحُ، فامضي فما رأيتكِ قبلاً
أولم تسمعي؟ جهلتكِ من أنتِ! فعودي فما كذبتكِ قولاً!!

قلبي

كالنجم في خفق وفي ومض متفردًا بعوالم السُّدُم
حيران، يتعُ حيرة الأرض ومصارع الأيام والأُمم

* * *

مستوحشًا في الأفق منفردًا وكأنَّه في سامر الشُّهْب
هذا الزحامُ حيالُه احتشدا هو عنه ناءٍ جدُّ مغتربٍ

* * *

مترنِّحًا كالعاشقِ التَّمِلِ رِيَّان من بهج ومن حزن
نشوان من أَلَمٍ ومن أَمَلٍ مستهزئًا بالكونِ والزَّمنِ

* * *

تلك السماءُ على جوانبه بحرُ الحياة الفائزُ الزَّبدِ
كم راحَ يلتمسُ القرارَ به هيمانَ بين شواطئ الأبدِ

* * *

تهفو على الأمواج صورته وشعاعُه اللَّمَّاحُ في الغورِ
نفذتُ إلى الأعماقِ نظرته فإذا الحياةُ جليَّةُ السَّرِّ

* * *

وَيَمُرُّ بِالْأَحْدَاثِ مَبْتَسِمًا كَالشَّمْسِ حِينَ يَلْفُهَا الْغَيْمُ
زَادَتْهُ عِلْمًا بِالَّذِي عَلِمَا دُنْيَا تَنَاهَى عَنْدهَا الْوَهْمُ

* * *

بَلَغَ الرِّوَايَاحَ مِنْ حَقَائِقِهَا فَإِذَا السَّعَادَةُ تَوَامُ الْجَهْلِ
هَتَفَ الْمَحْدُوقُ فِي مِشَارِقِهَا زَهَبَ النَّهَارُ فَرِيسَةَ اللَّيْلِ

* * *

يَا قَلْبُ: مِثْلُ النَّجْمِ فِي قَلْقٍ وَالنَّاسُ حَوْلَكَ لَا يُحْسُونَا
لَوْلَا اخْتِلَافُ النُّورِ وَالْغَسَقِ مَرُّوا بِأَفْقِكَ لَا يُطْلُونَا

* * *

فَاصْفَحْ إِذَا غَمَطُوكَ إِدْرَاكَ وَاذْكُرْ قُصُورَ الْآدَمِيَيْنَا
أَتَرِيدُهُمْ، يَا قَلْبُ، أَمْلاكَ كَلَّا ... وَمَا هُمْ بِالنَّبِيِّينَا

* * *

هَمَّ عَالَمٌ فِي غِيَّهِ يَمْضِي مُسْتَغْرِقًا فِي الْحَمَاءِ الدُّنْيَا
نَزَلُوا قَرَارَةً هَذِهِ الْأَرْضِ وَحَلَلْتَ أَنْتَ الْقِمَّةَ الْعُلْيَا

* * *

عُبَادُ أَوْهَامٍ وَمَا عَبَدُوا إِلَّا حَقِيرَ مُنَى وَغَايَاتِ
وَمُنَاكَ لَيْسَ يَحْدُثُهَا الْأَبَدُ دُنْيَا وَرَاءَ اللَّائِيهِاتِ

* * *

وَلَكَ الْحَيَاةُ دُنَى وَأَكْوَانُ عَزَّتْ مَعَارِجُهَا عَلَى الرَّاقِي
تَحْيَا بِهَا وَتَبِيدُ أَزْمَانُ وَشَبَابُهَا الْمُتَجَدِّدُ الْبَاقِي

قَلْبِي

* * *

يا قلبُ: كم من رائعِ الحَلَكِ أَلْقَاكَ فِي بَحْرِ مِنَ الرُّعْبِ
كم عُدَّتْ مِنْهُ بِقَبَّةِ الْفَلَكِ وَصَرَخْتَ وَحْدَكَ فِيهِ، يَا قَلْبِي!

* * *

ومَضِيَتْ تَضْرِبُ فِي غِيَاهِهِ وَتَرَدُّ عَنْكَ الْمَائِجُ الصَّخْبَا
تَتَرَقَّبُ الْبَرْقُ الْمُطِيفَ بِهِ وَتَسْأَلُ الْأَنْوَاءَ وَالسُّحْبَا

* * *

وخَفَقَتْ تَحْتَ دُجَاهٍ مِنْ وَجَلٍ كَالطَّيْرِ تَحْتَ الْخَنْجَرِ الصَّلْتِ
وعَرَفَتْ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ صَحَوَ الْحَيَاةِ، وَسَكَرَةُ الْمَوْتِ

* * *

يا قلبُ: عِنْدَكَ أَيُّ أَسْرَارٍ مَا زِلَنْ فِي نَشْرِ وَفِي طَيِّ
يا ثَوْرَةَ مَشْبُوبَةِ النَّارِ أَقْلَقْتَ جِسْمَ الْكَائِنِ الْحَيِّ

* * *

حَمَلْتَهُ الْعَبَاءَ الَّذِي فَارَقَتْ مِنْهُ الْجِبَالُ وَأَشْفَقَتْ رَهْبَا
وَأَثَرَتْ مِنْهُ الرُّوحُ فَانْطَلَقَتْ تَحْسُو الْحَمِيمَ وَتَأْكُلُ اللَّهْبَا

* * *

ومَلَأَتْ سِفْرَ الْمَجْدِ مِنْ عَجَبٍ وَخَلَقْتَ أَبْطَالًا مِنَ الْعَدَمِ
وَعَلَى حَدِيثِكَ فِي فَمِ الْحَقِّ سِمَةُ الْخُلُودِ وَنَفْحَةُ الْقَدَمِ

* * *

كم مِنْ عَجَائِبَ فِيكَ لِلْبَشْرِ أَخَذَتْهُمْ مِنْهَا الْفَجَاءَاتُ
مُتَنَبِّئًا بِالْغَيْبِ وَالْقَدَرِ وَعَجِيبَةً تِلْكَ النُّبُوءَاتُ

* * *

وعجبتُ منك ومن إباءك في أسرِ الجمالِ وربقةِ الحبِّ
وتَلَفَّتِ المتكبرِ الصِّلَفِ عن ذِلَّةِ المقهورِ في الحربِ

* * *

يا حُرُّ، كيف قَبِلْتَ شِرعَه وقَنِعتَ منه بزاوِ مأسورِ
أثرتَ في الأغلالِ طلعتَه وأبَيتَ منه فكاكَ مهجورِ

* * *

فإذا جفاكَ الهاجرُ الناسي وقَسَا عليكَ المشفقُ الحديبُ
فاضتَ بدمعك فورةَ الكاسِ وهَفَّتْ بكفِّكَ وهي تضطربُ

* * *

وفزِعتَ للأحلامِ والذِّكرِ تبكي وتنشدُ رجعةَ الأُمسِ
وودِدْتَ لو حُكِّمْتَ في القَدَرِ لتعيدَ سيرتَها من الرِّمَسِ

* * *

ووهِمتَ نارا ذاتِ إيماضِ فبسطتَ كفَّكَ نحوها فزعا
مرَّتْ بعينِكَ لمحَّةُ الماضي فوثبتَ تُمسِكُ بارقا لمعا

* * *

وصحوتَ من وهَمٍ ومن خَبَلٍ فإذا جراحُك كُلَّهِنَّ دَمٌ
لَجَّتْ عليكِ مرارةُ الفشلِ ومشى يَحَزُّ وتينك الأَلَمُ

* * *

والأرضُ ضاقَ فضاؤها الرُحْبُ وخَلَّتْ فلا أَهلٌ ولا سَكَنُ
حالَ الهوى وتَفَرَّقَ الصُحْبُ وبقيتَ وحدك أنتَ والزَّمَنُ!

قَلْبِي

* * *

وَصَرَخْتَ حِينَ أَجَنَّاكَ اللَّيْلُ مَتَمَرِّدًا تَجْتَاحُكَ النَّارُ
وَبَدَا صِرَاعُكَ أَنْتَ وَالْعَقْلُ وَلَأَنْتَمَا بَحْرٌ وَإِعْصَارُ

* * *

مَا بَيْنَ سُلْمِكَمَا وَحَرْبِكَمَا كَوْنٌ يَبِينُ، وَيَخْتَفِي كَوْنٌ
وَبْنَيْتَمَا الدُّنْيَا، وَحَسْبِكَمَا دُنْيَا يَقِيمُ بِنَاءَهَا الْفَنُّ

على الصخرة البيضاء

أَسْرُ إلى الوادي نجيةً شاعرٍ
خوالجَ قلبٍ مزبد اللجّ هادرٍ
إلى الشاطئ المجهول يسبحُ خاطري
على ثبج الأمواج، شعث الغدائرِ
خيالاتٍ جنّ أو ظلالٍ مساحرِ
تنفّس فيه الريحُ عن صدرِ ثائرِ
ولجّ بها في موجه المتزائرِ
بهم أو مجيلٍ فيهم عينٌ باصرِ
يرفّ كطيفٍ في السماواتِ حائرِ
يهيمون في خلجانه والجزائرِ
وتُنشدُ الحانَ الربيع المبكرِ
وما لمسوا من حكمه عفو قادرِ
وأنزلهم منه فسيح المقابرِ

على الصخرة البيضاء ظللني الدُّجى
سمعتُ هديرَ البحرِ حولي فهاجَ بي
وقفتُ أشيعُ الفكرَ فيها، كأنما
وقد نشرَ الغربُ الحزينُ ظلاله
ومن خلفها تبدو النخيلُ كأنها
ألا ما لهذا البحرِ غضبانٌ مثلما
لقد غمر الأكواخَ فوق صخوره
وأنحى على قطّانها غيرَ مُشفقٍ
وما لي كأنّي أبصرُ الليلَ فوقه
ألا أين صيادوه فوق ضفافه
«وبحّارة» الوادي تلفّع بالدُّجى
لقد غرقوا في إثر أكوأخهم، به
وسجّاهم باليمّ زاخرٌ موجه

* * *

يُدوي صداها في عميق السرائرِ؟!
بلى إنّه، يا بحر، ليلُ المقدارِ!!

أصخّ أيها الواديّ أما منك صرخةٌ
أتعلمُ سرّ الليل؟ أم أنت جاهلٌ؟

الأجنحة المحترقة

وفرغتما من لهفةٍ وحنانٍ؟
وهفتُ إلى تقبيله الشَّفتانِ؟
لكما الديارُ، فرفرفَ القلبانِ؟
وعلى الوجوه المشرقاتِ أُماني؟
وَضَحَّ، ومن ثغريكما وَضَحانِ؟
وعلى السفين الراقصاتِ أغاني؟
وتحدَّثْتُ عنه بكلِّ لسانِ!
مَرَحُ الطروبِ، وغبطةُ النشوانِ
فوق الرياحِ الهوجِ منطلقانِ
بلواءِ مصرَ مُظَلَّلِ مزدانِ
تتخيرانِ لها أعزَّ مكانِ
والنجمُ مأخوذٌ بما تصفانِ
شوقًا، وأجفانُ المنونِ رواني
في جوفِ عاصفةٍ من النيرانِ
لكما ولا الجَبَلُ الأشمُّ مُداني
فيه، ولا الأرواحُ طوعِ عِنانِ
تتحرقانِ هوى إلى الأوطانِ
جسمانِ بلِ قلبانِ محترقانِ!!

أدنا المزارُ وقرَّتِ العينانِ؟
وهزتما بالشوقِ كفَّ مُسَلِّمٍ
وحلا العناقُ على اللقاءِ، وأومأتُ
وعلى الثغورِ الباسماتِ بشائرُ
وعلى سماءِ النيلِ من سِمةِ الضحى
وعلى الضفافِ الضاحكاتِ مزاهرُ
يومٌ تطلَّعتِ المُنَى لصباحه
وسرى التخيُّلُ بالنفوسِ فهزَّها
والأفقُ مُربدٌ الأديمِ، وأنتما
تتخايلانِ على السحابِ برفرفِ
تتطلعانِ إلى السديمِ كأنما
وتحدثانِ النجمَ عن أوصافِها
علَّقتما بالناظرين خيالها
هي خطرةٌ، أو نظرةٌ، ودرجتما
طاش الزمامُ فلا السحابُ مُقاربُ
وهوى الجناحُ فلا الرياحُ خوافُ
سدَّتْ طريقكما الحُتوفُ وأنتما
ومشى الردى بكما وتحت جناحه

* * *

الشعرُ فيه فوق كلِّ بيانٍ
في المهرجانِ نواثرَ الريحانِ
إكليلَ غارٍ أو نظيمَ جُمانٍ
ويَشِيدُ بالألَامِ والأحزانِ
أو ما وراءَ النَّوحِ من نشدانٍ؟
في الناسِ ذاكَ الشاعرَ الإنساني
شَطْرُ، وللعلياءِ شَطْرُ ثاني
عمري حِقارةُ كلِّ يومٍ فاني
طوتِ الوجودَ غيابَةَ النسيانِ
هو في بناءِ المجدِ أولُ باني
تبني الحياةَ مصارعَ الشجعانِ!
ذاقتِ من التفريقِ كلَّ هوانٍ
جُرَحَ الأهلَّةِ راحةَ الصلبانِ
مثلُ، ففي ساحِ الفدا مَثَلانِ!
قَدَرُ، وما لكِ بالقضاءِ يدانِ
أُمُّ مَلَكَنَ أَعَنَةَ الطيرانِ
إِلَّا ومنك عليه صدرُ حاني
من تربكِ الغالي أعزُّ مكانِ
قلبانِ تحت الصخرِ يختلجانِ
أدرى، وبالأحزانِ والأشجانِ
ورءوسُهم أعلى من التيجانِ
نعفو ونغفرُ للزمانِ الجاني
يجزي المسيءَ إليه بالإحسانِ
فيه الجبى والبأسُ يلتقيانِ
بخفافهنَّ مناكِبَ العقبانِ

يا ملهميَّ الشعرِ، هذا موقفُ
لوددتُ لو أنِّي عرضتُ بناتِهِ
وعقدتُ من شعري ومن ريحانِها
أنا من يُعَنِّي بالمصارعِ في العُلا
ماذا وراءَ الدمعِ من أُمْنِيَةٍ
أصبحتُ ذا القلبِ الحديدِ، وإن أكنُّ
ووهبتُ قلبي للخطارِ، فللهوى
وعشقتُ موتَ الخالدين، وعِفْتُ من
لولا الضحايا الباذلونَ دماءَهُمْ
هذا الدُمُ الغالي الذي أرخصتُم
تبنونَ للوطنِ الحياةَ وهكذا
مثلتما في الموتِ وحدةَ أمةٍ
مسحَ الهلالُ دَمَ الصليبِ وضمَّدتُ
إن كان في ساحِ الردى لكليكما
عذراً «فرنسا» إن جزعتِ فإنه
هزَّتكَ بالرَّوعاتِ قبلَ مصابنا
واسيتِ مصرَ فما هوى نجمٌ لها
حييَّ سماءَ الفرقدينِ وقُدَّسي
فهنا دُمُ رَوَى ثراكِ، وها هنا
يا أمةَ الشهداءِ أنتِ بثُكلهمُ
الغارُ أحقرُ أن يكلَّلَ هامَهُمْ
لِغِدٍ صَبَرْنَا للزمانِ، وفي غِدٍ
ونمُدُّ للأيامِ كَفَ مصافحِ
ونُدِلُ فوقَ النيِّراتِ بموكبِ
ونَهْزُ أجنحةَ الحياةِ ونعتلي

وننصُ رايةَ مصرَ، أنَّى تشتهي
أقبل سلاحَ الجوِّ، إنَّ عيوننا
أقبل سلاحَ الجوِّ، إن قلوبنا
رُفِرَ على البلدِ الأمينِ وحيِّه
كن للسَّلامِ وقاءه، ولواءه
وإذا دعيتُ الحادثاتُ فلبَّها

مصرُ، ويرضاهُ لها الهرمانُ
للِقَاكَ لم يغمضُ لها جفانُ
كادتُ تطيرُ إليك بالخفقانِ
وانزلْ إلى الوادي، وطِرْ بأمانِ
وشعاعه الهادي على الأزمانِ
بحميَّةِ المستقِلِّ المتفاني

* * *

ليضنَّ بالأعمارِ كلُّ معاجزِ
ليُثِرْ على القضبانِ كلُّ معذبِ
هذا الزمانُ الحرُّ ما لشعوبه
لكمُ الغدُ المرجوُّ فتيانَ الحمى
لا تثنيننَّكمُ المنايا، إنها
كونوا من الفادينِ إن عزَّ الفدا
ولئن حُرمتُم من متاعِ شبابكم
ليَكُنْ لكمُ في كلِّ أفقٍ طائرُ
وليستخفَّ البحرُ من أسطولكم
سيروا بهديِّ الأحمرينِ ومهدوا
لم تبصرِ الأممُ الحياةَ على سنَى

وليخشَّ حربَ الدهرِ كلُّ جبانِ
وليحطمِ الأصفادَ كلُّ معاني
صبرُ على الأصفادِ والقضبانِ
واليومَ يومكمُ العظيمُ الشانِ
سرُّ البقاءِ وسُنَّةُ العمرانِ
كم في الفداءِ من الخلودِ معاني
إنَّ النعيمَ يُنالُ بالحرمانِ
ليَكُنْ لكمُ في كلِّ أرضٍ باني
عَلَمُ كنجَمِ المدلجِ الحيرانِ
بهما سبيلَ المجدِ والسلطانِ
كالنارِ في شَفَقِ الدماءِ القاني!

الله والشاعر

سموتُ مستقبلاً وجهك الكريم فقالت لي الطبيعة: سرّ في طريقك، ما أنبه
شأنك! إنه رآك ...

لامرتين

لا تفزعني يا أرض: لا تفرقي
من شبح تحت الدُّجى عابرٍ
ما هوَ إلاّ آدميٌّ شقي
سمّوهُ بين الناسِ بالشاعرِ
حنانك الآن فلا تُنكري
سبيلهُ في ليك العابسِ
ولا تُضلّيه، ولا تُنفري
من ذلك المستصرخ البائسِ
مُدّي لعينيه الرّحابَ الفسّاحِ
ورقرقي الأضواءَ في جفنه
وأمسكي، يا أرض، عصفَ الرياحِ
والزّاعدَ المنصبَّ في أذنه
أتسمعين الآن في صوته
تهدُّج الأناتِ من قلبه؟

وتقرأين الآن في صمته
تَمَرَّدُ الرُّوحُ على ربه؟
في وقفة الذَّاهِلِ ألقى عصاهُ
مُؤَلِّي الجبهة شَطَرَ الفضاءِ
كأنما يَرْقى الدجى ناظراهُ
ليستَشِفَّ ما وراء السماءِ
يَسْقُطُ ضوءُ البرقِ في لمحِه
على جبينٍ باردٍ شاحبٍ
ويستثيرُ البردُ في لفحه
نارًا تَلْظِي من فمٍ ناضبٍ
أنت له، يا أرض، أمُّ رءومٍ
فأشهدي الكونَ على شقوتهِ
ورددي شكواه بين النجومِ
فهو ابنك الإنسانُ في حيرتهِ
ما هوَ إلا صوتك المرسلُ
وروحك المستعبدُ المرهقُ
قد آدُه الدهرُ بما يحملُ
فجاء عن آلامه ينطقُ؟
طغى الأسى الداوي على صوتهِ
يا للصدى من قلبه الناطقِ
مضى يبتُّ الدهرَ في خفقه
شكايةَ الخلقِ إلى الخالقِ
لا تَعُدْني يا ربَّ في محنتي
ما أنا إلا آدميُّ شقي
طَرَدْتَنِي بالأمسِ من جنتي
فاغفرْ لهذا الغاضبِ المحنقِ
حنانك اللهم، لا تغضبِ

أَنْتَ الْجَمِيلُ الصَّفْحُ، جُمُّ الْحَنَانِ
مَا كُنْتُ فِي شَكْوَايَ بِالْمَذْنِبِ
وَمَنْكَ، يَا رَبِّ، أَخَذْتُ الْأَمَانَ
مَا أَنَا بِالزَّارِي وَلَا الْحَاقِدِ
لَكُنِّي الشَّاكِي شَقَاءَ الْبَشَرِ
أَفْنَيْتُ عَمْرِي فِي الْأَسَى الْخَالِدِ
فَجِئْتُ أَسْتَوْحِيكَ لَطْفَ الْقَدْرِ
تَمَرَّدْتُ رُوحِي عَلَى هَيْكَلِي
وَهَيْكَلُ الْجِسْمِ كَمَا تَعْلَمُ
ذَاكَ الضَّعِيفُ الرَّأْيِ لَمْ يَفْعَلِ
إِلَّا بِمَا يُوحِي إِلَيْهِ الدَّمُّ!
يَعْرِقُ حَدُّ السِّيفِ مِنْ لَحْمِهِ
وَيَحْطُمُ الصَّفْوَانُ بِنْيَانَهُ
وَيَنْخَرُ الْجَرَثُومُ فِي عَظْمِهِ
وَمَنْهُ يُنْمِي الْقَبْرُ دِيدَانَهُ!
مَا هُوَ إِلَّا كَوْمَةٌ مِنْ هَبَاءٍ
تَمَحَقُهُ اللَّمَسَةُ مِنْ غَضَبِكَ
فَكَيْفَ يَثْنِي الرُّوحُ عَمَّا تَشَاءُ؟
وَكَيْفَ يَقْوَى؟ وَهِيَ مِنْ قَدْرَتِكَ؟
رُوحُكَ فِي رُوحِي تَبَثُّ الْحَيَاةِ
نَزَلْتُ دُنْيَايَ عَلَى فَجْرِهَا
فَلِإِنْ جَفَاها ذَاتَ يَوْمٍ سَنَاهُ
لَاذَتْ بَلِيلِ الْمَوْتِ فِي قَبْرِهَا
وَمِثْلَمَا قَدَّرْتَ صَوَّرْتَهَا
فَرُوحُكَ الصَّوْتُ وَرُوحِي الصَّدَى
طَبِيعَةٌ فِي الْخَلْقِ رَغَبَتْهَا
وَمَا أَرَى لِي فِي بِنَاهَا يدا!

لَكُنَّمَا رَوْحُكَ مِنْ جَوْهَرٍ
صَافٍ وَرَوْحِي مَا صَفَتْ جَوْهَرًا
أَوْ لَا؟ فَمَا لِلْخَيْرِ لَمْ يُثْمَرَ
فِيهَا؟ وَمَا لِلشَّرِّ قَدْ أَثْمَرَ!!!
تَقُولُ رَوْحِي: إِنَّهَا مُلْهَمَةٌ
فَهِيَ لَمَّا قَدَّرَتْهُ مُتْبِعَةٌ
مَقُودَةٌ، فِي سِيرِهَا، مُرْغَمَةٌ
وَإِنْ تَرَاءَتْ حُرَّةً طَيِّعَةٌ
قَيَّدَتْهَا بِالْجِسْمِ فِي عَالَمٍ
تَضْجُ بِالشَّهْوَةِ فِيهِ الْجِسْمُ
كِلَاهُمَا فِي حَبِّهِ الْآثَمِ
لَمْ يَصُحْ مِنْ سُكْرَاهُ وَهُوَ الْمَلُومُ
تُبْدِي بِهِ الْأَجْسَامُ سَحَرَ الْحَيَاةِ
فِي مَعْرِضٍ يَجْلُو غَرِيبَ الْفَنُونِ
نَوَاعِسَ الْأَجْفَانِ حُوءَ الشِّفَاءِ
شَدِيدَةَ الْإِغْرَاءِ شَتَّى الْفَتُونِ!
وَلَمْ أَكُنْ أَوَّلَ مُغْرَى بِمَا
أَغَرْتُ بِهِ حَوَاءَ أَوْ آدَمَا
إِرْتُ تَمْشَى فِي دَمِي مِنْهُمَا
مِيرَاثَهُ يَنْتَظِمُ الْعَالَمَا
فَأَنْتَ قَدَّرْتَ عَلَيَّ الشَّقَاءَ
مَنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ عَلَيَّ النِّعِيمَ
وَمَا أَرَى!! هَلْ فِي غَدٍ لِي ثَوَاءُ
بِالْخُلْدِ؟ أَمْ مِثْوَايَ نَارُ الْجَحِيمِ؟
مَا أَثِمْتُ رَوْحِي وَلَا أَجْرَمْتُ
وَلَا طَغَى جِسْمِي وَلَا اسْتَهْتَرَا
عَنَاصِرُ الرُّوحِ بِمَا أَلْهَمْتُ

أوحت إلى الجسم فما قصراً
 كلاهما لم يَعدُ تصويره
 ما كان إلّا مثلما كُونا
 كم حاولا بالأمس تغييره
 فاستكبر الطبعُ، وما أذعنا
 أمْذري أنتِ بيومِ الحساب؟
 ولائمي أنتِ على ما جرى؟
 رُحماك: ما يرضيك هذا العذابُ
 لطيعٍ لم يَعِصْ ما قُدراً!!
 ما كنتِ إلّا مثلما رُكِّبتِ
 غرائزي، ما شئتِ لا ما أشاء
 فلتجزها اليوم بما قدّمتِ
 وإن تكن مما جنته براء!
 وفيم تجزى، وهي لم تأثم؟
 ألسْتَ أنتِ الصائغ الطابعا؟
 ألم تسمها قبل بالميمس؟
 ألم تصغ قالبها الرائعا؟
 ألم تصغها عنصراً عنصراً؟
 من أين؟ ما علمي، وأنتِ العليم!
 جبَلتها يومَ جبَلتِ الثرى
 من عالم الذرِّ ودنيا السديمِ
 الخيرُ والشرُّ بها توأمانُ
 والحبُّ والشهوةُ في طبعها
 حواءُ والشيطانُ لا يبرحانُ
 يُساقطان السحرَ في سمعها!
 تشكّكتِ نفسي بما تنتهي
 إليه دنياها وماذا يكون!

مضتُ فما آبتُ بما تشتتهي
من حيرةِ الفكر وهجسِ الظنون!
رأتُ أسارى في قيودٍ ثقالٍ
بين يديّ ذي مرّةٍ يبسمونُ
يسوقهم في فلواتِ الليالِ
في بطشِ جبارين لا يرحمونُ
إنّ ضجّ في الأغلالِ منهم طليحُ
أخرسه السوطُ الذي يُرهفُ
وإنّ هوى للأرضِ منهم جريحُ
أنهضه في قيده يرُسُفُ!
يا ويحهم ما عرفوا مَوئلاً
من قسوةِ الدهر وجورِ القضاء
يا أرضُ، ما كنتِ لنا منزلاً
ما أنتِ إلا موبقُ الأبرياء!!
أفي سبيلِ العيش هذا الصراعُ؟
أم في سبيلِ الخلدِ والآخرة؟
وهؤلاءِ البائسونَ الجياعُ
تطحنهم تلكِ الرّحى الدائرة؟
ما ذنبُ هذا العالمِ الثّائرِ؟
إنّ حاولَ الإفلاتَ من أسرِهِ؟
ما كانَ في ميلاده الغابرِ
أسعدَ حالاً منه في حاضِرِهِ!!
ما كانَ لو لم تنزُرْ ألامُهُ
بالماجنِ الرُّوحِ ولا الهائمِ
ولو جرّتْ بالصفوِ أيامُهُ
ما كانَ بالزّاري ولا الناقمِ
رأى بعينه المصيرَ الرهيبَ

وكيف غَالَ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِ
وَكُلَّ يَوْمٍ لِّلْمَنَايَا عَصِيبُ
يَسُوقُهُمُ لِّلْمَوْتِ مِنْ حَوْلِهِ!
فَحَقَّرَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِهَا
وَقَالَ: مَا لِي أَنْكُرُ الْوَاقِعَا؟
فَلْتَسْعِدِ النَّفْسُ بِأَنْخَابِهَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَى الْغَدَّ الرَّائِعَا!
أَيَصْبُحُ الْإِنْسَانُ هَذَا الرَّمِيمَ؟
وَالجِيفَةَ الْمَلَقَاةَ نَهَبَ التَّرَابُ؟
أَيَسْتَحِيلُ الْكُونُ هَذَا الْهَشِيمَ
وَالظُّلْمَةَ الْجَائِمَ فِيهَا الْخَرَابُ؟
لِمَنْ إِذَا تَبَدَّعُ تِلْكَ الْعَقُولُ؟
أَفِي الرَّدَى تَدْرِكُ مَا فَاتَهَا؟
أَمْ فِي غِدٍّ تَتَّوِي بِتِلْكَ الطُّلُولُ
وَيَسْحَقُ الدَّهْرُ يَوَاقِيَتَهَا؟
وَ أَسْفَا لِّلْعَالَمِ الْبَائِدِ
لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَرَى مَهْرَبُ
عَلَى رَنِينِ الْمَنْجَلِ الْحَاصِدِ
مَضَى يُغْنِي، وَهُوَ لَا يَطْرِبُ!!
فَدَعَهُ يَنْسَى بَعْضَ مَا حُمِّلَا
مَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا وَضَنَكَ الْحَيَاةَ
وَأَوَّلِيهِ الْعُطْفَ الَّذِي أَمَّلَا
فَإِنَّهُ أَوْلَى بِعُطْفِ الْإِلَه!
مَا هِيَ إِلَّا لِحِظَاتُ قِصَارِ
تَمَرُّ مِثْلَ الْوَمُضِ فِي عَيْنِهِ
فَإِنْ مَضَى اللَّيْلُ وَجَاءَ النَّهَارُ
عَاوَدَهُ الْخَالِدُ مِنْ حَزْنِهِ!

وما أتى الغيَّ ليعصي الإله
يومًا، ولا كان به مُغرَمًا
لكن لينسى شقوات الحياة
وسرَّها المستغلق المبهما!
يا للشقيِّ القلب كم سامه
توهم النعمة ما لا يُطيق
يُريد أن يُقنع أوهامه
بأنه ذاك الخليُّ الطليق
هأنذا أرفع آلامه
إلى سماء المنقذ الأعظم
أنا الذي تُرسل أنغامه
قيثارة القلب، ونأي الفم
من عبراتي صُغتُ هذا المقال
ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأت منه صفحات الليال
فَضُمْنَتُ كُلَّ معاني الألم
أنا الذي قدَّستَ أحزانه
الشاعرُ الباكي شقاء البشر
فَجَرَّتْ بالرحمة الحانه
فاملأ بها، يا ربِّ، قلبَ القدر!
ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونه
إلا يد الرحمة من ربِّه
مُعَزِّي العالم في حزنه
وحامل الآلام عن قلبه
عزَّاءه شعْرُ به أهزجُ
في نغم مستعذب ساحر
ما يحزن العالم أو يبهجُ

إِلَّا عَلَى قِيثَارَةِ الشَّاعِرِ
يَا رَبِّ، مَا أَشْقَيْتَنِي فِي الْوَجُودِ
إِلَّا بِقَلْبِي: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
فِي الْمِثْلِ الْأَعْلَى وَحِبِّ الْخُلُودِ
حَمَلْتُهُ الْعَبَاءَ الَّذِي لَمْ يَهْنُ
خَلَقْتُهُ قَلْبًا رَقِيقَ الشَّغَافِ
يَهِيْمُ بِالنُّورِ وَيَهْوَى الْجَمَالَ
حَلَّتْ لَهُ النُّجُوى وَلَذَّ الطَّوَافُ
بِعَالَمِ الْحَسَنِ وَدُنْيَا الْخِيَالِ
بَعَثْتُهُ طَيْرًا خَفُوقَ الْجَنَاحِ
عَلَى جِنَانِ ذَاتِ ظِلٍّ وَمَاءٍ
أَطْلَقْتُهُ فِيهَا قُبَيْلَ الصَّبَاحِ
وَقُلْتُ: غَنَّ الْأَرْضَ لَحْنَ السَّمَاءِ
فَهَامَ فِي آفَاقِهَا الْوَاسِعَةِ
النُّورُ يَهْفُو حَوْلَهُ وَالنَّدَى
مُصَفِّقًا لِلضُّحَى السَّاطِعَةِ
وَمُنْشِدًا مَا شَاءَ أَنْ يُنْشِدَا
إِنْ جَاءَ صَيْفٌ أَوْ تَجَلَّى رَبِيعٌ
حَيَّاهُ مِنْهُ عِبْقَرِيَّ الْغِنَاءِ
وَكَمْ خَرِيفٍ فِي نَشِيدِ بَدِيعِ
تَظَلُّ تَرْوِيهِ لِيَالِي الشِّتَاءِ
قِيثَارَةٌ تَصْدُرُ فِي فَنِّهَا
عَنْ عَالَمِ السَّحَرِ وَدُنْيَا الْخَفَاءِ
عَلَى الصَّدَى الْحَائِرِ مِنْ لَحْنِهَا
يَسْتَيْقِظُ الْفَجْرُ وَيَغْفُو الْمَسَاءُ
مَشَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَنْغَامُهَا
وَالْأَرْضُ قَيْدَ النُّشُوءِ الْمُسْكِرِ

كأنَّما ترُقُصُ أحلامُها
في ليلةٍ شرقيَّةٍ مُقمِره!
من قلبه أَسَلَسَتْ أوتارُها
فقلْبُهُ يخفقُ في كفِّه
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه، فهيَ اللحنُ من عزفه
ذاتُ صباحٍ طار لا يُمهلُ
والأرضُ سكرى من عبير الزهورِ
على حصاها رنَّ الجدولُ
وفي روابيها تُغني الطيورُ
ما كان يدري قبلَ أن ينظرا
ما حَبَّأتُهُ النظرةُ العاجلةُ
ما أبدعَ الحلم الذي صوِّرا
لو لم تُشَبَّه اليقظةُ القاتلةُ!
مرَّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلُ
تهفو القمارى حوله شاديةُ
في ضفتيه باسقاتُ النخيلِ
ترعى الشياهُ تحتها ثاغيةُ
فهاجت النظرةُ مما رأى
في قلبه السحرَ وفي عينه
الكونُ يبدو وادعًا هانئًا
كأنَّه الفردوسُ في أمنه
فظلَّ في التفكيرِ مستغرقًا
من فتنة الدنيا ومن سحرها
ما كان إلا ريثما حدَّقَا
حتى جَلَتْ دنياهُ عن سرِّها
رأى بعينيه الذي لم يره

الذئب، والشاة، وحرب البقاء
ما عَرَفَ القتلَ ولا أبصره
ولا رأى من قبل لونَ الدماء!
ما هي إلا صرخاتُ الفزعِ
وصيحةُ المقتولِ والقاتلِ
قد انقضى الأمرُ كأنَّ لم يقعِ
وضاع صوتُ الحقِّ في الباطلِ
وبعدَ ساعاتٍ يُؤلِّي النهارُ
ويُقبلُ الليلُ، وما يعلمُ!!
سيلبثُ السرُّ وراءَ الستارِ
ويختفي الشلوُ ويمحى الدمُ!!
فرُوِّعَ الشاعرُ مما رآه
وهامَ في الأرض على وجهه
أين ترى، يا أرضُ، يُلقى عصاهُ؟
وأَيُّ وادٍ ضلَّ في تيهه؟
حتى إذا شارفَ ظلَّ الشجرِ
في روضةٍ غناء رَيَّا الأديمِ
قد ضحكت للنور فيها الزهرُ
وصفقت أوراقها للنسيمِ
اختار في الظلِّ له مقعدا
في ربوةٍ فاتنةٍ ساحره
أذاب فيها الشفقُ العسجدا
وناسمتها النفحةُ العاطرةُ
بينما يُمَلِّي العينَ من سحرها
إذ أبصر الصلَّ بها مُطرقا
قد انتحى الأطيارَ في وكرها
فسامها من نابه موبقا

هل سَمِعْتَ أذْناكَ قَصَفَ الرَعْوَدِ
في صَحْبِ البحرِ وعَصَفِ الرِّياحِ؟
هل أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ رَكَضَ الجُنُودِ
في فِزَعِ الموتِ وهولِ الكِفاحِ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْصُرْ وَلَمْ تَسْمَعْ
فَقِفْ إِلَى مِيدَانِهَا الْأَعْظَمِ
ما بَيْنَ مِيلادِكَ والمَصْرَعِ
ما بَيْنَ نَابِيٍّ ذَلِكَ الْأَرْقَمِ!!
جَرِيْمَةُ الغَدْرِ وسَفْكِ الدَّمِ
جَرِيْمَةُ لَمْ يَخْلُ مِنْهَا مَكَانُ
يا لُجَّةً كُلُّ إِلَيْهَا ظَمِي
قد جاز طوفانُكَ شَمَّ القَنانِ!
من عَلَّمَ الوحشَ الْأَذَى والْقَتالَ؟
من بَثَّ فِيهِ الشَّرَّ أَوْ أَلْهَمَهُ؟
من عَلَّمَ الثَّعْبَانَ هَذَا الْخِتالَ؟
والحيوانَ الغَدَرَ من عَلَّمَهُ؟
يا أَرْضُ، هَذَا الوَحْيُ من عَالِمِكَ
الماءُ والطَّيْنُ بِهِ يَشْهَدانِ
جَنِيَّتِ، يا أَرْضُ، على أَدَمِكَ
إِذْ سَمَتِهِ بِالْأَمْسِ هَجَرَ الجَنانِ!
يا ضَلَّةَ الشَّاعِرِ، أَيْنَ النِّجاةُ
وَأَيْنَ، أَيْنَ المَنْزِلُ الْأَمْنُ؟
أَكَلَّ وَاِدِ طَرَقَتَهُ خُطاهُ
طالِعُهُ مِنْهُ الرَّدَى الكامِنُ؟
حتى إِذا ضاقتْ عَلَيْهِ السُّبُلُ
وعَزَّ في الأَرْضِ عَلَيْهِ المَقامُ
أوى إِلَى كَهْفٍ بِسَفْحِ الجَبَلِ

عسَاهُ يَقْضِي لَيْلَهُ فِي سَلَامٍ
مَا كَانَ إِلَّا حُلُمًا كَاذِبًا
أَفَاقٌ مِنْهُ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
الْبَحْرُ يُرْغِي تَحْتَهُ صَاخِبًا
وَالشَّهْبُ نَارٌ، وَالدِّيَاجِي دُخَانٌ
الْأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا رَاجِفَةٌ
كَأَنَّمَا طَافَ عَلَيْهَا الْمَنُونُ
تَضَجُّ فِي أَرْجَائِهَا الْعَاصِفَةُ
كَأَنَّمَا النَّاسُ بِهَا يُحْشَرُونَ!
ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْعَالَمُ الثَّائِرُ
وَأَقْبَلَ النُّورُ وَوَلَّى الظُّلَامُ
وَإِذَا عَجَبًا مِمَّا يَرَى الشَّاعِرُ
كَأَنَّمَا أَمْسَى بِوَادِي الْجِمَامِ!
بَدَتْ لَهُ الْأَرْضُ كَقَبْرِ عَفَا
إِلَّا بِقَايَا رَمَّةٍ أَوْ حَجَرٍ
قَدْ أَصْبَحَ الْقَاعُ بِهَا صَفْصَفًا
فَمَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَاةٍ أَثَرُ
مَرَرْتُ بِالْبُلْدَانِ مُسْتَعْبِرًا
أَبْكِي الْحَضَارَاتِ وَأَرْتِي الْفَنُونَ
أُنْقَاضُهَا تَمَلُّ وَجْهَ الثَّرَى
وَكُنَّ بِالْأَمْسِ مِثَارَ الْفَتُونِ!
أَتَى عَلَى الْيَابِسِ وَالْأَخْضَرِ
الْمَوْجُ، وَالنَّوْءُ، سَيْلُ الْحُمَمِ
يَا رَحْمَةً لِلَّهِ أَهْبِطِي وَانْظُرِي
مَا حَصَدَ الْمَوْتُ وَدَكَّ الْعَدَمُ!!
أَيَسْتَحِقُّ النَّاسُ هَذَا الْعِقَابُ؟
أَمْ حَانَتِ السَّاعَةُ مِنْ نَقْمَتِكَ؟

ما احتملوا، يا ربّ، هذا العذابُ
إلا رجاءَ الغوثِ من رحمتك؟
أما ترى منفرجاتِ الشفاهُ
عن آخر الصيحات من رعبها؟
ما زال فيها من معاني الحياة
إيماءً الشكوى إلى ربها!
وهذه الأعينُ نهَبَ العفاءُ
في رقدةِ الموت كأنّ لم تنمُ
مُحدّقاتٍ في نواحي السماءُ
تشهدها هذا الأسى والألم!
وهذه الأيدي تحوطُ الصدورُ
كأنها في موقفٍ للصّلاه
لم تنسَ في نزعِ الحياةِ الغرورُ
ضراعةً ترسّمها للاله!
ما عرفوا في صَعَقَاتِ الردى
إلّاك من غوثٍ ومن منجدٍ
ولا سرى في الأرض منهم صدى
إلا ودوى باسمِكَ الأمجد!
أعبرةً تذكرها كلّ حينٍ
للعالم الذّاكرِ إمّا نسي؟
أم ضرباتٍ قاسياتٍ تُلينُ
بهنّ قلبَ الفظِّ والأشرسِ؟
أم موجةَ الطهرِ التي تُغسلُ
مآثمَ الكونِ وتمحو أذاه
يا ربّ ضقنا بالذي نحملُ
فحسبنا الأمانا في الحياة!!
ألم تُطهرْ ذلك العالما

من كل عاصٍ أو غويٍّ جموحٍ؟
ما غادر الموجُ به قائمًا
يوم اجتوى الأعلامَ طوفانُ نوحٍ!
إدًا فما للناس ضلُّوا الهدى؟
وأخطئوا اليوم سبيلَ الرشا؟
لعلَّ نوحًا أخطأ المقصدا
فأغرقَ الخير ونجَّى الفساد!!
يا ليتَّه لمَّا دعا بابنه
وحالتِ الأمواجُ أن يُسمعا
لجَّ عليه القلبُ في حزنه
فلم يرَ الجوديَّ لمَّا دعا!!
يا أرضُ، ولَّى عهدُ نوحٍ وزالْ
فمَن لك اليومَ بطوفانه؟
مسكينٌ تطوين بحرَ الليالِ
قد عزَّك المرسى بشطانِه!
إلامَ تطوين عُبابَ السنينِ
شوقًا إلى فردوسكِ الضائعِ؟
غرَّرتِ، يا أرضُ بما تحلُمين
فاستيقظي من حُلُمكِ الخادعِ!!
وابقي كما أنتِ على وجهه
تُمزِّقُ الأنواءَ منك الشرعُ
يقذفُك التيارُ في لجَّه
عشواءَ لا يهديك فيه شعاعُ
سلي القداساتِ وأربابها
ضراعةٌ تُصغي إليها السماءُ
أو فاطرقي بالبتِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاء!

يا أيها الغادونَ والرائحونَ
في شعبِ الأرضِ وليلِ الهمومِ
تُمسونَ أشتاتًا كما تصبحونَ
والشمس حيرى فوقكم والنجومُ!
مُدُّوا لها الأيدي وولُّوا الجباهُ
وأرسلوها صيحةً واحدةً
قولوا لها: يا من شهدتِ الحياةَ
من أينَ تلكَ النظرةُ الجامدةُ؟
من أينَ تلكَ النظرةُ الهادئةُ؟
والقسماتُ المشرقاتُ الجبينُ؟
هل أنتِ من آلامنا هازئةُ؟
أم أنتِ، يا أعينُ لا تبصرينَ؟!
أم هكذا أوحى إليك القضاءُ
فما عرفتِ الحزنَ والأدمعَا؟
يا أيُّها الناس اضرعوا للسماءِ
قد آن أن تُصغي وأن تُشفعا!
هاتوا الأزاهيرَ وهاتوا الغصونَ
وكلَّ ما يحلو وما يجلُّ
قد آن أن تُفضوا بما تشعرونَ
فأشعلوا النارَ بها أشعلوا!!
أو فاملئوا من زهرها اليانعِ
مجامرَ النارِ وألقوا البخورَ
وصعدوا في ذلَّةِ الضارعِ
أنفاسكم نشوى بتلك العطورِ
أحببَ بها من أنَّةِ عاطرةِ
في مسمعِ الأفلاكِ إذ تصعدُ
أصداؤها الرِّفافةُ الحائرةُ

في وجهها الأفاقُ لا توصدُ!!
يا أرضُ ناديتُ فلم تسمعي
أنكرت صوتي وهو من قلبك
لا تفرقي مني، ولا تفرعي
من شاعرٍ شكٍ إلى ربِّك
أيتها المحزونة الباكية
لا تيأسي من رحمة المُنقذِ
لعلَّ من ألامك الطاغية
إذا دعوتِ الله من منقذٍ!
فابتهلي لله، واستغفري
وكفّري عنك بنار الألمِ
وقدّمي التوبة، واستمطري
بين يديه عبراتِ الندمِ!!

صَخْرَةُ الْمُلتَقَى

غَشِيَتْهَا جَلَالَةُ الْآبَدَاتِ
وَقَرَّ الْمَحِيطُ جَنْبَ الْفَلَاةِ
لَمْ تَجْمَعْهُمَا يَدُ الْحَادِثَاتِ
بَعْدَ أَبَادِ فَرْقَةٍ وَشَتَاتِ
رُ وَأَضْفَتْ سَوَادَفَ الظُّلُمَاتِ
كَ خَوَالِي الْأَبْرَاجِ وَالْهَالَاتِ
عُ وَلَجَّ الْوُجُودُ فِي الشُّبُهَاتِ
ذَلِكَ الصَّخْرَ رَائِعَ الْجَنْبَاتِ
نَ أَجْدًا بِهِ وَثِيقَ الصَّلَاتِ
بَيْنَ عَبْرَيْنِ مِنْ بَلَى وَحَيَاةِ
عَلَى صَوْلَةِ الدَّهْورِ الْعَوَاتِي
أَحَادِيثَ أَعْصَرَ خَالِيَاتِ
يُبْعَثُنَا سِيرَةً مَعَ الْكَائِنَاتِ

صَخْرَةٌ لَا تَجَلُّ فِي الْكَائِنَاتِ
جَاوَرَتْهَا الصَّحْرَاءُ تَسْتَشْرِفُ الْيَمَّ
أَبْدِيَّانِ قَدْ أَفَاءَ إِلَيْهَا
وَجَدَا الْمُلتَقَى عَلَيْهَا فَقَرًّا
لَيْلَةَ غَوَرَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزَّهَى
لَوْ تَلَفَّتْ فِي دَجَاهَا لِرَاعَتِ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ خَالَجَهُ الرُّو
وَكَأَنَّ الْوُجُودَ لَمْ يَحْوَ إِلَّا
عَقْدَةُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ جَلَالِيهِ
بَرَزْخُ تَعَبُرُ اللَّيَالِي عَلَيْهِ
رَكْزَتَهَا الْآبَادُ بَيْنَهُمَا رَمَزًا
فَأَقَامَتْ تُسَرُّ لِلْقَفْرِ وَالْيَمِّ
وَاحْتَوَتْ سَرَّ كَائِنِينَ كَأَنَّ لَمْ

* * *

الْوَاسِعَ مَا لَا تَحْدُهُ نَظْرَاتِي
كَكِتَابِ مَمُوءِ الصَّفَحَاتِ
مَا تُجِنُّ الصَّحْرَاءُ مِنْ مَعْجَزَاتِ

كَشَفْتُ لِي الصَّحْرَاءُ مِنْ دَوَّهَا
وَبَسَاطًا مِنَ الرَّمَالِ تَرَاءَى
هُوَ مَهْدُ السَّحْرِ الْخَفِيِّ وَمَثْوَى

ربَّ ليلٍ مكوكبٍ خطرَتْ فيه
ورمى البدرُ بالأشعةِ تبدو
وسرَّتْ نسمةً من الليلِ حيرَى
فإذا الليلُ روعةً وجلالُ
غير ذاك الغريب في تيهه النَّا
أرقتَه صباةً حملتها
قد شجَاهُ هوى اقتحامِ الصحارى
رُبَّ ناءٍ مدَّتْ إليه هواها
يقطع الدَّوَّ بارداتِ الليالي
قتلته سموُمُها وبراهُ
حَرَمَتُهُ الصحراءُ ظلًّا وريقًا
فسلَّ القفرَ هل له فيه قبرُ
أترى غير أعظمِ نخراتِ

له الدراري وضيئةُ القسماتِ
فوق وجه الرمالِ منعكساتِ
وغناءُ الصَّوَادِحِ الطائِراتِ
وإذا القفر غارقٌ في سُبَاتِ
ئِي كئيبِ الفؤادِ والنظراتِ
نفسُه من ربوعِ النَّائِيَّاتِ
والصحارى ماثرةُ الصَّبَّواتِ
فهوى في شراكها القاتلاتِ
ويجوبُ الحزونَ ملتهباتِ
ظمًا من عيونها المجدباتِ
في حواشي واحاتها النضراتِ
ضَمَّ من جسمه نحيلَ رُفَاتِ؟
في ثنايا الرمالِ منتثراتِ؟

* * *

صحراءُ الحياةِ كم همتُ فيها
سرتُ فيها وحدي، وقد حَطَمَ المقدا
ولكم أرمَدُ الهجيرِ جفوني
لم أجذ لي في واحة العيش ظلًّا
أسفًا للحياةِ أصلَى لظاها
بَعُدَتْ عَنِّي الحقيقةُ فيها
كلما هاجتِ الرياحُ صراخي
غيرُ ذاك الصخرِ العتيد الذي ضـ
ظلمتني ذراهُ منفردِ النفسِ

شاردَ الفكرِ، تائه الخطواتِ
رُ في جنحِ ليلها مشكاتي
ورمتني الحرور باللفحاتِ
أو غديرًا يَبْلُ حَرَّ لهاتي
وأراها وريفةَ العَذَبَاتِ
وأضَلَّتْ مسعَايَ للغاياتِ
هَدَّجَتْ في هزيمها صرخاتي
سَجَّ عليه العُبابُ من أناتِي
أبثَّ المحيطُ حَرَّ شكاتي

* * *

أنا فوق المحيطِ كالطائر
ناشرًا فوق عَرْضِهِ من جناحي

التائه يعلو موائجَ اللُّجَاتِ
ظلالَ الهمومِ والحسراتِ

صَخْرَةُ الْمُلْتَقَى

مُـمَعِنًا فِي سَمَائِهِ أَتَغْنِي
لِلْإِلَهِ الْعَظِيمِ مِنْ لُجَّةِ السَّاكِنِ
وَأُنَاجِيهِ طَائِرًا رَفًى فِي اللَّيْلِ
بِنَشِيدِ الْخُلُودِ فِي صَدَحَاتِي
أَتَلُو الْجَمِيلَ مِنْ صَلَوَاتِي
يُغْنِي خَمَائِلَ الْجَنَاتِ

* * *

صَخْرَةُ الْمُلْتَقَى، أَتَيْتِكَ بَعْدَ الْأَيِّ
أَنَا ذَاكَ الشَّادِي الَّذِي نَسَلْتُ رَيْبَ
أَنَا ذَاكَ الشَّرِيدُ فِي صَحْرَاءِ الْعَيْدِ
فِي ثَرَاهَا الْغَبِيِّ وَسَدْتُ أَحْلَا
أَنَا قِيثَارَةً جَفَّتْهَا اللَّيَالِي
وَأَرْنَتْ أَوْتَارَهَا فَهِيَ تَبْكِي
أَنَا طَيْفُ الْمَاضِي عَلَى صَخْرَةِ الْأَبَا
وَوَرَائِي الصَّحْرَاءُ، وَادِي الْمَنَايَا
بَيْنَ عَبْرِيهِمَا ثَوْتُ غُرٍّ أَيَا
مِنْ أَشْكَو مِنَ الْحَيَاةِ أَذَاتِي
شَسَّ جَنَاحِيهِ هَبُّهُ الْعَاصِفَاتِ
شَسَّ ضَلَّ السَّبِيلَ فِي الْفُلُوتِ
مِي وَمَاضِي الْهَنِيِّ مِنْ أَوْقَاتِي
فِي زَوَايَا النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَاتِ
مِنْ شَجَاهَا حَبِيسَةَ النِّغْمَاتِ
د، أَسْتَشْرَفُ الزَّمَانَ الْآتِي
وَأَمَامِي الْمَحِيطَ لُجَّةِ الْحَيَاةِ
مِي وَحَالِ الْوُضْيَاءِ مِنْ لَيْلَاتِي

* * *

لَا أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمُلْتَقَى لَكِنْ أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمَأْسَاءِ!!

عَاصِفَةٌ فِي جُمُجُمَةٍ

ضَجَّتِ الأَنجَمُ فِي آفَاقِهَا
ذَاتَ لَيْلٍ تَشْتَكِي طَوْلَ الأَبَدِ
فَمَضَتْ تَصْرُخُ مِنْ أَعْمَاقِهَا
أَيُّ هَذَا اللَّيْلِ نَبَّهَ مَنْ رَقَدَ!
أَطْلِقِ الجَنِّ يَرْفِرُ لَأَنَذَا
بِالرُّبَى يَصْرُخُ مِنْ خَلْفِ الرِّعْوَشِ
أَيُّهَا الأَحْيَاءُ، مَا الكَوْنُ إِذَا
تُنْثَرُ الشُّهُبُ وَتَنْدُكُ الشَّمُوسُ؟
أَحْيَاةٌ سَمَتْهَا صَخْرٌ وَنَارٌ
حَفَّتِ الأَشْوَاكُ مِنْ يَسْلُكِهِ؟
تَنْقُضِي الأَجَالَ فِيهِ وَالسَّفَارَ
أَبَدِيٌّ، وَيَخُ مِنْ تُهْلِكُهُ!
أَحْمِلُوا أَمْسِ إِلَى حَفْرَتِهِ
وَتَخَطُّوا هَوَّةَ الوَادِي السَّحِيقِ
وَاحْفَظُوا النَّجْمَ إِلَى ثَوْرَتِهِ
وَاحْطُمُوا أَنْوَالَ لَيْلٍ لَا يُفِيقُ
أَيَقْظُوا فِي اللَّيْلِ ثَارَاتِ الرِّعْوَدِ
إِنَّهَا ثَارَاتُ جَبَّارِ السَّمَاءِ

إِنْ يَشَاءُ أَرْسَلَهَا فَوْقَ الْوُجُودِ
فَإِذَا الْكَوْنُ هَشِيمٌ وَهَبَاءٌ
لَوْ تَمَشَّتْ بِمَنَايَاهَا الرَّجُومُ
لَا سَتَحَالَ الْخَلْقُ وَالْكَوْنُ سُدًى
وَرَأَيْتَ الْأَرْضَ حَيْرَى وَالنَّجُومَ
تَذَرِعُ الْجَوَّ عَلَى غَيْرِ هَدًى
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، يَا أَسْرَى الْقَضَاءِ
كَيْفَ أَمْسَيْتُمْ بِدُنْيَا الْحَدَرِ؟
وَعَلَيْكُمْ فِي غِيَابَاتِ الشَّقَاءِ
ضَرَبْتَ أَفَاقَهَا بِالسَّدْرِ؟!
صَرَخَتْ فِي الْكَوْنِ دَوَّتْ! يَا لَهَا
خَلَعَتْ أَصْدَاؤُهَا قَلْبَ الزَّمَنِ
قَفَّ مِنْهَا الشُّوْكَ وَارْتَجَّ لَهَا
مَعْبَدُ اللَّيْلِ عَلَى شَمِّ الْقَنْنِ
صَرَخَتْ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ انْتَنَتْ
وَقَدْ اسْتَعَصَتْ عَلَى طَارِقِهَا
صَاحَ مِنْهَا الْوَحْشُ ذَعْرًا وَالتَفَتُ
يَسْأَلُ الْوُدْيَانَ عَنْ خَالِقِهَا
وَإِذَا الْمَوْتَى يَشْقُقُونَ الْوَهَادَ
كَالضَّوَارِي كُلُّهُمْ عَارِي الْبَدَنِ
رَحْمَةً لِلَّهِ!! أَتَى يَوْمُ الْمَعَادِ
فَنَسُوا مِنْ هَوْلِهِ حَتَّى الْكَفَنِ؟
أَيْنَ مِنْكَ الشَّمْسُ، يَا مَشْرِقَهَا
أَتَرَاهَا خَلْفَ أَسْوَارِ الْأَبَدِ
حَجَبَتْهَا فَهِيَ لَنْ تَطْلُقَهَا
يَوْمَ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ!
هَبَّتِ الْجَنُّ تَنَادِي بِالْثُبُورِ

عَاصِفَةٌ فِي جُمُومَةٍ

في كهوف الأرض، يا أهل الكهوف
احشدوا الريح على ظهر الصخور
وابعثوها ذات نقس وزفيف
انزعوا الصخر من الطود المنيع
واجعلوه زانكم عند الكفاح
واصعقوا قنّة واديه الرفيع
تتهدم تحت أقدام الرياح!
لا تُصيخوا، دقّ ناقوس القضاء
فاحملوا أشلاء هذا العالم
احملوها، واعبروا جسرَ الفناء
واسبحوا فوق العماء الحالم

القُطْبُ

وأديمٌ في لُجَّةِ الثلج طافي
رر جليدٍ من لُجَّةٍ وُضْفافٍ
رائعاتِ السفوح والأعرافِ
عند صخرٍ أو واحةٍ مئنانٍ
ظ ولا كدرة الرمال السوافي
دى نياقِ الفلا، وذئبِ الفيافي
مترامي الحدودِ والأطرافِ
هـ يوماً من دورةٍ واختلافِ
هوج فيه، أو هدره الرجافِ
ر، ولا أنة النميرِ الصافي
والدوح سابغ الأليافِ
فيه والليل مؤذنٌ بانتصافِ
ء تهادى في رائع الأفوافِ
مرسلٌ من غلالة الرّوع ضافي
حُمرة الورس أو مزيج السُلافِ
اقتحام الردى ورنق الذعافِ!
فليس الحديثُ عنك بخافِ!
شاحبُ اللون، باهتُ الأكنافِ؟

هو ليلٌ من الغياهبِ ضافي
وبحارٌ، إن رُدَّتْها، لم تجدْ غيب
وجبالٌ من الثلوج تدجّى
وصحارى لا ينتهي الركبُ فيها
وطنُ الزمهرير والثلج، لا القيـ
وهي مغدى السفين والدّبّ، لا مغـ
عالمٌ كلّهُ سكونٌ وصمتٌ
لا ترى للنهار والليل في واديـ
أو تحسُّ الأرواحُ قصفَ الرياح الـ
لا اصطفاق الغصون، لا هذر الطيـ
عريت أرضه من العُشبِ الأخضرِ
قف بهذا الوادي الرهيب وحدّق
وانظر الشمسَ في الغياهبِ صفرا
يغمُر الكائناتِ منها شعاعٌ
يحسبُ الناظرون في الأفق منه
وهو غيبٌ مُحَبَّبٌ دون مرآة
حدثيني، يا شمسَ منتصف الليل،
أيُّ أفقٍ من عالم الأرض هذا

فيه من صُفرة الفناء، وفيه
أهو القطبُ؟؟ فتنةُ الأبد الخالي
أم هو العالمُ الذي جهلوه
أيُّ سرٍّ للجاذبية فيه
أيُّ نجم في أفقه رصدوه
لكأنني به مغاور جنٌّ
لا يقيمون في ذُراهنَّ والليد
فإذا أقبلَ النهارُ تولوا
وأراه مجنَّ كلَّ خفيٍّ
يستمدُّ الأنبياء منه ويدلي
وبها من خفاءٍ مهبطه الخا
وهو الشاطئ الذي في حفافيه
كلُّ لحنٍ من الملاحن مهما
فإليه يصوبُ في سُدْفِ الليد
ليت شعري أيستحيلُ صدَى في

من سوادِ النحوس لونُ الغدافِ؟
ومغدىِ الظنون والأرجافِ؟!
وشأى أوجُّه على الكشَّافِ؟
يأخذُ الأرضَ نحوَه بانحرافِ؟
لمسارٍ حول الثرى ومطافِ؟
مستسرى الأرواح والأطيافِ
لُ على الكون مطبقُ الأسدافِ
وتواروا خلال تلك الشفافِ
من تهاويل ساحر عرَّافِ
بالأحاديث وهي جدُّ زيافِ
في خفيِّ الأحبار والأوصافِ
ه تَقَرُّ الأنغام بعد طوافِ
أبدعته أنامل العزَّافِ
ل ويثوي صداهُ بين الحفافِ
لجَّه، أم يقرُّ في الأصدافِ؟!

* * *

إنَّ هذي، يا شمس، ألحان قلبي
فاشهديها تقرُّ في جوفه النائي،

مرسلاتٍ عن مدمعي الذَّرَّافِ
فكم فيه من حطام أثافي

* * *

أيها القطبُ، حدِّثِ الكونَ هلاً
طال بالشمس في دجاك اصفرارُ
لم تجزُ عن ثراك قيد ذراع
قيل: حاموا على ذُراك، وألقوا
وأراهم في زعمهم قد أسفوا
تشهدُ الكائناتُ أنك أمسيـ

تُسعدُ الشعرَ ليلةً باعترافِ؟
لا الدُّجى حائلٌ ولا الضوء صافي
أو تُنبِّه جفنَ الصباح الغافي
فوق واديك نظرة استشرافِ
بك، يا قطبُ، أيَّما إسفافِ
ت، وتُسمي، سرَّ الوجود الخافي

إلى سيد درويش

ذكرى مجدد الغناء المصري الحديث

طويتَ الحياةَ خفيَّ السُّرى	كما تذهبُ النجمةُ التائهةُ
تُطلُّ على عالمٍ ينظرون	فتطرفك النظرةُ الشائهةُ
وتلحظُهم، من وراءِ الحياةِ	بنفسٍ معذَّبةٍ وإلهةٍ
شقيتَ بهم، حيث ساد الغبيُّ	وخصَّوه بالسمعةِ النابهةُ
لقد ضلَّتِ الأرضُ في ليلها	فحقَّتْ بها لعنةُ الآلهةُ!

الْأُمْسِيَّةُ الْحَزِينَةُ

هنالك بين الأمواج الزرقاء يمتد برزخ من الرمال بين شاطئ البحر الأبيض وبحيرة
المنزلة، حيث تشرف أكواخ (أشتوم الجميل) من بوغازها الصامت على آثار قلعة متهمة
جلسنا عليها أيام صبانا نمرح في أمسية هانئة بين رمل وصخور وأمواج.
زرنا هذه البقعة ذات مساء قريب في جوٍّ عاصف، فهاجت بنا ما هاجت من أحلام
وآلام اطردت في سياق هذه القصيدة تحية الروح إلى أمسيته المحزونة.

فهل لديك حديثٌ عن صباباتي
رتلتُ في ظلّها للحسنِ آياتي
وللجمالِ بها أولى رسالاتي
طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ
أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتٍ
وخلفتنا العوادي بعضَ أشتاتٍ
يبكي لياليكِ العُرّ المضياتِ
بين الحقولِ وشطآن البحيرات

جددتِ زاهبَ أحلامي وليلاتي
يا كعبةً لخيالاتي، وصومعةً
للحُبِّ أولَ أشعارٍ هتفتُ بها
عليكِ واديَ أحلامي وقفتُ أرى
أوي إلى جنباتِ الصخرِ منفردًا
قد غيّرتنا الليالي بعدها سيرًا
تلفّت القلبُ في ليلاء باردةٍ
وذكرياتٍ من الماضي يطالعها

* * *

وشدّ ما رجّعت للموجِ أهاتي
وأقفرت من صباياه الجميلاتِ
ولا الخمائلُ تهفو بالنضيراتِ

يا طولَ ما نغمتُ للصخرِ أنأتي
يا قلبُ وادي الصّبا حالتُ مسارحهُ
فلا الجداولُ تحدوها مسلسلّةً

صَوَّحَنَ مِنْ مَشْرِقِ الْوَادِي لِمَغْرِبِهِ
مَا فِي حَيَاتِكَ مِنْ سُلُوبٍ تَلَوَّدُ بِهَا
فَمَا بِهِنَّ مُطِيفٌ مِنْ خِيَالَاتٍ
لَكِنَّهُ الْحَبُّ ذَاكَ الْقَاهِرُ الْعَاتِي
إِنْ اللَّيَالِي مَلَأَى بِالْمَفَاجِاتِ
قَدْ فَاجَأَتْكَ غَوَاشِيهِ الَّتِي سَكَنْتِ

يَا لِلْبَحِيرَةِ: مَنْ يَرْتَادُ شَاطِئَهَا
وَمَنْ يَعِيدُ لَنَا أَطْيَافَ لَيْلَتِهَا
وَحُلُوهُ فِي حَفَافِيهَا وَقَدْ عَبَثَتْ
يُضْمِنَا بَاسِقُ، فِي الشَّطِّ، مَنْفَرْدُ
وَلِلْقُلُوبِ أَحَادِيثُ يَجَاوِبُهَا
وَمَنْ يُسِرُّ إِلَى الْوَادِي مَنَاجَاتِي
وَمَا غَنَمْنَا عَلَيْهَا مِنْ أُوَيْقَاتٍ
يَدِ الصَّبَا بِحَوَاشِيهَا الْمَوْشَاةِ
ضَمَّ الشَّتِيتَيْنِ فِي عَلِيَاءِ جَنَاتٍ
تَنَاوَحُ الطَّيْرِ فِي ظِلِّ الْخَمِيلَاتِ

يَا لَيْلَةً قَدْ نَهَلْنَا عَنْ كَوَاكِبِهَا
يَسْرِي بَنَا مَوْهِنًا وَالرَّيْحُ تَدْفَعُهُ
وَفِي الشَّوَاطِئِ لِلْمَجْدَافِ أَغْنِيَّةُ
مَا كَانَ أَهْنَاهَا دُنْيَا، وَأَهْنَانَا
مَرَّتْ خِيَالَاتُ مَاضِيهَا، وَمَا تَرَكَتْ
وَمَنْ تَلَهُفُ أَحْنَائِي وَثَارَتِهَا
يَا صِرْخَةَ الْقَلْبِ، هَلْ أَسْمَعْتِ مِنْكَ صَدَى
جُوبِي مَفَاوِزَ أَيَّامِي فَقَدْ صَفِرَتْ
قَضَى، عَلَى ظَمَأٍ، قَلْبِي بِهَا وَفَمِي
حَتَّى الْعَوَاصِفُ صَمَّتْ عَنْ نِدَائِي
فِي زُورْقٍ بَيْنَ ضَفَّاتٍ وَلَجَّاتٍ
كَالنَّجْمِ يَسْبُحُ فِي عُلُوبِ هَالَاتٍ
يَصُبُّهَا الْمَوْجُ فِي سَحَرِيَّ مَوَاجَاتٍ
فِي لَيْلِهَا الصَّحْوُ، أَوْ فِي فَجْرِهَا الشَّاتِي
سَوَى وَجُومٍ لِيَالِيهَا الْحَزِينَاتِ
يَا لِلْجَوَانِحِ مِنْ وَجْدِي وَثَارَاتِي
مَنْ ذَا يَرُدُّ الصَّدَى فِي جُوفِ مَوْمَاءٍ؟
مَنْ نَبَعَ مَاءً، وَمَنْ أَظْلَلِ وَاحَاتٍ
وَضَلَّتْ الْعَيْنُ فِيهَا إِثْرَ غَايَاتِي
فَمَا تَرَدُّ عَلَى الْأَيَّامِ صِيحَاتِي

يَا مَنْ قَتَلْتَ شَبَابِي فِي يَفَاعَتِهِ
حَرَمْتَ أَيَّامِي الْأُولَى مَفَارَحَهَا
فَدَعُ فَوَادِيَّ مُحْزُونًا يَرِفُ عَلَى
دَعْنِي عَلَى صَخْرَةِ الْمَاضِي لَعَلَّ بِهَا
وَرَحْتَ تَسْخَرُ مِنْ دَمْعِي وَأَنَاتِي
فَمَا نَعَمْتُ بِأَوْطَارِي وَلِذَاتِي
مَاضِي لِيَالِي، وَانْعَمَ أَنْتَ بِالْآتِي
مِنْ الصَّبَابَةِ وَالتَّحْنَانِ مَنَاجَاتِي!

الفن الجميل

مَلَكَ الْوَحْيِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ
د، إِذَا كَلَّلَ النَّدَى أَفْنَانَهُ
لَمْ يُنْفَضْ مِنَ الصَّبَا طِيلِسَانَهُ
وَبَنَى مَلِكُهُ وَشَدَّ كِيَانَهُ
وَأَبْقَى عَلَى الْبُلَى سُلْطَانَهُ
كُلُّ مَنْ أَطْلَقَ الْهَوَى وَجْدَانَهُ
يَسْتَقِي الشَّعْرُ وَحْيَهُ وَبَيَانَهُ
كُلُّ عِذْرَاءٍ لَا تَرُدُّ بِنَانَهُ
يَعِزُّ الطَّيْرُ فِي الرَّبَى أَلْحَانَهُ
وَأَذَكَّتْ يَدُ الْحَيَاةِ افْتِنَانَهُ
ذِي رُبَيْعِ الطَّبِيعَةِ الْفَيْنَانَهُ
رِيقُ بَلَنْ، فِي الضَّحَى شُطَّانَهُ
سَاكِبَاتٍ، فِي لَجِّهِ، أَلْوَانَهُ
وَيَرْتَلِنُ لِلرَّبَى تَحْنَانَهُ
وَنَاقُوسُهُ الصَّبَا الرِّثَانَهُ
سَكَبَ الْغَرْبُ فِي الدَّجَى أَرْجَوَانَهُ
مُسْتَحِثًّا تَحْتَ الظَّلَامِ قِيَانَهُ
مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ الرَّهِيْبِ زَمَانَهُ

ضَارِبُ فِي الْخِيَالِ مُلْقِ عِنَانَهُ
مُسْتَفِيضُ الْجَمَالِ، أَزْهَرُ كَالْوَرْدِ
عَاشَ بَيْنَ الْأَنْامِ نَضْوَ غَرَامِ
مَلَأَ الْكَوْنَ مِنْ أَيْدِيهِ سَحَرًا
وَحَبَاهُ الْخُلُودَ فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
هُوَ فَجَرُ النَّبُوغِ يَصْدَحُ فِيهِ
وَسَمَاءُ لِلشَّاعِرِ الْفَذُّ مِنْهَا
تَجْتَلِي رِيْشَةُ الْمَصَوِّرِ مِنْهُ
وَهُوَ قَيْثَارَةُ الْخُلُودِ عَلَيْهَا
وَأَنَا الشَّاعِرُ الَّذِي افْتَنَ بِالْحَسَنِ
مَعْهَدِي هَذِهِ الْمَرْوُجُ، وَأَسْتَأْ
وَأَزَاهِيرُ حَانِيَاتٍ عَلَى النَّهْـ
نَاشِرَاتٍ وَشَيِّ الرَّبِيعِ عَلَيْهَا
يَتَسَمَّعْنَ لِلْخَرِيرِ الْمَنَاجِي
مَعْبَدٌ لِلطَّيُورِ، رَاهِبُهُ اللَّيْلُ،
وَمَحَارِيبُ لِلْعِذَارَى إِذَا مَا
قَامَ رَبُّ الْفَنِّ الْجَمِيلِ عَلَيْهَا
يَتَغَنَّى لَحْنَ الْخُلُودِ وَيَدْعُو

أَيُّهَا الدهرُ: حسبك الله، ماذا
هل تبينت في رفاتِ أوالِيَّ
قف على الفنِّ بين شرقٍ وغربٍ
عرشُ غرناطة، إلهُ أثينا
يشرق السحر من تماثيل فيها
وتراءى العذراءُ تُلهمُ رافائيلَ
وابنُ حمديسٍ في الملا، ولمر
ناجياً الروضَ والبحيرةَ حتَّى
إنما المجدُّ، في الوري، لِمَغْنٍ
ولمن ساسَ في الممالكِ عدلاً
برجالِ الفنِّ هذى المهائنة؟
دفيناً محا البلى عنوانه؟
وصفِ العالمَ المخلدُ شأنه
تاجُ روما، سماءُ مجدِ الكنانة
ومقاصيرَ كالبروجِ المزانة
لَ روحِ الخلودِ وحيَ الديانة
تينِ يفيضانِ صبوةً ومجانة
لمسَ الفنِّ فيهما غنفوانه
هزَّ قلبَ الوري وقادَ عنانه
وارتضى الحقَّ في العلا بنيانه

الملك البطل

نُظِمَت على أثر وفاته فجأة في مدينة برن عاصمة سويسرا عام ١٩٣٣، وقد كانت فجيرة العرب فيه أبعد أثراً من كل الفجائع التي توالى عليهم من أيام الحرب الكبرى الماضية. وقد كان — رحمه الله — أول ملك عربي عمل جهده لاستقلال «العراق» بلاده المحبوبة، ومن أعظم الرجال الذين كرّسوا حياتهم لخدمة القضية العربية.

تألق كالبرقة الخاطفة	وجلجل كالرعدة القاصفة
مبين من الحق، في صوته	صدى البطش والرحمة الهاتفة
يخوض الغمار دماً أو لظى	ويركب للمأرب العاصفة
يطير على صهوات السحاب	ويمشي على اللجة الزجاجفة
ويقتحم الموت في مأزق	ترى الأرض من هوله واجفة
تمزق في جانبيه الرياح	وتنفطر السحب الواكفة
وتشتجر الرجم الهاويات	وتعتنق الظلم الزاحفة
عشيّة لا القلب طوع النهى	ولا العقل تأسره العاطفة
ولكنها وثبات الجريء	على عثرات المنى الخائفة
شعوب تعالج أصفادها	وتأبى الحياة بها راسفة
صحت بعد إغفاءة الحالمين	على لجة الزمن الجارفة
وحسبك بالدهر من منذر	كرب يعاقب من خالفة
رأيت السفينة في بحر	تنازعها اللجج القاذفة
مددت يديك فأرسيها	أماناً من الغمرة الحائفة

وخلفك من يَغْرُبُ أُمَّةٌ
 نَضَتْ فيصلاً من صقال السيوف
 أعدت لها مجدها المجتبى
 بناءً من السؤدد اليَعْرُبِيّ
 جَلَّتْ فيه (بغدادُ) عهدَ الرشيد
 وأرسلتها بعد نسيانها
 فوا أسفاً، كيف روعتَها
 صَحَتْ (برنُ) منك على نبأٍ
 رمى الغربَ بالشرق إيماضها
 أناخَ على سَرَوَاتِ العراق
 طوى فجرها بسماتِ المنى
 ومُصطبحينَ هوتْ كأسهم
 أفاقوا على حُلُمٍ رائعٍ
 يردُّون بالشكِّ صوتَ اليقينِ
 وإني لأسمعُ ما يسمعون!
 وكيف؟ وقد كنتَ نجمَ الرجاءِ
 وما عرفوا عنك نقصَ التمامِ
 تحفك أبهةُ المالِكينِ
 سَرَتْ بالوداعة في بأسها
 وتحملُ عنهم من العبءِ ما
 تهزُّ من صرعات الردى
 إلى أن طوتها وأودت بها
 فراحَتْ ترفُّ على كَفِّها
 وما هيَ إلا دموعُ الأسى
 وما نَسِيَتْ دجلةً إنَّها
 تباركهم من سماء الخلود
 إلى النور فازعةً شاعفةً
 يُقْبِلُ فيه الضحى شارفةً
 وبوأتها الذروة الشائفةُ
 دَعَمَتْ بتالده طارفةً
 وأحيَتْ لياليها السالفةُ
 حديثَ النباهةِ والعارفةُ
 بفقدك في الليلة السادفةُ
 تسيل البروقُ بها راعفةُ
 فردَّ الشموسُ به كاسفةُ
 فقصَّفَ أفنانها الوارفَةُ
 وأسكتَ أوتارها العازفةُ
 حُطاماً على الشفةِ الراشفةُ
 كأنَّ بهم فَرْعَ الأزفةُ
 وتصدقه الأعينُ الذارفَةُ
 صدى الويلِ في صخبِ العاصفةِ!
 إذا قيل: ليس لها كاشفةُ
 وبيعَ الصحيحةُ بالزائفةُ
 ونفسُك عن زهوها صادفةُ
 سَرَى النَّسَمِ في الليلة الصائفةُ
 تخرُّ الجبالُ له خاسفةُ
 وتُمسي على أمرهم عاكفةُ
 غوائلُ تطوي الدجى خاطفةُ
 رفيفَ الندى في اليد القاطفةُ
 هَمَّتْ من جراحاتها النازفةُ
 بشطَّيهِ حائمة طائفةُ
 وتدعو لغازيهم هاتفةُ

الشَّاطِئُ الْمُهْجُورُ

اغمرني القلبَ بالخيالِ الغميرِ
ورُدِّي عليَّ نفحَ العبيرِ
فوقَ آلامِهِ الجسمِ وثوري
ذكرياتٍ من الشبابِ الغريرِ
تُ وأيامَ غبطةٍ وسرورِ
مِ كانتِ عزاءَ قلبٍ كسيرِ
غمرَ الرُّوحَ في بقيةِ نورِ
علقتُ في غروبها بالصخورِ
موجٍ يجتاز لجةَ الديجورِ
أثرًا من غرامنا المأثورِ
من حبيبين في الشبابِ النضيرِ
هوى طاهرٍ، وعيشٍ قريرِ
مغربَ الشمسِ وانبثاقَ البدورِ
صفحةَ الماءِ في الضحى والبكورِ
هزّتُ بنا خفيَّ الشعورِ
بهوى فاض عن حنايا الصدورِ
مطمئنَّ الأمواه شاجي الخيرِ
في جلوةِ المساءِ المنيرِ

موجةَ السحرِ من خفيِّ البحورِ
أقبلي الآن من شواطئ أحلامي
واصخبي في شعابِ قلبي وضجِّي
أيقظي فيه من فتونٍ وسحرِ
إنها ذكرياتُ أمسيةٍ مرَّ
وبريء ابتسامَةٍ في فم الأيا
قد طواها النسيانُ إلا شعاعًا
رَمَقُ ذاك من أشعةِ شمسٍ
أخذ القلبَ لمحها من وراء الـ
فتبيّنتُ في الشواطئ حولي
صخرةً كانت الملاذ لقلبيـ
جمعتنا بها الحوادثُ في ظلِّ
كم وقفنا العشيَّ نرقب منها
وجلسنا في ظلها نتملّئ
فإذا ما تهللتُ ليلةً قمراءِ
وسرينا في ضوئها نتناجى
وانتحينا من جانب البحر مجرى
نزلتُ فيه تستحمُّ النجومُ الزُّهرِ

راقصاتٍ به على هَزَجِ الـ
وعلى صدره الخفوقِ طويْنا الـ
ورِيَّاحِ الخَلِيجِ دافئةٌ تثنِي
خافقًا فوقنا يدفُ شعاعُ الـ
ومن الساحلِ الطروبِ أغانٍ
رجَّعتها «بحارة» أذنتهم
وسكتنا فليس إلَّا عيونُ
تتلاقى على نوازعِ قلبٍ
وكأنَّ الوجودَ بحرٌ من النُو
كل ما حولنا يشفُ عن الحب
وكأنَّا نطوف في ليلِ أحلامٍ،

موجِ عرايا مهذَّلاتِ الشعورِ
ليلٌ في زورقٍ رخيٍّ المسيرِ
حواشي شرَّاعِهِ المنشورِ
بدرٍ في ظلِّه دفيْفَ الطيورِ
أخذتنا بكلِّ لحنٍ مثيرِ
ليلةِ المنتأى، وبُعْدُ العشيرِ
أفصحتُ عن جوانحٍ وثغورِ
وصدى هاجِسٍ، وسرٍّ ضميرِ
ر سبحنا في لُجَّةِ المسجورِ
ويفضي بسرِّه المستورِ
ونسري في عالمٍ مسحورِ

* * *

يا صخورَ الوادي يضيُّ عليها البحـ
يا رمالَ الكثبانِ تنقشُ فيها الرِّبـ
يا خِفافِ الأمواجِ، تحلمُ بالإينا
يا نسيمَ الشمالِ، يعبثُ بالرغـ
أنت يا من شهدتِ فجرَ غرامي
أين أخفيتِ أمسياتي اللواتي
أمحاهَا الزمانُ؟ أم حجبتهَا
بدلتني الأقدارُ منها بليلاً
غشيَ العينَ ظلُّه، وتمشت
لك يا شاهداتِ حبي أتيتُ الآن
فانظري، ما ترين غيرَ شقيِّ
راعهُ عاصفٌ يرجُّ السماواتِ
فكأنَّ الحياةَ في مسمعيه
وكأنَّ الوجودَ في ناظريه
في هزيمِ الرياحِ، في قاصفِ الرعـ

رُ في جهشةِ المحبِّ الغيورِ
حُ أسطورةَ الحياةِ الغرورِ
س من كوكبِ المساءِ الصغيرِ
و ويهفو على الرشاشِ النثيرِ
ووعيتِ الغداةَ سرِّ الدهورِ
نَزَعَتْهَا مِنِّي يدُ المقدورِ؟
من عواديهِ ماحياتُ البدورِ؟
مدلهمُ الأفاقِ جهمِ الستورِ
في دمي منه رعشةُ المقرورِ
أفضي حقَّ الوداعِ الأخيرِ
طاف يبكي بالشاطيِّ المهجورِ
وموجُ يضيُّ ملءَ البحورِ
ضجةُ الحشرِ أو هزيمُ السعيرِ
وهدةُ اليأسِ أو ظلامُ القبورِ
د، يُدَوِّي للبارقِ المستطيرِ

والمحيطاتِ صاخباتِ الهديرِ	في الفيافي كآبةً ووجومًا
لَّيْلٍ بين الخفوقِ والتغويرِ	في الدياجي عوابسًا، ونجوم الـ
وتبدي ضراعةَ المستجيرِ	إنها الكائناتُ تبكي لمبكاهُ،
ريشةُ الليلِ مبدعِ التصويرِ	وهي مأساةُ حُبِّهِ صورتها
نُ وموجٌ يئنُّ تحتَ الصخورِ!	مَثَلَتْها لِعَيْنِهِ الآنَ شطًا

عَاشِقُ الزَّهْرِ

يا لَيْتَ لي كالفرّاشِ أَجْنَحَةً
أَدْفُ لِلنُّورِ في مِشارِقِهِ
وَأَرْشِفُ القَطْرَ من بواكِره
وَأَلْثَمُ النُّورَ في سَنابِلِهِ
حتّى إذا ما المِساءُ ظَلَلَنِي
أَشْرَبُ أنفاسها وقد خَفَقَتْ
تَحْلُمُ بالفجرِ فوق جَنَّتِها
وبالعِصافيرِ في ملاحِنها
لو يَعلَمُ الزَّهْرُ سرَّ عاشِقِهِ
فلا تراني العيونُ مَقْتَحِمًا
إِذْ لَغَرَدْتُ في خِمالِهِ
لكنّه شاءَ خَلَقَ مَبْتَدِعَ
أرادَه شاعِرًا فَدَلَّهه

أَهْفُو بها في الفِضاءِ هِيَمانًا
وأُغْتَدِي من سَناهِ نِشوانًا
فلا أروُدُ الضِّفافَ ظِمانًا
مِصْفَقًا لِلنَّسِيمِ جِذَلانًا
سَريتُ بين الورودِ سَهرانًا
صَدورُها لِلرِّبيعِ تَحَنّانًا
يَموجُ فيه الغِمامُ ألوانًا
تَهزُّ قَلبَ الصِّباحِ إِرْنانًا
أَفردَ لي من هِواهِ بَستانًا
سِياجَه، أو تَحسُّ لي شانًا
وَصَغْتُ فيه الحِياةَ أَلحانًا
من فَنِّهِ العَبْقَرِيّ فَنانًا
وسامَه جَفوةً وَهَجْرانًا

* * *

فليَحِمِنِي الحَسَنُ زَهَرَ جَنَّتِهِ
ما كُنتُ لولاهُ طائِرًا غَرَدًا
ولِيَقْصِنِي العَمَرُ عَنْه حَرمانًا
ولو جَهِلْتُ الغِناءَ ما كانا!

قَبْرُ شَاعِرٍ

رَفَّتْ عَلَيْهِ مَوْرَقَاتُ الْغُصُونِ وَحَفَّهُ الْعُشْبُ بِنَوَارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ تَشْدُهُ الْمَنُونُ بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِآثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عَبَاءَ الشَّجُونِ وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِاسِقَةٍ تَجْتُمُّ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ تَقْضِي مَدَى الْعَمْرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَنْنُ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ كَأَنَّمَا تَخْفِقُ عَنْ قَلْبِهِ
وَتُرْسَلُ الْأَغْنِيَةُ الشَّائِقَةُ قَمْرِيَّةٌ ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيَقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابَ يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ
كَأَنَّمَا يَنْشُدُ تَحْتَ التَّرَابِ لَوْلَوْهُ تُزْرِي بِلَأْلَائِهِ
اسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابَ غَيْرَ شِعَاعٍ، فِي الدَّجَى تَائِهِ
يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشَّعَابِ يَطُوفُ بِالْإِنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامُ وَتَبْزَغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسْقِهِ

حيرى تحوم الليلَ كالمستَهَامَ أسهرهُ الثائرُ من شوقِهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلك الرَجَامَ هوتُ به الأقدارُ عن أفقِهِ
أخ لها في الأرضِ ودَّ المقَامَ وآثر الغربَ في شَرْقِهِ

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصَبَاحِ بنغمةٍ تصدر عن حزنِهِ
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منه الجَنَاحِ ويرسل المنقارَ في ركنِهِ
أفضى إلى الراقدِ فيه وبَاحِ بأنَّهُ الملهمُ من فنِّهِ
فمن قوافيه استمدَّ النواحِ ومن أغانيه صدى لحنِّهِ

* * *

وحين تمضي نسماتُ الخريفِ وتملأ الأرضُ رياحُ الشَّتَاءِ
ويقبلُ الليلُ الدُّجى المخيفُ فلا ترى نجمًا ينيِّرُ السَّمَاءِ
هناك لا غصنٌ عليه وريفُ يهفو، ولا طيرٌ يثيرُ الغِنَاءِ
يظللُ الأرضَ الظلامُ الكثيفُ كأنما تُمسي بوايِ الفَنَاءِ

* * *

يا شاعرًا ما جمعتني بهِ كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنَّه الشرقُ وفي حبِّه ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارُ
سكبتُ من شجوكَ في قلبِهِ ومن مآقيكَ الدموعَ الغزارُ
فودَّ أن لو نمت في تربِهِ ليشفى النفسَ بهذا الجوارِ

* * *

صوَّرَ لي القبرَ الذي تنزلُ تحيَّلُ الشعرِ ووحى الشعرِ
فجئتُ للقبرِ بما يَجْمَلُ من صوَرِ الدنيا القَتونِ الغُرورِ
قل لي بحقِّ الموتِ ما يفعلُ بالشاعرِ الموتُ وهذي القبورُ؟
وهل وراءَ الموتِ ما نجھلُ من عالمِ الرجعى ويومِ النشورُ؟

* * *

قد راعني موتك، يا شاعري في ميعة العمر وفجر الشباب
وهزني ما فاض من خاطر كان ينابيع البيان العذاب
ونفثات القلم الساحر في جوبك الأفق وطى السحاب
ووقفه بالكوكب الحائر رأى بساط الريح يدنو فهاب

* * *

لكنه شعرك لما يزل يُردد الكون أناشيده
شعر كصوب الغيث أنى نزل أرقص في الروض أماليده
وعلم الطير الهوى والغزل فأسمع الزهر أغاريده
وغنت الريح به في الجبل فحركت منه جلاميده

* * *

يا قبر لم تبصر عيني ولا رأتك إلا في ثنايا الخيال
ملأت بالروح فؤادا خلا إلا من الحب ونور الجمال
أوحيت لي سر الردى فانجلي عن عيني الشك وليل الضلال
غدا ستطوي القلب أيدي البلى ويقنص النجم عقاب الليال

* * *

وهكذا تمضي ليالي الحياه والقبر ما زال على حاله
دنيا من الوهم ودهر تراه يغرر القلب بآماله
يسخر من مبتسمات الشفاء وجامد الدمع وسيالهِ
دهر على العالم دارت رحاه فلم تدع رسما لأطلالهِ

حافظ إبراهيم

مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبَ
كانَ أمضى من الشَّهابِ وأثَقَبَ
كلُّ أفقٍ إلى سناها ويُنسَبُ
من بني الشعرِ تظفرينَ بكوكِبَ
رَقُّ صدَى شعره الجميلِ المحبَّبِ
وجلَّى سرَّ الضميرِ المحجَّبِ
دِ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبِ
نَ لأدبِ عصرِه يتعصَّبِ
لِ، ويُزهِى بكلِّ حسنٍ ويُعجِبُ
منطقِ الحقِّ والبراعِ المؤدَّبِ
بُ، وفي عالمِ الحقيقةِ ينصبُ
بِ أسلوبُه الرشيقُ ويلعبُ
ن من عالمِ اليقينِ ويذهبُ
هُ فيبدو له الخفيُّ المغيَّبِ
ولفظُ من سلسلِ الخمرِ أعذبُ
فعلُه من غرائبِ السحرِ أغربُ
هاجها الشجْوُ في يراعِ مُثَقَّبِ
ترقصُ النفسُ وفقهنَّ فتطربُ

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيهْبُ
وخبأ من مصابحِ الفكرِ نورُ
وطوى الموتُ هالَةً كانَ يُنمَى
يا سماءَ الخيالِ ما كلُّ يومٍ
ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشَّـ
ومضى الناثرُ الذي صوَّرَ النفسَ،
الأديبُ العريقُ في لغة الضَّأ
لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا
كان يُعنى بكلِّ فذٍّ من القو
شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ
شعره من ينباعِ السحرِ ينسا
عاطفيُّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا
وخيالٌ يسمو إلى ما وراءِ الكو
يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهلِ دنيا
ومعانٍ أرقُّ من نسمةِ الفجرِ
وبيانٌ يسيلُ في كلِّ نفسٍ
وقوافٍ كأنَّها نغماتُ
وكانَ الأوزانُ شَتَّى مَثانٍ

* * *

بؤساء الحياة من لكم اليو
ضاقت الأرض بالحنان، وفاضت
فابحثوا في شعابها عن مقييل
قد فقدتم نصيركم وسلبتم
عقل الموت مقولاً منه عضباً
وخلا اليوم من شجاكم فؤاد
وغفت أعين بكتكم بدمع
الرفيق الحاني على كل قلب
والخفيف الخطى إلى كل نفس
فاذكروه على الليالي إذا ما
م على الحادثات، والعيش أخطب
بالأذى أبحراً، تضج وتصخب
وانشدوا من منافذ النجم مهرب
عضداً شداً أن يُغال ويُسلم
وطوى مهجة وأطبق هيدب
ذاب من رحمة لكم وتصبب
لم تدع منه ما يراق ويسكب
أنشب البؤس فيه ناباً ومخلب
مال عنها نصيرها وتنكب
زحم الدهر ركنكم وتائب

* * *

من لصرعى الهموم بعدك يا حا
كنت براً بهم، وأحنى عليهم
عجب صبرهم على خطبك الداوي
قم وشاهد ماتم الشرق وانظر
قسماً لو يرد هيجو إلى العيب
ومشى في يمينه غار «باريد»
وتمنى الذي كتبت عن البؤ
فظ، من للحزين؟ من للمعذب؟
من فؤاد الأب الشفيق، وأحدب
وصبر البأساء من ذاك أعجب!
كيف يبكي البيان فيك ويُنذب
ش لألقي لك الزمام وقرّب
س إلى رأسك الكريم وعصب
س ورد الأصيل دون المعرب!

* * *

فُجِعَتْ نهضة البلاد ببيان
وحباها من شعره وحجاءه
هز أشبالها الكمأة وأحيا
لو شهدتم غداة ثورتها الكبرى
لرايتم في ثورة النفس منه
شداً من ركنها، وشاد، وطنب
ما أفاد الجهاد فخراً وأكسب
أملًا في صدورهم يتوثب
لجأ النفوس وهي تلهب
محققاً من قساور الغيل مغضب

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ تتوقَّى الطُّبَى صداهُ وترهبُ
نافذٌ في الصميم من باطلِ القو م كما ينفذُ السَّنانُ المذربُ

* * *

حافظُ الودِّ والذمامِ سلامًا لم يَعُدْ بعدُ من يودُّ ويصحبُ
كنتَ نعم الصديقِ في كلِّ آن حينَ يُرجى الصديقُ أو حينَ يُطلبُ
لم تُغَيِّرْكَ من زمانِكَ دنياً وحياءُ بأهلها تتقلَّبُ
خُلُقُ رضتهُ على شرعةِ الصدقِ وإنْ خانَكَ الرجاءُ وكذبُ
وإياءُ حميتهُ من صغارِ وبريقِ من المواعدِ خُلبُ
وفؤادُ لغيرِ عاطفةِ الـ وجدانِ لا يدَّني ولا يتقربُ
وضميرٌ لا يبلغُ المالُ منه وبلوغُ النجومِ من ذاكِ أقربُ
ولسانُ حفظتهِ من سؤالِ لا يَمِينُ الكلامُ أو يتذبذبُ
يلفظُ الروحَ صاديًا وإذا لم يَصِفُ للماءِ موردٌ ليس يشربُ
صفحاتُ نقيَّةٍ بمدادِ الحـ قٌ في مجتليِ العظامِ تُكتبُ

* * *

خانني فيك منطقي، وعصاني قَلَمٌ طالما أفاضَ وأسهبُ
آب بالشعرِ من مصابك يبكي رزءه فيك والرجاءُ المخيبُ
أنتَ من أمةٍ بهم بعثَ الله هداهُ إلى الشعوبِ فثوبُ
لم يَزَلْ منكم على الأرضِ ظلُّ وشعاعُ هادٍ، وغيثُ مُصوبُ
ويجوبُ الحياةَ في كلِّ آن هاتِفٌ منكمُ وطيفُ تأوُّبُ
حُضْرٌ في القلوبِ أنتم وإن كنـ تم، على ملتقى النواظرِ غُيبُ

شوقي

وطوى العمرَ حيرةً وسامَهُ
مَلَكَ الحبِّ والجمالُ زمامَهُ
في فَمِ الدهرِ كوثراً ومُدامَهُ
فَجَرَ اللُّهُ منهما إلهامَهُ
به وينسى بسحره آلامَهُ
وجلاً الكونَ فتنَةً ووسامَهُ
عَلَّمَ الطيرَ لحنَهُ وانسجامَهُ
رَدَّ أوتارَهُ وَحَطَّمَ جامَهُ؟
كِ وسالتُ جراحُها الملتامَهُ
حِ؟ أَجَلَ تلكِ روحه المستهامَهُ!
نِ فخرَّفتُ إليه تطوي ظلامَهُ
ضِ سليلُ نما الترابِ عظامَهُ
آثَرَ اليومَ في السماءِ مُقامَهُ!

هَجَرَ الأرضَ حينَ مَلَّ مقامَهُ
هَيَّكَلُ من حقيقةٍ وخيالٍ
أَلْهَمَ الشعرُ أصغريه فرقاً
سلسبيلُ من حكمةٍ وبيانٍ
تَأخَذُ القلبَ هَزَّةً من تساقيدٍ
غَمَرَ الأرضَ رحمةً وسلاماً
مالئاً مِسْمَعَ الوجودِ نشيداً
ما لَهُ والزمانُ مصغٍ إليه
رُوعَ الطيرِ يومَ غابَ عن الأيِّ
ما الذي شاقه إلى عالمِ الرو
راعها النورُ وهي في ظلمة الكو
هي بنتُ السماءِ وهو من الأر
فاهتفوا باسمه فما مات، لكنْ

* * *

ما لصدّاجها جفا أنعامَهُ؟
لم يُحَمِّلُهُ للحبيبِ سلامَهُ
ما الذي عاق طيرَه وحيامَهُ؟

حدّثتني الرياضُ عنه صباحاً
وشكا لي النسيمُ أولَ يومٍ
وتسمعتُ للغديرِ يُنادي

أُثْرَاهُ تَرَشَّفَ الْفَجْرَ نَوْرًا
ورأيتُ الجمالَ في شَعْبِ الوا
صارخًا يستجيرُ شاعره الشَّ
فَتَلَفَّتْ بَاكِيًا وبِعَيْنِي
هتَفَ القلبُ بالمنادين حولي:
فاذكروا شدوهُ بكل صباح
واملاؤا الأرضَ والسماءَ هُتَافًا

أَمْ شَفِي مِنْ نَدَى الصَّبَاحِ أَوَامَهُ
يِي يِنَادِي بِطَاحِهِ وَأَكَامَهُ
دِي، وَيَدْعُو لِفَنِّهِ رَسَامَهُ
شَبَحُ تَخَطَّرُ الْمَنُونُ أَمَامَهُ
لَقِيَ الصَّادِحُ الطَّرُوبُ حِمَامَهُ
وَارْقُبُوا مِنْ خِيَالِهِ إِمَامَهُ
عَلَّهُ لَمْ يَرِ الصَّبَاحَ فَنَامَهُ

لَمْ يَرْعُنِي مِنْ جَانِبِ النِّيلِ إِلَّا
تَحْتَ سَاجِي ظِلَالِهَا زَهْرَةٌ تَب
عَرَفْتَهَا عَيْنِي، وَمَا أَنْكَرْتُهَا
قُلْتُ: يَا كَرَمَةَ ابْنِ هَانِي سَلَامًا
نَحْنُ لَوْ تَعْلَمِينَ أَشْبَاحُ لَيْلٍ
وَالَّذِي تَلْمَحِينَ مِنْ لَهَبِ الشَّمْسِ
وَالَّذِي تَبْصُرِينَهُ مِنْ نَجُومِ
وَالْمَرَادُ الْمُدِلُ بِالْوَرْدِ زَهْوًا
عَبَثًا نَنْشُدُ الْحَيَاةَ خُلُودًا
إِنَّمَا الْأَرْضُ قَبْرُنَا الْوَاسِعُ الرَّحْ
أَوْدَعَ الْقَلْبُ فِيهِ آلَمَهُ الْكَبِ
نَسِيَ النَّاعِمُونَ فِيهِ صِبَاهَهُمْ
فَامْسَحِي الدَّمْعَ وَابْسِمِي لِلْمَنَايَا

كَرْمَةٌ فَوْقَهَا تَرْفُ غَمَامَهُ
كِي، وَفِي فِرْعَاهَا تَنُوحُ حَمَامَهُ
مِنْ ظِلَامٍ وَوَحْشَةٍ وَجَهَامَهُ
لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِي الْحَيَاةِ سَلَامَهُ
عَابِرٍ يَنْسَخُ الضِّيَاءُ ظِلَامَهُ
سِيسَ غَدَا يُطْفِئُ الزَّمَانَ ضَرَامَهُ
فَلَكُ يَرْصُدُ الْقَضَاءَ نِظَامَهُ
كَالَّذِي أَذْبَلَ الرَّدَى أَكْمَامَهُ
وَنَرَجِّي الصُّبَا، وَنَبْغِي دَوَامَهُ
بُ وَفِي جَوْفِهِ تَطْيِبُ الْإِقَامَهُ
رَى، وَأَلْقَى بِبَابِهِ أَحْلَامَهُ
وَسَلَا الْمَغْرَمُ الْمَشُوقُ غَرَامَهُ
إِنَّ دُنْيَاكَ دَمْعَةٌ وَابْتِسَامَهُ!!

أَيُّهَا الْمَسْرُوحُ الْحَزِينُ عِزَاءً
زَهَبَ الشَّاعِرُ الَّذِي كُنْتَ تَسْتَوِ
وَاهِبُ الْفَنِّ قَلْبَهُ وَقَوَاهِ
رُبُّ لَيْلٍ بِجَانِبِكَ شَهْدَنَا

قَدْ فَقَدْتَ الْغَدَاةَ أَقْوَى دِعَامَهُ
حَيٍّ وَتَسْتَلْهُمُ الْخُلُودَ كَلَامَهُ
وَالْمَصَافِيَةَ وَدَّهَ وَهِيَامَهُ
قِصَّةَ الدَّهْرِ رَوْعَةً وَفَخَامَهُ

وَأَلْقَى عَنِ الْخَفَاءِ لثَامَهُ بِهِ وَجَدَدٌ عَلَى الْمَدَى، أَيَّامَهُ مَلَأُوا الْعَصْرَ قُوَّةً وَهُمَامَهُ بِدِ شَقُّوا إِلَى الْحَيَاةِ زَحَامَهُ أَطْلَعَتْ فِي سَمَائِهَا أَعْلَامَهُ وَتَرَعَى عَهْوَدَهُ وَذِمَامَهُ قِ، وَفِي كَفِّهَا لَوَاءُ الزَّعَامَةِ لَهُوَ يَوْمُ الْمَعَادِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ!!	أَسْفَرَ الشَّعْرُ عَنْ رَوَائِعِهِ فِيهَا فَأَعِدْ عَهْدَهُ وَأَحْيِ لِيَالِيهِ وَلَكَ الْيَوْمَ هِمَّةٌ فِي شَبَابِ نَزَلُوا سَاحَهُ يَشِيدُونَ لِلْمَجْدِ فَانْذَرُوا نَهْضَةَ الْبَيَانِ بِأَرْضِ إِنَّهَا أُمَّةٌ تَغَارُ عَلَى الْفَنِّ لَمْ تَزَلْ مَصْرُ كَعْبَةِ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ إِنَّ يَوْمًا يَفُوتُهَا السَّبْقُ فِيهِ
--	---

انتظار

عيناي ترقب كل طيف عابر
في الأفق تخفق عن جناحي طائر
فلعلها نفس الحبيب الزائر
في الليل تومض عن شهاب غائر
ولعله وضح الجبين الناضر
بين الجوى المضني وهجس خاطر

طال انتظارك في الظلام ولم تزل
ويطير سمعي صوب كل مرنّة
وترف روعي فوق أنفاس الربا
ويخف قلبي إثر كل شعاعة
فلعل من لمحات ثغرك بارق
ليل من الأوهام طال سهاده

* * *

وأصخت أسترعي انتباهة حائر
نشوان يعبق من شذاك العاطر
وتلت حمائم نشيد الصافر
حيرى تعجب للربيع الباكر
طرباً على المرح النضير الزاهر
عين وصورها خيال الشاعر
متسمّعا دقات قلبي الثائر
سحراً وأملأ من جمالك ناظري
شك من الدنيا وحلم ساحر

حتى إذا هتفت بمقدمك المني
وسرى النسيم من الخمايل والربى
وترنم الوادي بسلسل مائه
وأطلت الأزهار من ورقاتها
وجرى شعاع البدر حولك راقصاً
وتجلت الدنيا كأبهج ما رأث
ومضت تكذبني الظنون فأنثني
أقبلت بالبسمات تملأ خاطري
وأظلنا الصمت الرهيب ونحن في

* * *

حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتَ بي فوقفتُ واستبقتُ خطاك نواظري
وصرختُ بالليلِ المودّعِ باكيًا ويداكَ تمسكُ بي وأنتَ مغادري
يا ليتنا لم نصحُ منكَ وليتها ما أعجلتكَ رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتت بعدُ الليالي وانقضت وكأننا في الدهر لم نتزاوِرِ
بُدِّلْتُ من عطفٍ لديك ورقّةٍ بحنينٍ مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
وكانني ما كنتُ إلْفَكَ في الصَّبَا يومًا ولا كنتُ الحياةَ مشاطِري
ونسيتَ أنتَ، وما نسيْتُ، وإنَّني لأعيشُ بالذكرى ... لعلَّكَ ذاكري!!

إِلَى الْبَحْرِ

وتأملُ في المزبداتِ الغضابِ
وترمي به صدورَ الشعابِ
غني على الصخورِ الصلابِ
غيرَ ليلٍ من وحشةٍ واكتئابِ؟
تترامى بالمائجِ الصخابِ
من عبابٍ، وعالمٍ من ضبابِ

قف من الليل مصغيًا والعبابِ
صاعداتٍ تلوك في شدقها الصخرَ
هابطاتٍ تتنُّ في قبضة الريح وترُ
ذلك البحرُ: هل تشاهدُ فيه
ظلماتٍ من فوقها ظلماتُ
لا ترى تحتهنَّ غير وجود

* * *

لـ؟ وأين المنجى بتلك الرياحِ
منك موجًا في جيئةٍ وذهابِ
في دياجيه كاسفاتٍ خوابي؟
تسألُ السحبَ عن وميض شهابِ
لـ أنينَ المروعِ الهَيَّابِ؟
وترى الكونَ زخرةً من عبابِ
لـ، واغمز في الجو مسرى العقابِ
هـ، وينضو ذاك السوادَ الكابي
خالص التبر واللجين المذابِ

أيها البحرُ، كيف تنجو من الليـ
هو بحرٌ أطمُ لجأ، وأطغى
أوما تبصرُ الكواكبَ غرقى
وترى الأرضَ في نواحيه حيرى
ويك، يا بحرُ، ما أنينك في الليـ
امض حتى ترى المدائنَ غرقى
امض عبرَ السماءِ، واطغ على الأفـ
ذاك، أو يهتك الظلامُ دياجيـ
وترى الشمس في مياهاك تلقى

* * *

أقبلَ الفجرُ في شفوفِ رفاقِ
حُلِّلْ من وشائِعِ النورِ زُهرُ
وإذا الشَّاطِئُ الضحوكِ تغنَّى
ونسيم الصباحِ يعبثُ بالغَا
ومن الشمسِ جمره، في ثنايا الـ
ومن البحرِ جانبِ مطمئنٍ
نزلت فيه تستحمُ عذارى الـ
عارياتِ يسبحن في اليمِ لكنْ
خفِراتٍ من الأشعةِ خوذِ
فإذا البحرِ يرقصُ الموج فيه
راقصاتِ الأمواج: علَّمنَ قلبي
وأفيضي عليه من سلسلِ الوحـ
واستثيري عواطفِي ودعيني

يتهاذى في منظرٍ خلَّابٍ
يتماوجن في حواشي السحابِ
حوله الطير بالأغاني العذابِ
بِ وَيَثْنِي ذَوَائِبَ الأعشابِ
موج، يذكو ضرامُها غيرَ خابي
قُزحي الأديم غُضَّ الإهابِ
ضوءٍ من كل بضهٍ وكعابِ
لَقَّها الرغو من رقيقِ الثيابِ
نَسَّقَتِها أناملُ الأربابِ
وإذا الطير صُدَّحَ في الروابي
رَقَصَاتِ المغرِّدِ المطرابِ
سي نميرًا كالجدول المنسابِ
أسمعَ البحرَ أغنياتِ الشبابِ

لي وراءَ الأمواج، يا بحرُ، قلبُ
نزعتَه منِّي الليالي فأمسى
ذكرياتُ تدني القصيَّ ولكنْ
أنا وحدي، هيمانُ في لجك الطا
أرمق الشاطئَ البعيدَ بعينِ
فسوءاً، في مسمعي، من ذَرَاهُ
وسوءاً، في العينِ، شارقةُ الفجـ
بيد أني أحسُّ فيك شفاءً
أنت مهد الميلاذِ والموتِ يا بحر
فأنا فيك أطرحُ الآنَ ألا

نازحُ الدار ما له من مآبٍ
وهو مُلقَى في وحشةٍ واغترابٍ
أين مني منازلُ الأحبابِ
مي، غريقُ في حيرتي وارتياحي
عكفت في الدجى على التسكابِ
صدحةُ الطير أو نعيقُ الغرابِ
رِ أو الليلُ أسودُ الجلبابِ
من سقامي، ورحمةٌ من عذابِ
رُ ومثوى الهموم والأوصابِ
مي وعبءَ الحياة والأحقابِ

الطريدُ

سليبَ رقادٍ أرقتَه المخاوفُ
به الأرضَ غرقى، والنجوم كواسفُ
يساريك برقُ أو يباريك عاصفُ؟
إلى الشاطئِ المجهول يدعوك هاتفُ
يسائل: من ذاك الشقيُّ المجازفُ؟!
ويعزبُ عنه الصلُّ، والصلُّ واجفُ
أوانَ الردى في برده الرثُّ زاحفُ
ولا طاف منه بالدُّجْنَةِ طائفُ
وبينهما يسري الدُّجى وهو خائفُ
أليس له من نبأة القلب كاشفُ؟
إليك هوى، من جانب الغيب، شاغفُ!
إليَّ كلحن ردّدته المعازفُ
لسرُّ تهز القلبَ منه الرواجفُ
رمته الدياجي والرعود القواصفُ؟
لعينك، لكنّ القلوبَ تعرّفتُ؟
مقيمٌ عذابى والشقاء المحالفُ
ليرهّب نفساً حقّرتُ ما تصادفُ
غياهبُ في سرِّ الدجى تتكاثفُ

شقيُّ أجنتّه الدياجي السوادفُ
ترامى به ليلٌ كأنَّ سواده
إلى أين تمضي، أيها التائه الخطى،
رأيتك في بحر الظلام كأنّما
تخوض الدُّجى سهمانَ والنجم حائرُ
طريداً يفرُّ الوحشُ من وقع خطوه
كأنَّ إله الشرِّ يقتحم الورى
فوا عجباً!! لم تحمل الأرض مثله
يخاف الثرى مسراه وهو يخافه
ترى أيُّ سرٍّ في الظلام محجّبُ؟
أجبتني طريدَ الأرض، إني يهزني
فردّد ذاك الطيف صوتاً محبّباً
وقال: أجل إنّي الطريدُ وإنّه
أتسألك الأفلاك عني، أنا الذي
أجل: إن ذاتي يا نجيب تنكرت
وما أنا إلا من بني الأرض ناء بي
وما كان هذا النوء والموج والدُّجى
سواءً لديها أشرقَ الفجرُ أم سجت

هَي الْأَرْضُ مَهْدُ الشَّرِّ مِنْ قَبْلِ خَلْقِنَا
غَذَّتْهَا الضَّحَايَا بِالْجُسُومِ فَأَخْصَبَتْ
وَهِيَهَاتَ تَشْفِي غُلَّةً مِنْ دِمَائِنَا
وَلِي قِصَّةٌ يُشْجِي الْقُلُوبَ حَدِيثُهَا
دَعَوْتُ إِلَى حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ مَعِشْرًا
يَرُونَ بِأَنَّ الْعَيْشَ لَذَاتُ مَا جِنَ
إِذَا لَمَحُوا نُورَ الْحَقِيقَةِ أَغْمَضُوا
عَجِبْتُ لِهَذَا الْعَقْلِ حُرًّا فَمَا لَهُ
هُوَ الْحَقُّ فِي الْكُؤُخِ الْحَقِيرِ فَحْيِهِ
هَنَا تَصَدَّقُ الْإِنْسَانُ عَاطِفُهُ الْهُوَى
لَقَدْ سَتَمْتُ نَفْسِي الْحَيَاةَ وَمَا أَرَى
أَيُّجِدُ فِي الشَّرْقِ النُّبُوغَ وَيُزْدَرَى
يَجُوبُونَ أَفَاقَ الْحَيَاةِ كَأَنَّهُمْ
طَرَائِدُ فِي صَحْرَاءَ لَا نَبْعَ وَاحِدَةٍ
أَلَا إِنَّ لِي قَلْبًا طَعِينًا تَحَوُّطُهُ
أَقْلَلَتْهُ أَحْنَائِي ذِمَاءً وَلَمْ أَزَلْ
كَمَا رَفَّ نَسْرُ رَاشِهِ السَّهْمُ فَارْتَقَى
أَتَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ تَهْزُنِي
أَرَدَدْتُ فِيهَا لِلطُّفُولَةِ وَالصَّبَا
أَوْدَعَهَا قَبْلَ الْفِرَاقِ وَإِنِّي
إِلَى حَيْثُ يَنْمُو الرَّأْيُ حُرًّا تَذِيعُهُ
لَعَلَّ بِلَادًا مَا عَلَتْنِي سَمَاوُهَا
أَعِيشْ بِهَا حُرًّا الْعَقِيدَةُ هَاتِفًا

وَمِنْ قَبْلِ أَنْ دَبَّتْ عَلَيْهَا الزَّوَاحِفُ
وَأَتْرَعَهَا سَيْلٌ مِنَ الدَّمِ جَارِفُ
وَيَا لَيْتَ تَرْوِيهَا الدِّمُوعُ الذَّوَارِفُ
وَيَعْجُزُ عَنْ تَصْوِيرِهَا، الْيَوْمَ، وَاصْفُ
ثَقَافَتَهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْعِلْمِ زَائِفُ
وَأَنْ قَصَارَاهُ حُلَّى وَزَخَارِفُ
وَقَالُوا: أَلَا أَيْنَ الضِّيَاءُ الْمَشَارِفُ؟
مِنْ الْوَهْمِ يُمَسِّي وَهُوَ فِي الْقَيْدِ رَاسِفُ
وَلَيْسَ بِمَا تُزْهِى هُنَاكَ الْمَقَاصِفُ
إِذَا كَذَّبْتَ رَبَّ الْقُصُورِ الْعَوَاطِفُ
بَدِيلًا عَنِ الْكَأْسِ الَّتِي أَنَا رَاشِفُ
وَيَشْقَى بِمَصْرِ النَّابِهُونَ الْغَطَارِفُ؟
رَوَاحِلُ بَيْدٍ شَرَدَتْهَا الْعَوَاصِفُ
يَرِقُّ، وَلَا دَانَ مِنَ الظِّلِّ وَارِفُ
عَصَائِبُ تَنْزَوُ مِنْ دَمِي وَلِفَائِفُ
بِهِ فِي غَارِ الْحَادِثَاتِ أَجَازِفُ
خَفُوقُ جَنَاحٍ وَهُوَ بِالْدَمِ نَازِفُ
إِلَيْهِ عَهْدٌ لِلشَّبَابِ سَوَالِفُ
أَحَادِيثَ شَتَّى كُلَّهِنَّ طَرَائِفُ
أَفَارِقُهَا وَالْقَلْبَ لَهْفَانُ كَاسِفُ
مِنْ الْحَقِّ فِيهَا أَلْسُنُ وَصَحَائِفُ
وَلَا نَبَّهْتُ فِيهَا لِذِكْرِي عَوَارِفُ
بِرَأْيِي إِمَّا أَسْعَدْتَنِي الْمَوَاقِفُ!

عَدْلِي يَكُنْ

يذكر النيلُ دمعَه وشجونَه
هـ وَبَثُّوا على الطريقِ عيونَه
كلِّ بحرًا من الدُموعِ الهتونَه
شاطئُ حالتِ المنيةُ دونَه
آن لليث أن يحلَّ عرينَه
تَضُمُّ الصدرَ الذي تحمليَنَه
لوعةَ البينِ أو يبتُّ حنينَه
كنتِ في كلِّ موكبٍ ترقبينَه
لمحاتُ الطوالعِ الميمونَه
رينَ» غيرَ المجلاتِ الحزينَه
ءَ عليها من المنى ألفُ زينَه
ر يئنُّ الجريحُ فيها أنينَه
ح بطيفٍ من الفتوحِ المبينَه
يشفقُ النجمُ أن يشقَّ دجونَه
ذاقَ في وحشةِ الغريبِ منونَه
أن يرى مصرَ في الحديدِ سجينَه
شَيَّعَتْ بالبكاءِ كلَّ سفينَه
والثُمي ثغرُه، وحيِّي جبينَه

وقفَه بالشواطئِ المحزونَه
ودَّ لو حولوا إلى السَّينِ مجرا
ومشى بالشهيدِ للوطنِ الثا
دَنَتِ الدَّارُ، يا سفينة، إلَّا
فاهدئي في ضفافِ مصرَ وقرِّي
قَرَّبِي من أديمها هيكَلِ الحقِّ
لحظةً يشتكي المتيمُّ فيها
ولك الله، يا شواطئُ، فيمن
ذَهَبَتْ بسمةُ الثغورِ وحالتِ
ما عَرَفَتْ السفينَ من عهد «نافا
خرجتُ منك، لَيْلَةَ البحرِ، غرًّا
ثم آبتِ إليك منكوسةً الصو
فسلي البحرُ هل غدا لك أو را
ما شَهِدَتْ الأيامُ غيرَ سوادِ
كلَّ يومٍ تستقبلينَ شهيدًا
أو طريدًا وراءَ بحرٍ تحامِي
فاذكري الآن، يا شواطئُ، عينًا
واحلمي الوافدَ الكريمَ حنانًا

وَإِذَا ضُفَّتِ بِالْأَسَى فَاسْتَمْدِي الـ
سَائِلِي الرِّيحَ أَنْ تَضُجَّ عَوِيلًا
ذَاكَ وَادِي الْبُكَاءِ، وَمَا بِعَجِيبٍ

نُوحَ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ وَمَدِينَةٍ
وَسَلَّى الْبَحَرَ أَنْ يُجَنَّ جُنُونَهُ
أَنْ يَرَى النَّاسَ فِي الْبُكَاءِ فَنُونَهُ!

* * *

يا شهيدَ «الأحرار» لا كان يومُ
فزع النيلِ بالظنون إليه
كلَّ جرح أسالَ رُزُوكَ حتَّى
لو تَلَفَّتْ خَلْفَ نَعِشِكَ يا «عد
كنت أهلاً لبرِّها وهواها
كيف لا تستقلُّ في حقك الدم
ما بكاءً على الذي اتَّخَذَ الأو
ما بكاءً على الذي حبس القلب
ما بكاءً عليه لو كان يُفدى

* * *

يا رسولَ السلام في كل حين
ذكر الناس فيكَ أيام «سعيد»
وتناجوا بذكر «ثروت» حتى
عرضوا الذكريات فاهتجنَ فيهم
دِنْتَ بالنُّبْلِ والوداعةِ قلبًا
عقدتْ كفه بكفكَ عهدًا
وتعانقتما وما كنتَ إلَّا

فقدتْ مصرَ وحيه وأمينه
فبكوا رحمةً لما يذكرونه
رجعوا الأُمس واستعادوا
شئونه
كامنَ الحزن والهموم الدفينه
عجز البطش والأذى أن يُلينه
يتمنَّى العدوُّ ألا تصونه

* * *

يا نصيرَ الحقوقِ آثرتَ حقًّا
فنم الآنَ في ثرى مصرَ وانزلْ

عَوْنِ سَعْدٍ وإِلْقَهِ وخَدِينَهُ!
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا قَضَاهُ رَهِينَهُ
مَنْزَلُ الْحَبِّ وَالْهَدَى وَالسَّكِينَهُ

عَدْلِي يَكُنْ

لم يَمُتْ مَنْ حَديثُهُ يَمْلأُ الوا دي ويطوي سهولَه وحزونَه
تَأْخُذُ الظَّالِمِينَ صِيحَتُهُ الكِبَرُ رى، وتستعذبُ السماءُ رنينَه!

في القرية

وصِفي الطبيعة يا فتاة الرِّيفِ
وَلَكُم ربيعٌ مرَّ بعد خريفٍ
للورد بين مفتَح وكفيفٍ
يرمي الغمام به، وأفقٌ يوفي
من كل طيفٍ للربيع لطيفٍ
صَحَبَ الرياح وأنَّه الشادوف
ما بين نفْس في الرُّبى وزفيف

غَنِّي بأودية الربيع وطوفي
ولَّى خريفُ العام بعد ربيعِهِ
يا أخت طالعة الشمس تطلُّعي
والطير هدار، فأفقٌ أكدرُ
لهفانَ يرتادُ الجداول باكيًا
أهدى الشتاء إليه من نغمِ الأسى
هذا بعبْرته وجودٌ وهذه

* * *

أزهرن في ظلٍّ لديه وريفٍ
تحت العرائش في ظلالِ اللُّوفِ
متعانقاتٍ سابغاتِ الفوفِ
حُلُمٌ يرفُّه عنه بالتشويقِ
قَصَرَ الثواءُ به وطال وقوفي
في الأرض منفردًا بغير أليفٍ
ومضى عن الأحباب غير صدوفٍ
منا لفيفٌ سار إثرَ لفيفٍ
بين النخيل على رمال السِّيفِ

إنني لأذكرُ حقلنا، ولياليًا
ومراحنا بقرى الشمال، وكوخنا
نلقي الخمائِلَ بالخمائِل حولنا
ذكرى الطفولة أنتِ وحدك للصِّبا
يا رَبِّ رسم من ربوعك دارسٍ
إنني طويتُ العيش بعدك ضاربًا
صدَفَ الفؤادُ عن الشباب ولهوه
يا رَبِّ ليل دبَّ في أحشائه
نقتافُ آثار الطيور شوارداً

شادِ هنا وهناك رَنَّةً مِزْهَرِ النجمُ في خفقٍ له ورفيفِ
والبدرُ نَقَبَهُ الغمامُ كأنَّه وجهُ تالَّقٍ من وراءِ نصيفِ
والنهرُ سلسالِ الخيرِ كأنَّه قيثارَةُ سحريَّةِ التعزيفِ

* * *

قومي عذارى الريف والتمسي الرُّبى نُضْرًا وغنِّي بالغدير وطوفي
وتفَيَّئي الدوحَ الظِّلِيلَ ومربأً للفنِّ تحت أزاهرٍ وقطوفِ
غُصْنٌ يطلُّ الفجرُ من ورقاته ويُقَبِّلُ الأنداءَ جدَّ شغوفِ
أين الغديرُ عليه يخلع وشيهُ صَنَعَ الأناملِ رائِعَ التفويهِ
يا حبذا هو من مراحٍ للصِّبَا والكوخُ من مشتَى لنا ومصيفِ
صُورٌ نزلنَ على بنانٍ مصوِّرِ صُورنَ من نسقٍ أغرَّ شريفِ
أغرينَ بي حُلْمَ الطفولة والهوى وأثرنَ بي ذكرى ليالي الريفِ

الْبَحِيرَةُ

لألفونس لامارتين

ليتَ شعري أهكذا نحنُ نمضي
ونخوضُ الزمانَ في جُنْحِ ليلٍ
وضفافُ الحياةِ ترمقها العَيـ
دون أنْ نملك الرجوعَ إلى ما

في عُبابٍ إلى شواطئ غَمَضِ
أبدِيٍّ، يُضني النفوسَ ويُنْضي
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بَعْضٍ
فاتَ منها، ولا الرسوُ بأرضٍ!

* * *

حدثي القلبَ، يا بحيرةُ، ما لي
أوشكُ العامُ أن يمرَّ، وهذا
صخرةُ العهد! ويك هأنذا عد
عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينِ

لا أرى «أولفير» فوق ضفافك
موعدٌ للقاءٍ في مصطافك
تُ، فماذا لديكِ عن أضيافك؟
سفكتُ دمعها الليالي السوافكُ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهديرين كما أنـ
وضفافُ أمواجها يتداعين
والنسيمُ العليل يدفعُ وهناً
ملقياً رغوها على قدميها

ست هديرٌ يهزُّ قلبَ السكونِ
نَ على هذه الصخور الجونِ
زَبَدَ الموج للرُّبى والحزونِ
لَيِّنَ المسِّ مستحبِّ الأنينِ

* * *

أُتْرَى تَذَكْرِينَ لَيْلَةً كُنَّا مِنْكَ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ، بَيْنَ الضَّفَافِ
وَسَرَى زَوْقُ بِنَا يَتَهَادَى تَحْتَ جَنَحِ الدُّجَى وَسِتْرِ الْعَفَافِ؟!
فِي سَكُونٍ، فَلَيْسَ نَسْمَعُ فَوْقَ الْـ مَوْجٍ إِلَّا أَغَانِيَّ الْمَجْدَافِ
تَتَلَقَّى عَلَى الرَّبَى وَالْحَوَافِي بِأَنَاشِيدِ مَوْجِكَ الْعَرَافِ؟؟

* * *

وَعَلَى حِينَ غَرَّةٍ رَنَّ صَوْتُ لَمْ يُعَوِّذْ سَمَاعَهُ إِنْسِي
هَبَطَ الشَّاطِئُ الطُّرُوبَ فَمَا يُسِ مَعُ فِيهِ لِلْهَاتِفَاتِ دَوِي
وَإِذَا اللَّيْلُ سَاهَمُ سَكَنَ النُّو ءُ إِلَيْهِ وَأَنْصَتِ اللَّجِّي
يَتَلَقَّى عَنْ نَبَاةِ الصَّوْتِ نَجْوَى كَلِمَاتٍ أَلْقَى بِهِنَّ نَجِي

* * *

يَا زَمَانًا يَمُرُّ كَالطَّيْرِ مَهْلًا طَائِرُ أَنْتَ؟ وَيكَ، قَفْ طَيْرَانُكْ!
أَهْنَاءَ السَّاعَاتِ تَجْرِي وَتَعْدُو نَا عَطَاشًا، فَقَفْ بِنَا جَرِيَانُكْ!
وَيكَ دَعْنَا نَمْرُحُ بِأَجْمَلِ أَيَّا مِ وَنَلْقَى، مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ، أَمَانُكْ
وَإِذَا نَحْنُ لَذَّةَ الْعَيْشِ ذُقْنَا هَا وَمَرَّتْ بِنَا قَدْرُ دَوْرَانُكْ!

* * *

بَيْدَ أَنْ الشَّقَاءَ قَدْ غَمَرَ الْأَرْضَ ضَ وَفَاضَ الْوُجُودُ بِالتَّاعَسِينَا
كُلْهُمْ ضَارِعُ إِلَيْكَ يَرْجِي كَ فَاسْرِعْ! أَسْرِعْ! إِلَى الضَّارِعِينَا
وَافْتَرَسَ مُشَقِّيَاتِ أَيَامِهِمْ وَامْضِ رَحَى تَطْحَنُ الشَّقَاءَ طَحُونَا
رَحْمَةً، فَاذْكُرِ النُّفُوسَ الْحَزَانَى وَانْسَ، يَا دَهْرُ، أَنْفُسَ النَّاعِمِينَا!

* * *

عَبْنًا أَنْشَدُ الْبَقَاءَ لِعَهْدٍ يُقْلِتُ الْيَوْمَ مِنْ يَدَيِ وَيَفْرُ
وَسُوِيَعَاتٍ غَبِطَةٍ مَا أَرَاهَا وَوَشِيغًا مَا تَنْقُضِي وَتَمُرُ
وَأُنَادِي يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ قَرِّي إِنْ بَعْدَ السَّرَى يَطِيبُ الْمَقْرُ

البُحَيْرَةُ

أُسْفَاً لِلصَّبَا وَغَرَّ لِيَالٍ لَيْسَ يُبْقِي عَلَى صَبَاهَنْ فَجْرُ

فَلْنَحِبِّ الغَدَاةَ وَلْنَحْيِ حُبًّا وَلْنَسَارِعْ فَنَقْتَفِي إِثْرَ سَاعَاتٍ
وَلْنَكُنْ فِي الْحَيَاةِ بَعْضًا لِبَعْضٍ فَقَدْ تَوَذَّنُ النُّوَى بِالتَّقْضِي
لِنَا فِي الْحَيَاةِ فِي عُرْضِ بَحْرٍ لَيْسَ نُلْقِي الْمَرْسَاةَ فِيهِ بِأَرْضٍ
مَا بِهِ مَرْفَأٌ يَبِينُ وَلَكِنْ نَحْنُ نَمْضِي فِي لَجَّهِ، وَهُوَ يَمْضِي!

أَكْذَا أَنْتَ، أَيُّهَا الزَّمَنُ الْحَاقُ دُ، تَغْتَالِ نَشْوَةَ اللَّحْظَاتِ؟
حَيْثُ يُزَجِّي لَنَا السَّعَادَةَ أَمْوَا جَا مِنْ الْحَبِّ زَاخِرِ اللَّجَاتِ؟
أَكْذَا أَنْتَ زَاهِبٌ بِلِيَالِي الـ صَفْوِ عَنَّا سَرِيعَةَ الْخَطَوَاتِ؟
أَكْذَا تَنْقُضِي مَلَاوَةً نَعْمَا هَا كَمَا يَنْقُضِي شَقَاءَ الْحَيَاةِ؟

كَيْفَ؟ حَدَّثْ: أَغَالِهَا مِنْكَ صَرْفُ فِي أَبِيدِ الزَّمَانِ حَيْثُ طَوَاهَا؟
وَيْكَ، قُلْ لِي، أَلَيْسَ نَمْلِكَ يَوْمًا أَنْ نَرَاهَا؟ أَمَّا تَبِينُ خَطَاهَا؟
أَتَرَاهَا وَلَنْتَ جَمِيعًا، وَلَمَّا تَبَقَّ حَتَّى أَثَارُهَا، أَتَرَاهَا؟
أَوَذَاكَ الدَّهْرُ الَّذِي افْتَنَّ فِي صَو غِ صَبَاهَا هُوَ الَّذِي قَدْ مَحَاهَا؟

أَيُّ هَذَا الزَّمَانُ، وَالْعَدَمُ الْعَا تِي، غَرِيقِينَ فِي سَكُونٍ وَصَمْتِ
أَيُّ عَمِيقِ اللَّجَاتِ: مَاذَا بِأَيَّا مِ صَبَانَا؟ مَاذَا بِهِنْ صَنَعْتِ؟
حَدَّثِينِي أَمَّا تَعِيدِينَ مَا مِنْ سَكْرَاتِ الْغَرَامِ مَنَا اخْتِطَفْتِ؟
أَوْ مَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَاجِيـ لِكَ؟ أَمَّا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتِ؟

أَنْتِ يَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ، مَاذَا يَكْتُمُ الْمَوْجُ فِيكَ وَالشَّطَّانُ
أَيُّهَا الْغَابَةُ الظَّلِيلَةُ رُدِّي أَنْتِ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وهو يسطيعُ أن يُجدَّكَ حسنًا!! احفظني لا أصابك النسيان!!
قلَّ حفظًا أن تذكرني ليلة مـ رَّتْ وَأَنْتِ الطَّبِيعَةُ الْحَسَّانُ

* * *

لَيَكُنْ منك، يا بحيرة، ما لـ جَّ بك الصمتُ أو جنون اصطخابك
في مغانيكِ حالياتٍ تراءى ضاحكاتٍ على سفوح هضابك
في مروج الصُنوبرِ الحوِّ تهفو سابغاتِ الألياف حول شعابك
في نتوءِ الصخور، مشرفة الأعنا ق، بيضًا، تُطلُّ فوق عبابك

* * *

وليكن في العُباب يهدرُ أموا جَّا على شاطئيك مثلَ الرعودِ
في انتخابِ الرياحِ تُعول في الود يانِ إعوَالَ قلبيَ المفئودِ
في صدَى الجدولِ الموقَّع أنا تِ حشاهُ بالجنْدِلِ الجلمودِ
في شذاكِ السريِّ ينشَقُّ منه القلبُ رَيًّا فردوسه المفقودِ!

* * *

وليكن في النسيم ما هبَّ ساريـ هِ بجوبُ الشيطانِ نحوكِ جوبًا
في جبينِ النجمِ اللجينيِّ يُلقِي فضَّةَ الضوءِ في مياهكِ ذوبًا
وليكن في شتيتٍ ما تسمع الأذُّ نْ، وفيما نراهُ عينًا وقلبًا
ليكن هاتِفٌ من الصوتِ يتلو: «قد أحبَّ وأخلصا ما أحبَّ»

ليالي الملاح التائه

١٩٤٠

الإهداء

إلى الذين أطالوا التأمل في أسرار الكون وأرهقهم التيه في مجاهل الحياة ...
إلى العائدين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللهفة والحنين ...
إلى المتطلعين عبر الشاطئ المهجور في ارتقاب عودة الملاح التائه ...
إليهم جميعاً أقدم وحي ليلاليه وأهدي بعضاً من أشعاره وطرفاً من حديث
أسفاره.

علي محمود طه

أغنية الجندول في كرنفال فينسيا

تغريدة الموسيقىار الأستاذ محمد عبد الوهاب

أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروس البحر، يا حُلْمَ الخيالِ
أين عشاقك سَمَّارُ الليالي؟ أين من واديك، يا مهدَ الجمالِ؟
موكبُ الغيد وعيدُ الكرنفالِ وسُرى الجندولِ في عرض القنالِ
بين كأسٍ يتشهى الكرمُ خمره
وحبيبٍ يتمنّى الكأسُ ثغره
التقتُ عيني بهِ أوّل مرّة
فعرفتُ الحبّ من أوّل نظره
أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروس البحر، يا حُلْمَ الخيالِ

* * *

مرّ بي مُستضحكاً في قربِ سَاقِي يَمزُجُ الراحَ بأقداحِ رِقَاقِ
قد قصدناه على غيرِ اتفاقٍ فنظرنا، وابتسمنا للتلاقِ
وهو يَسْتَهْدِي على المَفْرِقِ زَهْرَه
ويُسَوِّي بيدِ الفتنةِ شَعْرَه
حينَ مَسَّتْ شَفَتِي أوّل قطره
خَلَّتْهُ ذُوبَ في كاسِي عِطْرَه

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

ذَهَبِي الشَّعْرَ، شَرْقِي السَّمَاتِ مَرْحُ الْأَعْطَافِ، حَلُّو اللَّفْتَاتِ
كُلَّمَا قَلْتُ لَهُ: خُذْ. قَالَ: هَاتِ يَا حَبِيبَ الرُّوحِ، يَا أُنْسَ الْحَيَاةِ
أَنَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الْأَوْهَامِ عُمْرَهُ
نَسِيَ التَّارِيخَ أَوْ أُنْسِيَ ذِكْرَهُ
غَيْرَ يَوْمٍ لَمْ يَعُدْ يَذْكُرُ غَيْرَهُ
يَوْمَ أَنْ قَابَلْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

قَالَ: مَنْ أَيْنَ؟ وَأَصْغَى، وَرَنَا قَلْتُ: مِنْ مِصْرَ، غَرِيبُ هَا هُنَا
قَالَ: إِنْ كُنْتَ غَرِيبًا فَأَنَا لَمْ تَكُنْ فِينِيسِيَا لِي مَوْطِنًا
أَيْنَ مِنْنِي الْآنَ أَحْلَامُ الْبُحَيْرَةِ
وَسَمَاءُ كَسَتْ الشَّطْرَانَ نَضْرَهُ
مَنْزَلِي مِنْهَا عَلَى قِمَّةِ صَخْرَةٍ
ذَاتِ عَيْنٍ مِنْ مَعِينِ الْمَاءِ تَرَهُ
أَيْنَ مِنْ فَارِسُوفِيَا تِلْكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

قَلْتُ، وَالنَّشْوَةُ تَسْرِي فِي لِسَانِي: هَاجَتِ الذِّكْرَى، فَأَيْنَ الْهَرَمَانِ؟
أَيْنَ وَادِي السَّحْرِ صَدَّاحُ الْمَغَانِي؟ أَيْنَ مَاءُ النِّيلِ؟ أَيْنَ الضُّفَّتَانِ؟
أَهْ لَوْ كُنْتَ مَعِي نَخْتَالُ عَبْرَهُ
بِشْرَاعٍ تَسْبَحُ الْأَنْجَمُ إِثْرَهُ
حَيْثُ يَرُوي الْمَوْجُ فِي أَرْخَمِ نَبْرَهُ
حُلْمُ لَيْلٍ مِنْ لِيَالِي كَلْبُوبِتْرَهُ
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

أَيُّهَا الْمَلَّاحُ، قِفْ بَيْنَ الْجَسُورِ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَحْلَامِ الدَّهْورِ
صَفَّقِ الْمَوْجُ لَوْلَدَانِ وَحُورِ يُغْرِقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نَوْرِ
مَا تَرَى الْأَغْيَدَ وَضَاءَ الْأَسْرَةِ؟
دَقَّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرُهُ
لِمُحِبٍّ لَفَّ بِالسَّاعِدِ خَصْرُهُ؟
لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلِعُ فَجْرَهُ!
أَيْنَ مِنْ عَيْنِيَّ هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

رَقَصَ الْجُنْدُولُ كَالنَّجْمِ الْوَضِيِّ فَاشْدُ، يَا مَلَّاحُ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ
وَتَرَنَّمْ بِالنَّشِيدِ الْوِثْنِيِّ هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلْمُ الْعَبْقَرِيِّ
شَاعَتِ الْفَرْحَةُ فِيهَا وَالْمَسْرَةُ
وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سَرَّهُ
يَمْنَةً مِلَّ بِي، عَلَى الْمَاءِ، وَيَسْرَهُ
إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سَحْرَهُ

* * *

أَيْنَ، يَا فِينِيسِيَا، تِلْكَ الْمَجَالِي؟ أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَّارِ اللَّيَالِي؟
أَيْنَ مِنْ عَيْنِيَّ أَطْيَافُ الْجَمَالِ؟ مَوَكَّبُ الْغَيْدِ وَعِيدُ الْكَرْنِفَالِ؟
يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخَيَالِ!!

القمرُ العاشقُ

إلى ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف القمرية.

إذا ما طافَ بالشُّرفةِ	ضوءُ القمرِ المضنَّى
ورفَّ عليكِ مثلَ الحُلِّ	مِ أو إشراقِ المعنَى
وأنتِ، على فراشِ الطُّهـ	رِ، كالزَّنْبَقَةِ الوَسْنَى
فضمِّي جسمَكَ العاري	وصوني ذلك الحُسْنَى

* * *

أغارُ عليكِ من سابِ	كأنَّ لضوئه لَحْنًا
تدقُّ له قلوبُ الحو	رِ أشواقًا إذا غَنَّى
رقيقُ اللمسِ، عريـ	بكلِّ مليحةٍ يُعْنَى
جريءٌ، إنْ دعاه الشو	قُ، أنْ يفتَحَ الحصنَا!

* * *

تحدَّرَ من وراءِ الغيـ	مِ، حينَ رآكَ، واستأنَّى
ومسَّ الأرضَ في رفقٍ	يشقُّ رياضها الغنَّا
عجبتُ له، وما أعجـ	بُ كيفَ استلَمَ الرُّكْنَا؟
وكيفَ تَسَوَّرَ الشُّوكُ؟	وكيفَ تسلَّقَ الغُصْنَا؟

* * *

على خديك خمُرُ صبا بةً أفرغها دَنَّا
رحيقٌ من جَنَى الفتنة هَ لا ينضُبُ أو يَفْنَى
وفي نهديك طَلَسما نِ في حَلَّهما افتنَّا
إلى كنزهما المعبو دِ باتِ يعالجُ الرُّدنا

* * *

أغارُ، أغارُ إنَّ قَبـ لَ هذا الثغرَ أو ثَنَى
ولفَّ النَّهْدَ في لينٍ وضمَّ الجسدَ اللَّدنا
فإنَّ لضوئِهِ قلبًا وإنَّ لسحرِهِ جَفنا
يصيدُ الموجةَ العذرا ءَ من أغوارها وَهنا!

* * *

وكم من ليلةٍ لَمَّا دعاهُ الشوقُ واستدْنَى
جثا الجَبَّارُ بين يدي كِ طفلاً يشتكي الغَبنا
أرادَ، فلم يَنَلْ ثغراً ورامَ، فلم يصب حُضنا
حَوَتْكِ ذراعهُ رسماً وأنتِ حويتهِ فَنَّا!

* * *

عصيتِ هواهُ فاستضرى كأنَّ بصدريهِ جَنَّا
مضى بالنظرةِ الرَّعنا ءِ يطوي السَّهْلَ والحَزنا
يثيرُ الليلَ أحقادًا وصدَرَ سحابِهِ ضُغنا
وعادَ الطفلُ جَبَّارًا يهزُّ صراعهُ الكونا!

* * *

فَرَدَّيَ الشرفَةَ الحمرا ءَ دونَ المخدَعِ الأسنَى
وصوني الحسنَ من ثور هَ هذا العاشقُ المُضنى
مخافةً أنْ يظنَّ النَّا سُ في مخدعك الظَّنَّا
فكم أقلقَتِ من ليلٍ! وكم من قَمَرٍ جُنَّا!

كَأْسُ الْخِيَامِ

هَاتِفُ الْفَجْرِ الَّذِي رَاعَ النُّجُومَ
وَأَطَارَ اللَّيْلَ عَنْ آفَاقِهَا
لَمْ يَزَلْ يُغْرِي بِنَا بِنْتَ الْكَرُومِ
وَيُثِيرُ الْوَجْدَ فِي عِشَاقِهَا

صَيِّدُحُ جُنٍّ غَرَامًا بِالسَّحَرِ
أَنْطَقَتْهُ لَهْفَةُ الرُّوحِ الْمَشُوقِ
مَوْثِقُ الْقَلْبِ، وَمِيعَادُ النَّظَرِ
مَهْرَجَانُ النُّورِ فِي عُرْسِ الشُّرُوقِ

فَرَحُ الْجَنَّةِ فِي أَلْحَانِهِ
وَصَدَاهُ فِي السَّحَابِ الْعَابِرِ
أَرْسَلَ السَّحَرِ عَلَى أَلْوَانِهِ
مَنْ فَمٍ شَادٍ، وَقَلْبٍ شَاعِرٍ

يَا لَهُ صَوْتًا مِنَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ

رائع الإيقاع فتَّان النَّغْمِ
جدَّدَ الأشواقَ باللحن الجديدِ
وهو كالدنيا عَرِيقٌ في القِدَمِ

كم عيونٍ نفَضَتْ أحلامَها
حين نادى، غيرَ حُلُمٍ واحدٍ
سلسلتُ فيه المُنَى أنغامَها
وهي تشدو بالرحيقِ الخالدِ

كلَّما لَأَلَّ في الشرقِ السَّنا
دُقَّتِ البابُ الأَكْفُ الناحِلَه
أيُّها الحَمَّارُ! قم وافتحْ لَنَا
واسقِنَا، قبل رحيلِ القافِلَه

خَمَرَةُ العشاقِ لا زالت، وَلَا
جَفَّ من ينبوعِها نهرُ الحياه
نضبتُ، في قَدَحِ العمرِ، الطُّلا
وهي في الأرواحِ تستهوي الشِّفَاة!

كم شمسٍ عَبَرَتْ هذا الفضاءَ
وألوفٍ من بدورٍ ونجومٍ
والثرى بين ربيعٍ وشتاءٍ
ضاحك النُّوَّارِ وهَجَّ الكرومِ

كَأْسُ الْخَيَّامِ

كُلُّ عُنُقٍ دَمُوعٌ جَمَدَتْ
وَقُلُوبٌ فَزِيَتْ فِيهَا شِعَاعًا
مَا احْتَوَاهَا الْفَجْرُ إِلَّا اتَّقَدَتْ
جَمْرَةً تَذْكُو حَنِينًا وَالتِّيَاعَا

لَوْ أَصَابَتْ رِيشتَيْهَا وَثَبَتْ
بِجَنَاحَيْنِ مِنَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ
فَاعْذِرِ الْكَأْسَ إِذَا مَا اضْطَرَبَتْ
حَبَبًا يَخْفِقُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ

أَيُّهَا الْخَالِدُ فِي الدُّنْيَا غَرَامًا
أَيْنَ نَيْسَابُورُ، وَالرُّوضُ الْأَنِيقُ؟
أَيْنَ مَعْشُوقَكَ إِبْرِيْقًا وَجَامًا؟
هَلْ حَطَمْتَ الْكَأْسَ؟ أَمْ جَفَّ الرَّحِيقُ؟

هَذِهِ الْكَرْمَةُ وَالْوَادِي الظَّلِيلُ
مِثْلَمَا كَانَا، وَهَذَا الْبَلْبَلُ
حَاضِرٌ أَشْبَهُ بِالْمَاضِي الْجَمِيلِ
لَوْ يُغْنِيهِ الْمَغْنَى الْأَوَّلُ

الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي كُلِّ الْغُصُونِ
زَهْرَةٌ تَنْدَى، وَنُورٌ يُشْرِقُ
وَالثَّرَى مِنْ نَفْسِ الرُّوحِ الْحَنُونِ
مَهْجَةٌ تَهْفُو، وَقَلْبٌ يَخْفِقُ

* * *

كم تشهَّيتَ الحبيبَ المُحسِنَا
لو سقي مَثَوَاكَ بالكأسِ الصَّبِيْبُ
وتمنَّيتَ، وما أحلى المُنَى
خطواتٍ منه، والمثوى قريبُ

* * *

أُتْرِى أعطيتَه سرَّ الخلودِ؟
أم حبوتَ الحسنَ سلطانًا يدومُ
عجبًا، تخطئُ أسرارَ الوجودِ
أيُّها الحاسبُ أعمارَ النجومِ!

* * *

شَفَّةُ الكأسِ التي أنطقتَها
لم تدعُ من منطقِ الدنيا جوابا
حُجِبُ عن ناظرِي مَزَقَّتْها
فرأيتُ العيشَ برقًا وسرابًا

* * *

ولمستُ الخافقَ الحيَّ المُنَى
طينةً تبكي بكفَّ الجابلِ
تشتهي الرُّشْفَةَ مما علَّنا
وهي ملأى تحت ثغر الناهلِ

* * *

نَسِيَ الأَنخابَ من تهوى وأمسى
مثلما أمسيتَ يستسقي الغمامَا
واشتكتَ رَقَّتَهُ في الأرضِ يُبْسَا

كَأْسُ الْخَيَّامِ

وغدا الإبريقُ والكأسُ حطامًا

لا، فما زالا، ولا زال الحبيبُ
أيها المفعِمُ بالحبِّ الوجودًا
إِنَّ مِنْ غَنَيْتِ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ
مَنْحَتُهُ رَبَّةُ الشَّعْرِ الْخُلُودَا

مَرَّ بِي طَيْفُكَمَا ذَاتَ مَسَاءٍ
وَأَنَا مَا بَيْنَ أَحْلَامِي وَكَأْسِي
اسْتَبَدَّتْ بِي أَطْيَافُ الْخَفَاءِ
وَتَغَرَّبْتُ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِي

صَحْتُ بِاللَّيْلِ إِلَى أَنْ أَشْفَقَا
فَلْيَقِفْ نَجْمُكَ ... وَلْيُنَأْ السَّحَرُ
جَدَّدَ الْعِشَاقُ فِيكَ الْمِلْتَقَى
وَحَلَا الْهَمْسُ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ

فَادْخَلَا بَيْنَ ضِيَاءٍ وَغَمَامٍ
حَانَةَ الْأَقْدَارِ وَاللَّيْلِ الْقَدِيمِ
مَجْلَسًا يَهْفُو بِهِ رُوحُ الْغَرَامِ
كُلُّ نَجْمٍ فِيهِ سَاقٍ وَنَدِيمٌ

وانهلا من سَلْسَلِ النُّورِ المَذَابِ؟
خَمْرَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ عَاصِرِ

قَنَعَ الصَّوْفِيُّ مِنْهَا بِالْحَبَابِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِكَاسِ الشَّاعِرِ

فَارَوْا يَا شَاعِرُ عَنْ إِشْرَاقِهَا
إِنَّمَا كَأْسُكَ نَوْرٌ وَصَفَاءُ
كَيْفَ طَالَعْتَ عَلَى آفَاقِهَا
رُوعَةَ الْغَيْبِ وَأَسْرَارَ السَّمَاءِ؟

كَيْفَ أَبْصَرْتَ الْجَمَالَ الْمَشْرِقَا
بَصَرَ الْفَانِينَ فِي حُبِّ الْإِلَهَاءِ
وَفَتَحْتَ الْأَبَدَ الْمُسْتَعْلِقَا
عَنْ ضَمِيرِ الْكَوْنِ أَوْ قَلْبِ الْحَيَاةِ؟

أَبْرُوحَانِيَّةَ الشَّرْقِ الْعَرِيقُ
أَمْ بَبُوهِيْمِيَّةِ الْفَنِّ الطَّلِيْقُ
سَبَحَتْ رُوحُكَ فِي الْكَوْنِ السَّحِيْقُ
حَيْثُ لَا يَسْمَعُ طَافٍ لَغَرِيقُ؟

حَيْثُ أَبْصَرْتَ الَّذِي لَمْ تُبْصِرِ
أَعْيُنٌ مَرَّتْ بِهِذَا الْعَالَمِ
ذَاكَ سِرُّ الشَّاعِرِ الْمُسْتَهْتَرِ
وَقُتُونِ الْفِيلَسُوفِ الْعَالِمِ

ذَاكَ سِرُّ النَّغْمِ الْمُسْتَرْسَلِ

كَأْسُ الْخَيَّامِ

والصفاءِ السلسلِ المطَّردِ
رُوحُ شادٍ فَنَبَيْتُ فِي الْأَزَلِ
وتحدَّتْ شهوةُ المنتقدِ

صَرَخَتْ أَلَمُهُ فِي كُوبِهِ
فهوى يثأرُ من أَلَمِهِ
إنما البعثُ الذي تشدُّو بهِ
يقظةُ المفجوعِ في أحلامِهِ!

إنَّما البعثُ المُرجى للورى
غايةُ الحيِّ التي لا تُحْمَدُ
إنما تَبْعَثُ فِي هَذَا الثُّرى
بعضُ ما يُقْطَفُ أو ما يُحْصَدُ

حَسْبُهَا تَعْزِيَةٌ أَنَا سَنَحْيَا
فِي غَدٍ، مِثْلَ حَيَاةِ الزَّهْرِ
وَسَنَطْوِي الْأَبَدَ الْمَجْهُولَ طَبَّيًّا
جُدَدَ الْأَطْيَافِ شَتَّى الصُّوَرِ

حَسْبُهَا تَعْزِيَةٌ أَنْ نَحْلُمَا
بَأَنَاشِيدِ الصَّبَاحِ الْمُنْتَظَرِ
وَنَشْقُ الْأَرْضَ عَنْ وَجْهِ السَّمَاءِ
حَيْثُ نُورُ الشَّمْسِ أَوْ ضَوْءُ الْقَمَرِ

رَبِّمَا جَدَّدَ أَوْ هَاجَ لَنَا
نَبَأً أَوْ قِصَّةً مِنْ حُبِّنَا
نَوْحٌ وَرِقَاءَ أَرْنَتِ حَوْلَنَا
أَوْ شَجَى قُبْرَةٍ مَرَّتْ بَنَا

أَوْ خُطَى إِلْفَيْنِ فِي فَجْرِ الصَّبَا
أَتْرَعَا كَأَسِيهِمَا مِنْ ذَوْبِهِ
أَوْ صَدَى رَاعٍ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
صَبَّ فِي النَّايِ أَغَانِي حُبِّهِ

حُلُمٌ مَثَّلَتْهُ فِي خَاطِرِي
فَعَشَقْتُ الْخُلْدَ فِي هَذَا الرُّوَاءِ
أُنْكِرُوهُ فَحَكَّوْا عَنْ شَاعِرِ
جُنٍّ بِالْخَمْرِ وَأَغْوَتْهُ النِّسَاءُ

وَلَقَدْ قَالُوا: شَذُوذُ مُغْرِبُ
وإِبَاحِيَّةٌ لِأَهٍ لَا يُفِيقُ
أَهٍ لَوْ يَذْرُونَ مَا يَضْطَرُّ
بَيْنَ جَنْبِكَ مِنَ الْحَزَنِ الْعَمِيقُ

أَوَّلًا يَغْدُو الْخَلِيعَ الْمَاجِنَا
مَنْ رَأَى عُقْبَى الصَّبَاحِ الْبَاسِمِ؟
وَرَأَى الْحَيَّ جَمَادًا سَاكِنَا
بَعْدَ ذِيَاكَ الْحَرَكَ الدَّائِمِ؟

* * *

أَوَّلَا يُغْرِبُ فِي نَشْوَتِهِ
شَارِبُ الْغُصَّةِ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ؟
أَوَّلَا يُمَعِنُ فِي شَهْوَتِهِ
مُسْلِمُ الْجَسَمِ إِلَى الدَّوْدِ الْحَقِيرِ؟

* * *

قِصَّةُ الزُّهْدِ الَّتِي غَنَّوْا لَهَا
عَلَّلْتَهُمْ بِالسَّرَابِ الْخَادِعِ
نَشْوَةُ الشَّاعِرِ، مَا أَجْمَلُهَا!
هِيَ مِفْتَاحُ الْخُلُودِ الضَّائِعِ!!

* * *

لَوْ أَصَابُوا حِكْمَةً مَا اتَّهَمُوا
وَبَكَّى لَاحِيكَ وَالْمُسْتَهْجَنُ
فَهُوَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لَوْ عَلِمُوا
عَبَثُ مُرٍّ، وَلَهُوَ مُحْزِنٌ!!

مَصْرَعُ الرُّبَّانِ

ذَلَّ الحديدُ لها، واستخَذَتِ النَّارُ
عَاتٍ على ضرباتِ الصَّخْرِ، جَبَّارُ
لم تَحَوِّها سَيْرٌ، أو تَرَوْ أخبارُ
خافي المقاتِلِ، عند الرَّوْعِ فَرَّارُ
عليه عيناك لم تُنْقِذْهُ أَقْدَارُ
والغورُ داج، وصدرُ البحرِ موَّارُ
وكم بها قُتِلَتْ في الروضِ أزهارُ
لها من المجدِ إعْظَامٌ وإكْبَارُ
كادتُ عليه جبالُ الموجِ تنهارُ
ذكرى من الشَّرَفِ العالِي وتَذْكَارُ
كما تَلَقَّى جبينَ الفاتِحِ العَارُ
لانشقُّ بحرُ لها، وارتدَّتْ تِيَّارُ
لها العوالمُ سُمَاعٌ ونُظَّارُ
بذكره الحربُ، إن لم يُؤْخِذِ النَّارُ

يا قاهرَ الموتِ كَمْ للنفسِ أسرارُ؟
وأشْفَقَ البحرُ منها، وهو طاغيةُ
حواكٍ أهدوثةٌ مُثْلَى، وتضحيةُ
رماكٍ في جَنَبَاتِ اليمِّ مُحْتَرِبُ
ترصَّدتك مراميه ولو وَقَعَتْ
يَدْبُ في مسبحِ الحيتانِ منسربًا
كدودةِ الأرضِ نورُ الشمسِ يقتُلُها
هوى بكِ الفُلُكُ إِلَّا هامةٌ رُفِعَتْ
واستقبلَ البحرُ صدرًا حينَ لامسَهُ
وغابَ كلُّ مَشِيدٍ، غَيْرَ قُبْعَةٍ
أَلْقَيْتَها، فتلقَّى الموجُ مَعْقِدَها
ولو يُرَدُّ زمانُ المعجزاتِ بها
كأنَّها خطبةٌ راعَتْ مقاطعُها
تقول: لا كانَ لي ربٌّ ولا هتفتُ

* * *

ويافعًا يُؤَثِّرُ الجُلَى ويختارُ
فما تحيطُ به في الوهمِ أفكارُ!

يا ابنَ البحارِ وليدًا في مسابِحِها
ما عالمُ الماءِ؟ يا ربَّانُ، صِفْهُ لَنَا

وراحة؟ أم فجاءت وأخطار؟
على أهازيج غناهن إعمار
وأسدلت من خدور الشهب أستار
كما رنا نازح لاحت له الدار
من ذروة الليل أنواء وأمطار
كم في لياليه للعشاق أسمار
فالصيف خمر، وألحان، وأشعار
وضوأت من كوى الظلماء أنوار
عرائس من بنات الجن أبكار
تجلى بهن عشيات وأسحار
البحر كهف لها، والدهر خمار
كأن أجراسها في الأذن قيثار
ورنحتها من الأشواق أسفار
والنوء مصطرع والموج هذار
عيناك تقرأ، والأمواج أسطار
رفقت عليه من المَرجان أشجار
جنباً لجنب، فلا ذل ولا عار!!

وما حياة الفتى فيه؟ أتسليه
إذا السفينة في أمواجه رقصت
وأشجت السحب موسيقاه، فاعتنقت
وأنت ترنو وراء الأفق مبتسماً
غرقان في حلم عذب تسلسله
يا عاشق البحر، حدث عن مفاتيحه
ما ليلة الصيف فيه؟ ما روايتها؟
إذا النساء من آفاقه انحدرت
وأقبلت عاريات من غلائلها
شغل الربابنة السارين من قدم
يثرعن كأسك من خمر معتقة
وأنت عنهن مشغول بجارية
صوت الحبيبة قد فاضت خوالجها
وا لهف قلبك لما اندك شامخها
بوغت بالقدر المكتوب فانسرحت
نزلتما البحر قبراً، حين ضمكما
نام الحبيبان في مثواه وأنسدا

مستقلون وراء البحر أحرار
تجددت لك في الأجيال أعمار
خلق الرجال إذا هاجته أخطار
وما أجنته خلجان وأغوار
للخالدين أماثيل وآثار
وسرت فيه على آثار من ساروا
رخامه الدهر، والتاريخ حفار

مصارع للفدائيين يعشقها
منية كحياة، كلما ذكرت
هي الفخار لشعب من خلائقه
له البحار بما احتازت شواطئها
رواق مجد على جدران رفعت
دخلت من باب، واجترت ساحته
يتيه باسمك في أقداسه نصب

نَشِيدُ إِفْرِيقِيٍّ

عُودَةُ الْمُحَارِبِ

«إلى الذين قدسوا الحياة بحب الموت!»

واتبعي، يا جبالُ، في الأرضِ ظِلِّي
بأناشيدِ مائكِ المُنْهَلِ
زَهْرَاتٍ من عُشْبِكَ المَخْضَلِ
قَدَمًا لم تَطَأْكَ يَوْمًا بِذُلِّ
حِثِّ وَأَنْيَابِ كُلِّ أَفْعَى وَصِلِّ
دي وَضَجِّي بكلِّ حَزْنٍ وَسَهْلِ
لِ وَكوني إلى الأَحَبَّةِ رُسُلِي
ضَوَّاتٍ لي على مَضَارِبِ أَهْلِي
بأغاني شَبَابِهَا المَسْتَهْلِ
ونداءِ القُرُونِ بعدي وَقَبْلِي
بيدِ تَخْفُضِ الحِظُوظِ وَتُعْلِي
نَارُهَا تُنْضِجُ الصَّخُورَ وَتُبْلِي
قَدْرُ، تَكْتَبُ الحَتُوفَ وَأُمْلِي
حِدَ على عِفَّةِ صَوَاحِبِ بَذَلِ

أُرْقُصِي، يا نجومُ، في الليلِ حولي
واصْدَجِي، يا جنادلَ النهرِ، تَحْتِي
وارفعي، يا رَبِّا، إِلَيَّ وَأَدْنِي
ضَمِّخِي من عبيرها وَنَدَاها
هَزَأَتْ بالجراحِ من مَخْلَبِ اللَّيْلِ
واحملي يا رياحُ، صوتي إلى الوا
وانسَمِي، بالغرامِ، يا نَسَمَةَ اللَّيْلِ
إِنَّ فِي حَوْمَةِ القَبِيلَةِ نَارًا
رَقَصَتْ حولها الصبَايا وَغَنَّتْ
صوتُ إفريقيّا ووحْيُ صباها
باسمِها الخالدِ امتَشَقْتُ حُسَامِي
وشربتُ الحَمِيمَ من كُلِّ شَمْسٍ
وقهرتُ الحَيَاةَ حَتَّى كَأَنِّي
يا عَذَارَى القَبِيلِ أَنْتَنَ لِلْمَجـ

رَشْفَةً مِنْ عَيُونِكُنَّ النَّجْلِ	حَسْبُ رُوحِي الظَّامِي وَحَسْبُ جِرَاحِي
بِمَعَانِي الْحَيَاةِ كَمْ أَوْمَاتٌ لِي	وَابْتِسَامَاتِكُنَّ فَوْقَ شِفَاهِي
وَأُنَاغِي عَلَى ذِرَاعِي طِفْلِي	حِينَ أَلْقَى زَوْجِي عَلَى بَابِ كُوخِي
صَارَمِي فِي سَنَا الصَّبَاحِ الْمُطَلِّ	وَأَنَا مُ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ لِأَجْلُو

حُلْمُ لَيْلَةٍ

إِذَا ارْتَقَى الْبَدْرُ صَفْحَةَ النَّهْرِ
وَضَمَّنَا فِيهِ زَوْرَقُ يَجْرِي
وَدَاعِبَتْ نَسْمَةً مِنَ الْعِطْرِ
عَلَى مُحْيَاكِ خِصْلَةِ الشَّعْرِ
حَسَوْتُهَا قَبْلَةً مِنَ الْجَمْرِ
جُنَّ جُنُونِي لَهَا وَمَا أَذْرِي
أَيَّ مَعَانِي الْفِتُونِ وَالسُّحْرِ
ثَغْرُكَ أَوْحَى بِهَا إِلَى ثَغْرِي!
حُلْمُ مَسَاءٍ أَتَاحَهُ دَهْرِي
غَرَّدَ فِيهِ الْحَبِيسُ فِي صَدْرِي

* * *

فَنَوَّلِينِي فَلَيْسَ فِي الْعَمْرِ
سِوَى لَيَالِ الْغَرَامِ وَالشَّعْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ النَّذِيرَ فِي الْإِثْرِ
تَطْلُقُ كَفَّاهُ طَائِرَ الْفَجْرِ
فَقَرَّبِي الْكَأْسَ، وَاسْكُبِي خَمْرِي!

إِلَى رَاقِصَةٍ

ويتركُ كلَّ فتًى شاعِراً
لَقِيْتُ بها القَدْرُضَ السَّاخِراً
وناديتُ ماضِيَّ والحاضِراً
أُحْيِي الخَمِيلَةَ والطائِراً
فقلتُ: أَرَى حُلُمًا عَابِراً
أهيمُ بأرجائها حائِراً
وبتُ لكَرَمَتِهَا عاصِراً
يَدًا بَرَّةً وفمًا طاهرًا
أَجَدْتُ لِي المَرَحَ الغابِراً
وأحييتُ لشعري به سامِراً
وكنْتُ لها الوَافِي الذاكِراً
وَحَلَلْتُهُ محتدِماً ثائِراً
وعَلَّقَ بالناظِرِ الناظِراً
ولفَّ بها خصرَكَ الضامِراً
وعادَ بِكَرَّتِهِ حاسِراً
على قدمَيْكَ الصَّدَى الساجِراً
أرى الفنَّ أَمْ رُوحَهُ القاهرًا؟
ومَثَّلَ فيكَ الصَّبَا الناضِراً!!!

بعينيكِ ما يُلْهُمُ الخاطِرا
فيا فتنَةً من وراءِ البحارِ
دَعْتَنِي، فَجَمَعْتُ قلبي لها
وأقبلْتُ في موكِبِ الذكرياتِ
وساءَ لني القلبُ، ماذا تَرى؟
أرى جَنَّةً، وأراني بها
مَلَأْتُ بِتَفَّاحِهَا راحتيَّ
وَذُقْتُ الحَنَانَ بها والرِّضا
فيا ليلةً لم تَكُنْ في الخيالِ
أَفَاءَتْ على النيلِ سحرَ الحياةِ
نَسِيتُ لِياليَّ من قبلِهَا
سَلِيَّ من أثارتُ بقلبي الفتونَ
برَبِّكَ! من أَلَفَ الأصغرَيْنِ
إذا أَطْلَقَ الضَّوْءَ أَطْيَافَهُ
وطَوَّقَ نَحْرَكَ لَحْظَ العيونِ
وَوَقَّعْتَ من خَفَقَاتِ القلوبِ
وَحَدَّثَ كُلُّ فَتًى نَفْسَهُ:
تَمَثَّلَتْ طيفَ إنسانَةٍ

فِي الشَّتَاءِ

رُبَّ ذَكَرَى تَعِيدُ لِي طَرَبِي
كَيْفَ هَذَا الْحَيَاءُ لَمْ يَذِبِ
ثَائِرٍ فِي الضُّلُوعِ مُضْطَرِبِ
ثَابٍ مِنْ ثَوْرَةٍ وَمِنْ صَحْبِ
خَصَلَاتٍ مِنْ شَعْرِكَ الذَّهَبِيِّ
مُورِدِي مِنْكَ مَوْرِدَ الْعَطَبِ
تَحْفَلِي إِنْ هَمَمْتَ بِالْكَذِبِ
لِلتَّمَنِّي حَنِينُ مُغْتَرِبِ
أَسْفِي نَافِعٌ وَلَا عَجَبِي
أَنْ أَطَلَ الشَّتَاءُ بِالسُّحُبِ
ضِيقُ سُنْدُسِيَّةِ الْعُشْبِ
وُخْفُوقِ الشُّرَاعِ عَنْ كُتُبِ
سَالَ فَوْقَ الرَّمَالِ كَاللَّهَبِ
غَادَةُ مِنْ مَضَارِبِ الْعَرَبِ

ذَكَّرِينِي فَقَدْ نَسِيتُ، وَيَا
وَارْفَعِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ أَرَى
وَاسْنَدِي رَأْسَكَ الصَّغِيرَ إِلَى
ذَلِكَ الطِّفْلِ، هَذِهِدِيهِ فَمَا
وَامْنَحِي عَيْنِي النُّعَاسَ عَلَى
ظَمْئِي قَاتِلِي، فَمَا حَذَّرِي
تَرْثَرِي، وَاصْنَعِي الدَّمُوعَ وَلَا
بِي نَزْوَعُ إِلَى الْخِيَالِ وَبِي
وَاعْجَبِي مِنْكَ، إِنْ نَسِيتِ، وَمَا
لَمْ أَزَلْ أَرْقُبُ السَّمَاءَ إِلَى
مَوْعِدُنَا كَانَ فِي أَصَائِلِهِ
نَرَقِبُ النِّيلَ تَحْتَ زَوْرَقِنَا
وِظِلَالِ النِّخِيلِ فِي شَفَقِ
كَأَسْنَا مَتَرَعٌ وَلَيْلَتُنَا

* * *

نظراتِ الغريبِ، واقتربي!
فيهما رُوحُ ذَلِكَ الْحَبَبِ

ويك! لا تنظري إلى قَدَحِي
شفتاكِ النَّدِيَّتَانِ بِهِ

ديوان علي محمود طه

شَهِدَ الْمُنْتَشِي بِخَمْرِهِمَا أَنَّ هَذَا الرَّحِيقَ مِنْ عِنَبِي!!

هي

«إلى التي علّمتني كيف أحب وكيف أكره.»

هي الكأس مشرقة في يديك،
نظرت إليها وباعدتها
أما ذقتها قبل هذا المساء
حلا طعمها يوم كنت الخلي،
سقيت بها من يدٍ لم تكن
سوى الريح تنفخ في جمرها
فماذا أراك في خمرها؟
كأنّ المنية في قطرها
وعربدت نشوان من سكرها؟
وكل الصباية في مرها
سوى الريح تنفخ في جمرها

* * *

تلّفت! فهذا خيالٌ التي
وغرفتُها لم تزل مثلما
وقفت بها ساهماً مطرقاً
مكانك فيها كما كان أمس،
وأثار دمعك فوق الوساد،
فهل دقت حقاً صفاء الحياة،
إذا فتّح الباب تحت الظلام
وكيف طوى خصرها ساعدك
وما هذه؟ رغبة في يدك؟
وما في جبينك، يا ابن الخيال؟
مرحت وغرّدت في وكرها
تنسّمت حُبك من عطرها
يحدّثك الليل عن سرها
وذلك مثواك في خدرها
وفوق المهذل من سترها
وذوب السعادة في ثغرها؟
فكيف ارتماؤك في صدرها؟
ومرت يداك على شعرها؟
أم الكأس ترجف من ذكرها؟
سماتٌ تحدّث عن غدرها!!

* * *

لقد دنَّسَ الجَسَدُ الأَدْمِيَّ	حياةً حَرَصْتَ على طُهرِها
بكى الفنُّ فيكَ على شاعرٍ	تسائلُهُ الروحُ عن نَأْرِها
نزلتَ بها وَهْدَةً كم خَباً	شُعاعٌ وَغُيَّبٌ في قَبْرِها
رفعتَ تماثيلَكَ الرائعاتِ	وحَطَّمْتَهُنَّ على صَخْرِها

* * *

فَدَعْ زهرةَ الأرضِ يا ابنَ السماءِ،	فَأَنْتَ المَبْرَأُ من شرِّها
مراحُكَ في السُّحُبِ العالِيَّاتِ	وفوقَ المَنَوَّرِ من زُهرِها
فَمَدَّ جَنَاحَيْكَ فوقَ الحياةِ،	وأَطْلَقَ نَشِيدَكَ في فَجْرِها

بُحَيْرَةُ كُومُو

هَيَّيْ الكَأْسَ وَالْوَتَرَ
وَاصدحي، يا خواطري
وَدَنْتُ جَنَّةَ الْمُنَى
قَدْ بُعِثْنَا بِهَا عَلَى
فِي مَسَاءٍ كَأَنَّهُ
الْبَحِيرَاتُ وَالْجَبَا
وَتَنَقَّبْنَ بِالْغَمَا
«وَالْبَروناتُ» غَادَةٌ
نُثِرَتْ فَوْقَهَا الدِّيا
وَعَبَرْنَا رَحَابَهَا
هَّاكْهَا قُبْلَةً، فَمَنْ
فَسْمُونَا لَخْدِرَهَا
فِي زَجَاجٍ مُحَلَّقٍ
يَتَخَطَّى بِنَا الْفَضَا
سَلَّمَ يُشَبِّهُ الصَّرَا
فِإِلَى النُّجْمِ مُرْتَقَى
وَحَلَلْنَا بِقِمَّةِ
بَهَجٍ فِي كُنُوزِهَا

تلك «كومو» مَدَى النَّظَرِ
طُويْتُ شُقَّةَ السَّفَرِ
وَحَلَا عِنْدَهَا الْمَقَرُ
مَوْعِدٌ غَيْرُ مُنْتَظَرٍ
حُلُمُ الشَّيْخِ بِالصُّغَرِ
لُ تَوْشَحْنَ بِالشَّجَرِ
مِ وَأَسْفَرْنَ بِالْقَمَرِ
لَبَسَتْ حُلَّةَ السَّهَرِ
رُ كَمَا يُنْثَرُ الزَّهَرُ
فَأَشَارَتْ لِمَنْ عَبَرُ
رَامَ فَلْيَرْكَبِ الْخَطَرَ
زُمرًا تَلُوهَا زُمرُ
لَا دِخَانَ وَلَا شَرَرَ
ءَ عَلَى السُّنْدُسِ النَّضِرِ
طَ تَسَامَى عَلَى الْبَصَرِ
وَإِلَى السُّحُبِ مَنْحَدِرِ
دُونَهَا قِمَّةُ الْفِكْرِ
لِلْمَحْبِّينَ مُدْخَرِ

أَمْ قَصُورٌ مِنَ الدُّرَرِ؟	بَابِلُ؟ أَمْ بَحِيرَةٌ؟
ةً تَمَثَّلْنَ لِلْبَشَرِ؟	أَمْ رُؤَى الْخَلْدِ فِي الْحَيَا
وَحْنِيْنَا إِلَى الْبُكَرِ	حَبْذَا أُمْسِيَاتُهَا
تَهَيَّأْنَ لِلْسَّفَرِ	وَنَزَوْعًا إِلَى السَّفِينِ
وَهَلَّلْنَ لِلْسَّمَرِ	نَسِيَتْ شُغْلَهَا الْقُلُوبُ
زَهْرَةُ الصَّيْفِ لِلْمَطَرِ	أَوْجُهُ مِثْلَمَا رَنَتْ
هَلَالِيَّةُ الطُّرَرِ	أَضْحِيَانِيَّةُ السَّمَاتِ
بِ وَيَنْدِينَ بِالْخَفَرِ	يَتَوَهَّجْنَ بِالشَّبَا
وَتُعْطِي لَهُ الْعُمُرَ	طَلْعَةٌ تُسَعِدُ الشَّقِيَّ
ءُ وَتُبْقِي، وَلَا تَذُرُ	تَمْنَحُ الْحِظَّ مِنْ تَشَا
ءُ إِلَى هَذِهِ الصُّورِ	إِنَّمَا تَنْظُرُ السَّمَا
مُبْدِعًا، مُعْجَزَ الْأَثَرِ	لَتَرَى اللَّهَ خَالِقًا

عَنْهَا كُلَّ مَبْتَكَرِ	شَاعَرَ النَّيْلِ طُفَّ بِهَا
فِي التَّفَاهَاتِ وَالْهَذَرِ	الْثَلَاثُونَ قَدْ مَضَتْ
سَمَ لَايَامِكَ الْأُخَرِ	فَتَزَوَّدَ مِنَ النِّعِي
قَاهِرِيَّاتُهُ الْغُرَرِ؟	أَيْنَ وَادِي النِّخِيلِ، أَمْ
فَهُنَا أَوْرَقَ الْحَجَرِ!!	لَا تَقُلْ: أَخْصَبَ الثَّرَى
دُ وَيُوجِي لِمَنْ شَعَرَ!!	هَاهُنَا يَشْعُرُ الْجَمَا
نَزَلُوا شَاطِئَ النَّهْرِ	أَهٍ لَوْ لَا أَحَبَّةُ
وَكَرِيمٍ مِنَ السَّيْرِ	وَرَفَاتٍ مُطَهَّرُ
لِي فِي هَذِهِ الْحُجَرِ	لَتَمْنِيَتْ شُرْفَةً
غَيْرَ وَإِنْ عَنِ النَّظَرِ	أَقْطَعُ الْعُمَرَ عِنْدَهَا
وَلَقَدْ عَاشَ مِنْ ظَفَرِ	فَلَقَدْ فَازَ مِنْ رَأَى

يَا ابْنَةَ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ	يَا ابْنَةَ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ
-----------------------------------	-----------------------------------

نَفْحَةُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرُ	فِي دَمِي مِنْ تَرَائِيهِ
وَمَعَانٍ لِمَنْ فَخَرُ	وَأَغَانٍ لِمَنْ شَدَا
إِنَّ فِي عَيْنِكَ الْخَبْرُ	مَا تُسَرِّينَ؟ أَفْصِحِي!
لَيْسَ يُجْدِيهِمَا الْحَذَرُ	الْغَرِيبَانِ هَا هُنَا
نِ وَجَسْمَانِ مِنْ سَقَرُ	نَحْنُ رُوحَانِ عَاصِفَا
وَاعْذِرِي الْجِسْمَ إِنْ ثَأْرُ!	فَاعْذِرِي الرُّوحَ إِنْ طَغَى
وَهَوَى الْكَاسِ وَانْكَسَرُ	نَضَبْتُ خَمْرُ بَابِلِ
يَ فَطَوْبَى لِمَنْ عَصَرُ	وَهُنَا كَرْمَةُ الْخَلُو
يَسْتَكِي الظَّامِيُّ الصَّدْرُ؟	فِيمَ، وَالنَّبْعُ دَافِقُ،
نُ تَغْمَرُنَ بِالْحَوَرُ؟	وَلِمَنْ هَذِهِ الْعِيُو
لَعِبَ الطِّفْلِ بِالْأَكْرُ	بَتْنٍ يَلْعَبْنَ بِالنُّهَى
عِ وَأَخْفَى مِنْ الْقَدْرُ	هَنْ أَصْفَى مِنَ الشُّعَا
وَتُبَّةَ الطَّيْرِ فِي السَّحَرُ؟	وَلِمَنْ تَوْشِكُ التُّدَى
هَمَّ بِالصَّدْرِ وَابْتَدَرُ	كُلُّ إِلْفٍ لِإِلْفِهِ
وَطَاةَ الْخَزْ وَالْوَبَرُ	عَضَّ فِي الثَّوْبِ وَاشْتَكَى
بِ فِي قَيْدِهِ نَقَرُ	سِمَةً الطَّائِرِ الْمَعْدُ
سَمُ وَاسْتَرْسَلَ الشَّعْرُ؟	وَلِمَنْ رَفَّتِ الْمَبَا
كَيْفَ لَا نَقْطِفُ الثَّمَرُ	ثَمْرُ نَاضِجُ الْجَنَى
أَوْ غَوَى فِيهِ أَوْ عَثَرُ!	مَا أَبَى الْخَلْدَ آدَمُ
وَتُرِي اللَّهَ مِنْ كَفَرُ!	زَلَّةٌ تَوَرَّثَ الْحَجَى
مُصَفَّى مِنَ الْكَدَرُ	كَأَسْنَا ضَاحِكُ الْحَبَابِ،

* * *

هَ عَلَى رَنَّةِ الْوَتَرُ	فَاسْكِبِي الْخَمْرَ وَارْشَفِي
هَ عَلَى نَعْمَةِ الْمَطَرُ	وَإِذَا شَتَّتْ فَاسْقِنِي
بُ وَتَبْقَى لَنَا الذُّكْرُ!	فَعِدَا يَذْهَبُ الشَّبَا

أَفْرَاحُ الْوَادِي

عيدُ التَّوْجِيعِ

هَلْ طَافَ بِالصَّحَرَاءِ مِنْهُمْ مُلَهُمْ؟
وَجَلَا النُّبُوءَةُ بَرْقُهَا الْمَتَكَلَّمُ؟
وَتَقَابَلْتُ أَنْظَارَهُمْ فَتَبَسَّمُوا
بِبَشَائِرِ الْغَيْبِ الْمَحْجَبِ أَعْلَمُ
نَبَأُ تَقَرُّ بِهِ الشُّعُوبُ وَتَنْعَمُ
أَثَرُ مِنَ الْوَحْيِ الْقَدِيمِ وَمَعْلَمُ
فَدْلِيلُكُمْ قَبَسُ الْخُلُودِ الْمُضْرَمُ
وَالصَّوْلَجَانُ، وَتَاجُهَا الْمَتَوَسَّمُ
نُورٌ عَلَى إِصْبَاحِهَا مُتَقَدِّمُ
وَجْهٌ تَبَارَكُهُ السَّمَاءُ وَتَرَامُ
مَلَكٌ يُفَكِّرُ أَوْ نَبِيٌّ يُلْهِمُ
أَنْفَاسَ رَوْضٍ بِالْعَشْيَةِ يَنْسَمُ
وَالنَّهْرُ، وَالْجَبَلُ الْعَرِيضُ الْإِيْهَمُ
فِيهِ شَبَابٌ مَلُوكَهَا يَتَبَسَّمُ
وَتَلَفَّتْ أُمُّ وَدَارَتْ أَنْجُمُ

مَا بِالرُّعَاةِ! أَثَارَهُمْ فَتَرَنَّمُوا؟
أَمْ ضَوَّاتُ سَيْنَاءٍ فِي غَسَقِ الدُّجَى
نَظَرُوا خِلَالَ سَمَائِهَا وَتَأَمَّلُوا
إِيَّاهُ فِلَاسْفَةَ الزَّمَانِ فَأَنْتَمُ
هَذَا النِّشِيدُ الْأَسْيَوِيُّ مَعَادُهُ
وَطَرِيقُكُمْ مِصْرُ، وَإِنَّ طَرِيقَهَا
أَلَّا يَكُونَ الْفَجْرُ هَدْيَ خُطَاكُمْ
هُوَ سَحَرُ مِصْرَ، وَعَرْشُهَا، وَلَوْأُهَا
وَجَبِينُ صَاحِبِهَا الْعَزِيزِ وَإِنَّهُ
أَوْفَى عَلَى الْوَادِي بِضَاحِكِ ثَغْرِهِ
مُسْتَرْسِلُ النَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّمَا الْأَمَالُ عَبَّرَ طَرِيقَهُ
يَتَنَظَّرُ الْحَقْلُ الْمَنُورُ خُطْوَهُ
فَكَأَنَّ رُوحًا عَائِدًا مِنْ «طَيْبَةِ»
هَتَفَ الْبَشِيرُ بِهِ فَمَا جَتِ أَعْصَرُ

مِصْرُ، وَهَذَا حُبُّهَا الْمَتَجَسِّمُ
لِمَنْ النُّسُورُ عَلَى السَّحَابِ تُحَوِّمُ
أَوَمْتُ عَصَا مُوسَى فَشُقَّ الْعَيْلَمُ
كَأْسُ تُصَفَّقُ أَوْ رَحِيقُ يُسْجَمُ
شَيْخٌ يُذَكِّرُ بِالشَّبَابِ وَيَحْلُمُ
أَشْجَى مِنَ الْوَتْرِ الْحَنُونِ وَأَرْحَمُ
تَغْزُو بِوَارِقِهَا النُّجُومُ وَتَزْحَمُ
وَلِمَنْ شَفَاهُ بِالْدَعَاءِ تُتَمِّتُ
فَالْيَوْمَ قَدْ وَضَحَ الْحَنِينُ الْمُبْهَمُ
خَمْرًا أَعْلَى بِهَا وَلَا أَتَأْتُمُ
إِنِّي إِذَنْ غَرِيدُكَ الْمَتَرْنَمُ
جَيْدُ الْبَحَارِ بِمِثْلِهَا وَالْمَعْصَمُ
رَكْبُ لِفَارُوقِ الْعَظِيمِ وَمَقْدِيمُ
قَدْ عَادَ قَيْصَرُكَ الرَّشِيدُ الْمُسْلِمُ
وَصَفٌّ وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهُ تَوْهَمُ
لِلشَّرْقِ عِيدٌ وَالْكَنَانَةُ مَوْسَمُ
يُصْغِي إِلَيْهِ وَيَشْرَبُ الْمَرْقَمُ
لِشَّبَابِ شَعْبٍ خَالِدٍ لَا يَهْرَمُ
وَيَسُودُ بِاسْمِكَ فِي الْحَيَاةِ وَيَحْكُمُ
إِنَّ الشَّبَابَ تَوَثَّبُ وَتَقَحُّمُ
مِنْهُ مَضَاءٌ كَالْحَسَامِ مُصَمَّمُ
«شَمَشُونَ» فِي جَلْقِ الْحَدِيدِ يَحْطُمُ
أُمٌّ وَرَاءَ تَخْوِمِهِ تَتَأَجَّمُ
تَبْنِي الْمَوَاهِبُ، وَالْخَلَائِقُ تَدْعُمُ
وَيُثِيرُ مَرَّتَهُ الْخِيَالُ فَيَعْرُمُ
إِنَّ الْخِيَالُ إِلَى الْحَقِيقَةِ سُلَّمُ

هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ
لِمَنْ الْبَنُودُ عَلَى الْعُبَابِ خَوَافِقَا
لِمَنْ الْمَوَاكِبُ مَائِجَاتٍ مِثْلَمَا
وَلِمَ الصَّبَاحُ كَأَنَّمَا أُنْدَاؤُهُ
وَلِمَ اخْتِلَاجُ النِّيلِ فِيهِ كَأَنَّهُ
وَلِمَنْ هَتَافٌ بِالضُّفَافِ مُرَدَّدُ
وَلِمَنْ عَوَاصِمُ مِصْرَ حَالِيَةِ الذُّرَا
وَلِمَ احْتِشَادُ سِرَائِرِي وَخَوَاطِرِي
إِسْكَندَرِيَّةً، قَدْ شَهِدْتُ فَحْدَثِي
هَاتِي املئي كَأْسِي وَغَنِّي وَاعْصِرِي
إِنْ كُنْتُ أَفَقَ الْمَلْهَمِينَ وَأَيَّكُهُمُ
يَا دُرَّةَ الْبَحْرِ الَّتِي لَمْ يَتَّسِمُ
جَدَّدَتْ أَعْرَاسَ الزَّمَانِ وَزَانِهَا
مَا عَادَ جَبَّارُ الشُّعُوبِ وَإِنَّمَا
فِي مَهْرَجَانٍ لَمْ يُحِطْ بِجَلَالِهِ
يَوْمُ الشَّبَابِ وَلَا مِرَاءُ وَإِنَّهُ
قَدْ فَتَحَ التَّارِيخُ فِيهِ كِتَابَهُ
مَوْلَايَ، أُمِّلِ عَلَيْهِ أَوَّلَ آيَةٍ
هُوَ مِنْ شَبَابِكَ يَسْتَمِدُّ رَجَاءَهُ
فَابْعَثْهُ جَيْلًا وَاثِبًا مُتَقَحِّمًا
هَازِ الْفَتَى الْأُمُويَّ تَحْتَ إِهَابِهِ
فَمَشَى يَطْوُحُ بِالْعُرُوشِ كَأَنَّهُ
دُونَ الثَّلَاثِينَ اسْتُثِيرَ فَأَجْفَلْتُ
وَالْمَجْدُ مَوْهَبَةُ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا
وَيَضِيقُ بِالشَّعْبِ الطَّمُوحِ يَقِينُهُ
قَوْتُ الشُّعُوبِ وَرِيئُهَا أَحْلَامُهَا

كَالْحَقِّ مَعْقِدُهُ هُدًى وَتَبَسُّمُ
كَنْزٍ وَلَمْ يَحِرْزْ حُلَاهُ مِنْجَمُ
عَرْشٍ أَعَزُّ مِنَ الْجِبَالِ وَأَضْحَمُ
طَافَ الرَّحِيقُ الْبَابِلِيُّ عَلَيْهِمْ
أَمَلٌ يَجِلُّ عَنِ الْهَتَافِ وَيَعْظُمُ
بَكَ بَعْدَ رَبِّكَ فِي الْعِظَائِمِ يُقَسِّمُ
لِجَدْوِكَ الصِّيدِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
مُهْجٌ يَكَادُ خَفَوُهَا يَتَكَلَّمُ
لَحْنٌ عَلَى أَوْتَارِهِنَّ يُنْغَمُ
وَتَنْصَتُ الْعَصْفُورُ وَهُوَ يُهَيِّنُ
تَأْوِيلُ «يُوسُفَ» فَهِيَ خُضْرُ تَنْجُمُ
زِدْ رَوْعَتِي مِمَّا يَهْزُ وَيُفْعِمُ
شَعْبٌ لَغِيرِ خُطَاكَ لَا يَتَرَسَّمُ
فِي الدَّهْرِ عُرْوَتِهِ الَّتِي لَا تُفْصَمُ

يَا عَاقِدَ التَّاجِ الْوُضِيِّ بِمَفْرِقِ
أَعْظَمُ بَتَاجِكَ جَوْهَرًا لَمْ يَحْوِهِ
مِيرَاثُ أَوَّلِ مَالِكِينَ سَمَا بِهِمْ
نُؤَابُ شَعْبِكَ حِينَمَا طَالَعَتْهُمْ
هَتَفُوا بِمَجْدِكَ وَاسْتَخَفَّ وَقَارَهُمْ
أَقْسَمْتَ بِالْأَدَسْتُورِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
بَرًّا بِوَالِدِكَ الْعَظِيمِ وَذِمَّةً
وَتَطَلَّعْتَ عَبْرَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
تُصْغِي لَصَوْتِكَ فِي السَّحَابِ وَرَجْعُهُ
خَشَعَتْ لَهُ النَّسَمَاتُ وَهِيَ هَوَازِجُ
وَصَغَتْ سَنَابِلُ مِثْلَمَا أَوْحَى لَهَا
يَا صَوْتَ مِصْرَ، وَيَا صَدَى أَحْلَامِهَا
أَلْقَى الْمَقَادَةَ فِي يَدَيْكَ وَدِيْعَةً
فَتَلَقَّ تَاجَكَ مِنْ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ

وَلِيَعْرِضَ الْجَيْشَ الْكَمِّيَّ الْمَعْلَمُ
سَيْفًا يُقَبِّلُ أَوْ لَوَاءً يُلْتَمُ
وَضَعُوا السِّیُوفَ عَلَى الصُّدُورِ وَأَقْسَمُوا
وَكَأَنَّكَ الرُّوحُ الشَّقِيقُ التَّوَامُ
إِنَّ الشُّعُوبَ بِمِثْلِ جَيْشِكَ تُكْرَمُ
سَيْلٌ إِذَا لَمَعَ الْحَدِيدُ وَقَشَعُمُ
تَرَوِي؟ أَمْ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَزَمَزَمُ؟
السَّيْفُ خَطَّ سَطُورَهَا وَاللَّهْذَمُ؟
وَالنَّارُ حَوْلَ سَفِينِهِ تَتَهَزَّمُ؟
لَمْ يَعْلُ «نَافَارِينَ» هَذَا الْمِيسَمُ
بُؤْسَى تَمَرُّ عَلَى الشُّعُوبِ وَأَنْعُمُ
يَرْمِي سَطَاهَا الْمُسْتَخَفَّ فَيُحْجَمُ

فَلِيَهْنَأَ الْمَلِكُ الْهُمَامُ بَعِيدِهِ
مَوْلَايَ، جَنْدَكَ مَاثِلُونَ فَأُولِهِمْ
لَمَّا رَأَوْكَ عَلَى جَوَادِكَ قَائِمًا
وَكَأَنَّ «إِبْرَاهِيمَ» طَيْفُكَ مَاثِلًا
يَا قَائِدَ الْجَيْشِ الْمَظْفَرِ تَهْ بِهِ
الْأَرْضُ تَعْرِفُهُ وَتَشْهَدُ أَنَّهُ
طُورُوسٌ أَمْ عِگَاءٌ عَنْ أَمْجَادِهِ
أَمْ حَوْمَةُ السُّودَانِ، وَهِيَ صَحِيفَةٌ
أَمْ «مُورَةُ» الشَّمَاءِ يَوْمَ أَبَاحَهَا
لَوْلَا قِرَاصِنَةٌ عَلَيْهِ تَآمَرُوا
فَاغْفِرْ لِمَا صَنَعَ الزَّمَانُ، فَإِنَّهَا
وَانْفَخَ بِهِ مِنْ بَاسِ رَوْحِكَ سَوْرَةٌ

فَالرَّفَقُ مِنْ نُبْلِ النُّفُوسِ وَرُبَّمَا
إِنَّا لَفِي زَمَنِ حَدِيثٍ دُعَاتِهِ
وَوَرَاءَ كُلِّ سَحَابَةٍ فِي أَفْقِهِ
يُلْحَى النُّبِيلُ بِفَعْلِهِ وَيُدَمَّمُ
نُسْكَ، وَلَكِنَّ السِّيَاسَةَ تَأْتُمُ
جَيْشٌ مِنَ الْمُتَاهِبِينَ عَرَمَرَمُ

* * *

قَالُوا: فَتَى عَشَقَ الطَّبِيعَةَ وَاغْتَدَى
وَطَوَى الْبَحَارَ عَلَى شَرَاخِ خِيَالِهِ
أَنَا مِنْ زَعَمْتُمْ، غَيْرَ أَنِّي شَاعِرٌ
إِنِّي بَنَيْتُ عَلَى الْقَدِيمِ جَدِيدَهُ
الشَّعْرُ عِنْدِي نَشْوَةٌ عُلوِيَّةٌ
وَلِحُونٌ سَلْمٍ أَوْ مَلَاخِمٌ غَارَةٌ
أَرْسَلْتُهُ يَوْمَ النَّدَاءِ فَخَلَّتْهُ
وَدَعَاهُ عَرْشُكَ، فَاسْتَهَلَّ خَوَاطِرًا
وَرَفَعْتُ رَأْسِي لِلسَّمَاءِ وَخَلَّتْنِي
فَاقْبَلْ نَشِيدِي إِنَّ عَطْفَتَ فَإِنَّهُ
وَسَلِمْتَ يَا مُوَلَايَ لِلْوَطَنِ الَّذِي
بَغَرَائِبِ الْأَشْعَارِ وَهُوَ مُتَيَّمٌ
يَرْتَادُ عَالِيَةَ الذُّرَا وَيُؤَمِّمُ
أَرْضَى الْبَيَانَ بِمَا يَصُوغُ وَيَرْسُمُ
وَرَفَعْتُ مِنْ بَنِيَانِهِ مَا هَدَمُوا
وَشَعَاعُ كَأْسٍ لَمْ يَقْبَلْهَا فَمُ
غَنَى الْجِبَالَ بِهَا السَّحَابُ الْمَرْزُمُ
نَارًا وَخَلَّتْ الْأَرْضُ خَضْبَهَا الدَّمُ
فَأَتَيْتُ عَنْ خَطَرَاتِهِنَّ أَتْرِجِمُ
أَتَنَاوُلُ النُّجُومَ الْبَعِيدَ وَأَنْظِمُ
صَوْتُ الشَّبَابِ، وَرُوحُهُ الْمُتَضَرِّمُ
بِكَ يَسْتَظِلُّ، وَيَسْتَعِزُّ، وَيَسْلَمُ!

مهرجان الزفاف

ولك الولاء ولي بعرك موثق
هذا نشيدي في سماءك يخفق
مصر، ونور شبائك المتألق
والكون مُصغ والشعاع يُصَفّق
ولكل قلب صبوة وتشوق
يسري عليها للملائك زورق
بالزهر حوريّاته تتمنطق
سيناء من قبس النبوة تُشرق
أمل لمصر على يديك يُحقّق
وجنائها، وشعورها المتدفق
عيد يهنئ مصر فيه المشرق

سحر نطقت به وأنت المنطق
يا أفق إلهامي وحي خواطري
توجي إلي الشعر علويّ السنا
وشوارد هزّ النجوم رويها
في ليلة للنفس فيها هزة
رّيا الأديم كلجة مسجورة
غنى بها الشعر الطروب وأقبلت
وشدا الرعاة الملهمون كأنما
هي من طولعك الحسان، وإنه
مصر إذا سُئلت فأنت لسانها
فتلق فرحتها بعيدك إنه

* * *

بيضاء تُحيي المآثرات وتخلق
عين مفجرة، وغصن مورق
برهان ربك ساطعا يتألق
وتساءلوا بك مُجمعين وأحدقوا
لا سحر بعد اليوم، أنت مُصدق

مولاي هل لي أن أقبل راحة
مرّت على الوادي، فكل شعابه
وجلوتها للناظرين فأبصروا
لو ردّ فرعون وسحر دعاته
لقفت عصاك عصيهم فتصايحوا

تسمو بها آمالها وتخلق
تاجُ يُجمِّله بنورك مفروق
وأجلُّهنَّ دمُ الشباب المُمهرق
قلبي الطروب وجفني المغرورق
خلتُ الفضاء الرَّحْبَ فيه يَغرق
حرَّاسُ مصرَ الباسلونَ السُّبق
يَحْدُوهُ منْ آمالِ مصرَ فيلق
مُهَجًا يَحْوَطُكَ حُبُّها وَيُطَوِّقُ
وسيوْفُهُم منْ لَهْفَةٍ تَتَحَرِّقُ
حتى تكادَ بغيرِ كَفٍّ تُمَشِّقُ
يطأُ الجبالَ الشامخاتِ وَيَصْعُقُ
بك لاستجابَ وجاءَ باسمِكَ يَنْطُقُ
يَحْيَا المواتُ به، ويغنى المُمْلِقُ
عَدْلُ، وروحانيَّةٌ، وتَرْفُقُ
أسرى إليه بك الخيالَ الشَّيْقُ
عمرٌ تَحْفُ به القلوبُ وتَخْفُقُ
فَرَحٌ، وأنتَ لديه حانِ مطرُقُ
وجهٌ عليه من الطهارة رَوْنُقُ
في الشرقِ أوجُ حَضَارَةٍ لا يُلْحَقُ
بعدَ الألوهة ما يُحِبُّ وَيُعْشَقُ
شَيْمُ الملوكِ به أحقُّ وأخلقُ
وتَهُمُّ بالنظرِ العيونُ فَتُشْفِقُ
وخلاتُ العظماءِ حينَ تُرْفَقُ

يا باعثِ الروحَ الفتى بأمّة
أغلى الذخائر في كنوز فخارها
صاغته من آمالها ودمائها
إن أنس، لا ينس اليمين ويومه
وهتافٌ روحي في خضمِّ صاحبِ
القائد الأعلى، وتحت لوائه
طافوا بساحتك الكريمة فيلقا
وأنلتهم شرف المثل فقتلوا
وضعوا الأكف على الكتاب وأقسموا
أوما لها الماضي، فجئ حديدُها
ذكرت بك النصر المبين وفاتحاً
يا صنو إبراهيم، لو ناديتُ
لك مصر، والسودان، والنهر الذي
عرش قوائمه التقى، وظلاله
المسجد الأقصى يودُّ لو أنه
كم وقف لك في الصلاة كأنما
لما وقفت تَلَقَّتِ المحرابُ منْ
ويكاد من بهج يضيء سراجَه
أحييت سنّة مالكين سما بهم
فانين في حبِّ الإله، ولن ترى
طهر عصمت به الشباب وإنما
تغضي لرقتك النفوس مهابة
إن السيوف تُهاب وهي رقيقة

* * *

نبأ كصوت الوحي ساعة يُطلق
جَفْنَا، وهب نخلها يتأنق
صدّاحة، وسرائر تترقرق

ألقي البشير على المدائن والقرى
عبر الضفاف الحالمات فمسحت
فرح تَمَثَّلَ مصرَ فهي خواطر

مهرجانُ الزَّفَافِ

أَدْنَى لِقَلْبِكَ فِي الْحَيَاةِ وَالصَّقْ	الْيَوْمَ آمَنْتِ الرَعِيَّةَ أَنَّهَا
تَاجًا شَعَائِرُهُ الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ	أَثَرَتْهَا، فَحَبَبْتُكَ مِنْ إِثَارِهَا
كَفُّ تَشْيِيرُ لَه، وَعَيْنُ تَرْمُقُ	مَلِكَاتُ مَصْرِ الرَّائِعَاتُ، إِذَا بَدَا
وَمَنْ الطَّهَارَةُ مَا يَضُوعُ وَيَعْبُقُ	وَحَدِيثُ أَرْوَاحٍ يَضُوعُ عَبِيرُهُ
وَجَرَى بِئْمَنِكُمَا الرِّبْعُ الْمُونِقُ	يَا صَاحِبَي مَصْرٍ، أَظْلَكُكُمْ الرِّضَا
أَمَسَتْ خَنَاصِرُهَا عَلَيْهِ تَوَثَّقُ	وَفِدَاءُ عَرَشِكُمَا الْمُؤْتَلِ أُمَّةٌ

* * *

فَلَقَدْ يُثَابُ عَلَى الْكَلَامِ الصَّيْدُقُ	يَا شَمْسُ يَا أُمَّ الْحَيَاةِ! تَكَلَّمِي
هِيَ بِالْحَيَاةِ وَبِالسِّيَادَةِ أَخْلَقُ؟	أَأَعَزُّ مِنَّا تَحْتَ ضَوْئِكَ أُمَّةٌ
مَهْدُ الشَّمُوسِ وَعَرْشُهُنَّ الْمُعْرِقُ	إِنَّا بَنُوكِ، وَإِنْ سُئِلْتِ فَأَمَّنَا
هَذَا الشَّبَابُ الْعَبْقَرِيُّ الْمَشْرِقُ	عَرْشُ لِفَارُوقِ الْعَظِيمِ، يَزِينُهُ

أَمِيرَةُ الشَّرْقِ

نُظِمَت هذه القصيدة في العام الأول لميلاد صاحبة السمو الملكي الأميرة المحبوبة «فريال».

يا بَشِيرَ المُنَى، أَحْلُمُ شَبَابِ	مَرَّ بالنهر، أَمْ غَرَامُ جَدِيدُ؟
أَمْ شَدَا الأَنْبِيَاءُ بِالضُّفَّةِ الخُضْرَا	ء أَمْ قَامَ لِلْمَلَأِكِ عِيدُ؟
مَهْرَجَانُ، مِمَالِكُ الشَّرْقِ فِيهِ	دَعَوَاتُ، وَفَرَحَةٌ، وَنَشِيدُ
وَهَتَافُ بالشَّاطِئَيْنِ صَدَاهُ	تَتَنَاجَى بِهِ المُلُوكُ الصَّيْدُ:

* * *

إِسْلَمِي يَا أَمِيرَةَ الشَّرْقِ وَاحْكُمُ	مَلِكُ الشَّرْقِ، مَا يَشَاءُ الخُلُودُ
يَوْمَ نَادَتْكَ بِاسْمِكَ العَذْبُ «فَرِيَا	لُ»: أَبِي! هَلَّلَ الزَّمَانُ السَّعِيدُ
دُمتَ، أَيَّامُكَ الحَسَانُ شَبَابُ	وَلِيَالِيكَ كُلْهَنَ سُعودُ

سِيرَانَادَا مَصْرِيَّة

أَغْنِيَّة لِيَالِي النَّيْلِ

«للسيرانادا» ذِكرٌ مأثور في الموسيقى الإيطالية، وقد اشتهرت في الأدب الأوروبي وخلدتها قصص الحب، وهي عبارة عن أغانٍ ليلية يشدو بها العشاق على معازفهم تحت نوافذ معشوقاتهم....»

دنا الليلُ فهيَّ الآنَ يا ربَّةَ أحلامي
دعانا مَلَكُ الحُبِّ إلى محرابِه السامي
تعالَي، فالدُّجى وحي أناشيدٍ وأنغامٍ

* * *

سَرَتْ فرحتُه في الماءِ، والأشجارِ، والسُّحْبِ
تعالَي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي ليلة الحُبِّ

* * *

على النيلِ، وضوءُ القمرِ الوضاحِ كالطَّفْلِ
جرى في الضَّفَّةِ الخضراءِ خلفَ الماءِ والظِّلِّ
تعالَي مثلهُ نلهو بِلَثْمِ الوردِ والظِّلِّ

* * *

هناكَ على رَبِّا الوادي، لنا مَهْدٌ من العُشْبِ
يَلْفُ الصَّمْتُ رَوْحَيْنَا، ويشدو بُلْبُلُ الحُبِّ

* * *

يطوفُ بنا على شطٍّ من الأضواءِ مسحورِ
شِراعُ خافِقِ الظلِّ على بحرٍ من النورِ
تَنَاجِيهِ نجومُ الليلِ، نجوى الأعينِ الحُورِ

* * *

وأنتِ على فمي ويدي، خيالٌ خافِقُ القلبِ
تَعَالِي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحُبِّ

* * *

ليالي الصيفِ أحلامٌ، تراءَتْ للمحبِّينَا
تَغِيْبُ الخمرُ، والسَّاقِي، ويبقى سحرُها فينَا
وهذا كأسُها الوهاجُ صَدَّاحٌ بأيدينا

* * *

فهيّا نشرب الليلة، من نبع الهوى العذبِ
تَعَالِي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحُبِّ

الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ

صيف عام ١٩٣٤ على صخور المكس.

بحرٌ شدا صخرًا، وصفَّقَ ماءً
ويرفُّ أنفاسًا بهنَّ مساءً
شَتَّى الأشعَّةِ فيكِ والأنداءَ
عرَّافَةً، تستطلعُ الأنبياءَ
فنَّ الجمالِ السَّحرَ، والإغراءَ
صُورًا بريًّا صفحتيه تراءى
زادت بريشتيه السماءَ جَلَاءَ
شمسًا، ولا أزهى سنًا وضياءَ
بأغرَّ بدرًا، أو أرقَّ سماءَ
أفقًا أحمَّ ولجَّةَ حمراءَ
لهبًا، وفجَّرتِ الصخورَ دماءَ
طالعتُ، فيها الليلةَ القمرَاءَ
وسرَّتْ تجاذبُ للنسيمِ رداءَ
أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِسْمِعِهَا إصغاءَ
يشدو، فيبدعُ في النشيدِ غناءَ
فشجى الشواطئَ واستخفَّ الماءَ
في الأفقِ حيرى تتبَّعُ الأصداءَ

حَيَّاكِ أَرْضًا، وازدهاكِ سماءَ
يحبو شعابكِ في الضحى قُبَلَاتُهُ
متجدِّدَ الصَّبَوَاتِ أودعَ حبَّه
ولعُ بتخطيطِ الرمالِ كأنَّه
ومصوِّرٌ لبِقُ الخيالِ، يصوغُ من
نسقِ الشواطئِ زينةً وأدقَّها
يَجْلُو بريشتِهِ السماءَ، وإنَّمَا
لا الصبحُ أَوْضَحُ من مطالعه بها
كلَّا، ولا الليلِ المكوكبُ أفقُهُ
يا رَبِّ زاهيةِ الأصيلِ أحالها
وكانما طوبى السماءَ ونشَّرتُ
ولربَّ عاطرةِ النسيمِ، عليلةٍ
رقصتُ بها الأمواجُ تحت شُعاعِهَا
حتى إذا رانَ الكرى بجفونِهَا
تتسمَّعُ النوتى تحت شراعِهِ
هزَّتْ ليالي الصيفِ ساحرَ صوتهِ
وأثارَ أجنحةَ الطيورِ فحوَّمتُ

لك ذلك البحرُ الصَّنَاعُ رِواءَ
رجعَ الغريبِ إلى جَمَاهُ وفاءَ
مما أَجَنَ مُحِبَّةً ووفاءَ
فهو العَيِيُّ المَفْحِمُ الفُصْحَاءَ
كم من جَمَادٍ حَدَثَ الأحياءَ
وبَلا الأَحَبَّةَ فيكَ والأعداءَ
والهولُ يَمَلَأُ حَوْلَكَ الأرجاءَ
تطأُ السحابَ، وتهبُّ الدَّأْمَاءَ
بالنَّيْلِ مِنْهُمْ جَحْفَلًا، وَلِوَاءَ
وأطَارَ كُلَّ سَفِينَةٍ أَشْلَاءَ
ونضا الرجومَ، وجنَّدَ الأنواءَ
فرمى بها قَدْرًا، وردَّ قَضَاءَ
ما سَرَّ من أنبيائِهِنَّ، وساءَ
ومن الجديدِ تَعِلَّةٌ ورجاءَ
تهفو إليك بنا صباحَ مساءَ
وأشرَّتْ للصيفِ الوسيمِ، فجاءَ
ما شئتِ من مَرَحِ الحَيَاةِ، وشاءَ
طبعَ الخلودِ سَمَاتَهَا الغُرَاءَ
أصغى النسيمَ لها، وغضَّ حياءَ
للشَّعْرِ فيكَ خَمِيلَةً غَنَاءَ
لي فوق مائِكَ صَخْرَةً بيضاءَ
لَغَةً السَّمَاءِ، وَالْهَمِي الشعراءَ

صُورُ فِوَاتِنُ يَا شِوَاطِي صَاغَهَا
فَتَنْظَّرِيهِ عَلَى شَعَابِكَ مِثْلَمَا
كَمْ ظَلٌّ يَضْرِبُ فِي صَخُورِكَ مَوْجُهُ
عُذْرًا، إِذَا عَيَّتْ بِمَنْطِقَةِ اللُّغَى
فُخْذِي الْحَدِيثَ عَلَيْهِ وَاسْتَمْعِي لَهُ
وَسَلِيهِ، كَيْفَ طَوَى اللَّيَالِي سَاهِدًا
كَمْ لَيْلَةٌ لَكَ يَا شِوَاطِي خَاضَهَا
وَالسَّفُنُ مَرْهَفَةُ الْقَلَاعِ كَأَنَّمَا
حَمَلْتُ لِمَصْرَ الْفَاتِحِينَ وَطَوَّحْتُ
وَلَوْ اسْتَطَاعَ لَرَدَّ عَنْكَ بِلَاءَهُمْ
أَوْ كَانَ يَمْلِكُ قَدْرَةً حَشَدَ الدُّجَى
وَدَعَا غَوَارِبَهُ الْخَفَافَ فَأَقْبَلْتُ
فَاسْتَعْرَضِي سِيرَ الْحَيَاةِ وَرَدِّدِي
وَحْذِي لِيَوْمِكَ مِنْ قَدِيمِكَ أَهْبَةً
إِيَّاهُ شِوَاطِي مَصْرَ، وَالدُّنْيَا مُنَى
نَاجِيَتِ أَحْلَامَ الرِّبِيعِ، فَأَقْبَلْتُ
يَحْبُوكِ مِنْ صَفْوِ الزَّمَانِ وَأَنْسَاهُ
وَعَدًا تَضِيءُ عَلَى جَبِينِكَ لَمَحَةً
وَتَرْفُ مِنْهُ عَلَى تُغُورِكَ قَبْلَةً
فَاسْتَقْبَلِي الصَّيْفَ الْجَمِيلَ، وَهَيَّيْ
وَتَسْمَعِي لِحَنَ الْخِيَالِ، وَأَفْرِدِي
وَاسْتَعْرَضِي حَوْرَ الْجِنَانِ، وَأَطْلِقِي

خَيَالٌ

عشقنا الدُّمَى وعبدنا الصُّورَ
وَصُغْنَا لَكَ الشَّعْرَ، حُبَّ الصَّبَا
تَغَنَّنْتُ بِهِ الْقُبْلُ الْخَالِدَاتُ
وَجِئْنَا إِلَيْكَ بِمُلْكِ الْهَوَى
بِأَفْنِدَةٍ، مِثْلَمَا عَرَبِدْتُ
وَأَنْتَ بِأَفْقِكَ سَاجِي اللَّحَاطِ
دَنَوْتُ، فَقَلْنَا: رُؤَى الْحَالِمِينَ،
وَحَامَتُ عَلَيْكَ بِأَضْوَائِهَا
تَتَبَّعَنَ خَطُوكَ عَبْرَ الطَّرِيقِ
يُقْبِلُنَ مِنْ قَدَمِيكَ الْخُطَا

وهِمْنَا بِكُلِّ خَيَالٍ عَبْرَ
وَشَدَوُ الْأَمَانِي، وَشَجَوُ الذِّكْرِ
وَعَنَى بِإِيقَاعِهَا الْمَبْتَكِرَ
وَعَرِشِ الْقُلُوبِ، وَحَكَمَ الْقَدَرُ
يَدُ الرِّيحِ فِي وَرَقَاتِ الشَّجَرِ
تُطِلُّ عَلَى سُبُحَاتِ الْفِكْرِ
فَلَمَّا بَعُدْتُ أَتَهَمَّنَا النَّظَرُ
مَصَابِيحُ مِثْلَ عَيُونِ الزَّهَرِ
كَمَا يَتَحَرَّى الدَّلِيلُ الْأَثَرُ
كَمَا قَبَّلَ الْوِثْنِيُّ الْحَجَرَ

* * *

مَشَى الْحَسَنُ حَوْلَكَ فِي مَوْكِبٍ
تَمَثَّلَ صَدْرُكَ سُلْطَانَهُ
بِنَهْدِينَ، يَسْتَقْبِلَانِ السَّمَاءَ
تَسَامَيْتَ عَنْ لُغَةِ الْكَاتِبِينَ
سَوَى شَاعِرٍ فِي زَوَايَا الْحَيَاةِ
أَكْبَ عَلَى كَأْسِهِ، وَانْتَحَى

يَرِفُ عَلَيْهِ لَوَاءُ الظَّفَرِ
كَجَبَّارٍ وَادٍ تَحْدَى الْخَطَرِ
كَأَنَّهُمَا يُرْضِعَانِ الْقَمَرَ
وَرُوعَةَ كُلِّ قَصِيدِ خَطَرٍ
دَعَتْهُ مَبَاهِجُهَا فَاعْتَذَرَ
صَدَى اللَّيْلِ، فِي اللَّحْظَاتِ الْأُخْرِ

ديوان علي محمود طه

رنا حيث ترقُبُ أحلامُهُ خيالك في الموعدِ المنتظر!

التَّمَثَالُ

قصة الأمل الإنساني في أربعة فصول

الإنسان صانع الأمل، ينحت تمثاله من قلبه وروحه، ولا يزال عاكفًا عليه يُبدع في تصويره وصقله متخيلاً فيه الحياة ومرحها وجمالها، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجراً أصم، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح، وتُسعره السنون بالعجز والضعف فيفزع إلى معبد أحلامه هاتفاً بتمثاله، ولكن التمثال لا يتحرك، والحلم الجميل لا يتحقق، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد، وتعصف بالتمثال فيهوي حطاماً، وهنا يصرخ اليأس الإنساني ويمضي القدر في عمله.

أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَاتَّخَذْتُ طَرِيقِي	لَكَ، وَالنَّجْمُ مُؤْنِسِي، وَرَفِيقِي
وَتَوَارَى النَّهَارُ خَلْفَ سِتَارِ	شَفَقِيٍّ، مِنَ الْغَمَامِ رَفِيقِ
مَدَّ طَيْرُ الْمَسَاءِ فِيهِ جَنَاحًا	كَشْرَاعٍ فِي لُجَّةٍ مِنْ عَقِيقِ
هُوَ مِثْلِي، حَيْرَانٌ يَضْرِبُ فِي اللَّيْلِ	لِـ وَيَجْتَازُ كُلَّ وَادٍ سَحِيقِ
عَادَ مِنْ رَحْلَةِ الْحَيَاةِ كَمَا عُدَّ	تُ، وَكُلُّ لَوْكِرِهِ فِي طَرِيقِ!!
أَيُّ هَذَا التَّمَثَالُ هَانَذَا جِئْتُ	سْتُ لَأَلْقَاكَ فِي السَّكُونِ الْعَمِيقِ
حَامِلًا مِنْ غَرَائِبِ الْبَرِّ، وَالْبَحْرِ	بِرٍّ وَمِنْ كُلِّ مُحَدِّثٍ، وَعَرِيقِ
ذَاكَ صَيْدِي الَّذِي أَعُودُ بِهِ لِيـ	لَا وَأَمْضِي إِلَيْهِ عِنْدَ الشَّرُوقِ
جِئْتُ أَلْقِي بِهِ عَلَى قَدَمَيْكَ الْآ	نَ فِي لَهْفَةٍ الْغَرِيبِ الْمَشُوقِ

عاقداً منه حول رأسك تاجاً ووشاحاً، لقدك الممشوق!

ومثال من كل فن رشيق	صورة أنت من بدائع شتى
بي، ومن رونق الشباب الأنيق	بيدي هذه جبلتك، من قلـ
طرت في إثره أشق طريقي	كلما شمت بارقاً من جمال
عة عنه، ومن صفاء البريق	شهد النجم، كم أخذت من الرو
ه على مسمعك سكب الرحيق	شهد الطير، كم سكبت أغانيـ
وملأت الكئوس من إبريقي	شهد الكرم، كم عصرت جناـ
ر على معطف الربيع الوريق	شهد البر، ما تركت من الغا
جدير بمفرقيك، خليق	شهد البحر، لم أدع فيه من در
ئي لها كل ليلة وطروقي	ولقد حير الطبيعة إسرا
أسيوي، أو صائد إفريقي	واقتحامي الضحى عليها كراع
في أساطير شاعر إغريقي	أو إليه مجنح يتراءى

شبح لج في الخفاء الوثيق	قلت: لا تعجبي فما أنا إلا
حك في صورة الغد المرموق	أنا يا أم، صانع الأمل الضا
ويسمو لكل معنى دقيق	صغته صوغ خالق يعشق الفن
ني دبيب الحياة في مخلوقي!!	وتنظرتـه حياة، فأعيا
لست ألقاه في غد بالمفيع	كل يوم أقول: في الغد، لكن
وشكا القلب من عذاب وضيق	ضاع عمري، وما بلغت طريقي

رعدة الضوء في السراج الخفوق	معبدي! معبدي! دجا الليل إلا
قهقه الرعد لالتماع البروق	زأرت حولك العواصف لما
م ودقت بكل سيل دفوق	لطمت في الدجى نوافذك الصـ
سارب الماء كالشهيد الغريق	يا لتمثالي الجميل، احتواه

النَّمَثَالُ

لم أَعُدْ ذلك القويِّ، فأحميـه من الويلِ والبلاءِ المحيقِ
ليلتي! ليلتي جنيتِ من الآثا مِ حتّى حملتِ ما لم تطيقي
فاطربي واشربي صُبابَةً كأسِ خمرها سالَ من صميم عروقي!

* * *

مرَّ نورُ الضحى على آدميٍّ مُطرقٍ في اختلاجِ المصعوقِ
في يديه حُطامةُ الأملِ الذا هب في ميعة الصُّبا الموموقِ
واجماً أطبقَ الأسى شفتيه غيرَ صوتٍ عبرَ الحياة طليقِ
صاح بالشمس: لا يُرْعِكِ عذابِي فاسكبي النارَ في دمي، وأريقي
ناركِ المشتهاةُ أُنْدَى على القلبِ ب وأحنى من الفؤاد الشفيقِ
فخذي الجسمَ حَفَنَةً من رماذٍ وخذي الروحَ شُعْلَةً من حريقِ
جُنَّ قلبي فما يرى دَمَهُ القا ني على خنجرِ القضاءِ الرقيق!!

دُعَابَةٌ

ومجلس الشعرِ، والغناءِ	حلفتُ بالخمْرِ، والنساءِ
وسحرِ أيامها، الوضاءِ	ورحلةِ الصيفِ في أوروبا
ورأسِ مصرٍ إلى السماءِ	رفعتُ فيها لواءَ مصرٍ
ولم يحُلْ عنكمُ إخائي	لم أنسَكمُ قطُّ أصدقائي
وهانَ في حبكمُ فنائي	أحبكمُ فوق كلِّ حبٍّ

* * *

أربى هواهُ على الوفاءِ	فما تظنونَ في وفيٍّ
أو هيئمتُ نَسمةَ المساءِ	إذا احتواه الصعيدُ ليلاً
بالغيدِ في موسمِ الشتاءِ	وتاهت «الأقصر» اختيالاً
عرفتُ فيهنَّ أصدقائي	صدفتُ عنها إلى وجوهٍ
يجمعكم بي على التناهي	أنتم، وهل لي سوى خيالٍ
ظنونَ، واستمطروا ثنائي!	فانتظروني، ولا تظنوا الـ

تاييسُ الجَدِيْدَة

«ليلة أول أغسطس سنة ١٩٣٩ بمدينة زيوريخ على شاطئ بحيرتها إذ احتفل بعيد سويسرا الوطني الأكبر بين المواكب الصاخبة المرحّة وأنوار المشاعل والأسهم النارية وأضواء معرضها العظيم.»

لعبتُ برأسي نشوةَ الفرحِ!
بالرُّوحِ فيكِ صباغةَ القَدَحِ
الفجرُ؟ إنَّ الفجرَ لم يُلحِ!
أو فُجِّرَتْ من عرقٍ منذَبِحِ!
من كل ساهي اللحِظِ منسرحِ
يدنو إليَّ بصدرٍ منشَرَحِ
في قهقهاتِ الساخرِ الوقحِ
ومن الذهولِ طرائفُ المُلحِ
أعطافُ هذا الأغْيَدِ المَرِحِ؟
فجذبتُها بذراعٍ مجتَرَحِ
من أين مُغْتَبَقِي ومُصْطَبِحِي
كم للغناءِ لديَّ من مِنحِ
وعرضتُ، لم أنطقُ ولم أبحِ

روحي المقيمُ لديك؟ أم شَبَحِي؟
يا حانةَ الأرواحِ، ما صنعتُ
ما للسماءِ أديمُها لهَبُ؟
ولمَ البحيرةُ مثلما سُجِرَتْ
نارُ تطيرُ، وموكبُ صَخَبُ
لولا ابتسامةُ جارتِي، وفمُ
لحسبتُها «روما» تمورُ لظَى
زهوُ تملِّكني، فأذهلني
أنا الغريبُ هنا وملءُ يدي
خَفَقَتْ على وجهي غدائرها
لم أدر، وهي تُديرُ لي قدحي،
وشدا المغنِّي، فاحتشدتُ لها
عَرَضَتْ بفاكهةٍ محرَّمةٍ

يا رَبِّ، صُنْعُكَ كُلُّهُ فِتْنٌ
هَذِي الرَوَائِعُ، أَنْتَ خَالِقُهَا
«تاييسُ» لم تَعَبْتُ بَرَاهِبَهَا
ما بين أَسْرَارٍ مُغْلَقَةٍ
عرض الجمالُ له فأكْبَرَه
أَتَرَى معاقبتي على قَدَرٍ
أَيْنَ الْفِرَارِ، وَكَيْفَ مُطَّرِحِي!
ما بين مُنْجَرِدٍ وَمُتَّشِحٍ
لَكِنَّهُ أَشْفَى عَلَى الْبُرْحِ
وطروقِ بَابٍ غَيْرِ مَنْفَتِحِ
وَرَأَى فِيهِ فَجْئٌ مِنْ فَرَحٍ
لَوْلَاكَ لَمْ يُكْتَبْ وَلَمْ يُتَحِ؟!

* * *

إِنِّي عَبْدُكَ فِي جَنَى شَفَةِ
ولو اسْتَطَعْتُ، جَعَلْتُ مِسْبَحَتِي
وَيْدٍ، وَوَجْهٍ مُشْرِقِ الْوَضَحِ
ثَمَرَ النُّهْدِ، وَجَلَّ فِي السُّبْحِ

خمرة نهر الرّين

ليلة ٢٠ أغسطس مهداة إلى فتاة «برن».

كنزُ أحلامك، يا شاعرُ، في هذا المكانِ
سحرُ أنغامك طوّفَ بهاتيك المغاني
فجرُ أيامك رَفَّافٌ على هذي المجاني
أيُّها الشاعرُ، هذا الرّينُ، فاصدحْ بالأغاني
كلُّ حيٍّ وجمادٍ ها هُنَا
هاتفٌ، يدعو الحبيبَ المحسِنَا
يا أخا الرُّوحِ، دعا الشُّوقُ بنا
فاسقِنَا من خمرة الرّينِ، اسقِنَا

عالمُ الفتنة، يا شاعرُ؟ أم دنيا الخيالِ؟
أمروجٌ علَّقَتْ بين سحابٍ، وجبالِ؟
ضحكتُ بين قصورٍ كأساطيرِ الليالي
هذه الجنَّةُ، فانظرْ أيَّ سحرٍ وجمالِ!
يا حبيبَ الرُّوحِ يا حُلَمَ السَّنَا
هذه ساعَتُنَا، قم غنِّنا

سَكِرَ العشاقُ إِلَّا أننا ...

فاسقنا من خمرة الرّين، اسقنا

ليلةٌ فوق ضفافِ الرّينِ حُلِمَ الشعراءِ

أليالي الشرقِ يا شاعرُ؟ أم عرسُ السماءِ؟

الدُّجى سكرانُ، والأُنجمُ بعضُ الندماءِ

أنصتَ الغابُ، وأصغى النهرُ، من صخرٍ وماءٍ

فاسمعِ الآنَ البشيرَ المعلنِنا

حانتِ الليلةُ، والفجرُ دنا

فاملأ الأقداحَ من هذا الجنَى

واسقنا من خمرة الرّين، اسقنا

ها همُ العشاقُ قد هَبُّوا إلى الوادي خِفَافًا

أقبلوا كالضوءِ أطيافًا وأحلامًا لَطَافًا

ملئوا الشاطئَ همسًا والبساتينَ هُتَافًا

أيُّها الشاعرُ! هذا الرّينُ! فاستوحِ الضُّفافَ

الصَّبَا، والحسنُ، والحبُّ هنا

يا حبيبي هذه الدنيا لنا

فاملأ الكأسَ على شِدْوِ المنى

واسقنا من خمرة الرّين، اسقنا!

يا ابنةَ «الآر» حديثُ الأمسِ ما أعذبَ ذكره

كان حُلْمًا أن نرى الرّينَ وأنْ نشربَ خمره

وشربنا فسكرنا، وأفقنا بعد سكره

ووقفنا لوداعٍ، وافترقنا بعد نظره

خمرة نهر الرّين

أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ؟ أَمْ أَيْنَ أَنَا؟
ضربتُ أيدي الليالي بيننَا!
غَيْرَ صَوْتٍ طَافَ كَالْحُلُمِ بِنَا:
اسْقِنَا مِنْ خَمَرَةِ الرّينِ، اسْقِنَا

شاعر مصر

وحدّثني قلبي بأنك زائري
وكلّ صدّى في هدأة الليل عابر
وأهتف بالنجوى، وأنت مجاورى
كأنّك مبعوث الليالي الغواير
صدّى نبأ من عالم الغيب صادر
طرقت بها بابي فهبت سرائري
وشمتك، لم يلمح محيّاك ناظري
أرى حلم أجيال، أرى وجه شاعري

دعوت خيالي فاستجابت خواطري
عشيّة أغرى بي الدجى كلّ صائح
أقول: من الساري؟ وأنت مقاربي
أجسك ملء الكون روجاً وخاطرًا
ومثّل لي سمعي خطاك، فخلتها
سوى خطرات من بنان رفيقة
عرفتك، لم أسمع لصوتك نبأ
أرى طيف معشوق، أرى روح عاشق

* * *

فجدد بها عهد الأنيس المسامر
رخيما كأزهار الندى المتناثر
كنوس على زكر الغريب المسافر
خيالة زكري، أو علالة ذاكر
إليك، وأضواء النجوم الزواهر
مرحت بوجدان من الشعر طاهر
جنى كزمية لم تحوها كف عاصر
فغرّد بالإلهام كلّ معاصر

إليك ضفاف النيل، يا روح حافظ
وساقط جناها من قوافيك سلسلا
سرت فيه أرواح الندامى، وصفقت
نجي الليالي القاهريّات: طف بها
وجز عالم الأشباح، فالليل شاخص
وطالع سماء في معارج قدسها
وسلسلت من أندائها وشعاعها
تدفق بالخمير الإلهي كأسها

وَلَأَلَاءُ فَجَرٍ عَنْ سَنَا الْخُلْدِ سَافِرٍ
مَدَدَتْ عَلَى آفَاقِهَا عَيْنَ طَائِرٍ
خُطَا الْوَحْيِ فِي تِلْكَ الْحَقُولِ الْنَوَاضِرِ
وَجَنَّتْهُ ذَاتُ الْجَنَى وَالْأَزَاهِرِ
عِصْيِ نَبِيٍّ، أَوْ تَهَاوِيلُ سَاحِرِ
هِيَائِكُلْ أَرْبَابٍ، عَرُوشُ قِيَاصِرِ
وَتَرْدِيدُ أَنْفَاسٍ، وَنَجْوَى ضَمَائِرِ
وَتَسْبَحُ فِي تَيْهِ مِنَ السُّحْرِ غَامِرِ
وَحُلْمُ صَبَاحِهَا فِي الرَّبِيعِ الْمُبَاكِرِ
وَلَكِنَّهُ رُوحٌ، وَإِبْدَاعُ خَاطِرِ
وَيَغْزُو بِرُوحِ النَّجْمِ غَيْرَ مُحَاذِرِ
وَلَا انْتِظَمَتْ إِلَّا مَفَارِقُ شَاعِرِ
عَلَى دَعَاةٍ، مِنْ تَحْتِهَا رُوحٌ ثَائِرِ
تَلَقَّيْتَهُ كِبَرًا بِبَسْمَةِ سَاخِرِ
وَأُطْلِقْتَ أُسْرَى مِنْ بَرَاثِنِ آسِرِ
إِذَا النَّارُ نَالَتْ مِنْ كِرَامِ الْجَوَاهِرِ
فَتَخْشَعُ حَيْرَى نِيرَاتِ الْمَقَاصِرِ
بَأَنَّكَ كُنَزُ ضَمٍّ أَعْلَى الذِّخَائِرِ
سَمُوتَ بِسُلْطَانٍ مِنَ الْفَنِّ قَاهِرِ
أَشْرَتْ بِمَا خَلَّدَتْهُ مِنْ مَآثِرِ

عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةٌ مِنْ صَفَائِهَا
فَصَافِحُ بَعِينِيكَ الدِّيَارِ فَطَالَمَا
وَحُذِّ فِي ضَفَافِ النَّهْرِ مَسْرَاكَ، وَاتَّبِعْ
حَدَائِقُ فَرَعُونَ بِدَفْءِاقِ نَهْرِهَا
وَفِي شُعْبِ الْوَادِي، وَفَوْقَ رِمَالِهِ
صَوَامِعُ زُهْبَانٍ، مَحَارِيبُ سُجْدٍ،
سَرَى الشَّعْرِ فِي بَاحَاتِهَا رُوحٌ نَاسِكٍ
وَهَمَسَ شِفَاهُ تَثْمُلُ الرُّوحِ عِنْدَهُ
هُوَ الشَّعْرُ، إِيقَاعُ الْحَيَاةِ وَشَدُّهَا
وَصَوْتُ بِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ نَاطِقُ
وَوَثْبَةُ زَهْنٍ، يَقْنَصُ الْبَرْقَ طَائِرًا
فِيَا دُرَّةً لَمْ يَحُوهَا تَاجُ قَيْصَرِ
تَأَلَّهَ فِيكَ الْقَلْبُ وَاسْتَكْبَرَ الْحَجَى
إِذَا اعْتَرَضَ الْجَبَّارُ ضَوْءَكَ شَامِحًا
لَمَسْتَ حديدَ الْقَيْدِ فَانْحَلَّ نَظْمُهُ
وَمَا زِدْتَ فِي الْأَحْدَاثِ إِلَّا صِلَابَةً
يَزِينُ بِكَ الْعَافِي سَقِيفَةَ كُؤُجِهِ
أَضَاعُوكَ فِي أَرْضِ الْكُنُوزِ، وَمَا دَرَوْا
وَهْنَتِ عَلَى مَهْدِ الْفَنُونِ، وَطَالَمَا
إِذَا افْتَقَدَ التَّارِيخُ آثَارَ أُمَّةٍ

خَيَالُكَ يَغْشَى كُلَّ نَادٍ وَسَامِرٍ
تَغْنَتْ بِمَاضٍ وَاسْتَعَزَّتْ بِحَاضِرِ
هُتَافَكَ، وَانْفَضَّ عَنْكَ صَمْتُ الْمَقَابِرِ

سَلَامًا، سَلَامًا، شَاعَرَ النَّيْلِ: لَمْ يَزَلْ
وَشَعْرُكَ فِي الْأَقْوَاهِ إِنْشَادُ أُمَّةٍ
هَتَفَتْ بِهَا حَيًّا، فَلَا تَأُلْ خَالِدًا

سَمَاعَ الْبَوَادِي وَالْقُرَى وَالْحَوَاضِرِ

صَدَاكَ، وَإِنْ لَمْ تُرْسِلِ الصَّوْتِ، مَالِيُّ

قلوبٌ، وحات أدْمَعُ في المحاجرِ
ونظرةٌ محزون، وإطراقُ سائرِ
تَوَالَوْا تَبَاعًا بِالنُّفُوسِ الحَرَائِرِ
على شَدُو أَقْلَامٍ ولمعِ بواتِرِ
صدى الرعدِ في عَصْفِ الرياحِ التَّوَائِرِ
على شَطَّهَا النَّائِي منارةٌ حائِرِ
جَفَاءُ اللَّيَالِي، واعتِسَافُ المقادِرِ
خميلةٌ شادٍ آخِذٍ بالمشاعِرِ

وذكْرَكَ نَجْوَى البائسينَ، إذا هَفَّتْ
يَدُلُّ عَلَيْكَ القَلْبَ أَنَا تُبَائِسِ
وما أنتَ إِلَّا رائِدٌ من جماعَةٍ
صَحَتْ باديَاتُ الشرقِ تحتَ غُبَارِهِمْ
وفي القِمَمِ الشَّمَاءِ، من صَرَخَاتِهِمْ
يُضِيئُونَ في أَفْقِ الحَيَاةِ كَأَنَّهُمْ
فيا شاعراً غَنَّى فَرَقَ لَشَجْوِهِ
لَكَ الدهرُ، لا، بل عَالَمُ الحِسِّ والنُّهَى

* * *

نَدِيٌّ بِأَنْفَاسِ النَّبِيِّينَ عَاطِرِ
لِدَاتِكَ فِيهِ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

فَنَمَ في ظِلَالِ الشَّرْقِ، وَهِنًا بِمَضْجَعِ
وَوَسَدَ ثَرَاهُ الطُّهْرَ جَنْبَكَ وَانْتَضَمَ

موتُ الشاعر

سكة شادٍ مخضَّبًا بجراحه
خمرةُ الملهمينَ في أقداحه
له صحتُ تسألُ الربِّي عن صداحه
رِ، وهمسُ الأنداءِ حول جناحه
جهشةُ الشعرِ، أو شجيَّ نواحه
لضلالٍ هدَّتهُ بافتضاحه
خلَّتهُ بعضُ لهوه ومزاحه

شعراءُ الشباب: خرَّ عن الأيب
مات في ثغره النشيدُ وجفَّت
ضفَّةُ النيلِ، وهي بعضُ مغانبِ
أين منها صداهُ في ذروة الفج
بُوغتتُ بالصباحِ أخرسَ إلَّا
نباً جاءني، فأسلمَ عقلي
لو رماه فمُ القضاءِ بسمعي

* * *

ح، والأفقُ مائجٌ بصباحه
قد أصاب الحكيمَ في مصباحه
جُ، وتهوى الصدورُ تحت رياحه
في، وضاع المجدافُ من ملاحه
سم، يهفو الحنينُ ملءً وشاحه
سنبلاتُ الوادي إلى أشباحه
يُنطقُ الواجِماتُ من أدواحه؟
جاء مثنوى رقدتَ في صُفاحه
فدعا المعولاتِ من أرواحه

فلسفتك الحياةُ يا حاملَ المصبا
صِفْ لنا صرعةَ الذُّبالِ وماذا
شَاطىءُ فوق صدره يفهقُ المو
ضلَّ في جنحِ ليله زورقي الطا
جُرَّتْهُ أنتِ في خطا العاشقِ البا
قم، فقد أقبلَ الشتاءُ وأومت
ألَّهُ من هُتافِكَ العذبِ داع
عَبَرَ النهرَ والنخيلَ إلى أنْ
حملَ العهدَ عن قلوبِ الحزانى

الثلثون لم تكن عمرَكَ السَّاءَ يَرُ في فتنَةِ الصُّبَا ومِراجِهِ
إنَّها خفَقَةُ الفؤَادِ، وسَهْدُ العِيَدِ نِ، في حومةِ العِلا وكفاجِهِ
إنَّها قصَّةُ الصديقِ، ومأسا ةُ شهيدِ مكلَّلِ بنِجاجة!

الموسيقية العمياء

إذا ما طافَ بالأرض شعاعُ الكوكبِ الفضِّي
إذا ما أنَّتِ الرِّيحُ وجاشَ البرقُ بالومضِ
إذا ما فتَّحَ الفجرُ عيونَ النرجسِ الغضِّ
بكيتُ لزهرةٍ تبكي بدمعٍ غير مُرْفَضِّ

* * *

زواها الدهرُ لم تسعدْ من الإشراقِ باللمحِ
على جفنينِ ظمآنِيهٍ نِ لِلأنداءِ والصبحِ
أمهّدَ النورَ: ما لليلِ لِ قد لَفَّكَ في جُنْحِ؟
أضئُ في خاطرِ الدنيا ووارِ سنّاكَ في جُرْحي!

* * *

أرى الأقدارَ، يا حسنا ء، مثنوى جُرحكِ الدامي
أريها مَوْضِعَ السَّهْمِ الذي سدَّدهُ الرامي
أنيلي مشرقَ الإصبا حِ هذا الكوكبِ الظامي
دعيه يرشِفِ الأنوا رَ من ينبوعِها السَّامي

* * *

وخلَّى أدمعَ الفجرِ تُقْبِلُ مغربَ الشمسِ

ولا تبكي على يومٍ لك أو تأسّي على الأمس
إليك الكون فاشتقي جمال الكون باللمس
خذي الأزهار في كفي لك، فالأشواق في نفسي!

* * *

إذا ما أقبلَ الليلُ وشاع الصمتُ في الوادي
خذي القيثارَ واستوحي شجونَ سحابه الغادي
وهزّي النجمَ إشفاقاً لنجمٍ غيرٍ وقادٍ
لعلَّ اللحنَ يستدني شعاعَ الرحمة الهادي!

* * *

إذا ما سقسقَ العصفو رُ في أعشاشه الغنّ
وشقَّ الروضَ بالألحا ن من غصنٍ إلى غصنٍ
أنتكِ خواطري الصداً حة الرقافة اللحن
تغنّيكَ بأشعاري وترعى عالمَ الحُسن!

* * *

إذا ما ذابتِ الأندا ء فوق الورقِ النضرِ
وصبَّ العطرَ في الأكما م إبريقُ من التبرِ
دعوتُ عرائسَ الأحلا م من عالمها السحري
تذيبُ اللحنَ في جفني لك، والأشجانَ في صدري!

* * *

عرفتِ الحبَّ يا حوّا ء أم ما زالَ مجهولاً
ألماً تحملني قلباً على الأشواقِ مجبولاً؟
صفيه، صفيه، فرحاناً، ومخزوناً، ومخبولاً!
وكيفَ أحسّ باللوع عة عند النظرة الأولى؟

* * *

الموسيقية العمياء

وَمَنْ آدَمُكَ المَحَبُّ بُ؟ أَوْ مَا صُورَةُ الصَّبِّ؟
لَقَدْ أُلْهِمْتُ، وَالْإِلَهَا مُ، يَا حَوَاءُ، بِالْقَلْبِ
هُوَ الْقَلْبُ، هُوَ الْحُبُّ وَمَا الدُّنْيَا لَدَى الْحُبِّ؟
سَوَى الْمَكْشُوفَةِ الْأَسْرَا رِ وَالْمَهْتُوكَةِ الْحُبِّ؟

* * *

سَلِي الْقَيْثَارَ بَيْنَ يَدَيْ كِ أَيِّ مَلَا حِنْ غَنَّى
وَأَيِّ صَبَابَةٍ سَالَتْ عَلَى أَوْتَارِهِ لَحْنًا
حَوَى الْأَمَالَ، وَالْأَلَا مَ، وَالْفَرْحَةَ، وَالْحُزْنَ
حَوَى الْأَبَادَ، وَالْأَكْوَا نَ فِي لَفْظٍ وَفِي مَعْنَى!

* * *

تَعَالَى الْحَسَنُ، يَا حَسَنًا ءُ، عَنْ إِطْرَاقٍ مُحْسُورٍ!
أَيْشَكُو اللَّيْلَ فِي كَوْنٍ مِنَ الْأَنْوَارِ مَغْمُورٍ!
وَمَا جَلَّاهُ مِنْ سَوًّا هُ إِلَّا تَوَأَّمَ النُّورِ؟
وَمَا سَمَّاهُ إِذْ نَادَا هُ غَيْرَ الْأَعْيُنِ الْحُورِ؟

النَّهْرُ الظَّامِيُّ

الموكب التاريخي السائر برُفَات الزعيم الخالد سعد زغلول إلى ضريحه الجديد.

يا كعبةَ المجد، حَيِّي موكبَ البطلِ
وَعُربَةً عن ثراكِ الطُّهْرِ لم تَطُلِ
وجَدِّدوا العهدَ من أيامهِ الأوَّلِ؟
لهفانَ يسبقُ لمعَ البارقِ العَجَلِ
أَيُّ الأساطيرِ من ماضيٍّ، خَيْلٌ لي؟
فيه الملايينُ من ساعٍ ومحتفلٍ
لا يبلغُ الوَهْمُ منه مفرقَ السُّبُلِ؟
ضَنُّوا عليه بقبرِ الهانئِ الجَذَلِ!
فيه على صَعَقَاتِ الحادثِ الجَلَلِ
لواؤُهُ عن ركازِ المجدِ لم يَمِلِ
رفاتٌ مستشهدٍ في الحقِّ مقتَتِلِ
معاقِدَ الغارِ من فوديه، واقتبلي
وما ادَّخَرَتِ من الأشواقِ والقُبُلِ؟
هذا بشيرُ الهدى والحبِّ والأملِ

طالَ انتظارُك بين اليأسِ والأملِ
هذا المآبُ المرجى شُقَّةً قَصُرَتْ
يا لهفَةَ القومِ، هلْ ضَجُّوا لرؤيتهِ
تَدَفَّقَ النهرُ من أقصى منابعِهِ
يثور تَيَّارُهُ العاتي فيسألهُ:
وَأَيَّ مضطربٍ في ضِفَتِي مَشَتْ
أَعوْدَةُ الثائرِ المنفيِّ من سفرِ
بل الشهيدِ المُسجَى في لفائفِهِ
ما أشَبَهَ اليومَ بالأمسِ الذي نَسَلُوا
هذا الرفاتُ تراثُ المجدِ في وطنِ
أغلى الذخائرِ من ميراثِ نهضتِهِ
مشى إليك به التاريخُ فاستلمي
حان اللقاءُ فما أعددتِ من كَلِمِ
فاستشرفي النصرَ واستدني مطالعَهُ

* * *

من ضِفَّةِ النهرِ ملءَ السَّهْلِ والجبلِ

عواهلُ النيلِ أم أشباحُهم عبروا

مَرُّوا خِفَافًا عَلَى الْوَادِي كَأَنَّهُمْ
وَفِي أَسَارِيرِهِمْ ذَكَرَى، وَأَعْيَنَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ لِيَوْمٍ مَرٍّ، مَا لَهُمْ
مَا كَانَ مِنْ يَسْلُبِ الْمَوْتَى مُضَاجِعَهُمْ
حَيًّا بِأَرْوَاحِهِمْ سَعْدًا وَلَوْ مَلَكُوا

مَوَاكِبُ السُّحْبِ الْبِيضَاءِ فِي الطِّفْلِ
أَسْرَارُ مَاضٍ عَلَى الْأَحْقَابِ مَنْسَدِلِ
يَدُّ بِهِ، جَلَّ فَرَعُونَ عَنِ الْغَيْلِ
رَبُّ الصَّوَالِجِ وَالتَّيْجَانِ وَالِدُولِ
نَبْضُ الْوَتِينِ مَشَا فِي الْمَشْهَدِ الْحَفْلِ

يَا صَاحِبَ الْخُلْدِ كَمْ لِلرُّوحِ مُعْجَزَةٌ
لَمْ يَنْتِهِ الْوَحْيُ وَالسَّحَرُ الْحَلَالُ، وَلَمْ
وَمِنْ دَمِ الشَّهْدَاءِ الْبَاعِثِينَ بِهِ
وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَوْتُ كُلِّمَا شَرَعُوا
وَطَافَ بِالْمَدْفَعِ الدَّائِي فَأَخْرَسَهُ
لِوَاؤُكَ الضَّخْمُ مَا زَالَتْ مَوَاكِبُهُ
يَمْشِي عَلَى قَدَمِ جَبَّارَةٍ هَزَأَتْ
هَذَا طَرِيقَكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي أَلْفَتْ
انْظُرْ إِلَيْهِ، فَمَا حَالَتْ مُعَالِمُهُ
أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ جَرَحًا لَوْ مَضَتْ حَقَبُ
فَلْيُلْقِ أَرْوَغَ مَا أَبْدَعْتَ مِنْ خُطْبِ

وَكَمْ تَمَثَّلَ رُوحُ الْخُلْدِ فِي رَجُلٍ
تَخُلُّ الْحَيَاةُ مِنَ الرُّوَادِ وَالرُّسُلِ
جِيلًا مِنَ الْحَقِّ أَوْ دُنْيَا مِنَ الْأَمْلِ
لَهَاذِمَ الْبَغْيِ تَنَاهَا عَلَى خَجَلِ
وَالنَّارُ فِي صَدْرِهِ تَصْطَكُ مِنْ وَجَلِ
تَتَرَى، وَرَايَاتُهُ حِمْرَاءَ كَالشُّعْلِ
بِالصَّخْرِ وَالْمَوْجِ، وَالنِّيرَانِ، وَالْأَسْلِ
خُطَاكَ بِالْأَمْسِ، فَاسْلُكُهُ عَلَى مَهَلٍ
مَا لِلزَّمَانِ بِمَا خَلَدَتْ مِنْ قَبْلِ!!
لَظَلَّ فِي جَنْبِ مِصْرٍ غَيْرَ مُنْدَمِلِ
جَلَالُكَ الْأَبَدِيِّ، الْمَفْرَدُ الْمَثَلِ

وَعَشْ، كَمَا أَنْتَ مُعْنَى فِي ضَمَائِرِنَا
وَصُورَةً سَمَحَةً الْإِشْرَاقِ مُلْهِمَةً
ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ أَعْمَارُ مُخْلَدَةٌ
يَطَالُعُ النَّاسُ مِنْهَا، أَيْنَمَا اتَّجَهُوا

لَا يَنْتَهِي وَحْيُهُ يَوْمًا إِلَى أَجَلٍ
أَرْقَ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّاعِرِ الْغَزْلِ
حَيَاةٌ مُحْتَشِدُ الْأَمْجَادِ مُتَّصِلِ
شِعَاعُ كَوْكَبِكَ الْوَقَادِ فِي الْأَزْلِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

وَأَخَذَتْ مِنْ حَبٍّ وَمِنْ بَغْضَاءٍ
جَوَابُهُ الْأَشْبَاحِ وَالْأَصْدَاءِ
هَتَكَتْ حِجَابَ الصَّمْتِ عَنْكَ وَرَبِّمَا
فَرَأَتْ مَخَايِلَ وَادِعٍ مُتَوَاضِعٍ
مُتَطَامِنٍ النَّظَرَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
مُتَفَرِّسَاتٍ فِي سَكِينَةٍ قَانِصٍ
شَيْخٍ أَطْلَعَ عَلَى الشِّتَاءِ وَقَلْبُهُ
مَرَّ الرِّفَاقُ بِهِ، فَشَيَّعَ رُكْبَهُمْ
وَطَوَى الْحَيَاةَ كَدُوحَةٍ شَرْقِيَّةٍ
لَبَسَتْ جَلَالَ وَحَادِهَا وَتَرَفَّعَتْ
لَمْ تَنْزِلِ الْأَطْيَارُ فِيَّ ظِلَالِهَا،
حَتَّى إِذَا عَزَى الْخَرِيفُ غُصُونَهَا
عَبَّرَتْ بِهَا صَدَاحَةً فِي سَجْعِهَا
وَإِذَا رَحِمْنَا لِلنَّسْرِ يَخْفُقُ قَلْبُهُ
هِيَ لَمْعَةُ الْقَبَسِ الْأَخِيرِ وَقَدْ خَبَا
وَتَوَثَّبُ الرُّوحُ الْحَبِيسِ وَقَدْ شَدَا
وَجَنَائَةُ الْحَسَنِ الْغَرِيرِ إِذَا رَمَى
وَمَهَاجِرٍ ضَاقَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ

وَأَخَذَتْ مِنْ حَبٍّ وَمِنْ بَغْضَاءٍ
جَوَابُهُ الْأَشْبَاحِ وَالْأَصْدَاءِ
هَتَكَتْ حِجَابَ الصَّمْتِ عَنْكَ وَرَبِّمَا
فَرَأَتْ مَخَايِلَ وَادِعٍ مُتَوَاضِعٍ
مُتَطَامِنٍ النَّظَرَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
مُتَفَرِّسَاتٍ فِي سَكِينَةٍ قَانِصٍ
شَيْخٍ أَطْلَعَ عَلَى الشِّتَاءِ وَقَلْبُهُ
مَرَّ الرِّفَاقُ بِهِ، فَشَيَّعَ رُكْبَهُمْ
وَطَوَى الْحَيَاةَ كَدُوحَةٍ شَرْقِيَّةٍ
لَبَسَتْ جَلَالَ وَحَادِهَا وَتَرَفَّعَتْ
لَمْ تَنْزِلِ الْأَطْيَارُ فِيَّ ظِلَالِهَا،
حَتَّى إِذَا عَزَى الْخَرِيفُ غُصُونَهَا
عَبَّرَتْ بِهَا صَدَاحَةً فِي سَجْعِهَا
وَإِذَا رَحِمْنَا لِلنَّسْرِ يَخْفُقُ قَلْبُهُ
هِيَ لَمْعَةُ الْقَبَسِ الْأَخِيرِ وَقَدْ خَبَا
وَتَوَثَّبُ الرُّوحُ الْحَبِيسِ وَقَدْ شَدَا
وَجَنَائَةُ الْحَسَنِ الْغَرِيرِ إِذَا رَمَى
وَمَهَاجِرٍ ضَاقَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ

لم تَثْنِه شَيْخوخَةً مَكْدُودَةً
 متطلبٍ حقَّ الحياةِ لخافقٍ
 من كان في أمسٍ يسوسُ أمورَهم
 يقضونَ باسمِ المالِ فيه كأنما
 هلاً قضوا لمقاصفٍ ومصارفٍ
 أكلتُ دَمَ الفلاحِ ثم تَكَفَّلْتُ
 حبُّ بلوتٍ به العذابِ، ومثلُهُ
 عَصَفْتُ بأحلامِ الرجالِ وسَفَّهْتُ
 كم فوقِ ساحلِها خطأ مطموسةً
 وسفينةً مهجورةً، محطومةً
 أين اللواءُ؟ وربُّه؟ وجماعةُ
 وأخو يراعٍ في الصفوفِ مدافعُ
 لم يُنصَفُوا حتى ببعضِ حجارةٍ
 ومضوا، فما وجدوا كفاءَ صنيعِهِم
 تأبى السياسةُ غيرَ لونِ طباعِها
 قالوا: أحبُّ الإنكليزَ وزادهم
 ها قد أتى اليومُ الذي صاروا به
 بتنا نغاضِبُ من يغاضِبُهم ولا
 رأيي أخذتُ به وليس بعائبٍ
 لكن سكتُ، فقليلٌ: إنك عاجزُ
 صمْتُ تحيّرَ فيه كلُّ مُحَدِّثٍ
 في عالمٍ يُنسي الحليمَ وقارَهُ
 وترى التوائِمَ فيه بين عَشِيَّةٍ
 جهدُ الكرامِ به افتتارُ مباسمِ
 صُورٌ عرفتُ لِبَابِها ولحاءُها

دون السُّفَارِ ولا صقيعِ شتاءٍ
 أمسى مهيضُ كرامةٍ وإبَاءٍ
 ضُنُّوا عليه بفرحةِ الطُّلُفِ
 ضَمَّنُوا لمصرَ مصادِرَ الإثراءِ
 مفعورةً، منهومةِ الأحشاءِ
 بحصادِ حنطتِهِ، وجلدِ الشاءِ
 مَقَّةُ السياسةِ وهي شرُّ بلاءٍ
 رأيي اللبيبِ، ومنطقِ الحكماءِ
 كانت سبيلَ هدايةٍ ورجاءِ
 حَمَلْتُ لها البشرى طيورُ الماءِ
 كانوا طليعةَ موكبِ الشهداءِ؟
 بيدي حواريٍّ، وصدرِ فدائيٍّ؟
 خرساءَ ماثلةٍ لعينِ الرايِّ!
 تمثالَ حبٍّ، أو مثالَ وفاءٍ
 وتريدُ غيرَ طبائعِ الأشياءِ
 ودَّ الحميمِ وموثقِ القُرْناءِ
 أوفى الدعاةِ وأكرمَ الحلفاءِ
 نأبى رعايتَهُم على الضراءِ
 نَمَّ الرجالِ مآخذُ الآراءِ
 عن ردِّ عاديةٍ ودفعِ بلاءٍ
 والصمتُ بعضُ خلائِقِ الكُرماءِ
 ويُري البنينَ عداوةَ الآباءِ
 متنافراتِ طبيعةٍ ورواءِ
 وتكَلَّفُ في القولِ والإصغاءِ
 فكأنما خَلِقْتَ بغيرِ لحاءِ

* * *

قد كنتَ تَخْلِصُ لي الودادَ فهاكُهُ
 شعراً يصونُ مَوَدَّةَ الخلصاءِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

يَجِدُ الرِّجَالُ بِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ مَدَحِي، وَعَنْ هَنَوَاتِهِمْ إِغْضَائِي
فَاصْعَدُ لِرَبِّكَ فَهُوَ أَعْدَلُ حَاكِمٍ وَهُوَ الْكَفِيلُ بِرَحْمَةٍ وَجْزَاءِ
وَتَلَقَّ مِنْ حَكَمِ الزَّمَانِ وَعَدْلِهِ مَا شَاءَ مِنْ نَقْدٍ وَمِنْ إِطْرَاءِ

صَدَى الْوَحْيِ

صدى الوحي في أسلوبه المتجدد
شدا الحبُّ في ناي الربيع المغرَّد
قديمٌ على ثغر الزمان المردِّد
وما هو إلا ملهمُ اليوم والغد
ترنُّمٌ شادٍ، أو تراتيلٌ مُنشد
يعيش بروح الصَّيدحيِّ المجدِّد

بيانك من نبع الجمال المخلَّد
سرى لحنه في كلِّ قلبٍ كأنَّمَا
غريبًا على الأسماع وهو كعهده
إلى جبل النور انتهى سرُّ وحيه
فغنَّ به الأجيال، واهتف بأيه،
وأرسله سمحًا من قريحة شاعرٍ

* * *

حواها فؤادُ الكاتبِ المتعبِّد
وقد زرتَه ليلاً، على غير موعدٍ
رفيفٌ، كهمسِ الروحِ في ظلِّ معبدٍ
من النور، في عَيْنَي أديبٍ مُشهدٍ
ببارقةٍ من ذهنه المتوقِّدِ

عوالمُ شتَّى من جلال، وروعةٍ
ذكرتُ، وللذكرى حديثٌ مُحَبَّبُ
وللَّيلِ إصغاءٌ، وللريحِ حوله
وقد هدأ المصباحُ، إلا مجاجةً
ترامى وراء الأفق حيناً، وتنتنني

* * *

يداهُ يدي في رقعةٍ وتودِّد
فأمعنَ إمعانَ الخيالِ المشرَّدِ
ملائكُ بالنجوى تروُّحٌ وتغتدي
بأجنحةٍ تهفو على غير مشهدٍ

فحيَّيته همساً، فحيّاً، وصافحتُ
وشاعَ جلالُ الصمتِ بيني وبينه
وأُسميتُ أرعاهُ، فلاحَت لِخاطري
تُسِرُّ إليه القولَ في غير منطقٍ

على صُحُفِ غُرِّ الحواشي كريمةٍ
نبيلُ مرامي القولِ في كفِّ كاتبٍ
يخطُّ لروحانيَّةِ الشرقِ سيرةً
تمثِّلُها في صورةٍ قرشيَّةٍ
يبثُّ سناها الأرضَ حبًّا، ورحمةً
حياةً نمتْ مجدَ الحياةِ وَغَيَّرَتْ
تنادى بها الرءاونَ، فاعجب لما رأوا
تَسامى عن الدنيا وفيها لواؤه
فما ضفَّر الأكليلَ يومًا بمفريقٍ
أحب إليه حين يفتشُ الثرى
ويخِصِفُ نعليه، وطوعُ يمينه
ويمضي إلى الهيجاءِ غرثانَ صاديًا
ولكنَّهُ دينٌ أفاءَ ظِلَّالَهُ
عفاةً، كأن لم يملكوا قوتَ يومهم
مَحَوْا لفظَةَ الأربابِ من كلماتهم
هو المثل الأعلى ومبعوثُ أمةٍ

جَرى قَلَمُ عَفِّ السريرةِ واليدِ
دعاهُ فَلَبَّاهُ لَأَنْبِلَ مَقْصِدِ
هي الحقُّ في دنيا الجمالِ المجرَّدِ
يشيعُ الرضا في طيفها المتجسِّدِ
ويطوي هداها سطوةَ المتمرِّدِ
وجوهَ الليالي من وضيءٍ وأربدِ
جلالُ نبِيٍّ، في تواضعٍ مُرشدِ
يطوفُ بسُلطانِ العزيزِ المؤيِّدِ
ولا حلَّ منه التاجُ يومًا بمعقدِ
ويأوي لجذعِ النخلةِ المتأوِّدِ
مصايرُ هذا العالمِ المترعِّدِ
فللَّهِ دنيا ذلكَ الساغِبِ الصَّدي
على ملاٍّ من شيعَةِ اللهِ سَجْدِ
وهم جبهةُ المُلكِ العريضِ الموطَّدِ
فما عرفوا معنى مَسودٍ وسيِّدِ
بناها بناءً المعجزِ المتفرِّدِ

* * *

مُحَمَّدُ، ما شعري إليك وما يدي؟
ولكنَّهُ حوضُ الشفاعةِ ضَمَّنَا
نَمَانِي إقْلِيمَ نَمَاكَ، وأُطلعتُ
فإنَّ أَشَدَّ بالمجدِ الذي شَدَّتْ رِكنَهُ
محمدٌ: ما أَرْضِيكَ بالشعرِ مَدْحَةً

وما الشعرُ من إبداعِكَ المتعدِّدِ؟
على خيرِ ميعادٍ وأعذبِ مورِدِ
سماءَكَ شَمْسُ أَطْلعتُ فجرَ مولدي
فما هو إلَّا رِكنُ قومي وسوْدِي
فحسبُكَ مرضاةُ النَبِيِّ مُحَمَّدِ

العُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ

«إلى أدعياء الحكمة والمعرفة.»

يُفَكِّرُ فيما تحته من غِيَاهِبِ
بصوتِ محبٍّ في الحياةِ مُقَارِبِ
وأجملَ أحلامِ الليالي الكواعِبِ
وراعيكَ بين النِّيَّراتِ الثَّواقِبِ
عوالمَكِ المملأى بشتَّى العجائبِ
تُبَعَثُهَا في الكونِ من غيرِ حاسبِ!

سَرَى القمرُ الوضَّاحُ بين الكواكبِ
فناداهُ من وادي الخليينَ هاتِفُ
يقولُ له: يا روعةَ الحسنِ والصِّبا
أنا العاشقُ الوافي إذا جَنَّنِي الدُّجَى
ألا ليتني حُرُّ كضوءِكَ أرتقي
ويا ليت لي كنزٌ ابتساماتِكَ التي

* * *

وأضفى على الوادي شعاعَ حنانِ
فلم يَرَ في أنحائها وجهَ إنسانِ
فأين تُرى ألقاكَ أم كيف تلقاني؟
وراءَ زجاجيها أخذتُ مكاني
وأن أنزلَ الوادي بحيثِ تراني
تَزُودُ عيني من سَناءِ ضوءِكَ الحاني!

فأصغى إليه الضوءُ في صَفْوِ جذلانِ
وجاسَ خلالَ السُّحُبِ والماءِ والثرى
فصاحَ به: يا صاحبي ضلَّ ناظري
فأوما له إني هنا تحت شُرفتي
أبى البردُ أن أستقبلَ الليلَ قائمًا
وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ

* * *

وأعرضَ عنه بابتسامَةٍ ساخرِ
ويا رَبِّ شِعْرِ ساقَهُ غيرُ شاعِرِ

فألقي عليه الضوءُ نظرةَ حائرِ
وقال له: يا صاحبي قد جهلتني

أنا الموثقُ المكدودُ طالتْ طريقُهُ
تجاذبُنِي طاحونةُ الشمسِ كلما
وما بسمتي إلا دموعٌ من اللَّطَى
فدعْ عنكَ يا أعجوبةَ الحبِّ عالمي
طريقُ أسيرٍ في رعايةِ أسيرِ
وقفتُ، وتمضي بي سياطُ المقاديرِ
قد التمعتُ في وجهِ سهمانٍ حاسِرِ
فقبلكَ لم يَلَقِ الأعاجيبَ ناظِرِي!

* * *

وأمعنَ في تفكيرهِ القمرُ الزاهي
يناجيه منها عاشقٌ ذو ضراعةٍ
يقول له: يا مُشهدي كلِّ ليلةٍ
شبيهٌ بهذا الضوءِ نورٌ جبينهِ
وترسُّمٌ لي الأشباحُ طيفَ خياله
تَمَنَّيْتُ لو وَسَدْتُ خَدَّكَ راحتي
فمرَّ بأرضِ ذاتِ عُشبٍ وأمواه
مناجاةٌ صوفيٍّ لَطِيفٍ إِلَه
جمالَ مُحَيَّا رائعِ الحسنِ تَيَّاه
على أَنَّهُ في الناسِ من غيرِ أشباهِ
فأدنو لضمٍّ أو للثمِّ شَفَاهِ
وصدركَ خَفَّاقٌ، وجفنكُ ساهي

* * *

وفرَّ على الوادي الشعاعُ طروبا
أزحَ هذه الأغصانَ عنكَ لعلني
فجاوبُهُ: يا قُرَّةَ العينِ إنني
إذا أتعبتُ عيني السماءَ تَطَلُّعا
ففي صفحاتِ الماءِ نهضةٌ عاشقِ
خلوتُ به، أروعك أَوْفَى قسامةً
وناداهُ من بين الظلالِ مُجيبًا
أصافحُ وجهًا، من هواك حبيبًا
قد اخترتُ من شطِّ الغديرِ كثيبًا
وخالستُ لحظًا للنجومِ مريبًا
يَراك على بُعْدِ المزارِ قريبًا
وأوفرَ من سحرِ الجمالِ نصيبًا!

* * *

فغاض ابتسامُ الضوءِ من فرطِ حيرةٍ
هو الكونُ مرآتي، ومجلى مفاتني
وما نَظَرَ العشاقُ إلا لعالمِ
أعيدُ الذي شبَّهتني بجماله
أنا الفحمةُ البيضاءُ إن جنَّني الدُّجَى
فَدَعُ عالمَ الأفلاكِ واقنعْ بلجَّةٍ
وصاح: نجِّي أنتَ حَقَرْتَ سيرتي
وما لغديرٍ أن يُمَثِّلَ صورتي
يُعْظَمُ في المعشوقِ كلِّ صغيرةٍ
أديمٌ مُحَيَّا مثل صمَاءِ صخرتي
أنا الحمةُ السوداءُ، رأدَ الظهيرةِ
وغازلُ من الأسماكِ كلَّ غريرةٍ!

* * *

وبينا يهيمُ الضوءُ في سُبحَاتِهِ رأى شبحاً في قربِ نارِ كأنما
يودّعُ طيفاً غابَ عن نظراتِهِ يمدُّ ذراعِيه، ويُرسِلُ صَوْتَهُ
بلوعةِ قلبٍ ذابَ في نبراتِهِ إلى القمر الساري مُحْيَاً شاخصُ
كصاحبِ نُسكِ غارقٍ في صَلَاتِهِ فحامَ عليه الضوءُ واستمهلَ الخُطَا
وأجرى سناه الطُّلُقَ في قَسَمَاتِهِ وصاحَ به: يا شَيْخُ ما أنتَ قائلُ
تكلمُ! فإنَّ الليلَ في أخرياتِهِ

* * *

فقالَ له: يا باعثِ الحبَّ والمني شفيتَ جوى شيخٍ أحبكُ يافعاً
سِلِمْتَ وحيَّتكَ العوالمُ والدُّنى وأفنيتَ عمري أرتقي عالي الذُّرا
وعاش بهذا الحبِّ جذلانَ مُؤمناً وأفنيتَ عمري أرتقي عالي الذُّرا
إلى أن بلغتَ اليومَ مثنويَ ها هنا وأوقدُ ناري كي تراني وأنثني
لأطلقَ ألحاني، وأدعوكَ مَوْهِنَا وقيلَ: ضنينُ لا يَجُودُ بوصله
فهاأنذا ألقاك يا ضوءَ محسناً تساوتُ كلابُ تنبحُ البدرَ ساريًا
ونؤامُ ليل أنكروا آيةَ السنَا

* * *

فحدّقَ فيه الضوءُ وارتدَّ مُغَضَّبَا وقالَ له: أفنيتَ في سُخْفِكَ الصُّبا
ولمَّا تُرَخَّ جفنًا من السهدِ مُتَعَبَا وسُخريةً بالنار، أن تتقرَّبَا
كأنَّ شعاعي في جفونك قد حَبَا ومن عَبَثٍ مَثَوَاكَ في هذه الرُّبَا
على حين لم تبلغُ من النورِ مَرَقَبَا وما كنتَ إلَّا الواهمَ المترقِّبا
وثالثَ عشَّاقٍ بهم ضِقتُ مذهبَا وكانوا لأمثالِ الخليئين مَضْرِبَا

فوا أسفاه، ما كنتُ في الدهر مذبذباً
فأَجَزَى بنجوى من تعشَّق أو صَباً
وساقَ على حبي الدليلَ المكذباً
سَلِ العاصيَ الهاوي من الخلدِ هل نبا
به الليلُ لَمَّا آثَرَ الأرضَ واجتَبى؟
أَبْصَرَ قبلي في الدُجْنَةِ كوكبا
أضاءَ له الدربَ السحيقَ المشعباً
وهلُ في سنا غيري تملَّى وشبَّبا
بحواءَ واهتاجَ اليراعِ المثقبا
حويثُهما روحاً طريداً مُعذِّباً
فذابَ حيائي منهما، وتَصَبَّبا
وأورثني هذا الشحوبَ، وأعقبا
رأيتُ فما يدنو، ووجهها تخضُّبا
وصدراً خفوقاً فوق صدر تَوَثُّبا
غرائزُ فيها الغيُّ والنقصُ رُكِّبا
تَلَمَّسُ في ضوئي الأثامَ المحبِّبا
فيا شيخُ دَعِ هذا الوشاحَ المذهباً
تَرِ الحمأَ المسنونَ في الكأسِ دُوباً
طفا الراحُ فيه، والترابُ ترسِّبا
وإنَّ كلابَ الأرضِ أشرفُ مَآرِبَا
ينيرُ لها ضوئي الظلامَ لتجنبا
خطى اللصِّ يستارُ الطريقَ المحبِّبا
فإن نَبَحَتْ ضوئي، تسمَّعتُ معجبا
بأرخمَ لحن، رنَّ في الليلِ مطربا
تحيةً مُثنًى بي أهلاً مُرَحِّباً
بني آدم، إنَّ لم يكن آدمُ الأبَّا
رجوتُ لكم من عالم الرجسِ مهرَباً

العُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ

وَأَثَرْتُكُمْ بِالْكَلبِ جَدًّا مَهْذَبًا
وَأَجْمَلُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّبَا

* * *

وَمَالَ عَنِ الْأَرْضِ الشَّعَاعُ وَغَرَّبَا
وَوَسَّوَسَ فِي صَدْرِ الدُّجَى فَتَأَلَّبَا

زَهْرٌ وَخَمْرٌ

١٩٤٣

الإهداء

إلى صاحب القلم الشاعر، والبيان الساحر صديقي الكاتب الجليل الأستاذ
أحمد حسن الزيـات.
ذكرى أول لقاء على ضفاف المنصورة، منذ عشرين عامًا في مستهل ربيع
باسم.

علي محمود طه

ليالي كليوبترا

كليوبترا! أَيُّ حُلْمٍ مِنْ لِيَالِيكِ الْحَسَنِ
طَافَ بِالْمَوْجِ فَغَنَّى وَتَغَنَّى الشَّاطِئَانِ
وَهَفَا كُلُّ فَوَّادٍ وَشَدَا كُلُّ لِسَانٍ
هَذِهِ فَاتِنَةُ الدُّنْيَا وَحَسَنَاءُ الزَّمَانِ
بُعِثْتُ فِي زَوْرِقٍ مُسْتَلْهِمٍ مِنْ كُلِّ فَنٍّ
مَرِحَ الْمَجْدَافُ يَخْتَالُ بِحَوْرَاءَ تَغْنِي
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكَتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

نَبَأَةُ كَالْكَأْسِ دَارَتْ بَيْنَ عُشَّاقٍ سُكَارَى
سَبَقَتْ كُلَّ جَنَاحٍ فِي سَمَاءِ النِّيلِ طَارَا
تَحْمَلُ الْفِتْنَةَ وَالْفَرَحَةَ وَالْوَجْدَ الْمَثَارَا
حُلُوةً صَافِيَةً اللَّحْنَ كَأَحْلَامِ الْعِزَّارَى
حُلْمُ عِذْرَاءٍ دَعَاهَا حُبُّهَا ذَاتَ مَسَاءٍ
فَتَغَنَّتْ بِشِرَاحٍ مِنْ خَيَالِ الشَّعْرَاءِ
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكَتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

وتجلى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَمِيدُ
يتَهَدَّأُهْ على الموجِ نَوَاتِي عبيدُ
المجاديفُ بأيديهم هتافٌ ونشيدُ
ومُصَلِّونَ لهم في النهرِ محرابٌ عتيْدُ
سَحَرَتْهُمْ رَوْعَةُ الليلِ فَهُمْ خَلَقُ جَدِيدُ
كلهم ربُّ يُغْنِي وإلهُ يستعِيدُ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

إصدحي، أيتها الأرواحُ، باللحنِ البديعِ
إمرحي، يا راقصاتِ الضوءِ، بالموجِ الخليعِ
قَبْلِي، تحتِ شراعي، حُلْمُ الفنِّ الرفيعِ
زورقا بين ضفافِ النيلِ في ليلِ الرِّبيعِ
رَنَحَتْهُ موجةٌ تلعبُ في ضوءِ النجومِ
وتُنَادِي بشعاعِ راقصٍ فوقَ الغيومِ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

لِيلُنَا خمرٌ وأشواقٌ تُغْنِي حولنا
وشرائعُ سابحٍ في النُّورِ يرعى ظِلَّنَا
كان في الليلِ سُكَارَى، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنا
كلُّما غَرَّدَ كأسُ شربوا الخمرةَ لحنًا
يا حبيبي، كلُّ ما في الليلِ روحٌ يتغنى

هات كأسِي، إِنَّهَا لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

* * *

يَا ضِفَافَ النِّيلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضَرَ الرُّوَابِي
هَلْ رَأَيْتَنِي عَلَى النُّهْرِ فَتَى غَضَّ الإِهَابِ
أَسْمَرَ الْجَبْهَةِ كَالْخَمْرَةِ فِي النُّورِ الْمَذَابِ
سَابِقًا فِي زُورِقٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ؟
إِنْ يَكُنْ مَرًّا وَحَيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ
فَصَفِيهِ، وَأَعِيدِي وَصْفَهُ، فَهُوَ حَبِيبِي!
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

* * *

أَنْتِ يَا مَنْ عُذَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامُ اللَّيَالِي
يَا ابْنَةَ النُّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْبَابُ الْخِيَالِ
وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبَحُ رَبَّاتُ الْجَمَالِ
مَوْجُهُ الشَّادِي عَشِيقُ النُّورِ، مَعْبُودُ الظَّلَالِ
لَمْ يَزَلْ يَرُوي، وَتُصْغِي لِلرُّوَايَاتِ الدَّهْورُ
وَالضَّفَافُ الْخَضِرُ سَكْرَى، وَالسَّنَا كَأْسُ تَدَوُّرِ
حُلْمٍ لَمْ تَرَوْهُ لَيْلَةُ حُبِّ
فَاذْكُرِيهِ، وَاسْمَعِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

مِيلَادُ زَهْرَةٍ

إلى الطيور النائمة في أعشاشها قُبيل فجر شتاء.

أَيْنَ أَغَارِيدُ الْهَوَى وَالْحَنَانِ؟	يَا شُعْرَاءَ الرُّوضِ أَيْنَ الْبَيَانِ؟
يَا حُسْنَهَا بَيْنَ الزُّهُورِ الْحَسَانِ!	قَدْ وُلِدَتْ فِي رَوْضِكُمْ زَهْرَةٌ
وخمرة النحل، وسحر الأوان	حُلُمُ الْفَرَاشَاتِ، وَحُبُّ النَّدَى
مُجَنِّحٌ مِنْ نَسَمَاتِ الْجِنَانِ	قَدْ بَشَّرَ الْأَرْضَ بِهَا مُرْسَلٌ
وَالْفَجْرُ طَيْفٌ لَمْ يَبْنِ لِلْعِيَانِ	وَالنُّورُ سِرٌّ فِي ضَمِيرِ الدُّجَى
فِي وَحْشَةِ اللَّيْلِ وَصَمَتِ الْمَكَانِ	أَبْصَرْتُهَا تَهْفُو عَلَى غُصْنِهَا
عرائس النرجس، والأقحوان	بَيَضاءَ، أَوْ حُمْراءَ، تُزْهِى بِهَا
وَالْعُشْبُ، وَالْجَدُولُ، وَالشَّاطِئَانِ	تَظَلُّ تُصَغَى، وَتَظَلُّ الرُّبَى،
تَسْكُبُ مُوسِيقَاهُ سِحْرَ الْبَيَانِ	وَلَيْسَ مِنْكُمْ حَوْلَهَا هَاتِفٌ
أَمْ نَضَبَتْ مِنْ خَمْرِهِنَّ الدَّنَانِ	هَلْ مَلَّتِ الْخَمْرَةُ أَقْدَا حُكْمُ؟
يَرْقُصُ فِيهِ الْقَمَرُ الْأَضْحِيَانِ	قُومُوا انظُرُوا الظَّلَّ عَلَى مَهْدِهَا
أَرْبَعَةُ الْفَرْدُوسِ فِي مَهْرَجَانِ	لَوْ تَقْدَرُ الْأَنْسَامُ زَفَّتْ لَهَا
صَوْتُ الْبَشِيرَاتِ، وَشَدْوُ الْقِيَانِ	وَأَسْمَعَتْ مِنْ خَفَقِ أَنْفَاسِهَا

* * *

مِيلَادُهَا مِنْ حَسَنَاتِ الزَّمَانِ	يَا شُعْرَاءَ الرُّوضِ كَمْ زَهْرَةٍ
زَهْرٌ، وَخَمْرٌ، وَوَجْوهُ حِسَانِ	حَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَدْوِكُمْ

حَانَةُ الشُّعْرَاءِ

هِيَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا
فِي ظِلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا
وَزَهَتْ بِمِصْبَاحِ جَوَانِبُهَا
«بَاخُوسُ» فِيهَا وَهُوَ صَاحِبُهَا
قَدْ ظَنَّهَا، وَالسَّحَرُ قَالِبُهَا،
مَعْرُوشَةٌ بِالزَّهْرِ وَالْقَصَبِ
أَنْفَاسُ لَيْلٍ مُقَمِّرِ السُّحُبِ
صَافِي الزُّجَاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ
لَمْ يَخُلْ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ
شِيدَتْ مِنْضُ الْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

* * *

إِبْرِيْقُهُ حَلِيٍّ مِنَ الدُّرِّ
وَكَأَنَّ مَا حَوْلِيهِ مِنْ صُورٍ
تَرَكْتُ مَوَاضِعَهَا مِنَ الْأَطْرِ
مَنْهَنً عَازِفَةً عَلَى وَتَرٍ
وَعَرِيرَةٌ حِوَاءُ كَالْقَمَرِ
يُزْهِى بِهِ قَدَحٌ مِنَ الْمَاسِ
مَتَحَرَّكَاتٌ ذَاتُ أَنْفَاسٍ
وَمَشَتْ لَهُ فِي شَبِّهِ أَعْرَاسٍ
مُتَفَجِّرٍ بِأَرْقٍ إِحْسَاسٍ
تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالْكَاسِ

* * *

أَوْتَلَكِ حَانَتُهُ؟ فَوَا عَجَبًا!
وَمِنْ الْخِيَالِ أَهْلٌ وَاقْتَرَبَا
فِي مَوَكِبٍ يَتَمَثَّلُ الطَّرْبَا
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ فَتَى وَثَبَا
يَتَوَهَّجُونَ صَبَابَةً وَصَبَا
أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءِ؟
«فَيْنُوسُ» خَارِجَةٌ مِنَ الْمَاءِ!
وَيَمِيلُ مِنْ سَحَرٍ وَإِغْرَاءِ
مَتَعَلِّقًا بِذِرَاعِ حَسَنَاءِ
يَتَمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

* * *

حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمْو يَفْدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَابِ!
 جلسوا نشاوى مِثْلَمَا قَدِمُوا يترقبون مُنَافَذَ الْبَابِ
 يَتَهَامِسُونَ، وَهَمْسُهُمْ نَغْمٌ يسري على رَنَاتِ أَكْوَابِ
 إِنْ تَسَالِ الْخَمَّارَ، قَالَ: هُمُو عُشَّاقُ فَنٍّ، أَهْلُ آدَابِ
 لَوْلَا دُخَانُ التَّبَعِ خَلَّتْهُمْو أَنْصَافَ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ

* * *

مِنْ كُلِّ مُرْسِلٍ شَعْرِهِ جَلَقَا وَكَأَنَّهَا قِطْعٌ مِنَ الْحَلَكِ
 غُلْيُونُهُ يَسْتَشْرِفُ الْأُفُقَا وَيَكَادُ يُحْرِقُ قُبَّةَ الْفَلَكَ
 أَمْسَى يُبْعَثِرُ حَوْلَهُ وَرَقَا فَكَأَنَّهُ فِي وَسْطِ مُعْتَرِكِ
 فَإِذَا أَتَاهُ وَحْيُهُ انْطَلَقَا يُجْرِي الْيَرَاعَ بِكَفٍّ مُرْتَبِكِ
 وَيَقُولُ شَعْرًا كَيْفَمَا اتَّفَقَا يُغْري نَوَاتِ التُّكْلِ بِالضُّحِكِ

* * *

«بَاخُوسُ» يَرْوِي عَنْ غَرَائِبِهِمْ شَتَّى أَحَادِيثٍ وَأَنْبَاءِ
 قِصَصٌ تَدَاوَلُ عَنْ صَوَاحِبِهِمْ وَعَنِ الصَّبَايَا فِتْنَةِ الرَّائِي
 وَعَنِ الْخَطِيئَةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ بَدَأَتْ بِآدَمَ أَمْ بِحَوَّاءِ
 وَالْمُلْهِمَاتِ إِلَى جَوَانِبِهِمْ يُكْثِرْنَ مِنْ غَمَزٍ وَإِيمَاءِ
 يَعْجَبْنَ مِنْ فِعْلِ الشَّرَابِ بِهِمْ وَيَلْذَنَ مِنْ سَأَمٍ بِإِغْفَاءِ

* * *

وَتَلَفَّفَتْوَا لَمَّا بَدَا شَبَحُ! فَنَانَةٌ دَلَقَتْ مِنَ الْبَابِ
 سَمَرَاءُ بِالْأَزْهَارِ تَتَشَحُّ أَلَقَتْ غُلَالَتَهَا بِإِعْجَابِ
 وَمَشَتْ تُرَاقِصُهُمْ فَمَا لَمْحُوا إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ
 وَسَرَى بِسِرٍّ رَحِيقَهُ الْقَدْحُ فِي صَوْتِ شَاجِي اللَّحَنِ مِطْرَابِ
 وَشَدَا بِجَوِّ الْحَانَةِ الْفَرَحُ لِإِلَهَةٍ فَرَّتْ مِنَ الْغَابِ

* * *

وإذا «بفينوس» تمدُّ يدا	هي رَقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلْمٌ
قلبٌ يهزُّ نداؤه الأبداء:	الكأس فيها وهي تضطرمُّ
قد ضاع فنُّ الخالدين سدى!	زنجيَّةٌ في الفنِّ تحتكمُّ؟
الفنُّ روحًا كان؟ أم جَسَدًا؟	فأجابت السمرءُ تبتسمُ:
الليلُ ولَّى والنهارُ بدا!	يا أيها الشعراءُ ويحكُّمُ

سَارِيَّةُ الْفَجْرِ

عَبَرْتُ بي في صَبَاحٍ باكرٍ
شعرُها الأشقرُ فيه وردةٌ
ورشيقاتُ الخُطَى في وقعها
وبعينَيها رُؤى حائرةٌ
صَوَّرْتُ من حاضر العيش، ومن

فتنة العين وشُغلِ خاطرٍ
لونها من شهوات الشاعرِ
مُنْبِئَاتِي بشبابٍ ساحرٍ
بين أسرارِ مساءٍ غابرٍ
أَمْسِها، قِصَّةَ حُبٍّ عاثرٍ

* * *

قلتُ، والفجرُ سَنَا ياقوتةً
هذه الساعةُ تسعى امرأةً
مَنْ تَراها؟ وإلى أين؟ وَمِنْ
تقطع الإفريزَ من ناحيتي
تَتَّقِي الأعينَ أَنْ تبصرها
لا تبالي بَلَلِ الثوبِ، ولا
أو تبالي قدماها خاضتا

لَأَلَّتْ خَلْفَ السحابِ الماطرِ:
حين لم يخفق جناحُ الطائرِ!
أَيَّ خدرٍ طلعتُ أو سامرٍ؟
كأسيرِ هاربٍ من أسرٍ
وهي لا تَأَلُو التفاتَ الحائرِ
لفحةَ البردِ الشفيفِ الثائرِ
مسربَ الماءِ الدفوقِ الهامرِ

* * *

أَنْتِ، يا سَارِيَّةُ الفجرِ، اسمعي
مرَّ بي مثلكِ لم يُشْعِرْنِي
وأنا الشاعرُ، قلبي رحمةٌ

دعوةَ الروحِ البريءِ الطاهرِ
غيرَ إشفاقِ الحَفِيِّ الناصرِ
لفريساتِ القضاءِ الجائرِ

إِنْ نَأْتِ دَارَكَ، يَا أُخْتُ، فَمَا بَعُدَتْ دَارُ الْغَرِيبِ الْعَابِرِ
شَاطِرِينِي ذَلِكَ الْمَأْوَى، فَمَا أَتَقَاضَاكَ وَفَاءَ الشَّاكِرِ
غُرْفَةً، آلِهَةُ الْفَنِّ بِهَا تَتَلَقَّاكَ لِقَاءَ الظَّافِرِ
وَتُغْنِيكَ نَشِيدًا مِثْلَهُ مَا تَغْنَّتْ لِحَبِيبٍ زَائِرِ

* * *

هَاتِ كَفِّكَ وَلَا تَضْطَرِّبِي! لَا تَخَالِي رَيْبَةً فِي نَظَرِي!
سَوْفَ يَثْوِيكَ جِدَارٌ سَاخِرٌ مِنْ أَبَاطِيلِ الزَّمَانِ السَّاخِرِ
سَوْفَ يَحْوِيكَ فِرَاشٌ صَامِتٌ لَكَ فِيهِ هِمَسَاتُ الذَّاكِرِ
سَوْفَ يَطْوِيكَ سَكُونٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ لَغْوُ مُحِبٍّ غَادِرِ
وَأُنَادِيكَ، وَأَسْتَدْنِي يَدًا لَمَسْتُ رُوحِي، وَهَزَّتْ خَاطِرِي
وَأُحْيِيكَ، وَأَسْتَحْيِي فَمَا حَقُّهُ قُبْلَةً رَبِّ غَافِرِ!!

أُغْنِيَةُ الْحُبِّ

قال الشاعر الألماني هنريخ هايني:

أيها الصحب هذا زمن الحب، فلنرفع الكؤوس، فالربيع المرح يجعلنا جميعًا
إخوانًا، ها هو ذا الحب البهيج، وأنتِ أيتها الشمس، أتصوّبين شعاعك؟
فلنذهب لنقطف فرحين الأعناب الناضرة.

وقلت في هذا المعنى:

يا رفاقي، هَذِهِ السَّـ	عَةٌ مِنْ حُلُمِ الزَّمَانِ
إِنَّ هَذَا زَمَنُ الْحـ	بِّ، فَضْجُوا بِالْأَغَانِي
ارفعوا الأقداحَ مَلَأَى	واشربوا نَخْبَ الحِسانِ
فالربيعُ السَّمْحُ يدعو	كم إلى أَقْرَبِ حانٍ!

* * *

الربيعُ المَرِحُ الجذ	لأنَّ يَخْتالُ فخوراً
إنَّه الحسنُ الذي يم	لأُ بِالْحَبِّ الصِّدُوراً
كيف لا نقطفُ منه الـ	سُتْمَرَ الحُلُوقِ النَضِيرِ!
أنتِ، يا أيتها الشمـ	سُ، املئي الأفاقِ نوراً!

* * *

يا رفاقي، قد دعانا	زمن الحبِّ، فهيّا
--------------------	-------------------

أَطْلَعِ الرُّوضُ جَنَى الْكَرْمِ مَةِ وَالزُّهْرَ النَّدِيًّا
اقطفوا الأزهارَ منه واعصروا الكرمَ الجنيًّا
يا رفاقي، قد دعانا زَمَنُ الْحَبِّ، فهِئًا!!

حَدِيثُ قُبْلَةٍ

تسائلني حلوة المبسم:
تحدّثت عني، وعن قُبْلَةٍ
فقلتُ أعابُثُها: بل نسيّت،
فإنْ تُنكرِها فما حيلتي؟
سلي شفتيك بما حسّته
ألمْ تُغمِضي عندها ناظريك؟
هبي أنّها نعمةٌ نلّتها
فإنْ شئتِ أرجعتُها ثانيًا

مَتَى أَنْتَ قَبَّلْتَنِي فِي فَمِي؟
فِيَا لَكَ مِنْ كَاذِبٍ مُلْهِمٍ!
وَفِي الثَّغْرِ كَانَتْ، وَفِي الْمَعْصَمِ
وَهَا هِيَ ذِي شَعْلَةٍ فِي دِمِي
مَنْ شَفَتَنِي شَاعِرٍ مُغْرَمٍ
وَبِالرَّاحَتَيْنِ، أَلَمْ تَحْتَمِي؟
وَمَنْ غَيْرَ قَصِدٍ، فَلَا تَنْدَمِي!
مُضَاعَفَةٌ لِلْفَمِ الْمُنْعَمِ

فَقَالَتْ، وَغَضَّتْ بِأَهْدَابِهَا:
سَأَغْمِضُ عَيْنِي كَيْ لَا أَرَكَ
كَأَنَّكَ فِي الْحِلْمِ قَبَّلْتَنِي

إِذَا كَانَ حَقًّا، فَلَا تُحْجِمِ
وَمَا فِي صَنِيعِكَ مِنْ مَأْثِمٍ
فَقُلْتُ: وَأَفْدِيكَ أَنْ تَحْلُمِي!!

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

رَبَّتِي، رَبَّةُ أَشْعَا
هي حوريَّةُ غَابٍ
وعروسٌ من بنات الـ
مثلها لم يَرَ صَيًّا
فِتْنَةُ الشَّاعِرِ فِي وَحْدِ
غَنَّتِ الْأَحْلَامُ فِي غَرْ
وَسَرَتْ تَرْقُصُ حَوْلَيْهِ
ورفيفِ السُّحْبِ وَالْأَنْدِ
ولغيري لم تَكُنْ تَخِ
لا، ولم تَرَوْ كَهَذَا الـ
وليالي الصَّيْفِ مِنْهَا
بِتُ أَسْقِيهَا وَتَسْقِي
خَمْرَةً مَا قَبَّلَتْ غَيْبِ
خَمْرَةً فِي الْغَيْبِ كَانَتْ
خُتِمَتْ بِالشَّفَقِ الْوَرْدِ
جُبِلَتْ فَخَارَتْهُ

ري، وَحُبِّي، وَغَنَائِي
لَمْ تَبْنِ لِلشَّعْرَاءِ
جَنٌّ لَمْ تَبْدُ لِرَائِي
دُ عَلَى صَفْحَةِ مَاءِ
دَدْتِهِ كُلَّ مَسَاءِ
فَتِهِ لَحْنُ اللَّقَاءِ
هِ عَلَى خَفَقِ الْهَوَاءِ
جَمِ وَالشَّهْبِ الْوَضَاءِ
طَرُ فِي هَذَا الرِّوَاءِ
لَحْنِ فِي هَذَا الصَّفَاءِ
كَأَمَاسِي الشِّتَاءِ
نِي عَلَى مُحَضِّ الْوَفَاءِ
رِ شَفَاهِ الْأَنْبِيَاءِ
قَطَرَاتٍ مِنْ ضِيَاءِ
دِي فِي أَصْفَى إِنَاءِ
مِنْ صَفَاءِ وَنَقَاءِ

حَدَّثُوا عَنْهَا، وَمَا أَحَدٌ
قَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ فِي
هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَانَتْ
عَصْرُهَا مِنْ جَنَى الرَّ
لَى حَدِيثَ النَّدْمَاءِ
غَيْرَ زَهْوٍ وَادِّعَاءِ:
لِمَلُوكِ اتَّقِيَاءِ
بَاتٍ فِي فَجْرِ شَتَاءِ

* * *

ثُمَّ آلَتْ لَغْلَامٍ
شَرِّهِ النَّظْرَةِ، عَرَبِيٍّ
عَشَقَ الْبَحْرَ وَعَافَ الْ
وَمَضَى يَضْرِبُ فِي الْكُو
عَاشَ كَالْقَرِصَانِ يَطْوِي
بِشِرَاعٍ صُنْعُهُ إِحْدَى
غَزْلًا يَمْلِكُ بِالشَّعْرِ
كَلِمَا هَامَ بِأَنْثَى
وَشَكَا الْكَأْسُ إِلَيْهِ
هَمْ أَنْ يَشْرَبَ فَارْتَدَّ،
ضَنَّ بِالْقَطْرَةِ مِنْهَا،
وَمَضَى جَيْلٌ وَجَيْلٌ،
ضَارِبًا فِي الْعَاصِفِ الثَّأِ
وَأَتَاهُ الْقَدَرُ السَّأِ
فَدَعَا الرِّبَاتِ وَاسْتَصْ
فَأَتَتْهُ رَبَّةُ الشَّعْرِ
قَالَ إِنَّ مَتًّا فَمَا أَجْ
وَرِثَاءُ مِنْكَ يُحْيِيهِ
وَحَبَاهَا سِرَّهُ الْخَا
هَامِسًا، وَالنُّورُ فِي نَا
لِكَ مَا اسْتَوْدِعْتُ أَوْ مَا
لَا تَذُودِي عَنْهُ مَعَشُو

رَائِحِ جَمِّ الزَّكَاةِ
دٍ، شَدِيدِ الْغُلُوءِ
قَقْصَرَ مَرْفُوعَ الْبِنَاءِ
نَ عَلَى غَيْرِ اهْتِدَاءِ
كَلَّ بَحْرٍ وَفَضَاءِ
سَدَى أَعَاجِيبِ الْخَفَاءِ
رَ مَقَالِيدَ النِّسَاءِ
أَوْ صَبَاً بَعْدَ اشْتِهَاءِ
طَوَلَ هَجْرٍ وَجَفَاءِ
فَأَغْضَى فِي حَيَاءِ
وَكَذَا شَرْعُ الْوَلَاءِ
وَهُوَ مَشْبُوبُ الدَّمَاءِ
ئِرٍ وَالرَّيْحِ الرُّخَاءِ
خَرُّ أَوْ حَكْمُ الْقَضَاءِ
رَخٍّ، مِنْ فَرَطِ عِيَاءِ
رَ عَلَى رَغَمِ التَّنَائِي
سَدْرٌ مِثْلِي بِالرِّثَاءِ
نِي عَلَيَّ رَغَمِ الْفَنَاءِ
لَدَّ أَوْ سِرَّ الْبَقَاءِ
ظَهَرَ وَشَكَّ انْطِفَاءِ:
صُنْتُ فِي هَذَا الْإِنَاءِ
قَكَ، يَا بِنْتَ السَّمَاءِ

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

إِنَّهُ مَلَّاحٌ بِحَرٍّ مَا لَهُ مِنْ نُظَرَاءِ
فِيهِ أَحْيَاءٌ، وَبِهِ أَنْ شَرُّ فِي الْبَحْرِ لَوَائِي

* * *

هَذِهِ خَمْرَةُ أَشْعَا رِي، وَحُبِّي، وَغَنَائِي
فِي قَصِيدٍ مُحَدَّثٍ، أَوْ فِي حَدِيثِ الْقَدَمَاءِ

زَهْرَاتِي

طَالَ انتظاري ومضى مَوْعدي وأنت مثلي ترقبينَ المساءَ
كم لكِ عندي في الهوى من يدٍ يا زَهْرَاتِي، أنتِ رمزُ الوفاءِ

* * *

يا زَهْرَاتِي، ويك لا تسأمي ولا يَرُغِكِ الزَّمَنُ الدَّائِرُ
لا تُطْرِقِي، وابتهجي، وابسِمي عمَّا قليل يُقْبِلُ الزَّائِرُ

* * *

عما قليل سوف تلقينه أجمل ما تصبو إليه العيونُ
يَطْرُقُ بابي مُعْلِنًا أَنَّهُ كل اصطبارٍ في هواه يهونُ

* * *

أقول: هل أبطأ في خطوه أم هل تُرَى أخطأً ميعاده؟
أم ضلَّلتُهُ، وهو في لهوه أرَجَاءُ حَيٍّ قَبْلُ ما ارتآده؟

* * *

تعلَّلي مثلي، وقولي: لعل! أم أنتِ لا تدريينَ سرَّ الغرامِ؟
ما أنتِ إلَّا بِسماتِ الأملِ إن خيمَ الصمتُ وسادَ الظلامُ

* * *

كم أَخَوَاتٍ لِكَ شَاطِرُنَنِي فَجَرَ لِقَاءٍ رَائِعِ المَطْلَعِ
وكم مَسَاءٍ فِيهِ سَامِرُنَنِي وَبِتُّنَ فِيهِ سَاهِرَاتٍ مَعِي!

* * *

يا حَسَنَهَا فِيهِنَّ مِنْ زَهْرَةٍ ظَنَنْتُ جَفَوْنِي بِالكَرَى مَثَقَلَاتٍ
مَسَّتْ جَبِينِي، وَهِيَ فِي حَيْرَةٍ كَأَنَّمَا تُوقِظُنِي مِنْ سُبَاتٍ

* * *

سَاهِرَةٌ تَخْفُقُ أَوْرَاقُهَا عَلَى فَمِي أَنَا، وَأَنَا يَدِي
كَأَنَّ أَشْوَاقِي أَشْوَاقُهَا أَوْ أَنَّهَا صَاحِبَةُ المَوْعِدِ!

* * *

خَلَا بَنَا، يَا زَهْرَاتِي، المَكَانُ وَزَايِلَ الشَّرْفَةِ ضَوْءُ القَمَرِ
أَلَيْلَةٌ مَا مَرَّ؟ أَمْ لَيْلَتَانِ؟ ابْقِي مَعِي حَتَّى يَلُوحَ السَّحَرُ

* * *

سَأَلْتُكَ الحَبَّ وَعَهْدَ الوَفَاءِ يَا زَهْرَاتِي لَا تَمْلِي البَقَاءَ
مَا زَالَ عِنْدِي أَمَلٌ فِي اللِّقَاءِ وَإِنْ مَضَى اليَوْمُ، وَحَلَّ المَسَاءُ

* * *

خَلَفَ زَجَاجِ البَابِ طَيْفٌ سَرَى يَدْنُو إِلَى بَابِي مِنَ السُّلَمِ
خَفَّ لَهُ قَلْبِي وَمَا صَوَّرَا غَيْرَ ذِرَاعِي شَبَحٍ مُبْهَمِ

* * *

أَظْلُ أَرْنُو نَحْوَهُ مُرْهِفًا سَمْعِي، وَمَا يَكْذِبُنِي نَاطِرِي
يَا حَسْرَتَا، مَا لَاحَ حَتَّى اخْتَفَى وَزَالَ مِثْلَ الحُلُمِ العَابِرِ

زَهْرَاتِي

* * *

وكم خُطِي أَحْسَسْتُهَا فِي دَمِي أَقُولُ: قَدْ جَاءَ وَهْذِي خَطَاةُ
أُصْغِي وَأُحْصِي دَرَجَ السَّلَامِ لَكِنَّهُ يَمْضِي، وَيَنَآيُ صَدَاةُ

* * *

يَا زَهْرَاتِي كَمْ حَدِيثٍ لَنَا عَنْ مَوْعِدٍ فِي لَيْلَةٍ أَوْ نَهَارٍ
يَعْجَبُ مِنَّا كُلُّ مَا حَوْلَنَا أَمَا سَيِّمْنَا بَعْدَ طَوِيلِ انْتِظَارٍ؟

* * *

نَاشَدْتُكَ الْحَبَّ فَإِنْ تَوَثَّرِي جَدَّدْتُ أَسْمَارِكَ فِي مَخْدَعِي
فَانْسِي مَوَاعِيدَ الْهَوَى، وَاذْكُرِي أَيَّ فَنَى، فِي الْحَبِّ، لَمْ يُخْدَعْ!

مِنْ قَارَةٍ إِلَى قَارَةٍ

طارق بن زياد في طريقه إلى الأندلس

ذاع حديث موانئ الغزو في بدء هذه الحرب، ولعل أعظم وأروع هذه الغزوات في الحروب القديمة بدأت من «طنجة» الميناء الأفريقي الذي خرج منه القائد العربي العظيم «طارق بن زياد» في أسطول يُقَلُّ اثني عشر ألف محارب منذ أكثر من ألف ومائتي عام، وسار به إلى الصخرة الشَّمَاء التي نزل بها جيشه الفاتح، وسُمِّيت باسم ذلك القائد العظيم الذي أتاحت له عبقريته الحربية في هذه الغزوة نصرًا منقطع النظير في أجمل وأغنى وأقوى بقاع القارة الأوروبية وهي الأندلس.

تَهْفُو بِأَجْنَحَةٍ مِنَ الظُّلُمَاءِ؟
قُنْنَ الْجِبَالِ عَلَى الْخَضَمِ النَّائِي؟
لَمَنِ السَّفِينُ تُرَى، وَأَيُّ لَوَاءِ؟
مَتَرَبِّصًا بِالْمَوْجِ، وَالْأَنْوَاءِ
وَيَضُمُّ، تَحْتَ اللَّيْلِ، فَضْلَ رَدَاءِ
مِنْ وَسَمِ «إِفْرِيْقِيَّةَ» السَّمَرَاءِ
مَسَحَتْ مُحَيَّاهُ يَدَ الصَّحْرَاءِ
تَحْتَ النُّجُومِ الْغُرِّ وَالْأَنْدَاءِ
مِنْ قَبْلُ لِابْنِ الْوَاحَةِ الْعِذْرَاءِ

أَشْبَاحُ جَنْ فَوْقَ صَدْرِ الْمَاءِ
أَمْ تِلْكَ عُقْبَانُ السَّمَاءِ وَتَبْنَ مِنْ
لَا، بَلْ سَفِينُ لُحْنٍ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَمَنْ الْفَتَى الْجِبَارُ تَحْتَ شِرَاعِهَا
يُعْلِي بِقَبْضَتِهِ حِمَائِلَ سَيْفِهِ
وَيُنِيلُ ضَوْءَ النُّجُومِ عَالِي جَبْهَةِ
دَهَبٍ بِبُوتَقَةِ السَّنَا مِنْ ذُوْبِهِ
لَوْ جَلَّتْ فِيهِ الصَّحَارَى سَحَرَهَا
وَسَمَاءُ بَحْرِ مَا تَطَامَنُ مَوْجُهُ

بحرٌ، أساطيرُ الخيال شطوطُهُ
ومدائنٌ سحريَّةٌ شارفَنَهُ
ومعابدٌ شُمٌّ، وآلهةٌ على
أبطالٍ «يونان» على أمواجهِ
يتجاذبون الغارَ تحت سمائهِ
ما زال يرمي «الرُّومَ» وهو سليلهم
حتى طَلَعَتْ بِهِ فكنتَ حديثَهُ
ويسائلون بك البروقَ لوامعًا
من علَمَ البدويَّ نَشَرَ شرائعها!
أين القفارُ من البحارِ، وأين من

يا ابن القبابِ الحُمُرِ ويحك! من رَمَى
تغزو بعينيك الفضاءَ وخَلَفَهُ
جُرُزٌ مُنَوَّرَةٌ الثغورَ كأنَّها
والشرقُ، من بُعِدِ حقيقَةُ عالمٍ
ضَحِكَتْ بصفحتِهِ المُنَى وتراقصَتْ
وَوَثَبَتْ فوق صخورها وتَلَمَّسَتْ
فكأنما لك في ذُرَاهَا مَوْعِدُ
ووقفتَ والفتيانُ حولك، وانْبَرَتْ
هذي الجزيرةُ، إن جهلتم أمرها
البحرُ خلفي، والعدوُّ إزائي
... وتَلَفَّتُوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ
قد أحرَقَ الرُّبانُ كلَّ سفينةٍ
ألقى عليه الفجرُ خَيْطَ أشعةٍ

وأتى النهارُ وسار فيه طارقُ
يبني لِمُلْكِ الشرقِ أيَّ بناءٍ

مِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ

حتى إذا عَبَرْتُ لِيَالٍ طَوَّفْتُ أَحْلَامُهُ بِالْبَحْرِ ذَاتَ مَسَاءٍ
يرعى على الأفقِ المُرْصَعِ قَرْيَةً أعْظَمُ بِهَا لِلْغَزْوِ مِنْ مِينَاءِ
مَدَّ الْمَسَاءُ لَهَا عَلَى خُلْجَانِهَا ظِلًّا، فَنَامَتْ فَوْقَ صَدْرِ الْمَاءِ!

رَاقِصَةُ الْحَانَةِ

سَرَتْ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَالْخِيَالِ
مُجَرَّدَةً حَسِبَتْ أَنَّهَا
فَلَيْسَتْ تُحَسُّ اشْتِهَاءَ النَفُوسِ
وَلَيْسَتْ تَرَى غَيْرَ مَعْبُودِهَا
دَعَاها الهوى عِنْدَهُ لِلْمُتُولِ
فَخَفَّتْ لَهُ شِبْهَ مَسْحُورَةٍ
وَفِي رُوحِهَا نَشْوَةٌ حُلُوءٌ
تَرَاهَا وَقَدْ طَوَّقَتْ حَوْلَهُ

تَعَانَقُ آلِهَةً فِي الْخِيَالِ
مِنَ الْفَنِّ فِي حَرَمٍ لَا يُنَالُ
وَلَيْسَتْ تُحَسُّ عِيُونَ الرِّجَالِ
عَلَى عَرْشِهِ الْعَبْقَرِيِّ الْجَلالِ
وَمَا الْفَنُّ إِلَّا هَوًى وَامْتِثَالُ
عَلَتْ وَجْهَهَا مَسْحَةٌ مِنْ خَبَالِ
كَمَهْجُورَةٍ مُنِّيَتْ بِالْوَصَالِ
جَلالِهَا الصُّبَا، وَزَهَاها الدَّلَالُ

* * *

تَضُمُّ الْوِشَاحَ وَتُلْقِي بِهِ
كَفَارِسَةٍ حَضَنْتْ سَيْفَهَا
تَمُدُّ يَدَيْهَا وَتَتَنِيهِمَا
كَحُورِيَّةِ النَّبْعِ تَطْوِي الرِّشَاءَ
مُحَيَّرَةً الطَّيْفِ فِي مَائِجِ
تُخَيِّلُ لِلْعَيْنِ فِيمَا تَرَى
وَزَنْبَقَةً وَسَطَ بِلُورَةٍ
تَنْقُلُ كَالْحُلُمِ بَيْنَ الْجَفُونِ

وَفِي خَطْوِهَا عِزَّةٌ وَاخْتِيَالُ
وَأَلْقَتْ بِهِ بَعْدَ طَوْلِ النُّضَالِ
وَتَرْتَدُّ فِي عَوَجٍ وَاعْتِدَالِ
وَتَجْذِبُ مِمْتَلِئَاتِ السَّجَالِ
مِنَ النُّورِ يَغْمُرُهَا حَيْثُ جَالُ
فَرَاشَةٍ رَوْضِ جَفَتْهَا الظَّلَالُ
عَلَى رَفْرِفِ الشَّمْسِ عِنْدَ الزَّوَالِ
وَكَالْبَرْقِ بَيْنَ رُءُوسِ الْجِبَالِ

هَبُوبَ الصَّبَا وَوُثُوبَ الْغَزَالِ	على إضْبَعِي قَدَمِ الْأَهَمَّتْ
كُفْرَعَيْنِ مِنْ جَدُولٍ فِي انْثِيَالِ	وَتُجْرِي ذِرَاعَيْنِ مِنْسَابَتَيْنِ
تَقَاطِيعَ جِسْمٍ فَرِيدِ الْمَثَالِ	كَأَنَّهُمَا حَوْلَهَا تَرْسُمانِ
وَيَرْضَى الْهَوَى، وَيُرِيدُ الْجَمَالَ!	أَبْتُ أَنْ تَمَسَّاهُ بِالرَّاحَتَيْنِ
تُرِيكَ الْهَدَى، وَتُرِيكَ الضَّلَالَ	وَمِنْ عَجَبٍ، وَهِيَ مَفْتُونَةٌ
تَرَاقُصُ، قَبْلَ فَنَاءِ الذُّبَالِ	تَلَوَّى وَتَسْهُو كُلُّهَا بَةِ

* * *

تَرَامِي الْجَنُوبُ بِهِ وَالشَّمَالُ	وتعلو وتهبطُ مثل الشراع
تُعَذِّبُهَا بِسَيَاطِ طَوَالُ	وتعدو كأنَّ يَدًا خَلْفَهَا
ضِرَاعَةٌ مُسْتَغْفِرٍ فِي ابْتِهَالُ	وتزحفُ رافعةً وَجْهَهَا
كَقُمْرِيَّةٍ وَقَعَتْ فِي الْحَبَالُ	وتسقط عَانِيَةً لِلْجَبِينِ
وَتَخْفُقُ لَا عَنْ ضَنْئِي أَوْ كِلَالُ	تَبِضُّ تَرَائِبُهَا لَوْعَةً
وَبَعْضُ الَّذِي اسْتَوْدَعَتْهَا اللَّيَالُ!!	ولكنَّه بَعْضُ أَشْوَاقِهَا

الشاعرُ

عَبْقَرِيٌّ مِنَ النَّغَمِ	رَجَعُهُ الْحُبُّ وَالْأَلَمُ
نَبَعُهُ قَلْبُ شَاعِرٍ	شَارَفَ النُّورَ فِي الْقَمَمِ
وَرَأَى مَوْلَدَ الْحَيَا	ةٍ عَلَى شَاطِئِ الْعَدَمِ
فِي رَفِيفٍ مِنَ النَّدَى	وَحَفِيفٍ مِنَ النَّسَمِ
وَإِطَارٍ مِنَ السَّنَا	جَمَعَ الْكَوْنَ وَانْتَضَمَ
وَرَأَهَا وَقَدْ بَدَتْ	مِثْلَ حَوْرِيَّةِ الْحُلَمِ
هِيَ سَكَزَى تَجَرَّدَتْ	مِنْ ثِيَابٍ وَمِنْ عِصَمِ
وَهُوَ لِاهٍ بِخَدْرِهَا	ثَمِلٌ بِالَّذِي غَنِمِ
تَعَصَّرَ الْكَرَمَ رَاحَتَا	هُ لَهَا، وَهِيَ تَبْتَسِمُ
فَشَدَا أَوَّلَ الرَّعَا	ةِ بِشَبَابَةِ الْقِدَمِ
قَبْلَ أَنْ يُسْعِدَ الْغِنَا	ءُ بِهَا رَاعِيَ الْغَنَمِ
خَطَرُهُ مِنْ شَبَابِهِ	وَمَضَتْ، فَاشْتَكَى السَّأَمِ

* * *

وَإِذَا الشَّاعِرُ الْمَدْلُ	هُ يَقْظَانُ لَمْ يَنْمِ
أَرْقَتْهُ صَبَابَةٌ	بَيْنَ جَنْبَيْهِ تَضْطَرُّمُ
يَقْطَعُ الدَّهْرَ وَحْدَهُ	ذَاهِلًا تَائِبَةً الْقَدَمِ
يَسْأَلُ اللَّيْلَ، وَالْكُوَا	كِبَ، وَالسُّحْبَ، وَالذِّيمِ

ناح قيثارُهُ الشَّجَرِ	سَيُّ بِمَا رَقَّ وَاَنْسَجَمْ
وَعَلَى خَدَّهِ جَرَتْ	عَبِيرَاتُ مِنَ النَّدَمِ
ذَوْبُ الْحُبِّ قَلْبَهُ	وَبَرَى جِسْمَهُ السَّقَمِ
وَجَلَا الْغَيْبُ سَرَّهُ	بَيْنَ عَيْنِيهِ وَارْتَسَمَ
فَجَرَى فِي نَشِيدِهِ	أَرْوَعُ الشَّعْرِ وَالنَّغَمِ

* * *

فَانظُرُوا أَيَّ شَاعِرٍ	هُوَ فِي الْحَفْلِ بَيْنَكُمْ
ذَلِكَ الْمَبْدُوعُ الرُّوَا	نَع فِي صُورَةِ الْكَلِمِ
رَبُّهُ الْحِكْمَةُ اشْتَكَتْ	هُوَ إِلَى رَبِّهِ الْقَلَمِ
نَازَعَتْهَا غَرَامُهُ	وَهُوَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمِ
فَاسْمَعُوا الْآنَ شَعْرَهُ	وَتَمَلَّوْهُ عَنْ أَمَمِ
ضَامِرُ الْجِسْمِ وَاسْمُهُ	يَسْعُ الْكُؤْنَ بِالْعِظَمِ
وَقَصِيرٌ، وَمَجْدُهُ	بَاذِخٌ كَالضَّحَى أَشَمِ
ذَلِكَ الشَّاعِرُ الَّذِي	فَازَ بِالْحُبِّ وَاتَّسَمَ
خَالِدٌ بِالَّذِي شَدَا	خَالِدٌ بِالَّذِي نَظَّمَ

* * *

ذَلِكَ «نَاجِي» وَحَسْبُهُ أَنَّهُ الشَّاعِرُ الْعَلَمُ!

عَاشِقَةٌ

«قيلت على لسان فتاة تُناجي معشوقها الذي يجهل أنها تهواه..»

يا حبيبي أَقْبَلَ اللَّيْلُ ونَادَانِي الْغَرَامُ
أَيُّ سِرٍّ لِمَحَبٍّ لَمْ يُصَوِّرْهُ الظَّلَامُ
كُلُّ نَجْمٍ مَهْجَةٌ تَهْفُو وَعَيْنٌ لَا تَنَامُ
وَشِعَاعُ الْبَدْرِ مَعشُوقٌ بِهِ جُنَّ الْغَمَامُ
يا حبيبي كُلُّ عَيْشٍ مَا خَلَا الْحَبَّ حَرَامُ
وَحَرَامُ، يَا حَبِيبِي

* * *

يا حبيبي غَنَّتِ الْفَرَحَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
فَهُنَا الْبُلْبُلُ يَشْدُو، وَهَنَاكَ الْعَاشِقَانِ
غَيْرَ أَنِّي أَشْتَكِي الْوَحْشَةَ فِي ظِلِّ التَّدَانِي
إِنَّمَا رَوْحُكَ فِي الْكُونِ وَرَوْحِي تَوَاطَانِ
لَا تَدْعُنِي أَقْطَعِ الْأَيَّامَ وَحْدِي، وَأُعَانِي
فَحَرَامُ، يَا حَبِيبِي!

* * *

يَا حَبِيبِي سَيِّمَ اللَّيْلُ سَكُوتِي وَاكْتِنَابِي
أَنَا أَهْوَاكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا بِي

لَحْظَةً بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ فَقَدْ طَالَ عَذَابِي
لَحْظَةً أَمْزَجُ أَنْفَاسَكَ بِالْقَلْبِ الْمُدَابِ
وَأُغْنِّي، وَيُغْنِّي لَكَ حُبِّي، وَشَبَابِي
وَسَلَامٌ، يَا حَبِيبِي

الكَرْمَةُ الْأُولَى

بالله من أنبأك باللون والطعم
وما جَنَتْ كَفَّاكَ يا غارسَ الكَرْمِ؟

* * *

أدمُ أم حوَّاءَ أغراك بالغرسِ
يا شاربَ الصُّهْبَاءِ عَلَّا بلا كأسٍ؟

* * *

لو شربا منها ما نَسِيا العهدَا
أو حُدَّتَا عنها ما هجرا الخُلْدَا

* * *

صهباؤُ ما كانتُ من غرسِ إبليسِ
بل كرمَةُ زانتُ خَلَقَ الفردائِسِ

* * *

تسمو بها الأرواحُ عَنْ عالمِ الإثمِ
شفافَةُ الأَفْداحِ في رِقَّةِ الحُلُمِ

* * *

الكأس والقيثار يا ربّة الحسن
يا ربّة الأشعار غني بها غني

* * *

غني بها رُوحًا علوية الومض
لو أدركت نوحًا عشنا بلا أرض

* * *

عشنا كأحلام في خاطر الأكوان
في عالمٍ سام لا يعرف الأحران

* * *

هاتي اسقني هاتي من دنّها المختوم
أنسى بها الآتي من عمري المحتوم

المدينة الباسلة

وَوَقَفْتَ أَنْتِ، وَرُوحُكَ الْجَبَّارُ
إِلَّا جَهَنَّمَ هَاجَهَا الإِعْصَارُ
شَابَ الْحَدِيدُ، لِهَوْلِهَا، وَالنَّارُ
لِحِمَاتِكَ الإِعْظَامُ وَالْإِكْبَارُ
وَرَأَى مَلَا حِمَمَهُمْ وَكَيْفَ تُثَارُ
نُكَّتْ عَلَى حُرَاسِهَا الْأَسْوَارُ
وَشَدَا بِهِمْ، وَتَرْنَمَ الْقِيثَارُ
رَدَّ الْمُغِيرَ بِهِ، وَفُكَّ حِصَارُ
لَكِنْ جَرَتْ بدمائِهِ الْأَنْهَارُ
هُوَ عَنْ جِماها الذائدُ الْمِغْوَارُ
لَمْ يَخْلُ مِنْ وَثْبَاتِهِ مِضْمَارُ
إِمِضَاؤُهُ فِيهَا غُلًّا وَفَخَارُ
فِيما يُظِلُّ الْعُشْبُ وَالْأَزْهَارُ
فِيما تُعْرِي الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ
لِيَتَمَّ غَرْسُ أَوْ يَطِيبَ ثِمَارُ
كَيْمًا يَثُورَ بِرُوحِهَا التِّيَّارُ
يَبْغِي الْعُبُورَ وَدُونَهُ أَشْبَارُ
حَتَّى تَلَاشَى الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ

طَلَعُوا جبابرةً عَلَيْكَ، وَثَارُوا
عَصَفُوا بِبَابِكَ، فَاسْتَبِيحَ، فَلَمْ يَكُنْ
حَرْبُ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ يَوْمِهَا
لَوْ قِيلَ: أَبْطَالُ الْعُصُورِ فَمَنْهُمْ
أَوْ عَادَ «هُومِيرُ» وَسِحْرُ غِنَائِهِ
وَهُمُو حُمَاةَ مَدِينَةٍ مَحْصُورَةٍ
نَسِيَ الَّذِي غَنَّاهُ فِي «طُرُودَةٍ»
كَمْ مِنْ «أَخِيل» فِيهِمْ لَكِنَّهُ
لَمْ تَجْرِ مَلْحَمَةٌ بِوَصْفِ كِفَاجِهِ
نَادَتْهُ مِنْ خَلْفِ الشَّوْاطِي أُمَّةٌ
إِنْ يَسْأَلُوا عَنْهُ، فَفَارِسُ حَلْبَةٍ
أَوْ يَقْرَءُوا تَارِيخَهُ، فَصَحِيفَةٌ
أَوْ يَبْحَثُوا عَنْ قَبْرِهِ، فَمَكَانُهُ
فِيما يُغْطِي التَّلَجُّ تَحْتَ رُكَامِهِ
هُوَ مُهْجَةٌ فَنِيَتْ بِأَرْضِ مَعَادِهَا
هُوَ مَوْجَةٌ ذَابَتْ بِبَحْرِ وُجُودِهَا
فِي شَاطِئِ وَقْفِ الْعَدُوِّ إِزَاءَهُ
مَا زَالَ يَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ كَتِيبَةٍ

وَهَوَىٰ وَفِي شَفَقَتِهِ بِسْمَةِ ظَافِرٍ أَوْدَىٰ، وَتَمَّ عَلَى يَدَيْهِ الثَّارُ
يُزْهِى بِهِ تَحْتَ الْحَدِيدِ وَبِأَسِهِ رَأْسٌ يَكْلُلُ مِفْرَقِيهِ الْغَارُ

* * *

يَا رَبَّةَ الْأَبْطَالِ، لَا هَانَ الْجَمَى وَسَلِمْتَ أَنْتِ، وَقَوْمُكَ الْأَحْرَارُ
أَقُولُ: أَبْنَاءُ الْوَعَى أَمْ جِنَّةٌ؟ وَأَقُولُ: إِلَهَةٌ، أَمْ الْأَقْدَارُ؟!
يَسْتَنْقِذُونَكَ مِنْ بَرَاثِنِ كَاسِرٍ مَا جِئْتَ بِهِ الْأَجَامُ وَالْأَغْوَارُ
مُتَرَبِّصِ السُّطُوتِ تَحْتِيئِ الرَّبَا وَتَفِرُّ مِنْ طُرُقَاتِهِ الْأَشْجَارُ
قَهَرَ الطَّبِيعَةَ صَيْفَهَا وَشَنَاءَهَا حَتَّى أَتَاهُ شِتَاؤُكَ الْقَهَّارُ
مَجْدَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى! إِنَّ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ، فِيهِ الْعُقُولُ تَحَارُ

* * *

عَجَبًا أَأَنْتِ مَدِينَةٌ مَسْحُورَةٌ أَمْ عَالَمٌ حَاطَتْ بِهِ الْأَسْرَارُ؟!
طُرُقٌ مُحِيرَةٌ يَضِلُّ وَيَهْتَدِي فِيهَا الْكُمَاةُ، وَلَيْسَ ثَمَّ قَرَارُ
عَزَّتْ عَلَى قَدَمِ الْعَدُوِّ كَأَنَّمَا مِنْ زُنْبُقٍ صِيغَتْ بِهَا الْأَحْجَارُ
وَمَنَازِلُ مَشْبُوبَةٌ، وَكَأَنَّهَا لِلْجِنِّ فِي وَادِي اللَّظَى أَوْكَارُ
وَتَرَى زَبَانِيَةَ الْجَحِيمِ بِبَابِهَا ضَاقَتْ بِهِمْ غُرْفٌ، وَنَاءَ جِدَارُ
يَتَصَارِعُونَ بِأَذْرُعِ مَخْضُوبَةٍ وَالسَّقْفُ فَوْقَ رءُوسِهِمْ يَنْهَارُ
يَتَنَازِعُونَ بِهَا الطَّبَاقَ خَرَائِبًا دَمِيتْ عَلَى أَنْقَاضِهَا الْأُظْفَارُ
مَا زِلْتَ صَامِدَةً لَهُمْ حَتَّى إِذَا سَهَتِ الْعُقُولُ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَتَقَبَّضَ الْمُسْتَقْتِلُونَ، وَعَرَبَدَتْ أَيْدِي الرُّمَامَةِ، وَعَرَدَ الْبَتَّارُ
وَتَقَوَّضَ الْحِصْنُ الْمَنِيعُ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا جِدَارٌ يَحْتَوِيهِ دِمَارُ
وَقَسَا عَلَيْكَ الْمُرْجِفُونَ وَحَدَّثُوا: أَنْ لَيْسَ تَمْضِي لَيْلَةً وَنَهَارُ
أَطْبَقْتَ كَالنَّسْرِ الْمُحَلَّقِ، مَا لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا مِنْ مِخْلَبِيهِ فِرَارُ
وَتَفَرَّسَتْكَ قُلُوبُهُمْ فَتَرَنُّحُوا رُعْبًا، وَأَنْتِ الْخَمْرُ وَالْخَمَارُ
وَحَبَّتْ مَدَافِعُهُمْ وَذَابَ حديدُهُمْ وَالتَّلْجُ يَعْجَبُ وَاللَّظَى الْمَوَّارُ

* * *

يا فَنِيَّةَ «الْفُولَجَا» تَحِيَّةَ شَاعِرِ
مَلَّاحٍ وَادِي النِّيلِ إِلَّا أَنَّهُ
أَبَدًا يُطَوِّفُ حَائِرًا بِشِرَاعِهِ
إِنِّي رَفَعْتُ بِكُمْ مَثَلًا رَائِعًا
لِشَبَابِ مِصْرَ وَهُمْ بُنَاةُ حَيَاتِهَا
رَقَّتْ لَهُ فِي شَدْوِهِ الْأَشْعَارُ
أُغْرَتْهُ بِالنَّيِّهِ السَّحِيقِ بَحَارُ
يَرْمِي بِهِ أَفُقٌ، وَتَقْذِفُ دَارُ
يَوْمًا إِلَيْهِ فِي الْعُلَا، وَيُشَارُ
وَحُمَاتُهَا إِنْ حَاقَتْ الْأَخْطَارُ

* * *

وَبِمِثْلِ مَا قَدَمْتُمْ وَبَذَلْتُمُو
هَذِي مَدِينَتَكُمْ، وَذَاكَ صِرَاعُهَا
جِئْتُمْ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ لَمْ تَحْتَفِلْ
تَتَحَدَّثُ الدُّنْيَا بِهَا وَبِصُنْعِكُمْ
أَحْقِيقَةُ فِي الْكَوْنِ أَمْ أُسْطُورَةٌ
تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ الْأَعْمَارُ
رَمَزُ لِكُلِّ بُطُولَةٍ وَشِعَارُ
يَوْمًا بِمِثْلِ حَدِيثِهَا الْأَمْصَارُ
وَتُحَدِّثُ الْأَجْيَالُ وَالْأَدْهَارُ
هَذَا الصِّرَاعُ الْخَالِدُ الْجَبَّارُ؟!

بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ

ذكرى مرور مئة عام على وفاة محمد علي الكبير

يُضِيءُ فِي مِصْرَ مَنَارُ السَّنِينِ
وَمِنْ رَجَاءٍ كَالصَّبَاحِ الْمُبِينِ
عَارِمَةٌ، لَا تَنْتَنِي، لَا تَلِينُ
تَبْنِي لَهُ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمَكِينُ
شَيْدَهُ فِرْعَوْنُ فِي الْأَوَّلِينَ
حِجَارَةٌ خِرْسَاءٌ لَيْسَتْ تُبِينُ
وَشُعْلَةٌ الْعِلْمِ وَقَجَرُ الْفَنُونِ
عَزَّ بِهِ الشَّعْبُ الْغَبِينِ الْمَهِينِ
مَنْزِلَةٌ عَزَّتْ عَلَى الطَّامِحِينَ
أَيْنَ كَهَذَا الشَّعْبُ فِي الْمَحْسَنِينَ
وَمِنْ يَدَيْهِ مِغْزَلُ النَّاسِجِينَ
وَالْحَمَمُ الْحَمْرُ كُرَاتُ الْمَنُونِ
وَحَوْضَتُ مَلَأَ الْبَحَارَ السَّفِينِ
وَحَارِسُ الشَّرْقِ الْقَوِيُّ الْأَمِينِ
وَدُنْتُ فِي سُلْطَانِكَ الْعَالَمِينَ

مِنْ هَذِهِ الرُّوحِ وَهَذَا الْجَبِينِ
أَشْعَةُ مِنْ بَسْمَاتِ الْمُنَى
وَمِنْ قُوَى مَشْبُوبَةٍ كَاللُّظَى
خَطَّتْ بِنَاءَ الْمَلِكِ ثُمَّ ارْتَقَتْ
أَوَّلُ بَانَ أَنْتَ بَعْدَ الَّذِي
قَدَّ مِنَ الصَّخْرِ تَمَائِيلُهُ
وَأَنْتَ أَطْلَعْتَ مَنَارَ الْحَجَا
بِنَاءَ دُنْيَا وَحَيَاةٍ مَعَا
بِعَثْنَتِهِ خَلَقًا جَدِيدًا إِلَى
قَالُوا: الْحَضَارَاتُ، فَقُلْتُ: انظُرُوا
مَنْ قُطِنَهُ يَلْبَسُ هَذَا الْوَرَى
وَالْمَدْفَعُ الصَّخَابُ مِنْ صَنْعِهِ
قَدْ مَاجَتِ الْأَرْضُ بِرَايَاتِهِ
وَجَيْشُهُ مُنْقَذُ إِفْرِيقِيَا
بِهَوْلَاءِ السُّمْرِ جُبَّتِ الثَّرَى

ومن بَنِيكَ الصَّيْدَ أَبْطَالُهُ وَمَنْ كِبْرَاهِيمَ فِي الْفَاتِحِينَ؟
تاجُ البطولاتِ على رَأْسِهِ مؤتَلَقُ والغَارُ فوقَ الجَبِينِ

* * *

مَنْ زَخَرَفَ الواديَ وأَجْرَى به جداولَ التبرِ كماءٍ مَعِينٍ؟
وأخْضَعَ النهرَ لسلطانهِ وهو إِلَهٌ سادَ في الأَقْدَمِينَ
وَمَنْ بَنَى تلكَ السدودَ التي تَخْتَزِنُ السُّحْبَ ولا يَمْتَلِينَ؟
غَوَائِثُ الأرضِ إذا أَقْلَعَتْ حواملُ الغيثِ الدفوقِ الهَتُونَ
وَمَنْ أَتَى الصحراءَ في دَوَّها بهذه الأسوارِ شُمَّ الحُصُونِ؟
يا عبقرِيَّ الدهرِ إِنَّ الذي صَنَعَتْهُ معجزةُ الصانعينِ
مهندسُ أَنْتَ سَمَا فَتُنُهُ وعالِمٌ أوتِيَ عِلْمَ السَّيْنِينَ
أدركتَ ما للفنِّ من قُوَّةٍ فِدَنْتَ بالقُوَّةِ فيما تَدِينِ
أبياتُ شعرٍ أنا بَنَّاؤُها أَجَرُها اللفظُ السَّرِيُّ الثَّمِينِ
رسمْتُها بعضَ خطوطٍ كما يُرَسِّمُ أَفَقُ الكونِ للناظرينِ
يبدأُ فيها الفكرُ لا ينتهي وتسبحُ الأعينُ لا يلتقينِ
لسيِّدِ النيلِ وفاروقِهِ رفَعْتُها في موكبِ الخالدينِ
مولاي، من جَدِّكَ أنشودةُ مَزْهَرُها التاريخُ عَذْبُ الرنينِ
ألهمَّها والدَكَ المجتَبَى وَأَنْتَ من أبنائِهِ المُلْهِمِينَ
وَأَنْتَ مَنْ رُوحِيهِمَا آيَةٌ كَأَيَّةِ اللهِ إلى المرسلينِ
وصورةُ مشرقةٍ سَمَحَةٌ إِطارُها الحبُّ ونورُ اليقينِ

حُلْمُ لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ

يا شرقُ، ملءْ خاطري	سِحْرٌ وملءْ ناظري
أَوْحِيْ ليلِكَ القديـ	مِ أمْ رُؤَى الزَّوَاهِرِ؟
يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ	رائعةِ الدِّياجِرِ
نجومُها خَلَفَ الغما	مِ أَعْيُنُ المَقادِرِ
ترنو على جوانِبِ الـ	سَماءِ لِلْمُهاجِرِ
تَمُدُّ منْ شعاعِها	مِثْلَ جَنَاحِ طائِرِ
رُغْياَ المَحَبِّ للحبيبِ	بِ حُفٍّ بالمخاطرِ
تقول: ههنا السُّرَى،	ومن هنا فحاذِرِ

يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ	بَعَثَتْهَا منْ غابِرِ
حَقِيقَةُ تلوح لي،	أَمْ ذاكْ حُلْمُ شاعِرِ؟
أرى على صحيفَةِ الزـ	مان حَدًّا باتِرِ
تَكْمُنُ في فِرْنِدِهِ	جَريمَةُ لُغادِرِ
ومن بريقِهِ تُطـ	لُّ أَلْفُ عَيْنِ فاجِرِ
مُلْقَى وراءَ صخرةِ	كانتْ ملاذَّ عابِرِ
أَوَى إليها مُفَرِّدًا	غَيْرَ أَخٍ مَناصِرِ
والبادياتُ حوله:	رَوْعٌ وهمسُ حائِرِ

كَأَنَّمَا أَنْسَامُهُ	نَّ تَمْتَمَاتُ سَاجِرِ
هُوَ انْتِقَالََةُ الْحَيَا	ة، وَثَبَةُ الْأَدَاهِرِ
شَدَا الرِّعَاةُ بِاسْمِهِ	فِي الْأَعَصْرِ الْغَوَايِرِ
وَأَوْدَعُوهُ فَزَحَّةً	صَوَادِحَ الْمَزَاهِرِ
زَفُّوا بِهِ إِلَى الْحَيَا	ة أَجْمَلَ الْبَشَائِرِ
لَحْنٌ وَفِيهِ قَسْوَةُ الـ	عَوَاصِفِ الثَّوَائِرِ
وَفِيهِ ثَوْرَةٌ عَلَى الـ	عَقَائِدِ الدَّوَائِرِ
يَقْتَحِمُ الذَّرَا الْمَنِيـ	عَةَ اقْتِحَامَ سَاجِرِ
يَهْزَأُ بِالْجِيُوشِ فِي	أَلْوِيَةِ الْقِيَاصِرِ
يَهْدُمُ كُلَّ فَاسِدٍ،	يَهْزُمُ كُلَّ جَائِرِ
وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ	يَبْنِي بِنَاءَ قَادِرِ!

* * *

يَا شَرْقُ، سَحْرُكَ الْقَدِيدِ	مُ مَالِكُ مَشَاعِرِي
هَذِي الطَّوَالِغُ الْحَسَا	نُ فِي الْحُلَى النُّوَاضِرِ
الْمُطْلَقَاتُ بِالنَّشِيدِ	عَدَّ أَرْخَمَ الْحَنَاجِرِ
كَأَنَّهُنَّ جَوْقَةُ الـ	هَوَاتِفِ الطَّوَائِرِ
حَيَّيْنِ مَوْلَدِ الرَّبِّ	ع، وَالسَّنَا الْمُبَاكِرِ
عَرَائِسُ الْخِيَالِ، هُنَّ،	أَوْ بَنَاتُ خَاطِرِي
يَنْثَرْنَ مِنْ أَكْفِهِنَّ	أَنْضَرَ الْأَزَاهِرِ
عَلَى طَرِيقِ مُلْهِمِ	مُخَلِّدِ الْمَآثِرِ
شَرْقُ، أَيُّ رَوْعَةٍ	جَلَّوَتْهَا لِنَاطِرِي
حَقِيقَةُ تَلَوُّحِ لِي،	أَمْ ذَاكَ حُلْمُ شَاعِرِ؟

لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ

إِسْمَعِي أَيَّتُهَا الرُّو
وَانْظُرِي! هَلْ فِي نَوَاحِي الـ
لَا تُرَاعِي إِنْ يَكُنْ قَدْ
فَالنَّوَاقِيسُ الَّتِي حَيْدُ
الشَّجَى رَجَعُ صَدَاهَا
وَالْتَرَاتِيلُ مِنَ الْبَيْدِ
رَدَّدَتْهُنَّ التُّكَالِي
وَالْمَصَابِيحُ الَّتِي كَا
خَنَقَتْهَا قَبْضَةُ الشَّرِّ
صَبَغُوهَا بِسَوَادٍ
مَأْتَمٌ لِلنُّورِ قَامَ الـ
تَحْتَ لَيْلٍ مَا لَهُ بَدِ
أَيُّهَا الْمُبْعُوثُ، لَا ضَنْدَ
انْظُرِي الْأَرْضَ ... فَهَلْ فِي الـ
نَسِيَ الْقَوْمُ وَصَايَا
وَكَمَا بَاعَوْكَ، يَا مَنْدَ

خُ! أَفِي الْكَوْنِ غِنَاءٌ؟
أَرْضَ بِاللَّيْلِ ضِيَاءٌ؟
صَرَ عَنْكَ الْبَشَرَاءُ
تُكَ، أَشْجَاهَا الْقَضَاءُ
وَالْأَسَى، وَالْبُرَحَاءُ
سَعَةِ نَوْحٍ وَبُكَاءُ
وَالْيَتَامَى الشَّهْدَاءُ
نَ بِهَا يُزْهِى الْمَسَاءُ
فَمَا فِيهَا ذَمَاءُ
فَهِيَ وَاللَّيْلُ سَوَاءُ
وَيْلٌ فِيهِ وَالشَّقَاءُ
ءٌ، وَلَا مِنْهُ انْتِهَاءُ
تَ بِرُجْعَاكَ السَّمَاءُ
أَرْضَ حُبٍّ وَإِخَاءُ؟
كَ، أَوْ ضَلُّوا، وَأَسَاءُوا!
قَدْ، بَيْعَ الْأَبْرِيَاءُ!!

لَيْلَةُ الْمِيلَادِ، وَالْدَنَ	يَا دَمَوْعُ وَدَمَاءُ
فِي رُبُوعٍ كَانَ فِيهَا	لَكَ بِالسَّلَامِ اِزْدِهَاءُ
بِاسْمِهِ يَشْدُو الْمَغْنُو	نَ، وَيَشْدُو الشُّعْرَاءُ
أَيْنَ وَلَّتْ هَذِهِ الْفَر	حَةَ؟ أَمْ أَيْنَ الصَّفَاءُ؟
لَمْ تَصَافَحْكَ مِنَ الْأَطْ	فَالِ أَحْلَامُ وَضَاءُ
رَقْدُوا، غَيْرَ عَيُونِ	رِيحٍ مِنْهُنَّ الْفَضَاءُ
تَرْقُبِ الْأَبَاءَ، هَلْ عَا	دُوا؟ وَهَلْ حَانَ الْلِقَاءُ؟
بَيْنَ أَيْدِي أُمّهَاتِ،	بِتَّنْ، وَاللَّيْلِ جَفَاءُ
فِي طَوَايَا النَّفْسِ يَبْكِي	نَ، وَقَدْ عَزَّ الرَّجَاءُ!
وَيَحْهَمُ، أَيْنَ تُرَاهِمُ،	هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ؟
هُمْ وَرَاءَ اللَّيْلِ، أَجْسَا	دُ، وَأَرْوَاحُ هَبَاءُ
وَوَجْهُهُ رَسَمَ الرَّعْدِ	بُ عَلَيْهَا مَا يَشَاءُ
خَنَدَقُوا فِي مَازِقِ الْمَو	تِ، وَمَا مِنْهُ نَجَاءُ
بَيْنَ مَوْجٍ مِنْ سَعِيرِ	يَتَوَقَّاهُ الْفَنَاءُ
وَجِبَالٍ مِنْ رُكَامِ الْ	حُلُجِ يُرْسِيهَا الشِّتَاءُ
وَحَدِيدِ طَائِرٍ يَحْ	ذِرْ مَسْرَاهُ الْهَوَاءُ
وَعَجِيبُ! فَيَمُ لِلْمَو	تِ يُسَاقُ التَّعَسَاءُ؟
فِي سَبِيلِ الْخَبْزِ؟ وَالْخَبْ	زِ اِكْتَسَابُ وَرَضَاءُ!
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ؟ وَالْحَقْ	قُ لَدَى الْقَوْمِ طَلَاءُ
فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ؟ وَالْمَجْدِ	دُ مِنَ الْبَغْيِ بَرَاءُ!
أَوْ فِي الْمَجْزَرَةِ الْكَبِ	رِي، تَنَالُ الْمَجْدَ شَاءُ؟
كَذِبِ الْبَاغِي، وَلِلْمَسِيحِ	فِ بِكَفِّيهِ مَضَاءُ
وَخَدَاعُ كُلِّ مَا قَا	لَ، وَزُورُ، وَافْتِرَاءُ!!

* * *

أَيُّهَا الشَّرْقُ الَّذِي خَدَّ	صَّتَهُ بِالرُّوحِ السَّمَاءُ
هَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي شَيَّ	دَ بِكَفِّيَّهَا الْبِنَاءُ
وَالَّتِي مِنْ نُورِهَا الْعَا	لَمْ يُجَلِّى وَيُضَاءُ

يا أبا الحكمة، لا ها	نَ عَلَيْكَ الْحُكْمَاءُ!
نادِ «أوروبا» فقد يند	ففعها منك النداء:
حانتِ الساعةُ، يا أخـ	تاهُ، أَمْ حَقَّ الْجَزَاءُ؟
دِنتِ بالقوَّة حتى	صَرَعَتْكَ الْكِبْرِيَاءُ
ارقصي في النَّارِ، أَنْتِ الـ	يوم للنار غذاء
واشربي في حانة الشـ	طان ما فاض الإناء
حانةٌ للموتِ فيها	من دَمِ الْقَتْلِ انتشاء
نادمي من شئتِ فيها،	فالمنايا الندماء
وارفعي الكأسَ، وغنِّي،	وعلى الدنيا العفاء؟

* * *

يا قوياً لم يَهْنُ يو	مَا عَلَيْهِ الضَّعْفَاءُ
وضعيلاً واسمه، يفـ	زَعُ مِنْهُ الْأَقْوِيَاءُ
وأنا المسلمُ، لا يُجـ	حَدُّ عِنْدِي الْأَنْبِيَاءُ
أَنْتَ فِي الْقُرْآنِ: حُبُّ،	وجمالُ، ونقاء
عَجَبُ فِدَيْتُكَ الْمُثـ	لى! وفي القول عزاء!
ألهذا العالمِ الشَّرِّـ	ر؟ قد ضاع الفداء!

عَامٌ جَدِيدٌ

وَادْعُ لِلْحَقِّ، وَبَشِّرْ بِالسَّلَامِ
وَتَنَقَّلْ بَيْنَ مَوْجٍ وَغَمَامِ
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَذَامِ
مُهَجِّ كَلَمَى، وَأَكْبَادِ دَوَامِي
فِي مِثَالِيٍّ مِنَ الْمَبْدَأِ سَامِ
وَأَبَتْ ذُلَّ الضَّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشْبُوبِ الضَّرَامِ
وَصِرَاعِ الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ
بِيرَاعٍ، وَتَحْدَى بِحُسَامِ
خَطْوَهَا، مَوْلِدُ أَحْدَاثِ جِسَامِ
ضَلَّةَ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الْمَوَامِي!
وَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ مَلْعُونُ الْمَقَامِ
ضُمِّنَتْ كُلَّ فَخَارٍ وَوَسَامِ
أَوْ لِبَاغٍ فَاتِكِ السَّيْفِ عُرَامِ
مُسْتَبَاحِ الدِّمِّ مَهْدُورِ الدِّمَامِ
بِقُوَى الرُّوحِ عَلَى الْقَوْمِ الطَّغَامِ
بَرِئْتُ مِنْ كُلِّ ظَلَمٍ وَأَثَامِ
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ آرِيٍّ وَسَامِيٍّ

غَنٍّ بِالْهَجْرَةِ: عَامًا بَعْدَ عَامٍ
وَتَرَسَّلْ، يَا قَصِيدِي، نَغَمًا
صَوْتُكَ الْحَقُّ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
كُنْ بِشِيرِ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
هَجَرْتِ أَوْطَانِهَا وَاغْتَرِبْتَ
أَنْفَتَ عَيْشِ الرَّقِيقِ الْمَجْتَبَى
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ: هَذِي مُحَنَّةٌ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ، أَوْ حِمَامِ
خَاضَهَا الْإِسْلَامُ فَرْدًا، وَهَدَى
هَجْرَةً كَانَتْ إِلَى اللَّهِ، وَفِي
أَخْطَا الشَّيْطَانُ مَسْرَاهَا، فَيَا
أَبَ بِالْخَيْبَةِ مِنْ غَايَتِهِ
صَفْحَاتُ مَنْ صِرَاعِ خَالِدِ
لَمْ تُنَخَّ يَوْمًا لَجَبَّارٍ طَغَى
بَلْ لِدَاعٍ أَعَزَلَ فِي قَوْمِهِ
زَلَزَلَ الْعَالَمَ مِنْ أَقْطَارِهِ
وَبَنَى أَوَّلَ دُنْيَا حُرَّةٍ
تَسَعُّ النَّاسُ عَلَى أَلْوَانِهِم

حَاطِمَ الْأَصْنَامِ: هل منك يدٌ
لم تُطِقْهَا حَجَرًا أو خَشَبًا
وعجيبٌ صُنْعُهُمْ في زمنٍ
أَدْمِيُّونَ قَرَامَى انتحلوا
وتراهم مثلما تسمعهم
بَشَرُوا النَّاسَ بَدْنِيَا، ويحهم!
تسلُبُ النَّاسَ حِبَاهِمَ، وترى
قِيلَ: للحق، وَمَا أَعْجَبَهُ
قِيلَ: للخبز، فَهَلْ أَطْعَمَهُمْ
أَنْتِ، يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ، اطلعي
سدّدي بالنار قوسًا، واصرعي
ضَلَلَتِ الْأَرْضُ بَلِيلَ دَاهِمٍ
دَمِيَّتْ أَعْيُنُنَا فِي جُنْحِهِ

تَذَرُ الظِّلْمَ صَدِيعًا مِنْ حُطَامٍ؟
وَيُطَاقُ الْيَوْمَ أَصْنَامُ الْأَنَامِ!!
أَبْصَرَ الْأَعْمَى بِهِ وَالْمَتَعَامِي!
مَنْطَقَ الْآلِهَةِ الشَّمَّ الْعِظَامِ
صُورَ الْوَهْمِ، وَأَحْلَامَ النِّيَامِ
أَيُّ دُنْيَا مِنْ دَمَارٍ وَحِمَامٍ؟
أُمَمَ الْأَرْضِ قَطِيعًا مِنْ سَوَامٍ
فِي ادِّعَاءٍ لَفَقْوِهِ وَاتِّهَامٍ!
حَاتِمُ الْحَرْبِ سَوَى الْمَوْتِ الزَّوَامِ؟
مِنْ وَرَاءِ اللَّيْلِ وَالْغَيْمِ الرُّكَامِ
مَارِدَ الشَّرِّ بِمَشْبُوبِ السَّهَامِ
يَحْذَرُ النَّجْمُ دُجَاهُ الْمَتَرَامِي
وَاشْتَكَّتْ حَتَّى خَفَافِيشُ الظَّلَامِ

يَا قُلُوبًا ضَمَّهَا الشَّرْقُ عَلَى
وَشَعُوبًا جَمَعَتْهَا أُمَّةٌ
وَبَطُونًا مِنْ بَقَايَا طَارِقٍ
مَا شَدَا شَعْرِي بِهَا إِلَّا هَفَّتْ
كُلُّ رُوحٍ بِهْدَى مِنْ حُبِّهَا
تَذَكَّرُ الْقَرْبَى وَتَسْتَدْنِي بِهَا
وَتُرْجِي عَوْدَةَ الْمَجْدِ الَّذِي
مِنْ بَيُوتِ هَاشِمِيَّاتِ الْبَنَى
وَنَتَاجٍ مِنْ نُهَى جَبَّارَةِ
قُلْ لَهَا يَا عَامٌ: لَا هُنْتُ، وَلَا
ذَاكَ مَجْدٌ لَمْ يَنْلُهُ أَهْلُهُ

مَوْرِدَ الْحَقِّ وَالْحَبِّ التَّوَامِ
بَيْنَ مَصِيرٍ، وَعِرَاقٍ، وَشَامِ
فِي الْبِقَاعِ الْجُرْدِ، وَالْخَضِرِ النَّوَامِي
بِالْقَبَابِ الْبَيْضِ، أَوْ حُمْرِ الْخِيَامِ
كُلُّ قَلْبٍ بِشِعَاعٍ مِنْ غَرَامِ
مَشْرِقِ الْأَمَالِ فِي مَطْلَعِ عَامِ
أَعْجَزَ الْبَانِي، وَأَعْيَا الْمَتَسَامِي
وَعُرُوشِ أَمْوِيَّاتِ الدِّعَامِ
وَتَرَاثٍ مِنْ حَضَارَاتٍ ضَخَامِ
كَنْتُ إِلَّا مَهْدَ أَحْرَارٍ كَرَامِ
بِالْتَمَنِّي، وَالتَّغْنِي، وَالْكَلَامِ

عَامٌ جَدِيدٌ

بل بآلام، وصبر، وضننى ودموع، ودم حُرٍّ سجامٍ
قُلْ لَهَا: إِنَّ الرِّحَى دائِرَةٌ وَاللَّيَالِي بَيْنَ كَرٍّ وَصَدَامٍ

* * *

فاسْتَعِدِّيْ لَغَدٍ إِنَّ غَدًا نُهْزَةُ السَّبَّاقِ فِي هَذَا الزَّحَامِ!
وَاجْمَعِي أَمْرَكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَحْمِلُ الْبَشْرَى لِعُشَّاقِ السَّلَامِ!

سَمَرٌ

بين كاتب وشاعر وخطيب

يا وحي شعري، أين أنت
هل رُحْتَ في إغماءٍ
أم نِمْتَ، أم نام الزما
أم خَفْتَ من قلم الرقيـ
أم هل سَقَيْتَ (كزوزةً)
أم قد شَرِبْتَ زجاجةً
أم في خزانة (صالح)
أم في البنوكِ لأزْمَةٍ
أم ذاك جندولُ الحبيبِ
وإلى عروس البحر همـ
أم زُغْتَ يوم الانتخابِ
لم تَدْرِ ما نال الرئيـ
أنكرتْ ضَجَّةَ معشرِ
أم طَرَتْ في جوِّ الحليـ
يا وحيُّ كم من غارةٍ
أم تُرِتَ للحقِّ الطريـ

في أيِّ زاويةٍ رَكَنْتُ؟
أم بالمخدَّرِ قد حُقِنْتُ؟
نُ، أم اعتُقِلْتَ أم انسَجَنْتُ؟
ب فما أَشْرَتْ وما أَبْنَتْ؟
أم هل حَسَوْتَ (البرمننتُ)
من صنع بار (الكونتنتُ)؟
تركوكِ سهوًا فاختَزَنْتُ؟
حَلَلْتُ بأهلكِ قد رُهِنْتُ؟
بِ إلى لياليهِ حَنَنْتُ؟
ت وفي شواطئِها كمنْتُ
ب ولستَ عضو «البرلمنتُ»
سُ أزاَدَ صوتًا أم (كِرَنْتُ)
لم ينصفوكِ وقد غِبْنْتُ
ففةً مُنجدًا أبطل (كِنْتُ)
شعواءَ فيها قد شَنَنْتُ
ب، وبالبطولة قد فُتِنْتُ

فَسَلَلْتَ سَيْفَ مُدَافِعٍ عَنْ (كَالْمَاسِ) أَوْ (كُرْنَتْ)؟

* * *

يا وحي شعري ما سكو	تـك في الخطوب؟ ألا حزنـت!
أَفَقَدْتَ رُشْدَكَ أَمْ شَعَوْ	رَكَ بِالحَيَاةِ؟ إِنَّ جُنُنْتَ!
عَشْرُونَ يَوْمًا جَاوَزَ الـ	حَتَقْدِيرُ فِيهَا مَا ظَنَنْتُ
يا وحي شعري مُذْ نَأَيْـ	تَ وَهَى بَيَانِي أَوْ وَهَنْتُ
بَعْدَ الْقِصَائِدِ كَالْقِلَـ	عَ مَشِيدَاتِ (بِالسَّمْنَتِ)
مَنْ كُلِّ بَيْتٍ مَشْرِقِ	يُزْرِي بِقِصْرِ (اللابِرُنْتُ)
أَمْسَيْتُ بَعْدَكَ كُلَّ قَا	فِيَةِ نَطَقْتُ بِهَا لَحْنْتُ
يا وحي شعري هل أُسِرْ	تَ وَأَنْتَ تَهْجَمُ أَمْ طُعِنْتُ؟
أَمْ غُصَّتْ فِي لُجَجِ البَحَا	رِ وَفِي مَجَاهِلِهَا دُفِنْتُ؟
أَبْكِي عَلَيْكَ بَكَاءَ (لَا	مَرَّتَيْنِ) قَبْرًا فِي (سُرْنَتِ)
يا وحي شعري أَيْنَ أَنْتُ؟	فِي أَيِّ زَاوِيَةٍ رَكَنْتُ؟

الشَّوْقُ الْعَائِدُ

١٩٤٥

إِلَيْهَا

من لياليّ التي لم يهدأ الشوق عليها
من أمانيّ التي كانت رُؤى في ناظريها
من أغانيّ التي استلهمتها من شفقتها
من دموع مازجت أدمعها بين يديها
كلُّ ما قد رَقَّ من شعري وما راقَ لديها
وهو ما ضمَّ كتابُ، هو منها وإليها

علي محمود طه

سؤال وجواب

تُسألني: وهل أحببت مثلي؟
فقلتُ لها وقد هَمَّتْ بكأسي
نسيْتُ، وما أرى أحببتُ يوماً
فقلتُ لي: جوابُك لم يدع لي
وفي عينيك أسرارَ حيارى

وكم معشوقة لك أو خلية؟
إلى شَفَتَي راحتها النحيلة:
كحبِّك، لا، ولم أعرف مثيلة!
إلى إظهار ما تُخفيه حيلة
تُكذِّب ما تحاول أن تقولهُ

فقلتُ: أجل، عرفتُ هوى الغواني
خبرتُ غرامهنَّ قَلَى ووصلاً
قلوبُ قاسياتٍ قَنَعَتْها
إذا طالعنني أنسيْتُ جُرحي
وجاذبَنِي إلى اللَّذاتِ قلبُ
وعُدْتُ، كما ترين، صريعَ كأسٍ
فقلتُ: كيف تَضَعُفُ؟ قلتُ: ويحي

لكلِّ غايةٍ، ولها وسيلة
كثيرَ الوعد لم يدرك قلية
وجوه شاعرياتٍ نبيلة
وأنَّ الحبَّ لم يرحم قتيلاً
شقيَّ ضلَّ في الدنيا سبيلة
أنا الظمآنُ لم يُطْفِئ غليلهُ
وكيف أطاع «شمشون» «دليلهُ»؟

فقلتُ: ما حياتك؟ قلتُ: حلُم
حياتي قصَّةٌ بدأتُ بكأسٍ

من الأشواقِ أوترُ أن أطيَلهُ
لها غنَّيتُ، وامرأةً جميلهُ!!

الشَّوْقُ الْعَائِدُ

اهدئي، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، في قلـ
آه، هيهاتَ أن يعود، ولو أفـ
آه، هيهاتَ أن يعود، ولو ذوـ
فاهدئي الآن، يا لثورتكِ الهوـ
بـي فَلَنْ تَمْلِكِي لِمَا ضِ رُجُوعَا
نَيْتُ عَمْرِي، تَحَرُّقًا وولُوعَا
بِتُ قَلْبِي صَبَابَةً ودمُوعَا
جاءَ جَبَّارَةً تدكُّ الضلُوعَا

رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، لو ناـ
أَسَدَلِ القَلْبُ دُونَهُ أَلْفَ سِتْرِ
رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ لو حاـ
كيف يحيا زهرُ ذوى في إناءٍ
ديتُ ماضِيَّ ما وجدتُ سَمِيعَا
عبرَاتٍ ومثلهنَّ نَجِيعَا
ولتُ بعثَ الهوى فَلَنْ أَسْتَطِيعَا
باتَ في قبضة الحياة صديعا

رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، بالقلـ
إنْ تكوني أَحَبَّ بَتِهِ فدعيه
نَسِيَّ الأَمْسِ أو سلا فتعالِي
أو فكوني في حُلْمِهِ الزَّهَرِ والأُنـ
بـ فما يستطيع بَعْدُ نزُوعَا
ناعمًا بالكرى رُضِيًّا قنُوعَا
نَجْتُ صَمْتًا من حوله وخشُوعَا
غَماً والخمرَ والعروسَ الشَّمُوعَا

أُيْها الزائرُ المعَاوِدُ ما أَلـ
فَكَأَ أَحْسَنْتَ بالمزارِ صنِيعَا

ما أرى في سمات وجهك إلا شَبَحًا رائِعًا وحُلَمًا وجِيعًا
يتوقَّاهُ ناظرًا يَ كَأَنِّي فيه أَلْقَى آلامَ عمري جميعًا
طالَ ليلي فما طويتُ هزيعًا منه إلا نشرتُ منه هزيعًا

* * *

أَيُّهَا الشَّوْقُ، خَلِّ عَنْكَ ودعني، وأمض لا خادعًا ولا مخدوعًا
أَيْنَ هَذَا الجمالُ أَرعاهُ كالبرق قِ خلوْبًا وأجتليه لموعًا
أَيْنَ هَذَا الخيالُ أُسْقاهُ كأسًا بيدٍ منه فَجَرَّتْ ينبوعًا
أَيْنَ، لا أين! ما غِنائي بالذك رى وقد أَصْبَحَ الوهوبُ منوعًا!

* * *

عُدْتُ، يا شوقُ، لي وعادتُ لِياليب لك، ولكن وجدتُ قلبًا صريعًا
عُدْتُ من بعد لوعةٍ أحرقتُه وجَفَّتْهُ على الرَّمادِ ضجيعًا
وليلٍ من الفراغِ عواتٍ هَرَأَتْهُ ثلوجهنَّ صقيعًا
عُدْتُ، يا شوقُ! فيم عُدْتُ؟ ربيعُ الـ عمر ولَّى! فهل تُعيدُ الربيعًا؟

جَزِيرَةُ الْعُشَّاقِ

«ذكريات رحلة في سبتمبر عام ١٩٣٨ بين بركان الفيزوف وجزيرة كبرى والجرونا المشهورة بها.»

لَبَّالِي الصَّيْفِ فِي كُبْرِي	أَمِ الْفِتْنَةُ فِي الْبَحْرِ
وَجَنِّيَاتُ بَحْرِ الرُّومِ	أَمِ دُنْيَا مِنَ السَّحْرِ
عَلَى شَطْطٍ مِنَ الْأَحْلَا	مِ وَالْأَنْغَامِ وَالزَّهْرِ
تَنْفَسَ جَوْهُ عَطْرًا	يُقَضِّضُهُ سَنَا الْبَدْرِ
أَرِيحُ الْبَرْتِقَالَ بِهِ	وَنَفْحُ الْعَنْبِ النَّضْرِ
أَمِ الْآلَهُةُ الْعُشَّاقُ بِيـ	نِ الْمَوْجِ وَالصَّخْرِ
أَهْلُوا تَحْتَ أَشْرَعَةٍ	تُقَلُّ عَرَائِسُ الشُّعْرِ
نَشَاوَى الْحَسَنِ وَالنُّورِ	وَبَعْضُ النُّورِ كَالْخَمْرِ
تَنْهَدَ حِينَ أَبْصَرَهُمْ	مُحِبُّ مُوَعَرُ الصَّدْرِ
أَقَامَ الدَّهْرَ مَوْتُورًا	مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْهَجْرِ
بِأَنْفَاسِ نُضِيِّ الْأَفـ	قِ بَرَكَانِيَّةِ الْجَمْرِ
قَصَدْنَاهُ عَلَى اللَّيْلِ	وَجَزْنَاهُ مَعَ الْفَجْرِ
فَلَمْ تَغْمُضْ لَهُ عَيْنٌ	تُصِيبُ النَّجْمَ بِالذُّعْرِ
وَبَاتَ الْمَوْجُ فِي فَرْ	حَوَالِيهِ، وَفِي كَرٍّ
فَقَالُوا: قَدْ دَنَا الْمَوْعـ	دُ أَوْ آذَنَ بِالنَّارِ
فَعُدْنَا مَثَلَمَا جِئْنَا	مِنَ الْعِبْرِ إِلَى الْعِبْرِ

وَيَمَّمْنَا بِجُوفِ الصَّخْرِ	دهليزًا مِنَ التَّبْرِ
سَرَى زورُقْنَا فِي مَا	بِهِ الْغَافِي سَرَى السَّرِّ
تَرَامَى حَوْلَنَا الْأَضْوَا	ءُ أَطْوَقَا مِنَ الدُّرِّ
فَمَنْ زُرُقٍ، إِلَى صُفْرِ،	إِلَى خُضْرٍ، إِلَى حُمْرٍ
كَأَنَّ الشَّمْسَ حِينَ رَأَتْ	صَبَاهَا أَوَّلَ الدَّهْرِ
زَهَاهَا الْعُرْيُ فَاسْتَحْيَتْ	عَيونُ النَّاسِ فِي الْبَرِّ
فَجَاءَتْهُ مُحَجَّبَةً	عَلَى تَيَّارِهِ تَسْرِي
وَنَضَّتْ مِنْ غِلَاظِهَا	وَأَلْقَتْهَا عَلَى الصَّخْرِ
وَخَانَتْ عَيْنَهَا سِنَّةً	فَنَامَتْ، وَهِيَ لَا تَدْرِي!

طاقة زهر

إلى المودعة الجميلة

بِيَدَيِ مودَّعةٍ يَمِينِ مودَّعٍ
كَالطُّفْلِ نَامَ عَلَى ذِرَاعِ الْمَرْضِعِ
أَمْشِي بِطَيْفٍ فِي الظُّلَامِ مُقَنَّعٍ
وُسَمْتُ بِطَابَعِ ذَوْقِكَ الْمَتَرَفِّعِ
فِي هَوْدَجٍ أَسْتَارُهُ لَمْ تُرْفَعِ
وَحَلَعْتُ عَنْهَا لِبَسَةَ الْمَتَمَنِّعِ
وَتَرَدَّدْتُ أَنْفَاسُهَا فِي مَضْجَعِي
لَا تَشْتَكِي سَهْرًا وَفَرَطَ تَطْلُعِ
وَتَصَبُّ حُلُو حَدِيثِهَا فِي مِسْمَعِي
وَتَفِرُّ حِينَ تُحَسُّ حُرْقَةَ أَضْلَعِي
مَنْ مُغْرِيَاتِكَ بِسْمَةِ لِتَوَلَّعِي

زَهْرَاتُكَ الْحَمْرُ الَّتِي أَسْلَمْتُهَا
لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الْمَصِيفِ حَمَلْتُهَا
أَمْشِي بِهَا فَوْقَ الرَّمَالِ كَأَنَّنِي
مَضْمُومَةَ الْوَرَقَاتِ طَيِّ غِلَالَةِ
مَحْجُوبَةٍ كَأَمِيرَةٍ شَرْقِيَّةٍ
حَتَّى إِذَا أُويْتُهَا بَعْدَ السُّرَى
هَشَّتْ لَأَنِّي وَأَشْرَقَ لَوْنُهَا
وَمَضَتْ تَخَالِسُنِي حَيًّا لِحَاضِهَا
هِيَ أَنْتِ، أَحْلَامُ تَغَازُلُ نَاطِرِي
هِيَ أَنْتِ، أَطْيَافُ تَعَانِقُ مُهَجَّتِي
أَمْسَتْ تُعَابِثُنِي وَمِلءٌ شِفَاهِهَا

* * *

لَيْلِي، وَأَنْتِ لَدَيَّ سَاهِرَةٌ مَعِي
تَأْتِيكِ بِالْخَبَرِ الْعَجِيبِ الْمَمْتِعِ
وَتَعْدُ خَطْوِي إِنْ رَجَعْتُ لِمَوْضِعِي

وَمَكْرَتِ مَكْرِكَ يَا حَبِيبَةً وَانْقَضَى
أَرْسَلْتُهَا عَيْنًا عَلَيَّ رَقِيبَةً
تُحْصِي حَرَكَاتِي إِنْ مَشَيْتَ لَشَرْفَتِي

ديوان علي محمود طه

شَهِدْتُ بِأَنِّي مُدَّ تَرَكَتْكَ حَائِرٌ مَتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي فِي مَخْذَعِي!!

أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ

يا للعذوبة، يا حبيب ببي، حين أهبطُ للنَّهْرُ
كي أستحمَّ وأنتَ تم عنُ في مفاتيحِ النظرِ

* * *

لوِدْتُ لو أني أما مكَ قد جلوتُ محاسني
بغلالةٍ مُبتلَّةٍ كشفتُ جميعَ مفاتيحي

* * *

أهوى إلى الماءِ الهبو طَ وأشتهي أن أتبعك
وأشدُّ ما أهواه من هُ صعودنا، وأنا معك

* * *

بيديَّ من سمكاته حمراءُ رائقةُ الجمالِ
فتعالَ لي أنظرُ إلي لك! تعالَ وانظرُ لي تعال!

امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ

لحاكِ اللهُ يا دنيا خلوبًا فأنتِ الغادةُ البكرُ العجوزُ

المعري

أَقْسَمْتُ لَا يَعْصِ جَبَّارٌ هَوَاهَا لَا وَلَا أَفْلَتَ مِنْهَا فَاتِنٌ
قِيلَ عَنْهَا: إِنَّهَا سَاحِرَةٌ وَعَجُوزٌ بِالصُّبَا مَوْعِدَةٌ
حَذَقْتُ عِلْمَ الْأَوَالِي وَوَعْتُ قِيلَ: لَا يُذْهَبُ عَنْهَا كَيْدُهَا
وَرَوَوْا عَنْهَا أَحَادِيثَ هَوَى وَأَسَاطِيرَ لِيَالٍ صُبِغَتْ
يَذْكُرُ الرِّكْبَانُ عَنْهَا أَنَّهَا وَقَتِيلٌ بَيْنَ عَيْنِي زَوْجِهِ
كَلِمَا التَّدْتُ وَصَالًا مِنْ فَتَى وَاحْتَوَتْهُ فِي أَصْيَصِ زَهْرَةٍ
زَهْرَاتٍ مَثَلْتُ عَشَّاقَهَا فَإِذَا مَا اللَّيْلُ أَرخَى سِتْرَهُ

أَبَدَ الدَّهْرِ وَإِنْ كَانَ إِلَهَا قَرَّبَتْهُ وَاحْتَوَتْهُ قَبْضَتَاهَا
تَتَحَدَّى سَطْوَةَ الْجَنِّ سَطَاهَا وَبِعَمْرِ الدَّهْرِ مَوْعِدُ صَبَاهَا
قَصَصَ الْحَبِّ وَمَأْثُورَ لَغَاهَا غَيْرُ شَيْطَانٍ وَلَا يَمْحُو رُقَاهَا
أَثَمَ يُغْرِبُ فِيهَا مِنْ رَوَاهَا بَدْمَاءٍ سَفَكَتَهُنَّ يَدَاهَا
سَرَقَتْ مِنْ كُلِّ حَسَنَاءٍ فَتَاهَا كُلُّ مَعْشُوقٍ دَعَتْهُ فَعَصَاهَا
سَحَرَتْهُ وَهُوَ فِي حِضْنِ هَوَاهَا يَسْرِقُ الْأَنْفَاسَ مِنْ طَيْبِ شَذَاهَا
بَعْيُونَ غَارِقَاتٍ فِي كَرَاهَا أَطْلَقْتُ أَشْبَاحَهُمْ فِي مَنَدَاهَا

مُهَجًا خَفَاقَةً مَلْتَاعَةً
تَسْتَعِيدُ الْأُمْسَ فِي لَذَاتِهَا
تَتَلَوَّى بَيْنَهُمْ مَشْبُوبَةً
عَبْرَ الشَّيْطَانِ يَوْمًا أَفْقَهَا
أَيُّ وَادٍ رَائِعٍ أَحْجَارُهُ
أَيُّ قَصْرِ بَاذِخٍ فِي قِمَّةِ
وَدُوبٍ حَوْلَهَا مَلْتَفَّةِ
وَبُرُوجٍ لِحِمَامٍ زَاجِلِ
ظَنِّهَا مِنْ عَبْقَرٍ نَاحِيَةٍ
فَهَوَى مِنْ حَالِقٍ يَرْتَادُهَا
وَرَنَا حَيْثُ رَنَا فَاهْتَاغُهُ
أُصْصُ مِنْ ذَهَبٍ تَحْسِبُهَا
كَلِمَا مَسَّتْ يَدَاهُ زَهْرَةً
فَجَنَى مَا شَاءَ حَتَّى لَمْ يَدَعْ
وَانْتَشَى مِنْ عَطْرِهَا فَانْتَثَرَتْ
عَجَبًا مَا لِمَسَّتْ غَيْرَ الثَّرَى!
نَظْرَةً، أَوْ خَطَرَةً، وَاخْتَلَجَتْ
وَاسْتَحَالَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ دُمَى
فُكَّ عَنْهَا السَّحَرُ فَارْتَدَتْ إِلَى
وَرَنَا الشَّيْطَانُ فِي آثَارِهَا
يَا لَهَا! كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ ثُمَّ فَرَّتْ!
وَدَنَا اللَّيْلُ، وَرُنْتُ صَدْحَةً
فَإِذَا مَائِدَةٌ حَافِلَةٌ
مِلْؤُهَا الْخَمْرَةُ نُورًا وَشَذَا
وَصَحَافٍ كَتَهَاوِيلِ الرَّوَى
وَإِذَا مَقْصُورَةٌ مِنْ حَوْلِهِ
وَقَفْتُ غَانِيَةً فِي بَابِهَا

وَعَيُونًا ظَامِئَاتٍ، وَشَفَاهَا
وَلِيَالِيهَا، وَأَشْوَاقَ رُؤَاهَا
شَهْوَةً، يَلْتَهُمُ اللَّيْلَ لَظَاهَا
فَرَأَى، ثُمَّ فَنُونًا مَا رَأَاهَا
تَحْذَرُ الرِّيحُ عَلَيْهِنَّ سُرَاهَا
تَحْسَبُ الْأَنْجَمَ مِنْ بَعْضِ ذُرَاهَا
كَأَفَاعٍ سُمِّرَتْ فِي مَنْحَنَاهَا
هُوَ بِالْأَقْدَارِ يَهْفُو مِنْ كُؤَاهَا
أَخْطَأَتْ عَيْنَاهُ بِالْأُمْسِ صَوَاهَا
طُرُقَاتٍ زَخْرَفَ الْفَنُّ حِصَاهَا
مَنْظَرَ الزَّهْرِ الَّذِي زَانَ رَبَاهَا
بَعَثَرَتْ فِيهَا الدَّرَارِي سِنَاهَا
عَطَفَتْهُ لِقَطَافٍ شَفَتَاهَا
فِي أَصِيصِ زَهْرَةٍ إِلَّا جَنَاهَا
مِثْلَ حَبَّاتٍ مِنَ الْمَاسِ يَرَاهَا
أَيُّ نُورٍ شَاعَ فِيهَا فَرْهَاهَا؟
فَعَرَّتْهُ هِزَّةٌ مِمَّا عَرَاهَا
حَيَّةٌ تَسْتَبِقُ الْبَابَ خَطَاهَا
عَالِمُ الْحَسِّ وَخَفَّتْ قَدَمَاهَا
سَابِحًا فِي دَهْشَةٍ طَالَ مَدَاهَا
لِحِظَّةٍ مَرَّتْ وَلَكِنْ مَا وَعَاهَا!
نَبَّهَتْهُ، حِينَ لَا يَبْغَى انْتِبَاهَا
بِالْأَبَارِيْقِ تَرَامَى طَرْفَاهَا
نَسَمَتْ وَانْتَلَقَتْ فَخَّارَتَاهَا
تَجِدُ الْأَنْفُسَ فِيهَا مُشْتَهَاهَا
خَالَهَا تَنْبِضُ بِالرُّوحِ دُمَاهَا
قَدْ تَعَرَّتْ غَيْرَ فَضْلٍ مِنْ حُلَاهَا

يا لَهَا من فتنَةٍ قد صُوِّرَتْ
 طلعتُ في هَالَةٍ من خُضْرَةٍ
 ثم نادَتْ: «يا أَحِبَّائِي انهضوا
 وتلاشى الصوتُ لا رجَعَ صدى
 فعرتها رَعْدَةٌ، فالتفتتُ،
 أبصرتُ وجْهاً كوجه المَسْخِ لم
 ورأتُ كَفْيِهِ يَنْدَى منهما
 عرفتُ ما اجترحته يَدُهُ
 يا لهذا المسخ! دَوْتُ وَمَشْتُ
 فانثنى الشيطانُ عنها صارخاً
 فَبَدَتْ في شفتيها آيَةٌ
 فَدَنْتُ ترمقه فاختلجتُ
 بُدِّلْتُ تلك العصا جمجمةً
 هي من مَلَكَةٍ جِنٌّ من تُصَبُّ
 فتنحى غاضياً مبتئساً
 وسجى بينهما الصمتُ الذي
 والتقت عيناها فاستروحا
 عرفتُ من هو فاستخذتُ له
 قال: أختاه، اغفري لي نظرةً
 واغفري لي شِرَّةَ عارمةٍ
 يا لهذا الدم! ما عنصرُهُ؟
 فأجابت: زهراتي رُدَّها
 قال: لا أذكر إلا حُلْماً
 أَهِيَ جِسْمٌ؟ أَهِيَ رُوحٌ؟ إِنْ تَكُنْ
 فأحسَّتْ هول ما يجهلُهُ
 صَاح: غفرانك لا تبتئسي
 أَنَا من تَتَخَطَّى قَدَمِي

في قِوَامِ امْرَأَةٍ راع صباحا
 وعيونٌ يَتَرَقَّرَقْنَ مياها
 واغنموا اللَّيْلَةَ حتى منتهاها
 لا، ولا نَمَّ مُجِيبٌ لنداها
 فرأته، فتلقاها وجاها
 يَتَقَنَّعُ، شاهَ هذا الوجهَ شاهَا
 أَرَجُ الزَّهْرِ فَأَجَّتْ نظرتها
 أَوْلا يَعْرِفُ من داسَ حماها؟
 صيحةٌ ينذر بالويل صَداها
 أتراها تتحدى؟ من تُراها؟
 من مُبِينِ السَّحْرِ، أوما فمحاها
 عينُهُ، حين أشارت بعصاها
 رِيحٌ لَمَّا شَرَعَتْهَا فاتَّقاها
 يخترمه بالمنايا محجراها
 وتنحَّت والأسَى يُلْجِمُ فاهَا
 يَتَغَشَّى الأرضُ إِنْ حان رداها
 راحةٌ من قبلها ما عرفاها
 ورأى من هي فاستحيا قواها
 اشتَهَتْ كُلَّ جمالٍ واشتهاها
 في دمي، لو أَتَابَنِي ما أباهَا
 كُلُّ ما في النار من وَقْدٍ لظاها
 إِنْ تَقُلْ حقاً ولا تَبْغِ أذاها
 لحظةً ضلَّ بها عقلي، وتاها
 لا يَرُدُّ الروحُ إلا من براها
 فاستحت منه وأغضى ناظراها
 اطلبي ما شئت مِنِّي ما خلاها
 مَسِخَ الشمس فيربدُ ضحاها

أَنَا من يطفئُ النَّجْمَ فمي
وتمسُّ القممَ الشَّمَّ يدي
وأجئُ الأرضَ من محورها
وأصدُّ الرياحَ عن وجهتها
أَرَانِي عاجزًا عن دَرْكِ ما
أه، ما أضعفَ سلطاني، وما
قالت: الآنَ سلامًا زائري
أيها الشيطانُ، ما أعظمَ ما
زهراتي تلك، ما كانت سوى
قهرتني، واستذلَّتني بها
وأنانية أنثى لم تُطِقْ
قد صَنَعَتَ الحقَّ، قد عاقبتني
فدنا منها، فألفتُ وجهه
قَرَّبْتُ بينهما روحُ الأسَى
واستهلَّتْ دمعَةً مِنْ عَيْنِهَا
ضُمْنَتْ كُلَّ عذابٍ وضئِي
ورأها فتندَّتْ عَيْنُهُ
وبكى الشيطانُ! يا لامرأةِ

وأردُّ الأرضَ غرقى في دُجَاهَا
فَيُرَى منحدرًا لي مُرتقاها
فإذا بي يتدانى قطبها
فتجوبُ الكونَ لا تدري اتِّجَاهَا
تتمنَّى امرأةً؟! عزَّتْ مُنَاهَا!
كنتُ إلَّا بغروري أتباهي!!
ورضًا نفسي إن رُمتَ رضاها
قُلْتُهُ، ما قُلْتُ لغوا أو سفاها
شهواتٍ، جِسْمِي الطاغِي نماها
غَيْرَةً، ينهشُ قلبي عقرباها
فاتنًا تملِكُهُ أنثى سواها
فارحمِ المرأةَ في ذُلِّ هواها
غير ما كانَ، لقد أَلَفْتُ أخاها!
فاجتَبَتْهُ بَعْدَ جَقْدٍ واجتباها
دمعةً رَفَّتْ وَشَفَّتْ قطرتها
كلُّ ما في النفسِ من بثٍّ أساها
رحمةً، فاحتالَ يُخفي من بُكاها
أُبَكَّتِ الشيطانَ لَمَّا أَنْ رَأَاهَا!!

هِيَ وَهُوَ

صفحات من حب

مِنْهَا

ما بين موج طاغياتِ قُواه
حَيْرَى بأقيانوسِ هَذِي الحياةِ
أَيْنَ حبيبي؟ أين سارت خُطاهُ؟
يَبْسُمُ لِي الحظُّ فألقى سَنَاهُ
تَحْمِلْنِي فِي إِثْرِهِ كَيْ أَرَاهُ
إِلَيْهِ أَفُقٌ لَا يُرَى مِنْتَهَا!
أَعَزُّ إِنْسَانٍ صَفَا لِي هَوَاهُ
تُشِيرُ بِالْأَمَالِ لِي رَاحَتَاهُ
وَأَيْنَ مِنْ عَصْفِ الرِّيحِ النِّجَاحُ؟
مَحْطَّمًا قَدْ مَالَ بِي جَانِبَاهُ؟
مَهْمَا تَنَاءَى وَارْتَمَتْ لُجَّتَاهُ
جَمِيعُ أَلَامِي؟ أَيْكْفِي مَدَاهُ؟

وحيدة! وَيَجِي! بلا راحةٍ
تَجْرِي بِي الْفُلُكُ كَأَرْجُوحةٍ
أَبْحَثُ عَنْهُ، وَسُدِّي مَا أَرَى
لَمْ يَهْدِنِي نَجْمٌ إِلَيْهِ، وَلَمْ
وَلَيْسَ لِي مِنْ مَوْجَةٍ بَرَّةٍ
مِنْ شَاطِئِ الرَّاحَةِ لَمْ يَدْنُ بِي
هَنَّاكَ فِي الشَّاطِئِ وَافْرَحْتَا
مَنْتَظَرًا لِي، شَاخِصًا، بِاسْمًا
لَكِنَّمَا هِيَهَاتَ، كَيْفَ السُّرَى
أَصَارَ حَتْمًا أَنْ يُرَى زَوْرَقِي
وَهَلْ فِضَاءُ الْبَحْرِ أَوْ غَوْرُهُ
يَكْفِي مَدَاهُ أَنْ تُوَارَى بِهِ

نَمَتْ زَهْرَةٌ فِي غُضُونِ الْخَرِيفِ كَزَنْبَقَةٍ فِي زُهَى حُلَّةٍ
كَبَّتْ الْمِرَاعِي نَوْرًا يَشْفُ كَأَنِّي بِهَا قَدَحًا مُتَرَعًّا
لَهَا وَهَجُ الْحَبِّ فِي قُبْلَةٍ أَلَا إِنَّهَا هِيَ بُقْيَا الْهَوَى
أَلَا إِنَّهَا هِيَ صَهْبَاؤُهُ تُمِيتُ وَتُخَيِّي فَيَا لِلْحَيَاةِ

كَحْلُمٍ مِنَ الْمَاءِ وَالْخُضْرَةِ رُبَيْعِيَةِ الْوَشْيِ مُحَمَّرَةٍ
وَيَجْلُو الطَّهَارَةَ فِي النُّظْرَةِ بِهِ مُزَجَّ السَّمِّ بِالْخُمَرَةِ
عَلَى شَفَةِ شِبْهِ مُفْتَرَةٍ وَآخِرُ مَا فِيهِ مِنْ نَضْرَةِ
وَآخِرُ مَا فِيهِ مِنْ قَطْرَةِ وَلِلْمَوْتِ الْفَيْنِ فِي زَهْرَةِ!

إِن أَنَا قَاوَمْتُ هِيَاجَ الْعِبَابِ وَلَمْ تَدْعُ كَفِّي إِلَى زورقي
فَسَوْفَ يُلْقِيهِ خَفِي الْقُضَا وَإِنَّ أَقْوَى سَاعِدٍ عَاجِزُ
إِن عَانَدَ الْأَمْوَاجَ فَهُوَ الَّذِي وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى حَتْفِهِ
فَلْيُلْقِ بِالْمَجْدَافِ مِنْ كَفِّهِ وَلِيَمِضْ بِالزُّورِقِ مَا يَشْتَهِي
وَلِيَبْلُغْهُ الْمَوْجُ فِي جَوْفِهِ طَالَ كِفَاحِي، وَيَخُ نَفْسِي فَمَا

مُصْطَرَعًا وَالْأَفُقُ دَاجِي السَّحَابِ زَمَامَهُ حُرًّا وَخَضْتُ الصَّعَابِ
مُحَطَّمًا فَوْقَ الصَّخُورِ الصَّلَابِ أَنْ يُمَسِكَ الْمَجْدَافَ دُونَ اضْطِرَابِ
يَحْفَرُ فِي الْيَمِّ حَفِيرَ التَّبَابِ فِي هُوَّةٍ مَفْعُورَةٍ فِي الْعِبَابِ
وَلِيَتْرِكِ الْمَوْجَ طَلِيقَ الرُّغَابِ إِلَى الْقَضَاءِ الْحَثْمِ دُونَ ارْتِيَابِ
فَلَا مَفَرَّ الْيَوْمَ مِمَّا أَصَابَ طَوْلُ كِفَاحِي غَيْرُ طَوْلِ الْعَذَابِ!

أَطَلَّ الْخَرِيفُ بِأَعْقَابِ لَيْلٍ وَآخِرُ مَا فِي الرُّبَا زَهْرَةٌ
غَدَّتْ وَحْدَهَا فِي أَدِيمٍ عَفَا كَحَارِسَةِ الْمَيْتِ لَيْسَتْ تَرِيمُ
تُسَاقِطُ مِنْ حَوْلِهَا أَدْمَعَا جَرَى الْغَيْثُ، مِنْ رَوَقَاتِ بِهَا

دَجِيَّ الظَّلَامِ بَكِيَّ السُّحُبِ عَدَاهَا مِنَ الصَّيْفِ وَقَدْ اللَّهْبُ
مِنَ النُّورِ وَالرَّوَقَاتِ الْقُشْبِ مَكَانًا بِهِ وَقَفْتُ تَضْطَرِبُ
غُصُونُ تَطَالِعُهَا عَنْ كَثْبٍ إِلَى آخِرِ شَاخِبَاتِ، صَبَبُ

هِيَ وَهُوَ

تَحْدَرُ مَخْتَنِقًا فَوْقَهَا بَلَا نَبْأَةً قَطْرُهُ الْمُنْسَكِبُ

* * *

فِيَا مَنْ لَهَا زَهْرَةٌ «الْجُورَجِينَ» مَنِ الزَّائِرُ الْحَائِرُ الْمُقْتَرِبُ!
جَنَاحُ لآخر ما في الْفَرَّاشِ وَمِنْ رَحْمَةٍ بَقِيَتْ أَوْ حَدْبُ
مَضَى الصَّيْفُ وَانْقَطَعَتْ إِثْرُهُ أَغَارِيدُ كَنْ مَثَارِ الطَّرَبِ
نَأَى طَيْرُهَا عَانِيًا وَاخْتَفَى غَرَامٌ أَتَى ... وَغَرَامٌ نَهَبُ

إِلَيْهَا

لَا تَتَرَكِي زُورَقَنَا الْمُجْهَدَا يَجْرِي بِهِ الْيَأْسُ وَيَمْضِي الْعَذَابُ
لَا تُسَلِّمِي مَجْدَافَهُ لِلرَّدىِ فَالْشَّاطِئُ الْمَوْعُودُ وَشَكُّ اقْتِرَابِ
سَيَّانٍ أَرْغَى الْمَوْجُ أَمْ أَرْبَدَا لَنْ نَحْنِيَ الرَّأْسَ أَمَامَ الصَّعَابِ
هَذِي يَدِي! مُدِّي إِلَيْهَا يَدَا نَقْتَحِمُ النَّوْءَ وَنَطْوِي الْعُبَابُ!

* * *

نَادَى بِرُوحِي مِنْكَ رُوحُ شَرُودٍ: لَبِيْكَ، يَا رُبَّانَتِي الْهَاتِفَهْ
شَرَائِعُ النَّاسِ بِهَذَا الْوُجُودِ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ تَقْهَرَ الْعَاطِفَهْ
وَدِدْتُ لَوْ حَطَّمْتُ هَذِي الْقِيُودِ وَجِئْتُ أَلْقَاكَ عَلَى الْعَاصِفَهْ
يُضِيءُ وَجْهِيْنَا بَرِيقُ الرُّعُودِ فَتَنْتَنِي بِالْبَسْمَةِ الْخَاطِفَهْ!

* * *

وَحَدِّكَ أَنْتِ الْآنَ؟ إِنَّا هُنَا رُوحَانِ شَبَابٍ فِي ظِلَالِ الْكِفَاحِ
شَرَاغِمَا الْخَفَّاقِ لَنْ يَسْكُنَا لِلْيَأْسِ مَهْمَا مَرَّقَتْهُ الرِّيحُ
وَنَجْمُنَا مَا زَالِ طَلَقَ السَّنَا يُطَالِعُ الْأَفَقَ وَيَلْقَى الْبَطَاحِ
إِذَا الْغَوَاشِي السُّودُ مَرَّتْ بِنَا أَلْقَى لَنَا الضَّوْءَ وَمَدَّ الْجَنَاحِ

* * *

حُبُّكَ رُبَّانُ الهدى والسلامُ ما لَانِ لِلْأَخْطَارِ أَوْ أَدْعَانَا
لا تَنْزِعِي مِنْ قَبْضَتِيهِ الزَّمَامُ ولا يَرْعُ قَلْبِكَ هَذَا الضَّنَى
كم ثَارَ نَوْءٌ وَتَدَجَّى ظِلَامُ وهذه أَنْتِ، وَهَذَا أَنَا
إِنَّا بَلَوْنَا الْهَوْلَ بِاسْمِ الْغَرَامِ جَنَّبًا لَجَنِبٍ، وَرَجَوْنَا الْمُئْنَى

* * *

ثِقِي بِمَلَأَحِكَ فِي الْمَازِقِ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْمَوْجِ وَالْعَاصِفَاتِ
الشَّعْرَاتِ الْبَيْضِ فِي مَفْرَقِي تُنْبِيكِ عَنْ أَيَّامِي الْخَالِيَاتِ
آثَارُ عُمَرٍ مُرْعِدٍ مُبْرِقِ تعصف فيه أروعُ الحَادِثَاتِ
ما كَدَّرَتْ مِنْ رُوحِي الْمَشْرِقِ تلكَ اللَّيَالِي الْقُلُبُ الْمَظْلَمَاتِ

* * *

حَبِيبَتِي مِنْ أَيِّ قَلْبٍ حَزِينٍ وَأَيِّ رُوحٍ عِبْقَرِي الْأَلَمِ
وَأَيِّ وادٍ لِلْأَسَى أَوْ مَعِينٍ فَجَرَتْ لَحْنًا مِنْ أَرْقٍ النِّعَمِ؟
وَصَفَّتْ فِيهِ زَهْرَةُ «الْجُورَجِينِ» حَارَسَةَ الْمَيْتِ بِوَادِي الْعَدَمِ
وَخَلَّتِهَا كَالْكَأْسِ ذَاتِ الرَّنِينِ بَرَّاقَةً فِيهَا الرَّدَى يَبْتَسِمُ؟!

* * *

بَكَيْتِ بِالدمعِ السَّخِينِ الذَّرِيفِ عَلَى غَرَامِ خِلَّتِهِ قَدْ مَضَى
وَأَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ ظِلَّ الْخَرِيفِ يُجَلِّلُ الْأَرْضَ وَيَغْشَى الْفَضَا
تَخَضَّبُ كَفَّاهُ النُّضِيرَ الْوَرِيفِ وَرَسَا، وَتُدْمِي الزَّنْبُقَ الْأَبْيَضَا
وَتُخْرِسُ الطَّيْرَ بَلِيلٍ شَفِيفِ يَرُوعُ فِيهِ الْقَلْبُ أَنْ يَنْبُضَا!

* * *

هَذَا الْخَرِيفُ الْجَهْمُ تَمْشِي خُطَاهُ عَلَى الرَّبِيعِ الذَّائِلِ الْمُحْتَضَرِ
كَأَبَةٌ تَحْجُبُ أَفْقَ الْحَيَاةِ سَحَابَةٌ تَخْنُقُ ضَوْءَ الْقَمَرِ
أُخْتَاهُ! هَذَا الْحَبُّ غَضُّ صَبَاةٍ! أَيُّ عَذَابٍ صَاغَ هَذَا الصُّورُ؟
لَمْ يَبْرَحِ الشَّاطِئُ، إِنِّي أَرَاهُ كَعَهْدِهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنتَظَرِ!

* * *

كان حديثُ القَدَرِ المَبْهَمِ	مثارَ هذا الخاطرِ المَفْزَعِ
برغمِ قلبي، صَحْتُ: لا تُقَدِّمِي!	وكان ما كان، فلم تسمعي
أشفقتُ أن تَشْقِي وأن تَأْلَمِي	معي، فَنَاشَدْتُكَ أن تَرْجِعِي
لكنْ أباي الحبُّ فلم نَأْتِ	وكان أن أَبْقَى، وَبَقِيَ مَعِي!

* * *

أَكَانَ حُلْمًا أم قَضَاءَ دَعَا؟	ماذا يُفِيدُ العاشقينَ الحِزْرُ؟
شئنا فلم نَقْدِرْ وَعُدْنَا مَعًا	يا أختَ رُوحِي ذاك حُكْمَ القَدَرِ!
لم نَدَّخِرْ جَهْدًا ولا أَدْمَعًا	ولا دَمًا، ما نحنُ إِلَّا بَشَرُ!!
ما أَمَجَدَ الحبِّ وما أَرَوْعا	إذا تحدَّى العاشقانِ الخَطِرُ!

* * *

الْحَبُّ ما زالَ، وهذا سَناءُ	يُلْهَبُ حتَّى الجذوةَ الخَامِدةَ
تذوي الأَزهيرُ وتذوي الشفاهُ	وهو ربيعُ الأنفُسِ الواجِدةَ
قلوبُنا منه تُصيبُ الحِياةَ	وتستمدُّ النُّصرةَ الخالِدةَ
إذا أضعناهُ فوا رحمتاهُ	لنا، وبُؤسَى لليدِ الجاحِدةَ!

ثَلَجٌ وَنَارٌ

أَيُّنَهَا النَّارُ هَذَا الْمَسَاءُ قَسَا بُرْدُهُ فَاثْهَضِي وَاسْتَفِيقِي
أَيَا نَارُ كَفَّاي أَثَلَجُ مِنْهُ فَهَلَّا بَعَثْتَ بَدْفَاءَ الْحَرِيقِ!

* * *

أَمَا فِيكَ بَعْدُ حَيَاةٌ تُشَبُّ؟ أَمَا فِيكَ مِنْ جَذْوَةٍ تُلْهَبُ؟
أَمَقْرُورَةٌ؟ أَمْ غَفَا وَانْطَوَى عَلَى نَفْسِهِ اللَّهَبُ الْمُتَعَبُ؟

* * *

أَجْلِسْ، يَا نَارُ، وَحْدِي هُنَا أَرَاعِيكَ وَهَنَا وَأَسْتَطْلِعُ؟
خُذِي مَلَأَ شَدِيقِكَ هَذِي الرِّسَائِلَ إِنْ كَانَ فِيهِنَّ مَا يُشْبِعُ!

* * *

خُذِيهَا! كُلِّيَهَا! وَلَا تَمْهَلِي فَمِنْهَا الْوَقُودُ وَمِنْكَ الْأَجِيجُ
وَيَا مَنْ لَهَا كَلِمَاتٌ حَوَتْ مِنَ الْحَبِّ كُلِّ جَمِيلٍ بَهِيحُ!

* * *

أَتُبْقِينَ حَقًّا عَلَى مَا بَهَا؟ مَتَى أَنْتِ أَبْقَيْتِ شَيْئًا؟ مَتَى!
وَمَاذَا أَرْجِي بِهَذَا الدُّعَاءِ وَكَيْفَ تُلَبِّينَ! وَاحْسَرْتَا!

* * *

أجائعة أنت؟ يا للشراهة ما عفت غير بللى أو رماذ
تشهيت كل طعام، وما تذوقت شيئا كطعم المداذ؟

* * *

ومن لي بزادك؟ لم يبق ما يلوك لسانك أو يغلك
أيتها النار، ويك اصبري أجئك بكل الذي أملك

* * *

بقرباني القدسي الأخير أزهير كن رقاقا لطافا
أزهير تزهى بها باقة نوت نضرة وأصابت جفافا

* * *

ألا كم تالّقن فوق الغصون زواهر في روعة واتقاد
بكفي هاتين جمعتهن من كل روض ومن كل واد

* * *

فوا رحمتا أي عمر قصير لهن، وأي شباب ذوى
وأي حياة كحلّم سرى سرى البرق لألا ثم انطوى!

* * *

أحقا فرغت؟ إذن ما سعارك لم يبق، يا نار، ما ينهش
أهذي القصاصة؟ لا! إنني أضم عليها يدا ترعش!

* * *

أكانت سوى قطعة غضنت من الورق اليابس الأصفر
مهلهلة غير مقروءة حوت قصة الحب في أسطر!

تَلَجَّ وَنَارُ

* * *

ضَنْنْتُ بِهَا ضَنَّْ مَعْتَزَّةٍ وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أودَعْتُهَا
أَقْبَلُهَا مِثْلِي مَرَّةٍ إِذَا جُنَّ شَوْقِي فَأَطْلَعْتُهَا

* * *

فَيَا لِلشَّرَاهَةِ؟ ماذا أرى؟ لِسَانِكَ فِي ثَوْرَةٍ وَاهْتِجَاجٍ
يَكَادُ إِلَيَّ مِنَ الْمُصْطَلَى بِجَمْرِكَ أَنْ يَتَخَطَّى السِّيَاحُ!

* * *

خَسِنْتُ فَرْدِيهِ! ماذا يروم؟ أَلَمْ يَبْقَ، يَا نَارُ، مَا يُطْعَمُ؟
أَهْذِي الْقُصَاصَةَ؟ يَا لِلْحَرِيقِ وَيَا لِلْبَلَى! شَدَّ مَا يُؤْلَمُ!

نَارٌ وَنَارٌ

حبيبة قلبي هي النارُ لا
دعيتها ولا توقظي جمرها
فدى راحتك فؤادٌ يلدُ
أنيليهما دفءٌ تغري الحنون
تشبّي لظاها، ولا تستثيري
فما النارُ أحنى من الزمهرير
له، في هواك، عذابُ السعير
وصونيهما رحمةٌ من زفير!

* * *

قسا البرد! كيف؟ أيقسو عليك؟
وكم جئت به بأرق الغناء
أأختاه أي عذاب طغى
ضرعت إليك فلا تسلمي
ووا عجباً كيف يرزى المساء؟
وأشرق في بوعي السماء؟
عليك، وأي ضنى أو شقاء
ودائعنا للردى والعفاء!

* * *

فما هنَّ بعض مداد جرى
ولكنهنَّ شغاف الفؤاد
وأحلام دنيا وأشواقها
أفاء إلى أيكة ينظران
ولا هنَّ أختاه بعض الورق
ودوب السواد ونور الحدق
لروحين بعد الضنى والرهق
جمال المساء وسحر الشفق!

* * *

أحس بقلبك لذع الأسى
وفي وجنتيك لهيب الدموع

وَأَسْمَعُ صِيحَةً مُسْتَقْتَلِ
وَأَلْمَحُ فِي جَانِبِ الْمُصْطَلَى
يُصَارِعُهُ الْيَأْسُ بَيْنَ الضُّلُوعِ
وَجَوْهَاً زَوَاهَا الْأَسَى وَالْخُشُوعُ
مَحْدَقَةٌ فِيهِ، مَحْنِيَّةٌ
عَلَيْهِ، وَيَا لِلْظَى كَمْ يَرُوعُ!

* * *

لَهْنٌ لِيَالِيكَ أَوْ ذَكْرِيَاتِي
تَسْمَعُنْ صَوْتِكَ تَحْتَ الظَّلَامِ
جُنُنٌ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءٍ
فَجُبْنَ الثَّرَى وَطَوَيْنَ الْفَضَاءَ
تَمَسَّحُ كَفَيْكَ رَاحَتُهُنَّ
عَلَى قُبُلٍ مِنْ شِفَاهِ ظِمَاءٍ
وَيَسْكُبْنَ فِي أَذْنِكَ الدُّعَاءَ
وَفِي قَلْبِكَ الْغَضُّ نَوْرَ الرَّجَاءِ

* * *

أَلَا، يَا عِرَائِسَ وَادِي الْخِيَالِ،
أَلَا ادْفَعْنَ هَذَا الرَّئْيَ الْمَشْرَبُ
بِالْهَةِ الرَّحْمَةِ الْمُنْصِفَةِ
وَأُمْسِكْنَ هَذِي الْيَدَ الْمُضْعِفَةَ
وَأَنْقِذْنَ هَذَا الْغَرَامَ الشَّهِيدَ
فَقَدْ كَادَتِ النَّارُ أَنْ تَلْقَفَهُ
رَسَائِلُ، أَنْبِلُ مَا سَطَّرَتْ
يَدُ الْحَبِّ أَوْ رَدَّدَتْهُ شَفَةُ!

* * *

وَصُنَّ أَزَاهَرَ مَا نَوَّرَتْ
وَلَا نَسَمْتَ غَيْرَ رُوحِ الْهُوَى
بِهِنَّ الْغُصُونُ لَغَيْرِ الشِّفَاءِ
وَلَا غَيْرَ أَنْفَاسِهِ أَوْ شَذَاهُ
أَزَاهِرُ هُنَّ رُؤَى لَيْلَةٍ
هِيَ الْعَمْرُ أَوْ هِيَ كُلُّ الْحَيَاةِ
تَمَثَّلُهَا الْحَبُّ فِي بَاقَةٍ
إِلَهِيَّةٍ جَمَعَتْهَا يَدَاهُ

* * *

أَلَا يَا عِرَائِسَ وَادِي الْخِيَالِ
أَلَا احْكُمْنَ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّتِي
أَلَا ابْعَثْنَ رُوحَ الرِّضَا وَالسَّلَامِ
تَثُورُ بِعَاشِقِهَا الْمُسْتَهَامِ
تُفَارِقُهُ وَتُطِيلُ الْفِرَاقَ
وَتَسْأَلُهُ أَيْنَ عَهْدُ الْغَرَامِ
فَإِنْ قَالَ: ضَيَّعْتِهِ، أَسْرَعْتُ
إِلَى النَّارِ تَوْقِظُ فِيهَا الضَّرَامِ

* * *

نَارُ وَنَارُ

ألا، يا عرائسُ، هَلَّا استمعتِ لأُختي رَبَّةَ هذا القصيدِ!
أَغَرَّدَ رُوحٌ بهذا الصَّفَاءِ وردَّ قلبٌ كهذا النشيدِ!
يقول: أنا الحبُّ لا تُلقِ بي إلى النارِ إنِّي قويٌّ شديدٌ
وما أنا بعضُ رَمَادٍ لها ولا أنا بعضُ حُطَامٍ بديدٌ

* * *

أنا الجوهرُ الفردُ لا ماستي تذوبُ، ولا نورُها ينفدُ
مُنَحْتُ الخلودَ وأعطيتُ تَخَرُّ العروشُ وتهوي الشמושُ
هو القلبُ أعظمُ ما صوّرتُ لمن يُلهمُ الشَّعْرَ أو يُنشِدُ
ولي عرشي الخالدُ الأبدُ يدُ الله ما نازعتها يدُ

* * *

ألا، يا عرائسَ وادي الخيالِ، ألا قربي يدها قربي
حبيبةَ قلبي نسيْتُ النوى ودعوى البريئة والمذنبِ
وأنسيْتُ حتى كأنَّ لم يكنْ على الأمس ما كان أو مرَّ بي!
حديثُ القصاصةِ ردَّ الهوى لقلبي، فَشُبَّيه أو ألْهَبِي!!

يومُ الملتقى

غَنَّاكَ «داوُد»، أم حَيَّاكَ «سيناء»
موعودةً، من ليالي النيل قمراءُ
يشدو بهنَّ الثرى، والريحُ، والماءُ
أم أنَّ كَهَانَهَا بالوحي قد جاءوا
به زبرجدةً في الشطِّ خضراءُ
فهنَّ فاكهةٌ تَنْدَى وصهباءُ

هذي سماؤُك أنغامٌ وأضواءُ
أم النبيُّون قد أزجَتْ سفائنهم
أم طالعُك من السَّحر القديم رُؤَى
أم جاء «طيبة» من أربابها نبأً
أم سارَ «عمرو» بنور الفتح فائتلقَتْ
ماجت خمائلُ بالبشرى وأوديةُ

صَبَّاحِهِ قَدِيمَ الرُّسُلِ الأجلَاءُ
وكم إليك بسرُّ الروحِ إسرائُ
كما يُلبِّي هُتَافَ الأمِّ أبناءُ
من أمرها الناسُ أمواتٌ وأحياءُ
فقد تَبَدَّدَ، والأيامُ أنواءُ
كما يشاء الأشدَّاءُ الألبَّاءُ
ومن غفوا فهمو الموتى الأرقَّاءُ

يا مصرُ، ذلكَ يومِ الملتقى، وعلى
أُسرَتْ إليك بهم روحٌ وعاطفةُ
دعا، فلَّبَّوه، صوتٌ من عربيتهم
لا بل أهابَ بهم يومٌ صنائعهُ
إنَّ لم تَصُنْ فيه أيديهم تراثهمو
طاحتُ بناصيةُ الضعفى، وسخرَها
أحرارُ دهرٍ همُ المستيقظون لها

عليكمو غَيْرُ شَتَّى وأرزاءُ
أمام أعينكم للمجد أجواءُ

بَنَى العروبة، دارَ الدهرُ واختلقتُ
مضى بضائقتيها الأُمسُ، وانفسحتُ

شرقاً دعائمه كالطود شماء
بالحق ناطقة، بالحب سماء
فيها لغابركم بعث وإحياء
لا يصدعنكم بالخلف مشاء
لبنان، والمسجد الأقصى، وشهباء
لها من الروح تقريب وإدناء
دم به كتب التاريخ آباء
والقادسيّة، واليرموك أجناء
حر، وقر، وإصباح، وإمساء

اليوم شيدوا كما شادت أبوتكم
دستوره وحدة مثلى، وشرعته
لكم بحاضرهم من دهرهم نهز
شدوا على العروة الوثقى سواعدم
لم تنأ بغداد عن مصر، ولا بعدت
أي التخوم تناءت بين أربعها
أرض عليها جرى تاريخنا، وجرى
مبارك غرسه، منه بأندلس
خوالد النفح لم يذهب بنضرتها

لما تعدون، والأذان إصغاء
يا شرق إن غدا هدم وإنشاء
فللمطامع إغراء وإغواء
أقلامها، وصغت كنب وأنباء
أنصار حق على الجلي أوداء
فما تشكوا، ولا شكوا، ولا راءوا
وما ترى أمم في الحرب غلباء
بناء دنيا لها الإحسان بناء
يد مبرأة للسلم، بيضاء
لما جرى من عهد الأمس، نساء
لغير كفاك إن الريح هوجاء

إيه بني الشرق! فالأبصار شاخصة
يستطلع الشرق ما يجري به غده
بصيحة السلم لا يأخذك إغراء
تفتحت صحف الأيام وانبعثت
وطاطأت أمم مقهورة، ورنأ
مستهم الحرب مس المرمضين بها
في عالم الغد ماذا قد أعد لهم
خطت مواثيق للإنسان واشترعت
إني أخاف عليها أن تضيعها
في ساعة من خمار النصر سامرها،
فقد شراعك لا تسلم أزمته

يداك أنت، فقد أخلته أهواء
صدور قومك، لم تنقذه آراء
دم، وناز، وإعصار، وظلماء
بكفه آدم العاصي، وحواء

يا شرق، مجدك إن لم ترس صخرته
يا شرق، حقك إن لم تحم حوزته
والكون ملحمة كبرى جوانبها
أكان عندك هذا الموت يصنعه

غولٌ، ونسرٌ، وتنينٌ، وعنقاءٌ
والأرضُ من هولها سوداءُ حمراءُ
يكاد منها يُصيب النجمُ إعماءُ
من ثقلهنَّ لصدر الأرضِ أحناءُ
أو عربدتْ، فالصخورُ الصمُّ أشلاءُ
أو تَنجُ من غدرها غابٌ وصحراءُ
فليس تُغْفِرُ بعد اليوم أخطاءُ

من ذات أجنحةٍ يخشى مسابحها
شأت خطاها بساطَ الريح وانطلقت
تعلو وتنقضُ وشكَّ اللَّمَحُ صاعقةً
وزاحفاتٍ من الفولاذِ قد هُصِرَتْ
إنَّ صَعَدَتْ، فالجبالُ الشَّمُّ هاويةٌ
لم يَخُلْ من شَرِّها ماءٌ ويابسةٌ
يا شرقُ، يومُك لا تُخْطِئُ سوانحهُ

جَنَاتِهِ لَقِيَ القربَ الأحباءُ
خَصْبًا لها فيه إنباتٌ وإزكاءُ
فهيا لكلِّ صنيعٍ منه لألاءُ
ملوكهُ الصَّيْدُ، والشَّمُّ الأعزَّاءُ
هذي طوالعكم جلواءُ غراءُ
بها ربوعُ حبيباتٍ وأرجاءُ
إنَّ المَنَاقِبَ للفتيانِ أسماءُ
فالشرقُ مَنبَهَةٌ، والغربُ أصداءُ
مستقتلٌ قرشيُّ الروحِ فدَّاءُ

في عهد «فاروق» طاب الملتقى، وعلى
حَمَى العروبةِ أعرافًا، ومدَّ لها
وباركتها سماءُ من مآثره
عباقرُ الشرقِ هم أباءُ، وهمو
يا عُصْبَةَ «الوحدة الكبرى» وعصمتها
وددتْ لو شَدَّتْ بالأسماءِ شاديةً
وما أُسمي فتى شتى مناقبهُ
المصطفى وحواريُّوه إن ذُكروا
وكلكم عن حمى أوطانه بطلٌ

ثَراءُ، فهو أزاهيرٌ وأنداءُ
بالدمعِ عينٌ، وبالأشواقِ حوَباءُ
أُخْتُ لكم في صراعِ الدهرِ عزلاءُ
ورِيَّها منه إيلامٌ وإشقاءُ
عصرٌ به حُرَّرَ القومُ الأندلاءُ
تنزو بها مهجةٌ كَلَمَى وأحشاءُ
ماذا تقولون إنَّ لم يُحَسَمِ الدَّاءُ؟
على يديكم من العِلَّاتِ إِبْرَاءُ؟

بالله إن جنتم الوادي وناسمكم
وطاف بالذكرياتِ الأمسُ واستَبَقَتْ
فاقضوا حقوقَ إخاءٍ تستجير به
طعامُها من فُتاتِ العيشِ مَسْغَبَةٌ
أَحَلَّها ذَهَبُ الشَّاري، وحرَّمها
حَرْبانِ أثخنَّها أدمعًا ودمًا
هذي «فلسطين» أو هذي روايتها
تَطَلَّعتْ لكم وَلَهَى أليس لها

ديوان علي محمود طه

حملتُمُ العهدَ فيها عن أبوتكم إِنَّ البنينَ لحملِ العهدِ أكفاءُ

الأيام

أَيُّهَا الْإَيَّامُ، مَا تَصْنَعِينَ
غُبْنَتِ، يَا أَيَّامُ، لَمْ يَلْتَمَسْ
يَلُومَكَ النَّاسُ عَلَى مَا بِهِ
وَقَالَ مَنْ قَالَ: لَقَدْ أُولَعْتُ
عَدُوَّةً أَنْتِ لِمَنْ خَانَهُ
لِحَاكِ مِنْ أَخْطَأَ فِي رَأْيِهِ
وَمِنْ أَسَاءَ الصُّنْعَ فِي عَيْشِهِ
وَلَا مَكِ الضَّلِيلُ فِي دَهْرِهِ
حَتَّى أَخُو الْحَرَمَانِ فِي حُبِّهِ
وَأَنْتِ لَا شَكْوَى وَلَا آهَةٌ
لَمَسْتَ ضَعْفَ النَّاسِ فِي عَالَمٍ

بِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي تَحْمِلِينَ
عَذْرَكَ حَتَّى الْمُسْتَضَامُ الْغَبِينُ
جَرَى يَرَاغُ الْغَيْبِ فَوْقَ الْجَبِينِ
بِالشَّرِّ، فَالطَّبْعُ لَنَيْمٍ لَعِينُ
حَظٌّ، وَإِنْ كُنْتَ الصَّدِيقَ الْمَعِينُ
كَأَنَّمَا أَنْتِ الَّتِي تَفْكِرِينَ
كَيْفَ تُسَيِّئِينَ وَلَا تُحْسِنِينَ؟
فَمَنْكِ لَا مِنْهُ الضَّلَالُ الْمَبِينُ!
كَأَنَّمَا أَنْتِ الْحَبِيبُ الضَّنِينُ
مِمَّا تَرَى عَيْنَاكَ أَوْ تَسْمَعِينَ
قَوِيُّهُ لَا يَرْحَمُ الْمُضْعَفِينَ

* * *

أَخَذْتَ بِالْحَسَنِ أَرَا جِيفَهُمْ
وَأَنْتِ، يَا أَيَّامُ، مِنْ رَحْمَةٍ
وَأَنْتِ، يَا أَيَّامُ، كُلُّ الرُّضَا
فَمَنْ مَرِيرٍ عَلِقَ كَالْوَزِينِ
وَتُنْبَتِينَ الرِّفْقَ فِي أَنْفُسِ

وَالضَّعْفُ لَا يَشْفَعُ لِلْمَرْجُفِينَ
لَهُمْ تُصَلِّينَ، وَتَسْتَغْفِرِينَ
تَوَلِيْنَهُمْ مِنْ كَنْزِهِ كُلِّ حِينِ
حَلَاوَةً فِي عَيْشِهِمْ تَسْكِبِينَ
غَلِيظَةً قَاسِيَةً لَا تَلِينُ

أنا الذي أدري بما تصنعينُ	إن ضِقتُ بِالْعُمُرِ الذي تَفْسحينُ
لديكِ ما يمحو عذابِي، وما	يرقأ دَمْعِي، وهو هامٍ سخينُ
لديكِ ما يُغني همومي، وما	يبرئُ قلبي وهو دَامٍ طعينُ
لديكِ ما يُشعُرني راحةً	إن عَقَنِي الودُّ وخانَ اليمينُ
لديكِ ما يُنصفُني سُلوةً	إن ظَلَمَ الحبُّ وجارَ الحنينُ
لولاكِ لم أنسَ فنائي، ولم	أحُلُمَ بأنِّي خالِدٌ في السنينُ

بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

والأُماني بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ
حَمَلْتُ كُلَّ ذُنُوبِ الْكَائِنَاتِ
فَطَوْتُ نَجْمِي وَسَدَّتُ طُرُقَاتِي
وَالصَّبَا نَشْوَانَ وَالْحُبَّ مَوَاتِي
أَوْ دَعِيهَا وَاذْكُرِي لِي خَطَرَاتِي
صَفْوَةَ أَنْغَامِي، وَرَدِّي صَدَحَاتِي

بعد خَمْسٍ جِئْتَنِي، يَا ذَكْرِيَاتِي
بعد خَمْسٍ، يَا لَهَا فِي السَّنَوَاتِ
صَاحَ فِيهَا زُحْلٌ بِالظُّلُمَاتِ
وَرَمَتْ شَمْلِي بَبِينِ وَشَتَاتِ
فاحفظيها في المَآسِي الْخَالِدَاتِ
أرجعي لي بعضَ أَحْلَامِي، وهَاتِي

في سكونٍ خِفْتُهُ أَنْ يَنْبِضَا
قد دعونا نَجْمَهُ أَنْ يُغْمِضَا
لَجْجًا سَوْدًا وَظِلًّا مُقْبِضَا
دَفَعَ «النَّيْلَ» وَأَرْغَى، وَمَضَى
وَادَّعَى مِنْهُمْ خَبِيثَ عَرَضَا
شَعَّ نَارًا وَتَوَارَى فِي الْفَضَا

حدَّثني لَيْلَةُ خُضْنَا «الأَبْيَضَا»
وَدَجَّى كَالسُّخْطِ مِنْ بَعْدِ الرِّضَا
جَثَمَ الرَّعْبُ عَلَيْهِ فَنَضَا
كَلِمَا عَوْدٍ ثِقَابٍ أَوْ مَضَا
يُنْذِرُ الرِّكْبَ فَمَا جَاوَا رُكُضَا
أَنَّ نَجْمًا «هَتْلَرِيًّا» مُغْرِضَا

كَيْفَ جُزَّتِ الْبَرَّ وَالْبَحَرَ الْقَصِيَّ؟
وَشَوَاطِأَ طَاغِي النَّارِ عَتِيَّ؟
وَابْعَثِيهِ نَغْمًا عَذْبًا شَجِيَّ

ذَكْرِيَاتِي كَيْفَ أَقْبَلْتِ إِلَيَّ؟
كَيْفَ خُضَّتِ الْكَوْنَ لَجًّا دَمَوِيَّ
ذَكْرِيَاتِي جَدِّدِي هَذَا الرُّوِيَّ

ما عجيبٌ أن تردِّيهِ عليًّا بل عجيبٌ أنني لا زلتُ حيًّا
أُتلَقَّاكِ، وكأسي في يديًّا ونشيدي ضارِعٌ في شفتيًّا
طاف بي شاديكِ يدعوني مَليًّا: أيها المَلَّاحُ، حان الوقتُ، هيَّا؟

* * *

حان أن ننشر خُفَّاق الشراعِ يا سفيني ويك! هيَّا! لا تُراعي
قد تدانى البحرُ من بعد امتناعِ وَغَدَتْ «فينيسيا» قيدَ ذراعِ
هذه الجنَّةُ، يا ويح الأفاعي! نفثتُ في زهرها سُمَّ الخداعِ!!
أه، دعني من أحاديث الصراعِ ضاع عمري! ويخ للعمر المضاعِ
فالتمس نَهْزَةً حُبٍّ ومُتاعِ تحت أفقٍ صاوحٍ صافي الشعاعِ
يا شراعي، طُفْ بهاتيكِ البقاعِ وتهيًّا للقاءِ ووداعِ!

* * *

أيُّها البحر! سفيني ما عَراها؟ رَنَحَتْها نِباءُ رَقٍّ صداها
أَوْحَقًا قَرَّبَتْ من منتهاها هذه المحنةُ وانجاب دُجاها؟
أغداً تستقبل الدنيا مُناها حرَّةٌ تشدو بمكنون هواها؟
وأرى حُرِّيَّةً عَزَّ حِماها لم يُضِعْ عَقْبَاهُ من مات فداها؟
أيُّها الشرق! تأمل!! أتراها؟ أنتِ مِنْ داراتِها أين سَناها؟
ذُذَّتْ عنها وتقدّمتْ خُطاها يوم قالوا: خَسِرَ الحربَ فتاها!

* * *

أيُّ بشري زَفَّها أرخُمُ لحن؟ من تُراه ذلك الطيف المغنِّي؟
مَسَّ قلبي صوتهُ إذ مَسَّ أذني أَلْحَبُّ، أم لِسْلَمٍ، أم تَمَنِّي؟
يا بشير السَّلم، لا يكذبك ظنِّي أنا ظمَّانٌ إلى الشدو، فزِدني
عبرتُ بي الخمسُ في صمِتٍ وحُزنِ أيُّ خمسٍ بعدها تمتدُّ سَنِّي؟
صاح قلبي: إنْ تدعني لستَ مِنِّي افتح الباب ونَحِّ القيدَ عَنِّي
أه، دعني أبصر العالمَ دعني قد سئمتُ اليوم في أرضي سَجَنِي!

* * *

ما ثوائي في مكان، ما ثوائي!
 افتحوا نافذتي عَبْرَ الفضاءِ
 في ظلالِ السَّلمِ أو نورِ الصفاءِ
 فانشُدوني بين أمواج الضياءِ
 لا تقولوا: كيف يشكو من بقاءِ
 قد ظلمتم دعوتي، يا أصدقائي
 هو ذا الفجرُ فهبُّوا أصدقائي!
 افتحوها لأرى لونَ السماءِ
 حنَّ قيثاري لشعري وغنائِي
 وانشُدوا فوق «البحيرات» لقائي
 شاعرٌ في موطنٍ حالي الرواءِ؟
 وجهلتم ما حياة الشعراءِ!!

* * *

يا ابنة «الإيزار» حُيِّيتِ، سلامًا
 هذه الحربُ التي راعت ضرامًا
 نُقِيتِ في الغربة وجدًا وسقامًا
 مصرٌ كانت لمحبيها دوامًا
 فاذكري في الغد أحبابًا كرامًا
 واذكري بعض لياليتها القدامى
 وغرامًا، لا عتابًا، لا ملامًا
 شَبَّها طاعِ بواديكِ أقامًا
 أتراها لم تَطُبْ مصرٌ مُقامًا؟
 لم تُضِعْ عهدًا ولم تَخْفُرْ ذمامًا
 إنَّ أَلَمَّتْ بك ذكراها لِمَامًا
 في ضفافٍ حَمَلَتْ عنكِ الهيامًا

* * *

في ضفافٍ كلُّ ما فيها جميلٌ
 يخطرُ الفجرُ عليها والأصيلُ
 يدُ «هاتور» على كل جميلٍ
 و«أزوريس» على الشطِّ الظليلِ
 هذه مصرٌ ديارًا وقبيلُ!
 عجبًا لي، وعجيبٌ ما أقول!
 تُنْبِتُ الحُبْدَ، وتُنْمِي وتُنِيلُ
 بين صفصافٍ، وحوور، ونخيلُ
 تنشرُ النُورَ في كلِّ سبيلُ
 يَغْصُرُ الخمرَ، ويسقي السلسيلُ
 ألها في هذه الدُّنيا مثيلُ؟
 كيف يدعوني غداً عنها الرحيلُ!

إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمِصْرِيَّةِ

خواطر حزينة

لِمَ أَنْتِ، أَيَّتُهَا الطَّبِيعُـ
لَوْلَا أَغَارِيدُ تَرْسِـ
وخيَالُ ثَوَرٍ حَوْلَ سَا
وقطيعُ ضَاأَنَّ فِي المِرو
لحسبتُ أَنَّكَ جَنَّةُ
هَجْرُوكِ، لَا كُنْتَ العَقِيـ
عَجَبًا وَمَاؤُكَ دَافِقُ
حُسْنُ يَرْوَعُ طِرَازُهُ
أَرْنُو إِلَيْهِ وَلَا أَحْسُ
حسناءَ، سَازِجَةَ المِلا
يَمَنْ يُقَالُ لَهَا: قُرَى
الطَّيْنُ فِيهَا وَالْيِرا
يَأْوِي لَهَا قَوْمٌ يَقَا
وهم ضِعَافٌ أَوْثَرُوا
المَكْثَرُونَ الزَّادَ لَمْ
لهم الغَرَّاسُ وَرَعِيُّهُ،

عَةً، كَالْحَزِينَةِ فِي بِلَادِي؟
لَ بَيْنَ شَادِيَّةٍ وَشَادِي
قِيَّةٍ يُرَاوِحُ أَوْ يُغَادِي
جِ الخَضِرُ يَضْرِبُ بِالْهُوَادِي
مَهْجُورَةٌ مِنْ عَهْدِ عَادِ
مَ وَلَسْتَ مُنْجَبَةَ الْقَتَادِ
وَنَجُومُ أَرْضِكَ فِي انْتِقَادِ
وَيُمَلُّ فِي نَسَقِ مُعَادِ
بِفَرَحَةٍ لَكَ فِي فَوَادِي
مَح، فِي إِطَارٍ مِنْ سَوَادِ
غَرَقَى أَبَاطِحَ أَوْ وَهَادِ
عُ أُسَاسُ رُكْنٍ أَوْ عِمَادِ
لَ لَهُمْ جِبَابِرَةُ الْجَلَادِ
بِشَقَائِهِمْ بَيْنَ الْعِبَادِ
يَتَمَتَّعُوا بِوَفِيرِ زَادِ
وَلِغَيْرِهِمْ ثَمَرُ الْحَصَادِ

* * *

لو كنت في الغرب الصَّنا	ع لكنت قِبْلَةً كلَّ هادي
وافتنَّ فيك الفنُّ بالـ	رُوح المُحرِّك للجماـ
وتفجَّر المَرَحُ الحبيـ	سُ بكلِّ ناحيةٍ ووادي
ولقلتُ: أبتدر الشُّدا	ةَ غداةَ فخرٍ أو تنادي
هذي الروائعُ فيك لم	تُخلَقْ لغيرك، يا بلادي!

خَمْرَةُ الْإِلَهِةِ

هَاتِهَا كَأْسًا مِّنَ الْخَمْرِ الَّتِي
سَكِرْتُ آلِهَةُ الْفَنِّ بِهَا
إِسْقِنِيهَا وَتَفِيًّا ظُلَّتِي
وَتَرْنَمٌ بِأَغَانِي حُبِّهَا
هَذِهِ النِّكْهَةُ مِنْ صَهْبَائِهَا
شَبَّعُ الرُّوحِ وَرِيَّ الْجَسَدِ
عَرَبِدِ الشَّاعِرِ مِّنْ لَّلَّائِهَا
وَهِيَ كَنْزٌ فِي ضَمِيرِ الْأَبَدِ
هَاتِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَسَنِ
نَفْحَةِ الْوَحْيِ وَإِشْرَاقِ الْخِيَالِ
وَأَذْرِهَا نَغْمًا فِي أُذُنِي
فَاضٍ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ
هَاتِهَا سَحَرَ الْوُجُوهِ النَّضْرَاتِ
هَاتِهَا خَمَرَ الشِّفَاهِ الْمَلْهَمَاتِ
وَالْعُيُونِ الشَّاعِرِيَّاتِ اللَّوَاتِي
شَعَّشَعَتْ بِالنُّورِ آفَاقَ حَيَاتِي
ذُقْنَهَا كَالْحُلْمِ فِي رَيْقِ عُمْرِي
قُبْلَةَ عِذْرَاءٍ مِنْ ثَغْرِ حَيٍّ

وَتَسَمَّعْتُ لَهَا فِي كُلِّ فَجْرِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِإِلْهَامِي الْوَضِيَّ
هَاتِهَا جَلَوَاءَ، يَا تَوَّامَ رُوحِي
فَبِهَا أَبْصُرُ لِلْخُلْدِ الطَّرِيقَا
لَوْ خَلَا مِنْ كَرْمَتَيْهَا فُلُكُ نُوحٍ
أَخْطَأَ الْجُودِيَّ، أَوْ بَاتَ غَرِيقَا
مَا أَرَاهَا أَخْطَأَتْ فِي وَهْمِنَا
عَالَمَ الْغَابَةِ أَوْ مَهْدِ الْجُدُودِ
وَأَرَاهَا خِلْقَةً فِي دَمِنَا
يَوْمَ كُنَّا بَعْضُ أَحْلَامِ الْقُرُودِ
جَدُّنَا الْأَعْلَى عَلَى كُؤْبَرَتِهِ
لَمْ تَشْنُهُ نَظْرَةَ الْمُنْتَقِصِ
هُوَ مَا زَالَ عَلَى فِطْرَتِهِ
ضَاحِكًا خَلْفَ حديدِ الْقَفْصِ
ذَاقَهَا مُذْ كَانَ فِي الْغَابِ لِعُوبَا
يَتَغَذَّى مِنْ ثَمَارِ الشَّجَرِ
فَمَضَى يَحْلُمُ نَشْوَانَ طُروبَا
بِحَفِيدٍ فِي مِرَاقِي الْبَشَرِ
يَا لَهَا مِنْ قَطْرَةٍ فَوْقَ شَفِّهِ
غَيَّرَتْ مَجْرَى حَيَاةِ الْعَالَمِ
فِي خَيَالِ مَرِحٍ أَوْ فَلْسَفِهِ
أَبْصَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِي أَدَمِ
فَلَسَفَتُهُ حِينَ مَسَّتْ قَلْبَهُ
فَاشْتَهَى الْفَنَّ وَعِلْمَ الْمُنْطِقِ
وَأَرْتَهُ وَأَنَارَتْ دَرْبَهُ
وَهُوَ فِي سُلْمِهِ لَمْ يَرْتَقِ
أَيُّهَا الْحَالِمُ، غَرَّرْتَ بِنَا

وكفى سُكْرَكَ ما جرَّ علينا
عُدُّ بنا للغابِ أو هاتِ لنا
عهدها، أُحِبُّ به اليوم إلينا
أوترضى بالذي ما كُنْتَ تَرْضَى
أَيُّ دنيا من عذابٍ وشقاءٍ
ورُقِّي أَهْلَكَ الْعَالَمِ بُغْضًا
بين نارٍ، وحديدٍ، ودماءٍ
شَوْهَ الْعِلْمِ رُؤَى الكونِ القديمِ
ومحا كلَّ مسرَّاتِ الدهورِ
أو أرضِ جوفها نارٌ جحيم؟
وفضاءٌ كلُّ ما فيه أسير؟
أسرةُ الشمسِ اشتكتُ من أيديها
كيف لا يشكو الأسارى المرهقون؟
لو أطاقوا أفلتوا من قيدها
فإذا هم حيث شاءوا يشرقون
إن يكن قد أصبحَ البدرُ الوضيءُ
حجرًا، والنجمُ غارًا وحديدُ
فسلامًا، أيُّها الجهلُ البريءُ
وعزاءً، أيُّها الكونُ الجديدُ
يا حبيبي، دَعُ حديثَ الفلسفاتِ
طاب يومي فتفياً ظُلَّتِي
أترع الكأسَ، وناولني، وهاتِ
قُبْلَةً تُنقِذني من ضُلَّتِي
أو فقم للغابِ من غريدها
نسمع الرُّوحَ الطليقَ المرحًا
ونعَبُ الخمرَ من عُنقودها
واتركِ الدنَّ، وخلِّ القدحًا

الْغَرَامُ الذَّبِيحُ

من وحي الجسد

كم ليلة حمراء خِلْتُ ظِلَامَهَا
وَكأنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ فِي أَفْقِهَا
وَكأنَّ أَنْجَمَهَا نَوَافِدُ حَانَةٍ
وَكأنَّ أَنْوَارَ الْمَدِينَةِ تَحْتَهَا
هَمْدَ الْهَوَاءِ بِهَا فَجْهُدُ حَرَائِجِهِ
وَكأنما اخْتَنَقَ الْفَضَاءُ فَكُلُّ مَا
يَدَ مَارِدٍ سَلَّتْ خَضِيبَ حُسَامٍ
شَبَّخَ الْخَطِيئَةَ فَوْقَ عَرْضِ دَامِي
شَرِبَ الدُّخَانَ بِهَا بَرِيقَ الْجَامِ
سُرَّجُ الْغَوَايَةِ فِي طَرِيقِ حَرَامٍ
هَبَّوَاتُ نَارٍ فِي نَفِثِ قَتَامٍ
فِيهِ صَرِيحٌ أَوْ وَشِيكَ جِمَامٍ

أَلْفَيْتُنِي جَسَدًا تُسَارِقُ رُوحَهُ
أَجْتَاخُهَا وَأَضْجُ مِنْ لَذَاعَتِهَا
وَعَلَى يَدَيَّ مَسْمُورَةٌ مَخْمُورَةٌ
مُتَضَائِلَ الْأَفْكَارِ مَهْدُورَ الْقُوَى
قُبْلُ عَوَاصِفُ ضُرْجَتِ بَأْثَامٍ
فَكأنَّهَا بَدْمِي نَقِيعُ سُمَامٍ
أَلْتَذُّ كَالْمَقْرُورِ حَرَّ ضَرَامٍ
مُتَزَايِلَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَحْلَامِ

هِيَ مَنْ تَرَى؟ هِيَ هُنَّ، هُنَّ جَوَاذِبِي
الْشَارِدَاتُ الْعَائِدَاتُ مَعَ الضُّحَى
بَأَنْيَقِ ثَوْبٍ، أَوْ رَشِيقِ قَوَامٍ
الطَّارِدَاتُ وَرَاءَ كُلِّ ظِلَامٍ

ديوان علي محمود طه

هن اللواتي إنْ صحوْتُ فإِنِّي منهنَّ طالبُ مَهْرٍ وسلامِ
أُخمدُ فوقَ شفاههنَّ شبيبتي وذبحتُ بينَ عيونهنَّ غرامي!

امْرَأَةٌ

إِنِّي بِحَبِّكَ، يَا جَمِيلَةً، رَاضِي
شَطَطَ الْهَوَى، وَسَمَوْتَ عَنْ أَغْرَاضِي
عُلُوِيَّةَ الْإِشْرَاقِ وَالْإِيْمَاضِ
فَأَرَاهُ لَا يَقْوَى عَلَى الْإِغْمَاضِ
نَفْسِي زِمَامَ جَوَادِهَا الرِّكَاضِ
وَيَخَوْضُ بَرْدَ جَدَاوِلٍ وَرِيَاضِ
لَمْ تَلَقَ غَيْرَ الْوَقْدِ وَالْإِرْمَاضِ
رُوحِي كُلِّذَةً حُلْمِكِ الْمَعْتَاضِ
بِيَدِيكَ لَا عَنْ ذِلَّةٍ وَتَغَاضِي
دُنْيَاكَ تَسْعَى لِي بِأَرْوَاحِ مَاضِي!

أَقْبَلْتُ أَمْ أَمَعَنْتِ فِي الْإِعْرَاضِ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتُ بَلْ جَنَّبْتِنِي
أَلْقَاكَ لَسْتُ أَرَاكَ إِلَّا فِتْنَةً
كَمْ رُحْتُ أُغْمِضُ نَاضِرِي مِنْ دُونِهَا
وَذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ السَّلْوَ وَأَطْلَقْتُ
يَجْتَازُ نَارَ مَفَازَةِ مَشْبُوبَةٍ
وَلَقِيتُ غَيْرَكَ غَيْرَ أَنَّ حُشَاشَتِي
وَاغْتَضْتُ بِاللَّذَاتِ عَنْكَ فَلَمْ تَجِدْ
وَأَطَعْتُ ثُمَّ عَصَيْتُ، ثُمَّ وَجَدْتَنِي
لَكِنْ لَأَنَّكَ إِنْ خَطَرْتَ تَمَثَّلْتُ

نِدَاءُ الْقَلْبِ

من المجموعة الأولى لأغاني الحب عند قدماء المصريين.

وَلَمْ تَنَأْ عَنِّي وَعَنْ نَاطِرِي	حَبِيبَةُ قَلْبِي نَأَتْ دَارُهَا
يُطِلُّ مِنَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ	أَرَى وَجْهَهَا مُشْرِقًا بِالْجَمَالِ
مُدَلًّا بِتَمَسَاجِهِ الْغَادِرِ	هُوَ النَّهْرُ يَفْصِلُ مَا بَيْنَنَا
إِلَيَّ وَمَا كُنْتُ بِالْخَائِرِ	تَوَسَّدَ رَمَلَتُهُ شَاخِصًا
غَوَارِبَ تِيَّارِهِ الثَّائِرِ	إِلَيْهَا عَلَى رَغْمِهِ فَلَأَخْضُ
وَسَالَ عَلَيَّ بَدَنِي الضَّامِرِ	إِذَا مَا تَقَادَفَنِي مَوْجُهُ
أُنِيلُ الثَّرَى قَدَمِي غَابِرِ	مَضَيْتُ كَأَنِّي عَلَى مَائِهِ
بِسُلْطَانِ هَذَا الْهَوَى السَّاجِرِ	لَقَدْ حَالَ يَابِسَةً مَأْوُهُ
وَبِي قُوَّةُ الْقَادِرِ الظَّافِرِ	وَصَيَّرَنِي سِحْرُ هَذَا الْهَوَى
لِيَعْنُو لِسُلْطَانِهَا الْقَاهِرِ	أَلَا إِنَّ سُلْطَانَ هَذِي الْمِيَاهِ

فَارُوسِ الثَّانِي

نَبَأٌ، فِي لَحْظَةٍ أَوْ لَحْظَتَيْنِ،
نَبَأٌ، لَوْ كَانَ هَمَسَ الشَّفَتَيْنِ
وَتَرَاهُ أُمَّةً بِالضَّفَتَيْنِ
مُوسِّلِينِي! أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ؟ أَيْنَ؟
طَافَ بِالدُّنْيَا وَهَزَّ الْمَشْرِقَيْنِ
مِنْذُ عَامٍ، قِيلَ: إِرْجَافٌ وَمَيِّنُ!
أَنَّهُ كَانَ جَنِينٌ «الْعَلَمِينُ»
حَلْمٌ؟ أَمْ قِصَّةٌ؟ أَمْ بَيْنَ بَيْنٍ؟

* * *

قَصْرُ «فِينِيسِيَا» إِلَيْكَ الْيَوْمَ يُهْدِي
عَجَبًا! يَا أَيُّهَا الْمُتَحَدِّي
إِمْبَرَاطُورُكَ فِي هَمٍّ وَسُهِدٍ
أَيْنَ، يَا «فَارُوسُ»، وَلَيْتَ بَجَنْدِي؟
لَعْنَةُ «الشُّرْفَةِ» فِي قَرَبٍ وَبُعْدٍ
كَيْفَ سَامُوكَ سَقُوطَ الْمُتَرَدِّي؟
صَائِحًا فِي لَيْلِهِ لَوْ كَانَ يُجِدِي:
أَيْنَ وَلَّيْتَ بِسُلْطَانِي وَمَجْدِي؟

* * *

اعْتَزَلْتَ الْحُكْمَ؟ أَمْ كَانَ فِرَارًا
سَقَتَ لِلْمَجْزَرَةِ الزُّغْبُ الصَّغَارَا
يَا لَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ حَيَارَى
يَمْلِئُونَ الْجَوَّ فِي الرُّكُضِ غَبَارَا
بَعْدَ أَنْ أَلْفَيْتَ حَوْلِيكَ الدَّمَارَا
بَعْدَ أَنْ أَفْنَيْتَ فِي الْحَرْبِ الْكِبَارَا
نَهَبُوا قَتَلَى، وَجَرَحَى، وَأَسَارَى
وَقُبُورًا مَلَأُوا وَجَهَ الصَّحَارَى

* * *

أَعْلَى «الصُّومَالِ» أَمْ «أَدِيسَ بَابَا»
تَرْفَعُ الرِّوَايَةَ، أَمْ تَبْنِي الْقِبَابَا

أَمْ عَلَى «النَّيْلِ» ضِفَافًا وَعُبابًا لَمَحَتْ عَيْنَاكَ لِلْمَجْدِ سَرَابًا
فَدَفَعْتَ الْجَيْشَ أَعْلَامًا عَجَابًا مَا لِهَذَا الْجَيْشِ، فِي الصَّحْرَاءِ، ذَابًا؟
بَخَّرَتْهُ الشَّمْسُ فَارْتَدَّ سَحَابًا حِينَ ظَنَّ النَّصْرَ مِنْ عَيْنِيهِ قَابًا

* * *

يَا أَبَا «الْقُمَصَانِ» جَمْعًا وَفُرَادَى أَحَمَّتْ قِمَصَانِكَ السُّودُ الْبِلَادَا؟
لِمَ أَثَرْتَ مِنَ اللَّوْنِ السَّوَادَا؟ لَوْنُهَا كَانَ عَلَى الشَّعْبِ حِدَادَا
جِئْتُ بِالْأَزْيَاءِ تَمَثِيلًا مُعَادَا أَيُّ شَعْبٍ عَزَّ بِالزِّيِّ وَسَادَا
إِنَّهُ الرُّوحُ شَبُوبًا وَاتِّقَادَا لَا اصْطِنَاعًا بَلْ يَقِينًا وَاعْتِقَادَا

* * *

مُوسُلِينِي! قِفْ عَلَى أَبْوَابِ رُومَا وَتَأَمَّلْهَا طُلُولًا وَرُسُومَا
قِفْ تَذَكَّرْهَا عَلَى الْأَمْسِ نَجُومَا وَتَنْظَرْهَا عَلَى الْيَوْمِ رَجُومَا
أَضْرَمْتُ حَوْلَكَ فِي الْأَرْضِ التُّخُومَا نَقَتْنِي شَيْطَانُكَ الْفِطْرَ الْغُشُومَا
أَوَكَانَتْ تِلْكَ «رُومَا» أَمْ «سُدُومَا» يَوْمَ ذَاقَتْ بِخَطَايَاكَ الْجَحِيمَا؟

* * *

هِيَ ذَاقَتْ مِنْ يَدِ اللَّهِ انتِقَامًا لِأَثَامِ «خَالِدٍ» عَامًا فَعَامًا
يَوْمَ صَبَّتْ فَوْقَ بَيْرُوتِ الْحِمَامَا لَمْ تَذُرْ شَيْخًا وَلَمْ تَرْحَمْ غَلَامَا
مِنْ سَفِينٍ يَمْلَأُ الْبَحْرَ ضَرَامَا! ذَلِكَ الْأَسْطُولُ كَمْ ثَارَ احْتِدَامَا
أَيْنَ رَاحَ الْيَوْمَ؟ هَلْ رَامَ السَّلَامَا؟ أَمْ عَلَى الشَّاطِئِ أَغْفَى ثَمَّ نَامَا؟

* * *

أَيُّ عَدُوَانِ زَرِيٍّ الْمَظْهَرِ بِدَمِ قَانٍ وَدَمْعِ مُهْدَرِ
حِينَ طَافَتْ بِحِمَى (الإِسْكَنْدَرِ) أَجْنَحُ مِنْ طَيْرِكَ الْمُسْتَنْسَرِ
تَنْشُرُ الْمَوْتَ بَلِيلَ مَقْمَرِ! يَا لِمِصْرٍ! أَتَرَى لَمْ تَنْشَأَرْ
بِيَدِ الْمُنْتَقِمِ الْمُسْتَكْبِرِ؟ أَتَرَى تَذَكَّرُ؟ أَمْ لَمْ تَذَكَّرِ؟!

* * *

فَارُوسُ الثَّانِي

موسُليَني! لَسْتَ مِنْ أَمْسٍ بَعِيدًا	فَاذْكَرِ «الْمُخْتَارَ» وَالشَّعْبَ الشَّهِيدًا
هُوَ رُوحٌ يَمْلَأُ الشَّرْقَ نَشِيدًا	وَيُنَادِيكَ، وَلَا يَأْلُو وَعِيدًا:
موسُليَني! خُذْ بِكَفِّكَ الْحَدِيدًا	وَصُغْ الْقَيْدَ لِسَاقَيْكَ عَتِيدًا
أَوْ فَضَعْ مِنْكَ عَلَى النُّصْلِ وَرِيدًا	فَدِمِّي يَخْنُقُكَ الْيَوْمَ طَرِيدًا!!!

هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ

مِنْ وَحْيِ الْهَجْرَةِ

على شَفَقٍ دَامَ تَلَخَّى ذَوَائِبُهُ؟!
يُطِلُّ فَتَرْتَدُّ ارْتِياعًا كَوَاكِبُهُ؟!
تَوَثَّبَ فِيكَ الشَّرُّ حُمْرًا مَخَالِبُهُ
دُخَانًا تُغَشِّي الكائناتِ سَحَابُهُ
كَأَنَّ هَجِيرَ الصَّيْفِ يَلْفَحُ حَاصِبُهُ
تَوَهَّجَ شَوْقًا لِلدماءِ مَضَارِبُهُ
لَقَدْ خُيِّبَ الْبَاغِي وَخَابَتْ مَارِبُهُ
فَمَاذَا تَوَقَّاهُ، وَمَاذَا تُجَانِبُهُ
إِلَى النُّورِ تَهْفُو فِي الظُّلَامِ تَرَائِبُهُ؟!
وَأَنْتَ حَسِيرٌ ضَائِعُ اللَّبِّ ذَاهِبُهُ:
نُفَاتَةُ سِحْرِ خَدَرْتَنَا غَرَائِبُهُ؟!
على سَيْفِهِ لَمْ تَخُلْ مِنْهُ رَوَاجِبُهُ
وَأَيْنَ تُرَى يَمْضِي؟ وَتَمْضِي رَكَائِبُهُ؟
لَقَدْ هَجَرَ الدَّارَ النَّبِيَّ وَصَاحِبَهُ!!
إِلَى جَبَلٍ يُثْوِي الْحَقِيقَةَ جَانِبُهُ

أَلَا مَا لِهَذَا اللَّيْلِ تَدْجَى جَوَانِبُهُ
وَمَا ذَلِكَ الظُّلُّ الْمَخَوْفُ بِأَفْقِهِ
أَلَيْتُهَا الْأَرْضُ انْظُرِي، وَيْكَ! وَاسْمَعِي!
أَرَى فِتْنَةً حُمْرَاءَ يَلْفِظُهَا الثُّرَى
وَأَشْتَمُ مِنْ أَنْفَاسِهَا حَرَّ هَبْوَةٍ
أَرَى قَبْضَةَ الشَّيْطَانِ تَسْتَلُّ خِنْجَرًا
تَسْلَلُ يَبْغِي مَقْتَلًا مِنْ «مُحَمَّدٍ»
تَقْدَمُ سَلِيلَ النَّارِ! مَا الْبَابُ مَوْصَدُ!
تَأْمَلْ! فَهَلْ إِلَّا فَتَى فِي فَرَاشِهِ
يُسَائِلُكَ الْأَشْيَاعُ زَاغَتْ عُيُونُهُمْ
تُرَانَا غَفَوْنَا أَمْ تُرَى عَبَرَتْ بَنَا
وَمَا زَالِ مِنْهَا كُلُّ أَشْوَسٍ قَابِضًا
تُرَى كَيْفَ لَمْ تُبْصِرْ غَرِيمَكَ سَارِيًا
تَقْدَمُ، وَجُسْ فِي الدَّارِ وَهْنًا؟ فَمَا تُرَى؟
يَحْتَنَانِ فِي الْبَيْدَاءِ رَاحِلَتَيْهِمَا

فَقِفْ، وَتَنْظُرْ حَائِرًا نُصَبَ غَارِهِ تَحْدَاكَ فِيهِ وَرْقُهُ وَعَنَاكِبُهُ

* * *

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ رَوْحٌ وَفِكْرَةٌ يَذُلُّ لَهَا الطَّاعِي وَتَعْنُو قَوَاضِيَةُ
فَطِرٌ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، نَارًا أَوْ انْطَلِقْ دُخَانًا، فَأَخْسِرَ بِالَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ!
خَسِئْتَ! وَلَوْ لَمْ يَعْصِمِ الْحَقُّ رَبُّهُ طَوَى الْأَرْضَ لَيْلٌ مَا تَزُولُ غِيَاهِبُهُ

مَوْكِبُ الْوَدَاعِ

قد أوحشَ الأحبابَ ليلُ السَّامِرِ!
لَمْ تُؤْثِرِيهِ هَوَى الْمُحِبِّ الشَّاكِرِ!
من ذلكِ الأدبِ الرفيعِ الباهرِ
ما لا يُشَبَّهُ حُسْنُهُ بنظائرِ
بأدقِّ مثَّالٍ وأرحَمِ طائرِ
وَتَحَطَّفَتْهُ يَدُ الزَّمانِ الجائرِ
مأساةً مَيَّتٍ في الشَّبابِ الباكرِ
بجراحه، مثلَ الشهيدِ الطَّاهرِ
لن تُطْفِئُوا بالدَّمْعِ لوعةَ ذاكِرِ
وحياً تَحْدَرُ من أَرْقٍ مَشاعِرِ
والخلدَ غايَةً عُمُرِهِ المتقاصِرِ
أشواقُهُ لَحْنَ الحبيبِ الزائرِ
أنفاسُهُ لَحْنَ الحبيبِ الهاجرِ
ذابت على وَتَرِ الْمُغْنِيِّ السَّاجِرِ
للموتِ مُحْتَشِدِ الْفَوَاجِعِ زاجرِ
خُرْسٍ، وأدواحٍ هناكِ حواسِرِ
كَفَنًا لَهُ، والنَّعشَ غَضَّ أَزاهرِ
أَمَّا تَخَفٌ إلى وداعِ الشَّاعِرِ

هذا الرحيقُ، فأينَ كأسُ الشَّاعِرِ
لِمَ، يا حياةُ، وقد أحلَّكَ قَلْبُهُ
أَخْلَيْتَ مِنْهُ يَدَيْكَ حينَ حَلاهُمَا
لو عاشَ، زادَكَ من غرائبِ فَنِّهِ
وظَفِرْتَ من تمثيلِهِ وغنائِهِ
أَمَلٌ محاً المقدارُ طيفَ خياله
وأَصَارَ فرحَتَنَا بِمُقبِلِ يومِهِ
متوسِّداً شَوْكَ الطريقِ، مُلْتَمِّا
رُدُّوا المَرَاثِي، يا رفاقَ شبابهِ،
هذا فَتًى نَظَّمَ الشَّبابَ وصاغَهُ
جَعَلَ الثَّلاثِينَ الْقِصَارَ مَدًى لَهُ
غَنُوهُ بالشعرِ الذي صَدَحَتْ بِهِ
غَنُوهُ بالشعرِ الذي خَفَقَتْ بِهِ
تلكَ القوافي الشارِداً حُشاشَةً
فتَسَمَّعُوا أصداءَها في موكِبِ
مَشَتْ الطَّبِيعَةُ فِيهِ بَيْنَ جداولِ
ولو استطاعتِ نَضَّدَتْ أوراقُها
وَدَعَتْ سَواجِعَ طيرِها فتَأَلَّقَتْ

* * *

يا ابنَ الخيالِ تساءَلْتُ عَنْكَ الذُّرَى
وشواطئُ «محبوبة» شارفتها
أُرى جناحَكَ في السماءِ كعُهدِهِ
أُرى شراعَكَ في العُبابِ كعُهدِهِ
هدأ الصُّراعُ وكَفَّ عن غَمراتِهِ
وطوى البلى إلا قصيدةَ شاعرٍ
شعرٌ تَمَثَّلَ كُلُّ حِسٍّ مُرْهَفٍ
ودُمى مُفَضَّحَةِ الطلاءِ كَأَنَّهَا
تتمثَّلُ التاريخَ في أزيائه
من صُنْعِ نِظَامَيْنِ جَهْدَ خَيَالِهِمْ
مُتَخَلِّفِينَ عن الزمانِ كأنهم

والشُّهْبُ بينَ خوافِقِ وزواهرِ
فوقَ العواصِفِ والخضمِّ الهادرِ
مُتَوَشِّحًا فَلَقَ الصَّبَاحِ السَّافِرِ
مُنْقَلِّدًا حَلَقَ السحابِ الماطرِ
من عاشَ في الدنيا بروحِ مغامرٍ
أَبْقَى من المَثَلِ الشُّرُودِ السائرِ
لا رصفَ ألفاظٍ ورصَّ خواطرِ
خُشْبُ المَسَارِحِ مُوَهَّتْ بستايرِ
بين المصَفِّقِ وابتسامِ السَّاحِرِ
مَسْحُ الزجاجِ من الغبارِ الثائرِ
أشباحُ كهفٍ أو ظلالُ مساحِرِ

* * *

يا قومُ، إِنَّ الشَّعْرَ روحانيَّةٌ
نَظَرُ «الضَّيرِ» به فأدرك فوقَ ما
مُتَعَرِّفًا صُورَ الخلائقِ سابرًا
هذي عروسُ الزَّنجِ ليلتهُ التي
والنَّجمُ أشواقُ، فمَهْجَةُ عاشقٍ،
الشَّعرُ موسيقى الحياةِ موقَّعا
عشاقُ بابلَ لو سَقُوا برحيقِهِ
وَتَنَصَّتْ أَقْداحُهُمْ لمغرِدٍ
أَوْكَانَ كُلِّمْ بُرْجَهَا بلسانِهِ
لم نَشْكُ من عَوَجِ اللسانِ وَوَحَدَتْ

وذكاءُ قلبٍ في تَوَقُّدِ خاطرِ
لمست يَدُ الأسي وَعَيْنُ النَّاظِرِ
أعماقَ أرواحِ وَغُورِ سرائِرِ
أومَتْ بكفٍّ حُلَيْتِ بأساورِ
وذراعُ مُعْتَنِقٍ، ووجنةُ عاصرِ
مُتَدَفِّقًا من كلِّ عِرْقِ فائِرِ
لم يذكروها بالرحيقِ السَّاكِرِ
مَرِحَ يُصَفِّقُ بالبيانِ السَّاحِرِ
والقومُ شَتَّى السُّنِّ وحناجرِ
لهجاتُ هذا العالمِ المتنافرِ!

صَاحِبُ الْأَهْرَامِ

إِلَّا حَيَاةَ مَآثِرٍ وَأَيَادِي؟
إِلَّا نَهَارَ ضُنًى، وَلَيْلَ سُهَادٍ؟
بِجَمِيلِ صَبْرٍ، أَوْ طَوِيلِ جَهَادٍ؟
فِي مِثْلِ صَمْتِ الْكَوْكَبِ الْوَقَادِ
وَيُضِيءُ فِي الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ
خَلْقًا مَوْصُولَةً الْإِمْدَادِ
رَحْبُ الْجَوَانِبِ، شَاسِعُ الْأَمَادِ
فِي شَاطِئِ الْوَادِي مَنَارَةٌ هَادِي
يَتَنَظَّرُونَ خُطَاكَ فِي الْمِيعَادِ
هَذَا النَّدَى! فَأَيْنَ صَدْرُ النَّادِي؟
سَفَرَ الْحَيَاةِ وَرَحَلَةَ الْآبَادِ
عِنْدَ الْوَدَاعِ بِنَظَرَةٍ وَتَنَادِي
مُتَفَرِّدًا، وَالْمَوْتُ بِالْمَرَضَادِ
أَلَاقَةً، وَالرُّوحُ فِي إِيقَادِ
رَمَقٍ يَصَارِعُ حَيْنَهُ وَيُرَادِي
مَضْبُوعَةً بِدَمِ النَّهَارِ الْفَادِي
وَالرُّوحُ رَكْبٌ، وَالْمَنِيَّةُ حَادِي
رَفَافَةً، وَالْعُمُرُ وَشَكُّ نَفَادِ

هَلْ كُنْتَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْمِيلَادِ
وَهَلْ اسْتَطَبْتَ عَلَى الرَّفَافَةِ وَالصَّبَا
وَكِفَاحِ أَيَّامٍ، وَعَرَكَ شَدَائِدِ،
مُتَوَاضِعًا، مَتَرَفِّعًا، تَرَقَّى الذُّرَا
يُلْقِي أَشْعَتَهُ هُنَاكَ وَهَاهُنَا
أَهْرَامَكَ الْمُتَلَى نَتَاجُ قَرَائِحِ
دُنْيَا مِنَ الْفِكْرِ الطَّلِيْقِ، وَعَالَمٍ
تَهْدِي الْحَيَارَى الْمُدْلَجِينَ كَأَنَّهَا
قُمْ، يَا فَتَى الْأَهْرَامِ، وَانْظُرْ رَفْقَةً
وَيُسَائِلُونَ بِكَ الْعَشِيَّ كَدَابِهِمْ
يَا لَهْفَ، مَا عَلِمُوا بِأَنَّكَ مُزْمَعٌ
يَا لَهْفَ، مَا ظَفِرُوا كَمَا عَوْدَتِهِمْ
دَخَلُوا عَلَيْكَ الْبَيْتَ جَسْمًا ضَارِعًا
وَالْفِكْرُ صَحْوٌ وَالْجَبِينُ شُعَاعَةٌ
وَالشَّمْسُ بَيْنَ سَحَابَتَيْنِ تَدَجَّتَا
فِي شَاطِئِ قَانِي الْمِيَاهِ كَأَنَّهَا
هِيَ صُورَةٌ لَكَ، وَالْمَسَاءُ مُقَارِبُ،
وَالْقَلْبُ فِي كَفِّ الْقَضَاءِ فَرَاشَةٌ

عَجَبًا أَيَشْكُو قَلْبُهُ مَن قَلْبُهُ
وَتَخُونُهُ الْأَنْفَاسُ وَهُوَ رَحَابَةٌ
وَإِذَا أَتَى الْأَجَلَ النَفُوسَ فَلَا تَسْلُ
كُنْزُ الرِّضَا، وَالْخَيْرِ، وَالْإِسْعَادِ!
كَمْ نَفَسْتُ عَنْ أُمِّهِ وَبِلَادِهِ؟
عَنْ صِحَّةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ

أَبَا بِشَارَةَ لَا يَزْعُكَ بَعَادُهُ
أَثَرَتَهَا بِهَوَاكَ، يَا لَغْرَامِهَا!
حَفِظْتُ لِوَالِدِكَ الصَّنِيعَ الْمَجْتَبَى
وَرَأَتْ نَجِيكَ فَاسْتَفَاضَ حَنَانُهَا
ذَكَرْتَ بِبَيْتِكَ يُتِمُّهُ فَتَفَجَّرَتْ
لُبْنَانُ نَازِعَهَا هَوَاكَ وَمَا أَرَى
الْأَرْزَ فِيهِ وَالنَّخِيلَ كِلَاهُمَا
أَرْضُ الْعُرُوبَةِ لَا تُخَوِّمُ وَلَا صَوَى
وَأُخُوَّةَ بِالْمَسْجِدَيْنِ وَجِيرَةَ

مِصْرُ اجْتَبَتْهُ فَلَا تَرُغُ بِبَعَادِ
هِيَ مِصْرُ مَهْدِ الْمَوْتِ وَالْمِيلَادِ
وَرَعَتْ فَتَاهُ الْبَرِّ فِي الْأَوْلَادِ
لِسَمِيِّهِ الْمَرْجُوِّ فِي الْأَحْفَادِ
حُبًّا، وَقَبَّلَتْ الرِّجَاءَ الْبَادِي
لِبْنَانٍ إِلَّا مِنْ ضِفَافِ «الْوَادِي»
أَعْيَاشُ حُبٍّ أَوْ حَمَائِلَ شَادِي
مَا مِصْرُ غَيْرَ الشَّامِ أَوْ بَغْدَادِ
مِنْ آلِ «طَارِقٍ» أَوْ «بَنِي عَبَّادِ»

قَسَمًا بِأَمْسَاءِ النَّدِيِّ، وَمَجْلِسِ
وَجَمَالِ أَسْحَارٍ، وَطَيْبِ أَصَائِلِ
وَمَحَبَّةِ لِلْخَيْرِ صَفُوفِ مَزَاجِهَا
أَلَّا اسْتَمَعْتَ إِلَى رِفَاقِكَ لَيْلَةً
جَمَدَ الْمَدَادِ عَلَى شَبَابِ أَقْلَامِهِمْ
وَاحْسَرْتَ! أَيَّ الرِّثَاءِ أَصَوَّغُهُ
أَرْتِيكَ لِلْأَمِّ الَّتِي شَاطَرَتْهَا
وَأَذَعَتْ دَعْوَتَهَا وَجُزَّتْ بِصَوْتِهَا
وَوَصَلَتْ بَيْنَ قَرِيبِهَا وَبَعِيدِهَا
قَمِ حَدِّثِ الْقُرَاءَ عَمَّا شِغَعْتَهُ
وَصِفِ الْمَمَالِكَ وَالشُّعُوبَ كَمَا تَرَى
تَطْوِي الْغَمَائِمَ وَالْخَضَارِمَ وَالثَّرَى

مِتَالَّقٍ بِالرَّفَقَةِ الْأَمْجَادِ
بِالذِّكْرِيَّاتِ رَوَائِحِ وَغَوَادِي
مَرْضَاةَ نَفْسٍ أَوْ عَزَاءَ فَوَادِ
وَالنَّارِ فِي مُهَجٍ وَفِي أَكْبَادِ
فَصَرِيرِهَا نَوْحٌ وَلَحْنٌ حِدَادِ
لَوْفَاءِ حَقِّ مُحِبَّتِي وَوَدَادِي؟
كُرْبَ الْخَطُوبِ وَفَرْحَةَ الْأَعْيَادِ
فِي الْمَغْرِبَيْنِ شَوَامِخِ الْأَطْوَادِ
رَحِمَ الْعُرُوبَةَ أَوْ عُهْدَ الضَّادِ
فِي الْعَالَمِ الْمُتَنَافِرِ الْمُتَعَادِي
بِبِرَاعَةِ الْوَصَافَةِ النَّقَّادِ
وَتَجُولُ بَيْنَ حَوَاضِرٍ وَبَوَادِي

صَاحِبُ الْأَمْرَامِ

بِفَطَانَةِ الصَّحْفِيِّ وَهِيَ بَصِيرَةٌ تَغْزُو وَتَفْتَحُ مُغْلَقَ الْأَسْدَادِ
يَا رَبِّمَا نَبَأَ أَثَارَ بَوَاقِعِهِ مَا لَا تُثِيرُ مَلَاحِمُ الْأَجْنَادِ
وَهَدَى قَبِيلًا أَوْ أَضَلَّ جَمَاعَةً لِسَبِيلِ غِيٍّ أَوْ سَبِيلِ رَشَادِ
وَا لَهْفَ نَفْسِي كَمْ تَمَنَّيْتُ الْمُنَى يَوْمَ السِّيُوفِ تَقَرُّ فِي الْأَعْمَادِ
هَلْ كُنْتُ تُبْصِرُ مِنْ حَضَارَةِ عَصْرِهَا إِلَّا نَثِيرَ حِجَارَةٍ وَرَمَادِ؟

* * *

إِنَّ السَّلَامَ الْحَقَّ مَا آثَرَتْهُ وَالْأَرْضُ غَرَقَى فِي دَمٍ وَسَوَادِ
وَالنَّاسُ مَا زَالُوا كَمَا خَلَفَتْهُمْ صَرَغَى الْهَوَى وَفَرَائِسُ الْأَحْقَادِ

شرق وغرب

١٩٤٧

أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رِيْتَشَارْدِ فَاجْنِر

يَا لِلطَّرِيقِ الضَّيِّقِ الصَّاعِدِ بَيْنَ رُبُوتَيْنِ
كَأَنَّمَا خُطَّ عَلَى قَدَرِ خُطَى لِعَاشِقَيْنِ
الشَّجَرَاتُ حَوْلَهُ كَأَنَّهَا أَهْدَابُ عَيْنِ
كَعَهْدِهِ بِصَاحِبِ الدَّارِ ظَلِيلَ الْجَانِبَيْنِ
نَبَّأَهُ الصَّدَى الْمَرْنُ عَنْ قَدُومِ زَائِرَيْنِ
فِي فَجْرِ يَوْمٍ مَاطَرَ شَقَّ حِجَابَ دِيْمَتَيْنِ
كَأَنَّمَا يَنْزِلُ مِنْهُ الْوَحْيُ حَبَّاتٍ لَجِينِ
فَانْتَبَهَتْ خَمِيلَةٌ تَهْزُ عَشَّ طَائِرَيْنِ
وَشَاعَ فِي الْغَايَةِ هَمْسٌ مِنْ شِفَاهِ زَهْرَتَيْنِ
مَنْ الْغَرِيبَانِ هُنَا؟ وَمَا سُرَاهُمَا، وَأَيْنَ؟!

* * *

مَاذَا قُدُومُهُمَا وَالْغَيْثُ مَدْرَارُ
لَا صَاحِبُ الدَّارِ طَلَّاعٌ وَلَا الدَّارُ
هَذِي الْبَحِيرَةُ وَسَنَى، حُلْمٌ لَيْلَتِهَا
لَمَّا تَفِيقُ مِنْهُ شَطَّانٌ وَأَغْوَارُ
وَالْأَرْضُ تَحْتَ سَحَابِ الْمَاءِ أَخِيلَةٌ
مِمَّا يُصَوِّرُهُ عُشْبٌ وَنُورُ

والصبحُ في مهده الشرقيِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيج الغيم أَسْتَارُ
حتَّى الجبالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
ولا شدا لرعاة الضأن مزمارُ
فمن هُما القادمانِ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوَقَعَ خطوهُما والأرضُ أبصارُ!
أعاد من زَمَنِ الأشباحِ سامرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحُ وأسمارُ؟
أم البحيرةُ جَنِّيَّاتُها طلعتْ
فهبَّ موجٌ يناديها وتَيَّارُ!
أم راصدا كوكبٍ ضلًّا سبيلهما
لما خَبَتْ من نجوم الليل أنوارُ
أم صاحباً سَفَرٍ مال الضنَى بهما
حَوَتْهُمَا جَنَّةٌ للفنِّ معطارُ
أم عاشقان تُرَى؟ أم زائران هما؟
وهل مع الفجر عشاقٌ وزوَّارُ؟

وأمسك الغيثُ كما لو كان يُصغي مثلنا
واعتنقتُ حتى وُريقاتُ الغصونِ حولنا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصْنَا
وانبعث اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا
يثور في إيقاعه قيثارَةٌ وأزْغْنَا
كأنَّ جَنًّا في السماء يُشعلونَ الفِتْنَا
كأنَّ أربابًا بها يحاكمون الزَمْنَا
يا صاحبَ الإيقاع ما تعرف ما هُجَّت بنا
الفجرُ؟ أم ثارتُ على الشمسِ بوارقُ السَّنَا؟
ما لك قد غَنِّيَتْهُ هذا النشيدَ المحزنا

أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رِيْتَشَارْدِ فَاجْنِرْ

غَنِّيْتَهُ آلِهَةٌ أَمْ أَنْتَ غَنَّيْتَ لَنَا؟

مَا ذَلِكَ الصَّوْتُ شَاجِي اللَّحْنِ سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلْهَامِ زَخَّارُ
فِيهِ تَنْفَّسُ فَوْقَ السَّحْبِ آلِهَةٌ
وَأَدْمِيُونُ فَوْقَ الْأَرْضِ ثَوَّارُ
وَفِيهِ تَهْمِسُ أَرْوَاحُ وَأَفْئِدَةٌ
مِنْهُمْ عَانٍ، وَرَحْمَنٌ، وَجَبَّارُ
لَهُ مِذَاقٌ، لَهُ لَوْنٌ، لَهُ أَرْجُ
خَمْرُ أَبَارِيْقْهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ
أَشْتَفُهُ وَأُنَادِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
مَنْ الْمُغَنِّيِّ وَرَاءَ الْغَابِ يَا دَارُ؟
السَّمْفُونِيَّةُ هَذِي! أَمْ صَدَى حُلْمٍ
كَمَا تَجَاوِبُ خَلْفَ اللَّيْلِ أَطْيَارُ!
أَعَادَ لِلْمِعْرَافِ الْمَجْهُورِ صَاحِبُهُ
فَعَرَبَدْتُ فِي يَدَيْهِ مِنْهُ أَوْتَارُ!
أُظِلُّ أَصْغِي وَمَا مِنْ شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
وَلَا أَزَاحَ رِتَاجَ الْبَابِ دِيَارُ
حَتَّى الْحَدِيقَةُ لَفَّتْ كَوْخَ حَارِسِهَا
بَصْمَتِهَا، فَهَمَّا نَبْتُ وَأَحْجَارُ
تَوَاضَعْتُ بِجَلَالِ الْفَنِّ مَا ارْتَفَعْتُ
مِثْلَ الْبُرُوجِ لَهَا فِي الْجَوِّ أَسْوَارُ
تُصْغِي إِلَى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةَ
كَأَنَّمَا هَمَسَاتُ الرِّيحِ أَخْبَارُ!

هَنِيهَةٌ ثُمَّ سَمِعْنَا هَاتِفًا مَرْدِّدًا

يقول: قُمْ «يا سَجْفَرِيدُ» فالصَّبَاحُ قد بدا
عرائسُ الوادي أَلَمْ تضربْ لهنَّ موعداً؟
ماذا! قُمْ انفضِ الكرى، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطر على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلداً
خُذْ سيفَكَ السحريَّ صيغَ جوهرًا وعسجداً
قد لَقِيَ التَّنِينُ منه في العشيةِ الردى
صوتُ مع الريحِ سَرَى ... وللسكونِ أخلداً
فأَمْسَكَتْ صاحبتى يدي وحاطتْ بي يدا
تقول: لم أسمعْ كهذا اللحنِ أو هذا الصدى
قلت: ولا بمثله شادِ على الدهر شدا

* * *

قد باح بالنَّغمِ الموعودِ قيثارُ
فالفجرُ أحلامُ عُشَّاقٍ وأسرارُ
صحا يُفَصِّلُ رؤياه وَيَعْبُرُها
موجُ على الشاطئِ الصخريِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البحيرةِ أعشابُ وأزهارُ
تُسائلُ الماءَ: هل غَنَّتْهُ أو عَبَرَتْ
شُهبٌ به مستحَمَّاتٌ وأقمارُ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيَةٌ
فأَيْنَ من «سَجْفَرِيدَ»: السيفُ والغارُ
ما زال فوق نديِّ العشبِ مضجَعُهُ
ومن يديه على الأغصانِ آثارُ
هذا النشيدُ، نشيدُ الحبِّ، تَغَزِفُهُ
له عرائسُ، مثُلُ الوردِ، أبكارُ
بعثتهنَّ من الأنغامِ أجنحةً
هزیزهنَّ مع الأفلاكِ دَوَّارُ

أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رِيْتَشَارْدِ فَاجْنِرْ

فِي صَدْرٍ قِيْثَارَةٍ أَوْدَعَتْهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُفْضِي بِمَا شِئْتَ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لَيَالٍ وَأَيَّامٌ وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَأَلْهَةِ
تَمَازَجَتْ فَهِيَ أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ!

فلسفة وخيال

نُهِزَةُ أَهْدَتِ الْخِيَالَ إِلَيْنَا وَدَعَتْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا
هَـا هُنَا تَحْتَ ظِلَّةِ الْغَابَةِ الشَّجَرِ رَاءَ سَرْنَا، وَالْفَجْرِ يَحْنُو عَلَيْنَا
وَقَطَفْنَا مِنْ زَهْرَهَا، وَانْتَنَيْنَا فَجَنَيْنَا تُفَاحَهَا بِيَدَيْنَا
وَمَرَحْنَا بِهَا سَحَابَةً يَوْمٍ وَبَاشَجَارَهَا نَقَشْنَا اسْمَيْنَا

* * *

هَـا هُنَا يَا ابْنَةَ الْبَحِيرَاتِ وَالْأَوَّلِ دِيَةِ الْخَضِرِ وَالرُّبَى وَالْجِبَالِ
صَدَحَ الْحُبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَبَّيْ نَا نَدَاءَ الْهُوَى وَصَوْتَ الْخِيَالِ
وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الْفَجْرِ مُوسَى قَى مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةٍ تَهـ فَو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهَوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالْحَيَاءُ يَصْبُغُ خَدَّيْكَ: أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أَمْ دِمَاءُ؟
مِلْءُ عَيْنَيْكَ يَا فَتَى الشَّرْقِ أَحْلَا مُمْ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ
وَعَلَى ثَغْرِكَ الْمَشُوقِ ابْتِسَامُ ضَرَجَتُهُ الْأَشْوَاقُ وَالْأَهْوَاءُ
أَوْحَقًا دُنْيَاكَ زَهْرٌ وَخَمْرٌ وَغَوَانٍ فَوَاتِنٌ وَغِنَاءُ؟

* * *

قُلْتُ: يَا فَتْنَةَ الصَّبَا حَفَلْتُ دُنْ يَاكِ بِالْحَبِّ وَالْمُنَى وَالْأَغْنَانِي

ما أثارت حرارة الجسد المش تتاق إلا مرارة الحرمان
إن أجسادنا معابر أروا ح إلى كل رائع فتان
أنا أهوى روحية العالم المن ظور لكن بالجسم والوجدان

* * *

ما تكون الحياة لو أنكر الأح ياء فيها طبائع الأشياء!
أنا أهواك كالفراشة صاغت ها زهور الثرى وكف الضياء
أنا أهواك فتنة صاغها الم ثال من طينة ومن إغراء
أنا أهواك بدعة الخلد صيغت من هوى آدم ومن حواء

* * *

أنا أهواك من آثام وطهر حلم إغفائي وصحو غرامي
أنا أهواك تبذعين يقيني من نسيج الظنون والأوهام
أنا أهواك دفء قلبي وينبوع اش تهائي، وشرتي، وغرامي
وحنانا مجسداً إن طواني الـ ليل وسدت صدره آلامي

* * *

عجباً! ما حقائق الكون إلا لمحات الخيال والتفكير
قيل أن تشرق النجوم على الأر ض أضاءت بذهن رب قدير
وتجلت في حلمه بنظام من بديع التكوين والتصوير

* * *

أطلقني نفسك السجينة ملء الـ غاب، ملء الفضاء، ملء العباب
واخلمي بالحياة من نغم الخلد د وخمر الهوى وزهر الشباب
ها هنا عشنا على الشاطئ المس حور نبنيه من غصون الغاب
ونخط البستان أحلام طفل صقلت مواهب الأرباب

* * *

خطرة، ثم أطرقت في حياء وأدارت في جانب الغاب عينا

وانثنتُ بابتسامةٍ فدعتني
وتلاقتُ عيونُنَا فتدانتُ لي،
فاعتنقنا في قُبْلَةٍ قد أذابتُ
ثم قامتُ تمشي هناك الهوينا
وَجُنَّ الحنانُ في شفّتينَا
جَسَدَيْنَا، ومازجتُ روحينا

على حاجز السفينة

ترنو إلى الرغو والزبد
تمضي بها لجة الأبد
يزينها الصمت والجلال
والسحب والريخ والجبال
بملتقى النور والظلام
تهامس الشهب والغمام
في مغزل شاق كل عين
مطلّة من سحابتين
يكاد عن روحها يشف
يسري بها خاطر ويهفو
وأني سر لها تبدى
بروحها الحالم استبدًا
يود لو مس ناظرها
وينثني جانيًا لديها
مجنح لا يبين طيفا
هوى على صدرها وأغفى
بهمسة ضائع صداها
فكيف تلقى له انتباها

حنّت على حاجز السفينة
كأنها الفتنة السجينة
نبت بها ضجة المكان
والبحر من حولها أغاني
ساهرة وحدها تطل
لا تسأم الصمت أو تمل
تصغي إلى الموج والرياح
كأنها نجمة الصباح
هفافة الثوب في بياض
لأني ذكرى وأني ماض
وما وراء العباب تبغي
وأني لحن إليه تصغي
عجبت للبحر ما عراه
يتاخم النجم في علاه
وهائم في الفضاء صب
كم ود لو من ضنى وحب
كم بث من أنة وألقى
يا ويحه لا يحير نطقا

أنفاسه عن جَواه تُغني
 كآهة في فم المُغني
 يدنو، ويرتد في حياءٍ
 وكلما كلَّ من عياءٍ
 يضمُّها راعشًا، ويمضي
 كأنَّه بالحنين يقضي
 والقمر الطالع الصغيرُ
 وقد جرى ضوءه الغريزُ
 المريحُ العابتُ الطروبُ
 نادَتْ به موجةٌ لعبوبُ
 طال على المنتأى طروقي
 فنمَّ على صدري الخفوقِ
 وأنسني وحشة الليالي
 لكنَّه مر لا يبالي
 مذ أبصرته انثنى ومرًا
 لأنت مثلُ الرجال طرًّا
 وهبتك الغض من شبابي
 فأين تمضي على العباب
 ومن هي الغادة التي
 أعندها مثلُ فتنتي
 إذهب إليها ودع زمامي
 أدبح على صدرها غرامي
 وأله مع الغيد والعذارى
 وانقع من الغلة الأوارا
 أبوك، والطبع لا يحولُ،
 يا أيها القلبُ الملولُ
 مطارِدُ أنت باشتياقي

عليلة خفقها اضطرابُ
 جريحة لحنها العذابُ
 يُجاذب الثوبَ والشعرُ
 أثاره الوجدُ فاستعرُ
 مُباعداً، وهو ما ابتعدُ
 لبانة الروح والجسدُ
 أزاح عن وجهه السحابا
 يستشرف الأفقَ والعُبابا
 لما دعا باسمه الشروقُ
 إليّ ... يا أيُّها المشوقُ
 وطال مسراك في السماءِ
 وأحلم بما شئت من هناءِ
 بقُبلة منك يا حبيبي
 ولج في صمته العجيب
 قالت، ومن دمعها مَسيلُ:
 يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
 سكران من خمر أمسياتي
 من صوت حبي وذكرياتِي
 تنسلُّ من مخدعي إليها
 أم أنني أفترِّي عليها
 فديتك، واسلم على التنائِي
 واملاً لها الكأس من شقائِي
 وعنَّ بالكأس والوترُ
 واقطف من اللذة الثمرُ
 ورثته خلقةٌ وخلقاً
 من قبضتي لن تنال عتقا
 ما جُبَّت أرضاً وجُزَّت بحرا

مَقَيِّدُ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرَتْ طِفْلِي
خُطَاكَ مَسْبُوقَةٌ بِظِلِّي
سَأَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْكَ دَوْمًا
وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمًا
ضِرَاعَةٌ مِنْ عَذَابِ أَنْثَى
صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحَنَّا
وَحَدَّقْتُ فِي الدُّجَى نَجُومُ
وَعَمِغَمْتُ نَجْمَةً رَءُومُ
أَمَّا يَرَى ذَلِكَ الصَّبِيَّ
فِيَا لَهُ فَاتِنًا خَلِيًّا
كَمْ لَيْلَةٍ بَعْدَ أَلْفِ لَيْلَةٍ
وَكَمْ عَنَاقَ لَهُ وَقُبْلَةٍ
فَاسْتَوَعَبَ الضَّوْءُ مِلءَ حِسِّهِ
مُرَدِّدًا فِي قَرَارِ نَفْسِهِ
وَارْتَعَشَ الضَّوْءُ ثَمَ أَضْفَى
وَابْتَسَمَتْ نَفْسُهُ فَأَلْفَى
فِرَاعَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ
فَشَاقَهُ الشُّعْرُ وَالْخِيَالَ

فَقَالَ: يَا رَوْعَةَ الْمَسَاءِ
قَدْ أَذِنَ اللَّيْلُ بَانْقِضَاءِ
أَيَّتُّهَا الْمَلَكَةُ الْكَسِيرَةُ
أَيَّتُّهَا الطِّفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
خَمْسُ لَيَالٍ وَأَنْتَ مَنِّي
قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ

وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَالْبَصْرِ
وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهْرِ
أَيَّتُّهَا الرَّبَّةُ الْخَجُولَةُ
لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الطِّفْلَةِ!
وَأَنْ تَلْتُمِي بِالْخَفَاءِ
مَتْبُوعَةُ الظِّلِّ بِاشْتِهَائِي
مَنْ فِتَنَ الْحَسَنَ وَالِدَالِ

لكنني الليلة اكتشفتُ	أروع ما شمتُ من جمالِ
عشقتُ فيكِ الهوى ودلَّه	في زهوة الحسن والشبابِ
وذلك الصمت، ما أجلَّه	في عالم اللغو والكذابِ
هاربة أنت يا فتاتي	من ثورة الشكِّ والريبِ
هربتِ من ضجة الحياةِ	فكيف من نفسك الهرب!
بها ابدئي أولاً فسلي	وردكِ من شوكة الأثيمِ
لا البعدُ يجدي ولا التسلي	كطعنك الغدر في الصميمِ
هنيهة لم يطل مداها	تروع بالصمت والشحوبِ
لم يبلغ الليلُ منتهاها	إلا على روعة المغيبِ
والتفتَ الضوء للوداع	يهمسُ في رقّة ووجدِ
يا ربّة الحسن لا تراعي	فلترعكِ الكائناتُ بعدي

* * *

يا ليلُ، يا موجُ، يا رياحُ	أيتها السُّحبُ والظلالُ
أيتها الغورُ والبِطاحُ	أيتها الشهبُ والجبالُ
في الجوِّ، في الماءِ، في الثرى	صوني لها العهدَ والودادِ
رُدِّي على عينها الكرى	وأبعدي الفكرَ والسهادِ
وأنقذها من الجوى	يا عاشقاتي على الزمانِ
بكلِّ ما فيك من قوَى	وكلِّ ما في من حنان!!

اعتراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِبْتُ نَخْبَ كَثِيرًا
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَنِ؛ لِأَنِّي
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثُمَّ أَشْرَكَ
وَتَبَذَلْتُ فِي غَرَامِي فَلَمْ أَحِ
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفِ
تَائِهًا فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي،
لِي قَلْبٌ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بَيْضًا
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أُغْنِي
لِي إِلَيْهَا فِي خُلُوتِي هَمْسًا
تِ وَأَتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأْسِي
مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
سْتُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءً وَيَأْسٍ
يَسُّ عَلَى لَذَّةِ شَيَاطِينِ رِجْسِي
نُ طَلِيقًا وَالطَهْرُ يَمْلَأُ جَسِّي
لِمَ أُزْجِي الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أُرْسِي
ءَ نَمَتْهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبْسٍ
وَعَلَيْهَا وَحْدِي أُغْنِي لِنَفْسِي
تُ أَنْطَقْتُهَا بِكُلِّ رَائِعٍ جَرَسٍ

* * *

كَمْ شَفَاهِ بِهِنَّ مِنْ قُبْلَاتِي
وَوَسَادٍ جَرَتْ بِهِ عِبْرَاتِي
وَهَجُ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسٍ
ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي

* * *

أَيُّهَذَا الْخَدُورُ! أَنْوَارِكَ الْحَمْدُ
أَحْرَقْتَهُنَّ! أَيْهَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ
رَاءُ كَمْ أَشْعَلْتَ لِيَالِي أُنْسِي
نُ سَوَى ذَلِكَ الرَّمَادِ بِرَأْسِي!

الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ

من أين يا «كان» هذه الصُّورُ؟
رُؤَى بها بات يَحْلُمُ القمرُ!
دعاهُ قلبٌ، وشاقه بَصَرُ
آلهةٍ هؤلاءِ أم بشرُ؟
كأنما مَسَّ روحه الضَّجَرُ
إِلَّا ومنه بثغرها أثَرُ
يعجبُ منها الخريِر والوبرُ
جسمًا تَحَامَى نداءهُ القدرُ
ولا استوى في بنائها حَجَرُ
سقيفةٌ، والنسائمُ السُّتُرُ
حورٌ تلوَّى، وفتيةٌ سَكروا
قد حَوَّضوا في العباب وانتشروا
وَوَدَّعوا القلب حيثما نظروا
كأنهنَّ النجومُ والزَّهَرُ
لونٌ عجيبُ الرِّواءِ مبتكرُ
نوبٍ من المغريات مُعْتَصِرُ
وثار من حولهنَّ يشتجرُ
ينشقُّ عنهنَّ فيه مُنَحْدَرُ

تَسْأَلُ الماءُ فيكِ والشَّجَرُ
البحرُ والخور فيه سابحةٌ
أطلَّ والضوءُ راقصٌ غَزَلُ
يهمسُ فيما يراه من فِتَنِ
يقفز من لجةٍ إلى حَجَرٍ
معربداً لا يريم سابحةٌ
من كلِّ حوَاءٍ مثلما خُلِقَتْ
أَلْقَتْهُ عنها رقائقا ونَضَتْ
في حانةٍ ما عَلَتْ بها عَمَدُ
جُدرانها الماءُ، والسماءُ لها
خَمَارُها مُنَشَّدٌ، وسامرُها
لم تَبَقَ في الشطِّ منهم قَدَمُ
وشَيَّعوا العقل حينما شربوا
والسابحاتُ الحسان حولهمُ
يزيد سيقانهم من بَهَجٍ
يضيءُ وردًا وخمرةً وسَنًا
تغاير الموجُ إذا طلعت به
بهنَّ يلتفُ مُرْتَقَى وَيُرَى

منفتلات قدودُهُنَّ كما	ينفتل الغصنُ آده الثمرُ
مُلَوَّحات بأذُرُعِ عَجَبٍ	تحذرهنَّ النهودُ والشَّعْرُ
والضوءُ فوق الخُصُورِ منهمرُ	والماءُ تحت الصدورِ مستعرُ
ما زِلنَ والبحرُ في تَوْبُّبِهِ	يُرْغِي كما راعَ قَلْبُهُ خطرُ

* * *

قد جاوز الليلُ نِصْفَهُ فمتى	تَوَّمُ فيه أصدافُها الدُّرُ
فليصخبِ البحرُ ولتئنَّ بهِ	رمالُه، وليثرثرِ الشَّجَرُ
ولتعصفِ الرياحُ فوق مائِجِه	ولينبجسَ من غمامه المطرُ
أقسمَ لا ينتحينَ شاطئَتُه	وإنَّ تَرَامَى بمائه الشرُّ
حتى يُرى وهو فضَّةٌ ذَهَبُ	تمازجُ الليلُ فيه والسَّحَرُ!

تَحْتَ الشَّرَاعِ

بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

فاخفق شراعي، وطُر، يصدح لك الماء
تشدو به موجة في البحر عذراء
في مَسْبَحِ ماؤه زهرٌ وصهباءُ
لكل حُبٍّ جديدٍ فيه أجواء؟
حوريَّةٌ في فجاج اليمِّ شقراء؟
في مُطَرَفِ أسودٍ وشَّاهٍ لآلاء؟
لها التفاتٌ إلى الماضي وإصغاء
مرنحاتٌ تُغْنِيهَن أنواء

مسراك نورٌ وأنسامٌ وأنداءُ
يا أيُّها القلق الحيرانُ كم أمل
يحدوك بالنغم السكران أرغنُها
أما ترى البحرَ يبدو في مفاتنه
وفجره صائدٌ طارتُ بمهجته
وليله مرقصٌ تغشاهُ غانيةٌ
شتَّى مواكبٍ من حورٍ وآلهةٍ
تهزُّها بقديم الشوقِ أشرعةُ

* * *

مَلَّاحٌ وادٍ له بالتَّيِّهِ إغراءُ
واستضحكتُ قَلْبَهُ مُزْنٌ وهوجاءُ
عليه من بعدها نُعْمَى وبأساءُ
بها الأحبَّةُ حُسَّادٌ وأعداءُ
بيضاء من شَعَرَاتِ الرأسِ غراءُ

يقودهنَّ على الأمواج في مَرَحٍ
ما بين عَيْنَيْهِ سالَ البرقُ مبتسمًا
زَوَّتُهُ عنها السنون السبعُ واختلفتُ
مُغَرَّبًا في ديارٍ من عشيرته
وقِيلَ: كَفَّتُهُ عن دنيا شواردهِ

* * *

بِالنَّارِ وَالصَّبَوَاتِ الْحَمَرِ مَشَاءً
إِلَّا وَعَادَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ سَمَحَاءُ
مَنْ ذَكَرِيَاتِكَ أَطْيَافُ وَأَصْدَاءُ
رَبَّاتُ وَحْيٍ، وَأَشْوَاقُ، وَأَهْوَاءُ
وَقَدْ تَعَاقَبَ إِصْبَاحُ وَإِمْسَاءُ
مَجْرُوحَةُ الصَّوْتِ، وَلَهَى اللَّحْنِ، سَجَوَاءُ
صَحَتْ لَوَقْعُهُمَا دَوْحُ وَأَفْيَاءُ:
عَيْنِيهِ سَهْدٌ وَتَعْذِيبٌ وَإِضْنَاءُ
أَمَّا لَهُ رَاحَةٌ مِنْهَا وَإِغْفَاءُ؟
وَالرَّيْحُ نَاعِمَةٌ، وَالْأَرْضُ قَمْرَاءُ
وَأَنْهَا جَنَّةٌ لِلْحَبِّ غِنَاءُ
يُسْمِعُكَ أَشْجَى نَشِيدِ زَفَةِ الْمَاءِ

لا يا غرامي، وهذا الفن ملء دمي
ما أَفْلَتْتُ مِنْ يَدِي غِيدَاءُ عَاصِيَةٌ
وَذَاكَ شَاطِئُنَا الْمَسْحُورَ تَرْحُمُهُ
عَلَى الصَّخُورِ الْحَوَانِي مِنْ مَشَارِفِهِ
أَقْمَنْ مَنَظَرَاتٍ، مَا شَكُونَ ضَنْئِي
حَتَّى رَأَيْتَنِي عَلَى بُعْدٍ مَطْوُوقَةٌ
هَمَّتُ تُغْنِي فَكَانَتْ نَبَأَةً وَصْدَى
عَرَائِشِ الشَّعْرِ قَدْ عَادَ الْحَبِيبُ، وَفِي
أَبِ الْمَغَامِرُ مِنْ دُنْيَا مَتَاعِبِهِ
دَعِيهِ يَحْلُمُ بِأَنْ الْبَحْرُ فِي دَعَةٍ
وَأَنْهَا فِي ظِلَالِ السَّلْمِ نَائِمَةٌ
وَقَرَّبِي كَأَسَهِ وَاصْغِي لِمَزْهَرِهِ

* * *

سَفِينَةٌ وَهَفْتُ بِالشُّوقِ دَأْمَاءُ
وَأَنْنَا فِي الْهَوَى أَهْلُ أَوْدَاءُ
بِهِ قُرَى كَرْبُوعِ الْخُلْدِ شَجَرَاءُ
مَسْحُورَةُ النَّبْعِ، رِيًّا النَّبْتُ، جِلْوَاءُ
وَقَبَّلْتُ نَسَمَاتُ «الْأَرْزِ» حُوبَاءُ
شَدُو، وَزَيْتُونَةٌ لِلشَّرْقِ خَضْرَاءُ
كَقَلْبِ آدَمَ إِذْ مَسَّتْهُ حَوَاءُ
بِهِنَّ «لِبْنَانُ» رَوَّاحُ وَغَدَاءُ
صَبِيَّةٌ، وَهِيَ مِثْلُ الدَّهْرِ شَمَطَاءُ
تَرْعَى سَفَائُنُ مِنْ رَاحُوا وَمَنْ جَاءُوا
مَعْلَقَاتُ، لَهَا بِالسَّحْرِ إِحْيَاءُ!
مَجْدِدِينَ لَهُمْ فِي الْمَجْدِ أَسْمَاءُ

وقيل: «لِبْنَانُ» سَحَرُ الشُّوقِ، فَاَنْدَفَعْتُ
أَوْحَى لَهُ الشَّرْقُ أَنَا مِنْ أَحَبَّتِهِ
فَقَرَّبْتَنَا وَشَفَّتْ عَنْ بَشَاشَتِهِ
فِي كُلِّ مُنَحَدَرٍ مِنْهَا وَمَرْتَفَعٍ
فُعَلِّقْتُ بِمِغَانِيهِ نَوَاطِرُنَا
وَاسْتَقْبَلْتَنَا طَيُورُ فِي مَنَاقِرِهَا
تُرْقِصُ الْمَوْجُ إِنْ مَسَّتْهُ أَجْنَحُهَا
فِي سَاحِلٍ مِنْ خَرَاْفَاتٍ وَأَخْيَلَةٍ
لَا حَتَّ عَلَى سَفْحِهِ بَيْرُوتُ فَاتَنَّةٌ
تَوَسَّدَتْ صَخْرَةَ الْآبَادِ وَالتَفَتَتْ
أَتَلِكِ بَيْرُوتُ؟ أَمْ مِنْ بَابِلٍ صُورُ
شَغْلُ الْعِبَاقِرَةِ الشَّادِينَ مِنْ قَدَمٍ

تَحْتَ الشَّرَاعِ

من حولنا تَمَّ أظلالٌ وأضواءُ
فكلُّ ناحيةٍ زهرٌ وأجناءُ
فازَّيْنَتْ فهي سيقانٌ وأثناءُ
أفوقَ واديكِ مثلي اليومِ حسناءُ؟
لها إلى الحسنِ بالألبابِ إفضاءُ
إنَّا محبُّونَ، يا عاليُّ، أنضاءُ
وقد جَرَتْ بِخَطَى الشمسِ المُليَّساءُ
وأشفقتُ من وجيبِ القلبِ أحناءُ
له إلى الغربِ بالأسفارِ إيماءُ

وأومأتُ بالهوى «عاليُّ» فاعتنقتُ
قامتُ تُنَسِّقُ من ماءٍ ومن شجرٍ
كأنما نُبِئتُ من «عشتروت» لِقَا
تقول: يا ربَّةَ الحسنِ انظري وصفي:
عاليُّ، رفقا بأبصارِ مُدلَّهةٍ
عاليُّ، إنَّا نشاوي من هوى وأسى
وحان بَعْدُ وداعٌ من فرادسها
فاغرورقتُ بدموعِ الوجدِ أعيننا
وسار عنها شرعٌ حائرٌ قَلِقُ

أَمْ اسْتَخَفَّكَ إِزْبَادُ وَإِرْغَاءُ؟
لَمَّا حَبَّتْ من ربوعِ الشرقِ أسنَاءُ؟
للحسنِ فيه وللعشاقِ ما شاءوا
وَلِيَّ إِلَيْهَا بهذا الشعرِ إِسْرَاءُ
هذا الحديدُ له حَزٌّ وإِدماءُ!
إِنْ لَمْ تَجِيءِ عن جلاءِ القومِ أنباءُ
فأهلها اليومِ أحرارُ أعزَّاءُ
فهبَّ مستقتلٌ عنها وفداءُ

يا بحرُ ما بك؟ هل مَسَّتْكَ عاصفةٌ؟
أشاقك الغربُ، أَمْ شَفَّتْكَ موجدةٌ
هذي السماءُ صفاءً، والدُّجى قَمَرُ
يا بحرُ ما بك ما بي! مصرُ ما بَعُدَتْ
عَجِبْتُ والعصرُ حرٌّ كيف في يدها
أَقْسَمْتُ لا رجعتُ بي فيكَ جاريةٌ
وَأَنَّ مصرَ بحرَّياتها ظَفِرتُ
أَقْسَمْتُ، إِلَّا إِذَا نَادَتْ بِفَتِيَّتِهَا

لحن من فينا

في اهتزاز العَصَبِ الثائر والروح المعنَى
طالَعَتْهُ بالهناءِ الليلةُ الأولى فغنَى
ورأى من حوله الأرضَ سلامًا فتمنَى
ليس يَدْرِي، أَشَدَّ من فرح أم ناح حُزنا
قُلْتُ: من أيِّ بلادٍ؟ قِيلَ: لَحْنٌ من فينا!

* * *

يا فينا سلسلي الأنغامِ سِحْرًا في حنايا النفس لا جوَّ المكانِ
أَوْحَقَّا أَنْتِ نِي؟ أم أَنْتِ ذَكَرِي أم رُؤَى تَمْرَحُ في دنيا الأغاني
وبنَانٌ هَزَّتِ الأوتارَ سَكْرِي أم شِفاءُ لمست روح الزمانِ؟

* * *

يا فينا جددي الآن مسرَّاتِ الليالي
روحك الرَّاقص لم يَحْفَلْ بأرضٍ وقتالِ
طَرَبًا ما زال يشدو بين موجٍ وجبالِ
بأساطيرَ، وأحلامٍ، وفنٍّ، وخيالِ
هو روحُ النِّغمِ الهائمِ في دنيا الجمالِ

* * *

يا فينَّا هل على غابكِ للشَّمْلِ اجتماعُ
أم على فجرِكِ نايٍّ، فيه للراعي ابتداعُ
أم على أفقِكِ من نورِ العشيَّاتِ التماعُ
أم على مائِكِ تحت الليلِ للحُبِّ شرعُ
آه من أمس! وما جرَّ على النفس الوداعُ!

* * *

يا فينَّا أسمعِي الدنيا وهاتي
أين بالدانوب شدوُ الذكرياتِ
رَحَلوا عنكِ بأحلامِ الحياةِ
قصَّة الغابة والفلسِ الكبيرِ
وصدى العُشَّاق في الليل الأخيرِ
غَيَّرَ قلبٍ في يدِ الحبِّ أسير!

أندلسية

حسنك النشوان والكأس الرويَّة جدّدا عهدَ شبابي فسكرتُ
حُلُمُ أيامٍ وليلاتٍ وضيَّة عبرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانٌ وفي الكأس بقيَّة أيُّ خمرٍ من جنَى الخلد عصرتُ
آه، هاتي قربيّ الكأس إليَّ
واسقنيها أنت يا أندلسيَّة

* * *

لا تقولي أيُّ صوتٍ ملهمٍ قَادَ روحينا، فجئنا، والتقينا
دَمَكِ المشبوبُ فيه من دمي روحٌ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ روحي! قربيها من فمي إن شربنا أو طربنا ما علينا
آه هاتيها من الحسن جنيَّة
واسقنيها أنت يا أندلسيَّة

* * *

كانت النظرةُ أولى نظرتين ثم صارت لفظةً ما بيننا
والهوى يَعْجب من مغتربين لم يَقُلْ: أنتِ ... ولا قالت ... أنا
وسَبَحْنَا فوق وادٍ من لجين تَحْتَ أفقٍ من غمامٍ وسَنَا
أتملّاها سَمَاتٍ عربيَّة
وأناي أنت يا أندلسيَّة

* * *

صَحْتُ يَا لِلشَّمْسِ فِي ظِلِّ الْمَغِيبِ تَتْلُمُ الزَّهْرَ وَأوراقَ الشَّجَرِ
خَلْتُهَا بَيْنَ مُحَبٍّ وَحَبِيبٍ قُبْلَةً عِنْدَ وَدَاعٍ وَسَفَرِ
فَانْتَنَتْ تَنْظُرُ لِلوَادِي الْعَجِيبِ صُورًا يَذْهَبْنَ فِي إِثْرِ صُورِ
وَبِسْمَعِي هَمْسَةً مِنْهَا شَجِيَّةٌ
وَبِرُوحِي أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

وَنَزَلْنَا عِنْدَ شَطْطٍ مِنْ نُضَارِ وَانْتَحِينَا خُلُوةً بَعْدَ زَحَامِ
قُلْتُ وَاللَّيْلِ بِأَعْقَابِ النَّهَارِ: أَلِكِ اللَّيْلَةَ فِي لَحْنٍ وَجَامِ؟
مَا عَلَى مَغْتَرِبِي أَهْلٍ وَدَارِ إِنْ أَدَارَا هَا هُنَا كَأْسَ مُدَامِ
أَهْ هَاتِيهَا كَخَذِّيكِ نَقِيَّةُ
وَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

وَاحْتَوَتْنَا بَيْنَ لَحْنٍ مَطْرَبِ حَانَةٌ مِثْلُ أُسَاطِيرِ الزَّمَانِ
صُورَتْ جِدْرَانُهَا بِالذَّهَبِ فَتَنَ الْعِشْقُ وَأَهْوَاءَ الْحَسَنِ
قَالَتْ: اشْرَبْ قُلْتُ: لَبَّيْكَ اشْرَبِي مِلءَ كَأْسَيْنِ فَإِنَّا ظَامِئَانِ
خَمْرَةٌ رُومِيَّةٌ أَوْ بَابِلِيَّةُ
وَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

هَتَفْتُ بِي وَيَدَاهَا فِي يَدِي تَدْفَعُ الْكَأْسَ بِإِغْرَاءٍ وَعُجْبِ
أَيُّ قَيْثَارٍ شَجِيٍّ غَرِدِ خَلْتُهُ يَنْطِقُ عَنْ أَسْرَارِ قَلْبِي!
قُلْتُ: طِفْلٌ مِنْ قَدِيمِ الْأَبْدِ يَمْزُجُ الْأَلْحَانَ مِنْ خَمْرٍ وَحُبِّ
مِلءَ كَأْسٍ فِي يَدَيْهِ زَهْبِيَّةُ
فَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبٍّ
وخبأ المصباحُ إلَّا كأسَ راحٍ نورُهُ ما بين إيماضٍ ووثبٍ
قد تحدَّى وهجُهُ ضوءَ الصباحِ فبقينا حوله جنبًا لجنبٍ
نتساقاها على الفجرِ نديَّة
وأغنِّي أنت يا أندلسيَّة

* * *

يا عروسَ الغربِ يا أندلسيَّة بَعُدَتْ داركِ والصف دَنَا
أين أحلامُ الليالي القمريَّة والبحيراتُ مُطيفاتُ بنا
اذكري بين الكئوس الذهبية حانةً، يا ليتها دامت لنا
حين أدعوك صباحًا وعشيَّة
اسقنيها أنتِ يا أندلسيَّة

الوردة الصفراء

من قطفِ هذي الوردة الصفراءِ
وهتفتَ بالشقراءِ والصهباءِ
إنِّي أعيذُ الحسنَ من أهوائي
سِمةَ الضنَى والغيرةِ الحمقاءِ
شابتُ، ونجمِ شاحبِ الأضواءِ
من زهرةٍ أو كوكبٍ وضاءِ
في نظرةٍ لكِ وادِّكارٍ وفاءِ
من ذكرياتِ شبيبةٍ هوجاءِ
تَلْقَى بها المفضوحَ من إغوائي
حيرانَ بين قطيعةٍ ولقاءِ!

قالت تُعَاتِبُنِي: أراكِ مَنَعْتَنِي
وبسحرِ هذا اللونِ كم غَنَّيْتَنِي
قلتُ: اغفري لي يا حبيبةَ نَظْرَتِي
أخشى ظنونَ الناسِ فيكِ، وأتَّقِي
وأذودُ عَنْ عَيْنِكَ ذَكَرِي لَيْلَةٍ
في لونِ خَدِّكَ اقْطِفي ما شِئْتَهُ
قالتُ: أتمنعي الذي أحببْتُهُ
في عَرْضِكَ الماضي وَنَبْشِكَ ما دَوَى
وبسخرياتكِ بي، وبسَمْتِكَ التي
وشحوبِ وجهكِ إن أَرَقْتَ صَبَابَةً

راكبة الدّراجة

تمَهَّلِي فراشة الصَّبَاحِ
ماذا ارتيادُ الطُّرُقِ الفِساخِ
بين الروابي الخُضِرِ والبَطَاحِ
كالموج تحت العاصفِ المجتَاحِ
يخفقُ بين الصدر والوشاحِ
في حَلَقَةٍ طاغيةِ الجمَاحِ
تودُّ لو طارتُ مع الرياحِ
بلطفِ هذا الجسدِ الممرَاحِ
تَكَادُ تُغْنِي الطيرَ عن جَنَاحِ!
سكرانٌ، لا من خمرة الأقداحِ
يرفعُ طرف الثوبِ في مزاحِ
قد أدَّنَ الفخذينِ بافتضاحِ
فوق كَثيبِ الوردِ والأقاحِ!
عَيْنَ اشتِهَاءٍ وَيَدَ اجتِراحِ
في مثل هذا الحَرَمِ المُباحِ
صُننُهما حَتَّى عن الصبَاحِ!

إلى أبناء الشرق

فما يعرف الحقُّ إلا النُّضالاً
نَطْلُ يَمِينًا ونَرْنو شِمَالاً
تَضجُّ المطامعُ فِيهِ اقْتِتالا
رَأَيْتُ الضَّعِيفَ بِهِ لَا يُوَالِي
ومَضِيعَةُ الخاملين الكَسَالِي
تَوَقَّى المقادِرُ مِنْهُ الحِبالا
وصاد الكهاربُ فِيهِ اغْتِيالاً
تُحَطِّمُ بعضاً وتُلْقِي نَكَالاً
فخَرَّتْ سماءٌ ودُكَّتْ جِبَالا
تَرى النُّجْمَ أَقْرَبَ مِنْهَا مَنالا
سَمَّ أَوْ فَكَّ عَنْ جَنَهِنَّ اعْتِقالا
مَدَى اللِّمَحِ ثُمَّ تَلَاشَتْ خِيالا

دَعَوْهَا مُنَى وَاتْرَكَوهُ خَيَالاً
بني الشرق! ماذا وراءَ الوعودِ
وما حِكْمَةُ الصَّمْتِ فِي عَالَمٍ
زَمَانِكُمْو جَارِحٌ لَا يَعِفُّ
ويومكمو نُهْزَةُ العاملين
خَطَا العِلْمُ فِيهِ خُطَى صَائِدٍ
تَوَغَّلَ فِي مَلَكُوتِ الشَّعَاعِ
وحَزَبَهَا فَهِيَ فِي بَعْضِهَا
رَمَى «دَوْلَةَ الشَّمْسِ» فِي أَوْجِهَا
مَدَائِنُ كَانَتْ وَرَاءَ الظُّنُونِ
كَأَنَّ «سَلِيمَانَ» أَخْلَى القِمَاقِفَ
وَأَوَمَّا إِلَيْهَا فَطَارُوا بِهَا

* * *

غُبَارَ المُجَلِّي يَشُقُّ المَجَالا
وَمِنْ أَفْقِنَا كُلِّ فَجْرٍ تَلَالا؟
أَصُولًا سَمَتْ وَجِبَاهَا تَعَالَى؟
وَنَرَقِبُ مِنْهُ النَّدَى والنَّوَالا؟

فَفَيِّمَ وَقُوفَكُمْ تَنْظُرُونَ
وَحَتَّامَ نَشَكُو سِوَا الدُّحُولِ
أَلَسْنَا بَنِي الشَّرْقِ مَنْ يَغْرُبُ
أَجْنُنَا نُسَائِلُ عَطْفَ الحَلِيفِ

نصرناه بالأمس في مَحَنَةٍ
سبحنا إليه على لُجَّةٍ
فكيف تَنَاسَى حَوَارِيَّه
أردَّ الحقوقَ لأربابها
ورَفَّتْ على الأرضِ حُرِيَّةٌ
نَبِيَّ الحقيقة، كم قُلْتَ لي
رَأَيْتُكَ أُنْدَى وأحنى يَدًا
فما لك تقسو على أُمَّةٍ
وَعَدْتَ الشعوبَ بحقِّ المصير
أَتَغْضَبُ من أهلها أرضهم
أليستَ لهم أرضهم حُرَّةٌ

تَمَادَى الجبابِرُ فيها صِيَالًا
من النار لم نُذِكْ منها ذُبَالًا
غداةَ السَّلامِ وأغضى ومالا؟
وأعفاهم من طلابِ سؤالا؟
تَأَلَّقُ نورًا وَتَنْدَى ظلالًا؟
برَبِّكَ قُلْ لي وزدني مقالًا
على أُمِّ جَشْمَتِكَ النزالا
سَقَتَكَ الودادَ مُصَفَّى زُلالًا
فما لك تَقْضِي وتُملِي ارتجالًا
وتُسَلِّمُ للغيرِ نهْبًا حلالًا؟
يسودون فيها الدُّهورَ الطوالا؟

* * *

«فلسطين» ما لي أرى جُرْحَهَا
تَنَازَعُهَا حيرةُ الزَّاهِدِينَ
أَعَزَّتْ أَسَاتِكَ أدواؤها؟
هو الحقُّ إنْ رمتَ عالمًا
أَقِيمُوا عليه مودَّاتكم
فيا للبريئةِ ماذا جَنَنْتَ
هي الشرقُ، بل هي من قلبه
وتاريخُ دنيا وأمجادها
وعى الحقُّ «للمصطفى» دعوةٌ
تَبَارَى لها المسلمونَ احتشادًا
من الشام والأرز والرافدين

يسيلُ ويأبى الغداةَ اندمالًا
وتنهشها شَهَوَاتُ تَقَالَى
هو الحقُّ! ما كان داءٌ عُضالًا!
يشفُ صفاءً ويزكو جَمالًا
وإلا فقد رمتموهُ مُحالًا
فتحملُ ما لا يُطاقُ احتمالًا
وشائجُ ماضٍ تَأْبَى انفصالًا
بنى رُكْنَهَا «خالد» ثُمَّ عالى
لنُصْرَتِهَا والعوادى توالى
وهبَّ النَّصارى إليها احتفالًا
وأقْصَى الجزيرةَ صحبًا وآلا

* * *

و«إفريقيا» ما لإسلامها
على «تونس» وبمراكشِ

يُسَامُ عبوديةً واحتلالًا؟
تروح السيوفُ وتغدو اختيالًا

ألم تخبُ في الأرض نارُ الحروبِ ويلقُ الطغاةُ عليها وبالا؟
ألم يتغيَّرَ بها الحاكمونَ؟ ألم تتبدَّلْ من الحال حالا
هُمُ العَرَبُ الصَّيْدُ لا تحسبنَ بهم ضعةٌ أو ضنى أو كلالا
نماهُم على البأسِ آباؤُهُم قساورةٌ وسيوفًا صقالا

* * *

بُناةُ الحضارةِ في المشرقينِ ذُرَى يَخْشَعُ الغربُ منها جلالا
ألا أيها الشامخ المطمئنُّ رويدًا فإنَّ اللَّيالي حبالى
وما لكَ تنسى على الأمسِ يومًا به كاد مُلْكُكَ يَلْقَى زوالا
فتقذفُ بالنارِ «سورية» وتَرْمِي «بلبنان» حربًا سجالا
شباب «أُمِّيَّة» طوبى لكم أقمتُم لكلِّ فداءٍ مثالا
دعتكم «دمشقُ» فما استنفرتُ سوى عاصفٍ يتخطَّى الجبالا
وفي ذِمَّةِ المجد من شيبكم سوى فوق أروقةِ الحقِّ ساللا
بني الشرق كونوا لأوطانكم قُوًى تتحدَّى الهوى والضلالا
أقيموا صدوركم للخطوبِ فما شطَّ طالبُ حقٍّ وغالى

* * *

فَزِعْتُ لكم من وراءِ السقام وقد جَلَّلَ الشَّيْبُ رأسي اشتعالا
وما إنَّ بكيتُ الهوى والشباب ولكنْ ذكرتُ العُلا والرجالا!!

يوم فلسطين

سَلِمَتْ لِأَجْيَالٍ وَعِشَتْ لِأَبْطَالٍ
لِقَوْمِكَ نَارٌ فِي ذَوَائِبِ أَجْبَالٍ
عَلَى خَلْجَاتِ الرُّوحِ مِنْ تُرْبِكَ الْغَالِي
دَمُ الْعَرَبِ الْفَادِينَ وَالسُّودْدُ الْعَالِي
وَكُلُّ سَمَاءٍ جَمْرَةٌ ذَاتُ إِشْعَالٍ
رَقَادًا عَلَى لَيْلٍ رَمَاكِ بَزْلَزَالٍ
لِكُلِّ غَرِيبٍ دَائِمِ التَّيِّهِ جَوَالٍ
مَوَاطِنُهَا — مَا بَيْنَ حُلٍّ وَتَرْحَالٍ
عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرَاكِ مِنْ عَهْدِ إِسْرَالٍ
سَوَى حُلْمٍ مِنْ عَالَمِ الْوَهْمِ خِتَالٍ
فَكَانَ نَذِيرًا مِنْ خُطُوبٍ وَأَهْوَالٍ
تُطِلُّ بِأَحْدَاثٍ وَتُؤَمِّي بِأَوْجَالٍ
أَرَادَ لِيَمْحُو اللَّيْلُ نَوْرَ الضَّحَى الْعَالِي
وَيَا شَهَبَ غُورِي فِي دِيَاغِيرِ آجَالٍ
كَمَا كُنْتَ قَبْلَ الرُّسُلِ فِي لَيْلِكَ الْخَالِي
وَمَا هُوَ بِالْغَافِي، وَمَا هُوَ بِالْسَّالِي
وَطَهَّرَ دُنْيَا مِنْ طُغَاةٍ وَضُلَالٍ
فَحَرَّرَهُمْ مِنْ بَعْدِ رِقٍّ وَإِذْلَالٍ

فَلَسْطِينُ لَا رَاعَتَكَ صِيحَةً مُغْتَالٍ
وَلَا عَزَّكَ الْجَيْلُ الْمُفْدَى وَلَا خَبْتُ
صَحَتْ بِأَدْيَاثِ الشَّرْقِ تَحْتَ غِبَارِهِمْ
فَوَارِسُ يَسْتَهْدِي أَعِنَّةَ خَيْلِهِمْ
بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْهُ صَخْرٌ مُنْضَرٌّ
هُوَ الشَّرْقُ لَمْ يَهْدَأْ بِصَبْحٍ وَلَمْ يَطْبُ
غَدَاةً أَذَاعُوا أَنَّكَ الْيَوْمَ قَسَمَةٌ
قَضَى عَمْرَهُ، جَمَّ الْمَوَاطِنُ — وَاسْمُهُ
وَمَا حَلَّ دَارًا فِيكَ يَوْمًا، وَلَا هَفْتُ
مَحَا اللَّهُ وَعَدَا خَطُّهُ الظُّلْمُ لَمْ يَكُنْ
حَمَمَتُهُ الْقَنَا كَيْمَا يَكُونُ حَقِيقَةً
وَفَتَّحَ بَيْنَ الْقَوْمِ أَبْوَابَ فِتْنَةٍ
أَرَادَ لِيَمْحُو آيَةَ اللَّهِ مِثْلَمَا
فِيَا شَمْسُ كُفِّي عَنْ مَدَارِكَ وَاحْمَدِي
وَيَا أَرْضُ شُقِّي مِنْ أَدِيمِكَ وَارْجِعِي
ضَلَالًا رَأَوْا أَنْ يَسْلُوَ الشَّرْقُ مَجْدَهُ
أَلَا يَا ابْنَةَ الْفَتْحِ الَّذِي نَوَّرَ الثَّرَى
وَأكْرَمَ قَوْمًا فِيكَ كَانُوا أَذْلَةً

لَكَ الشَّرْقُ، يَا مَهْدَ الْقَدَاسَةِ وَالْهُدَى،
لَكَ الشَّرْقُ، يَا أَرْضَ الْعُرُوبَةِ وَالْعُلَا،
وَمَا هُوَ مَنْ مُسْتَعْمِرٍ جَاءَ بِالْهَوَى
هُوَ الشَّرْقُ أَلْقَى عَنْ يَدَيْهِ قَيَّودَهُ
سَلِيهِ، تَهْجُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ أَرْضُهُ
سَلِيهِ، يَمْجُ مَا بَيْنَ سَمْعَيْكَ أَفْقُهُ
سَلِيهِ الدَّمُ الْمَهْرَاقُ يَبْذُلُهُ غَالِيًا

قُلُوبًا تَلْبِي فِي خَشْوَعٍ وَإِجْلَالٍ
شُعُوبًا تُفَدِّي فِيكَ مِيرَاثَ أَجْيَالٍ
وَلَا هُوَ مَنْ مُسْتَثْمِرٍ جَاءَ بِالْمَالِ
فَلَا تَحْسَبِيهِ فِي قَيَّودٍ وَأَغْلَالٍ
مَخَالِبَ نَسْرٍ أَوْ بَرَاثَنَ رُئْبَالٍ
زُنَيْرَ أَسْوَدٍ أَوْ زُمَاجَرَ أَشْبَالٍ
وَيَضْرِبُ بِهِ فِي الْحَقِّ أَرْوَعَ أَمْثَالٍ

* * *

أَلَا أَيُّهَا الشَّادِي الَّذِي أَطْرَبَ الْوَرَى
وَقَالَ لَنَا: فِي عَالَمِ الْغَدِ جَنَّةٌ
سَمِعْنَا، خُدْعْنَا، وَانْتَبَهْنَا، فَحَسَبْنَا
وَيَا أَيُّهَا الْغَرْبُ الْمَوَاعِدُ لَا تَزِدْ
شَبْعَنَا وَجَعْنَا مِنْ خِيَالِ مُنَمَّقٍ
فَلَا تَنْدِبِ الضَّعْفَى وَتَغْصِبَ حَقُوقَهُمْ

بَحَلُّو حَدِيثٍ عَنْ حَقُوقٍ وَأَمَالٍ
غَزِيرَةٌ أَنْهَارٍ وَرَيْفَةٌ أَظْلَالٍ
لَقَدْ مَلَّتِ الْأَسْمَاعُ قَيْثَارَكَ الْبَالِي
كَفَى الشَّرْقُ زَادًا مِنْ وَعُودٍ وَأَقْوَالٍ
وَمِنْهُ اكْتَسَيْنَا، ثُمَّ عُذْنَا بِأَسْمَالٍ
فَتَلَّكَ إِذَا كَانَتْ، شَرِيعَةً أَدْغَالٍ!!

من الأعماق

وقبَّلْتُكَ جراحاتُ وآلامُ
عروبةٍ وثَّبتَ فَرْحَى وإسلامُ
بها ليالٍ من الذكرى وأيامُ
جمَاهُ للحرِّ إعزازُ وإكرامُ
فقد حَمَتُهُ من الأحداثِ آجامُ
معاشُهُ ويرقُّ الماءُ والجامُ
أصفادهُ، ويفكُّ القيدَ ضرغامُ

حَيَّتُكَ في الشرقِ آمالُ وأحلامُ
واستقبلتك على الوادي وضفَّتِهِ
وحِقْبَةُ من جهادٍ أشرقتُ وهَفْتُ
تعانقِ العائدَ المنفَى في بلدٍ
ديارُ «فاروق» من يلجأُ لساحتها
يطيبُ للعربيِّ المستجيرِ بها
ويحطمُ القلمُ العاني بحومتها

تحدثتُ عنه أدهارُ وأقوامُ
برقُ على جنباتِ الليلِ بسَّامُ
بها صحائفُ من نورٍ وأقلامُ
صوتُ يرنُّ به رمحُ وصمصامُ
من صوتك الجهوريِّ العذبِ أنغامُ
حَتَّى وإنْ شَرِقَتْ بالنارِ أعلامُ
يسيلُ فيها، وجُرِحَ ليس يلتامُ
وكيف! هل في ربوعِ القدسِ نَوَامُ!
السيفُ منهنَّ فوقِ الخلقِ قَوَامُ

يا أيها البطل الصنديدُ جِئْتَ بما
هَزَّتْ «فلسطينَ» أنباءُ يطيرُ بها
عادتُ لها ذكرياتُ الأمسِ وانبعثتُ
وأنفُسُ قرشيَّاتٍ يُطَرَّبُها
نَصَّتْ على الليلِ آذانًا تُغازلُها
قد أقسمتُ لا ينالِ الدارَ مغتصبُ
في الله، في الحقِّ، في الإسلامِ كُلُّ دمٍ
ظنوكُ أَقْصَيْتَ عنها فهي نائمةٌ
وتلك أطماعهم في كلِّ ناحية

قالوا: غدرتَ ولم أفهمْ لمنطقهم
أفي دفاعك عن أهلٍ وعن وطنٍ
قالوا: هو الحقُّ ما نسعى لنُصرتِه
يا شرقُ يا شرقُ لا تخذَعْ دعوتُهم
أكان غيرَ عيونِ الزَّيتِ دافقةً
وكان غيرَ أنابيبٍ يحوط بها
قد قسَموكَ مطاراتٍ وما عملوا
أَكُنْتَ غيرَ الفِدا في غيرِ تضحيةٍ
يا شرقُ سَلْ «بالحسيني» الذي صنعوا
سلُّهم عن الشُّرف الموعود كم غدروا
وأنت يا أيُّها الفادي عُرُوبَتُهُ
جهاذك الحقُّ مظلوماً ومغترباً

حُكْمًا، ولكنما للقوم أحكامُ
غدرُ؟ إذنْ فجهادُ الظلمِ إجرامُ!
يا بُؤْسُهُ كم هوانُ أهْلُهُ ساموا
واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوهامُ
من قلبك الغَضُّ يُجريهن سَجَامُ
ضلوعَ صدرِكَ قَهَّارٌ وظلَّامُ
إِلَّا لحرِبٍ لها في الكونِ إضرارُ
إن همَّ عليك بسِرِّ للردِّ حاموا
واسمِعْ لحَقِّكَ، لا يَخْدَعُكَ هَدَامُ
به؟ كم اجْتُرِحْتَ في السلمِ آثامُ
إِسْلَمَ فديتكِ، لا غَبْنٌ ولا ذامُ
وَحْيٍ لكلِّ فتًى حُرٍّ وإلهامُ

على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

فحيّ زِمَامِي عِنْدَهُ وَعُهُودِي
وَنُسْلِمُهُ لِابْنِ لَنَا وَحَفِيدِ
سَمِعْتُ لَتَكْبِيرِي وَوَقَعَ سَجُودِي
خَلَا مَنَاطِقِي مِنْ لَفْظِهَا وَقَصِيدِي
أَفْقَتُ عَلَى يَوْمٍ أَغْرَّ سَعِيدِ
نَبَا فِيهِ جَنَّبِي وَاسْتَحَالَ رَقُودِي
خَمَائِلُ جَنَاتِي وَطَاب حَصِيدِي
مَشَى الْمَوْتُ فِي زَهْرِي وَقَصَفَ عُودِي
شَهِيدَكَ فِي هَذَا ... وَأَنْتَ شَهِيدِي!
وَجُودَكَ فِي هَذِي الْحَيَاةِ وَجُودِي

أُخِي! إِنَّ وَرَدَتِ النَّيْلَ قَبْلَ وَرُودِي
وَقَبْلُ ثَرَى فِيهِ امْتَزَجْنَا أُبُوءُ
أُخِي! إِنَّ أَذْنَ الْفَجْرِ لَبَيَّتْ صَوْتَهُ
وَمَا صُغْتُ قَوْلًا أَوْ هَتَفْتُ بَأْيَةٍ
أُخِي! إِنَّ حَوَاكِ الصَّبْحِ رِيَّانَ مَشْرِقًا
أُخِي! إِنَّ طَوَاكِ اللَّيْلِ سَهْمَانِ سَادِرًا
أُخِي! إِنَّ شَرِبْتَ الْمَاءَ صَفْوًا فَقَدْ زَكْتُ
أُخِي! إِنَّ جَفَاكَ النَّهْرُ أَوْ جَفَّ نَبْعُهُ
فَكَيْفَ تُلَاحِظُنِي وَأَلْحَاكَ؟ إِنَّنِي
حَيَاتُكَ فِي الْوَادِي حَيَاتِي، فَإِنَّمَا

مَتَى فَصَلَا مَا بَيْنَنَا بِحُدُودِ؟
فَجَلَّلَ بِالْأَحْزَانِ لَيْلَةَ عِيدِي
مَزَاهِرُ أَحْلَامِي وَمَاتَ نَشِيدِي
عَلَى أَرْضِ آبَاءِ لَنَا وَجُودِ

أُخِي! إِنَّ نَزَلْتَ الشَّاطِئَيْنِ فَسَلِّهُمَا
رَمَانِي نَذِيرُ السُّوءِ فَيَكْ بِنَبَاةٍ
وَعَامَتْ سَمَائِي بَعْدَ صَفْوٍ وَأُخْرِسَتْ
غَدَاةٌ تَمَنَّى الْمُسْتَبَدَّ فِرَاقَنَا

لَعَلَّ بَنَا حُبَّ السِّيَادَةِ يُودِي
وما بيننا من سيّد ومسودِ
فَخَاخَ «احتلال» كالدَّهْورِ أْبِيدِ
بحريين، من زرعِي وَضَرَعِ وليدي
فهمْ بنكراني ورامَ جُحُودِي
أأنجز من وعدٍ؟ أفلِكَ قِيُودِي؟
مدى الدهر فيها مُبْدِيّ ومُعِيدِي
نَجُرُّ على الأشواكِ ثَقُلَ حديدِ
نَهَبْنَا بشملٍ في الحياةِ بديدِ
مُوحَّدَةٌ في غايَةٍ وجهودِ
جديدٍ، ولمّا يأتينا بجديدِ
فلما دَنَا أَلْفَتْ سَرَابَ وعودِ
على عاصفٍ يرمي الدُّجَى بجليدِ
فلا تَرْجُ بِفُتًا من وميضِ رعودِ
سَرَى رِيهَ سَمًا بكلِّ وريدِ
ويحبسُهُ ما شاءَ خَلْفَ سدودِ
ظَمَاءٌ نسورِ أو جِياعُ أسودِ؟

وَزَفَّ لَنَا زَيْفَ الأمانِي عُلالَةٍ
أخوَّتْنَا فوقَ الذي مانَ وأدعى
إذا قال: «الاستقلالُ» فاحذرهُ ناصبًا
وكم قَبْلُ مَنّاني، على وَفَرٍ ما جَنَى
فلما أتاهُ النصرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ
أَلَا سَلَهُ، ماذا بعدَ سبعينِ حِجَّةٍ
يُبَدِّلُنِي قَيْدًا بَقِيدٍ كأنَّهُ
أخي! وكلّنا في الإِسارِ مَكْبَلُ
إذا لم تُحَرِّزْنَا من الضيمِ وَحْدَةً
وما مصرُ والسودانُ إِلَّا قَضِيَّةٌ
سَتَمُنّا هُتافَ الخادعينِ بِعالمِ
وَجَفَّتْ حشاشاتُ وَعْدَنَ بِمائِهِ
وطال ارتقابُ الساعِبينَ لِنارِهِ
إذا يَدُنّا لم تُذَكِّ نارَ حياتنا
إذا يَدُنّا لم تَحْمِ نَبْعَ حياتنا
سُيْجِرِيهِ ما شاءَتْ مطامعُ قومِهِ
وكيف ينامُ المضعفونَ وَحُولَهُم

يَرْجُ من الشَّطْآنِ كُلِّ مَشِيدِ!
عَلَى نَفْثاتٍ من دمٍ وصديدِ
وَأَسْرابِ طيرٍ في الفلاةِ شريدِ
وضجَ لَهُ المَوْتَى وراءَ لُحُودِ
لِتَشْتَتِ أَهْلٍ وانقسامِ صعيدِ
بها الحزنُ إِلْفِي والهناؤُ فقيدي
على الظالمِ الجَبَّارِ صَوْتِ وعيدِ
بهذمِ إِخاءِ كالجبالِ مشيدِ
كَطِيرِ جريحٍ في الشَّباكِ جهيدِ

أخي! هل شَهِدْتَ النِيلَ غضبانَ ثائراً
جَرى من مَصَبِّهِ شَواطِئاً لنَبْعِهِ
وجنّاتٍ نَخِلٍ واجماتٍ كواسِفِ
لَدَى نَبأٍ قد رِيعَ من حملهِ الصَّدَى
جنوبُكَ فِيهِ والشمالُ تَفَرَّعَا
أحال ضياءَ الصبحِ حَوْلِي ظُلُمَةً
وسَعَرَ أنفاسي فأطْلَقْتُ نارَها
أرادَكَ مَفصُومَ العُرَى وأرادني
ليأْكَلُنّا من بَعْدُ شِلْواً مَمزَّقَا

تَحَايِلُ شَيْطَانِ الْأَسَالِيبِ لَمْ يَدَعْ مَجَالًا لَشَيْطَانِ بَهْنٍ مَرِيدٍ

* * *

عَلَى النِيلِ يَا ابْنَ النِيلِ أَطْلُقْ شَرَاعِنَا
وَأَرْسِلْ عَلَى الْوَادِي حَمَائِمَ أَيْكِهِ
وَقُلْ: يَا عُرُوسَ النِّبْعِ هَاتِي مِنَ الْجَنَى
وَهُبِّي عِذَارِي النَّخْلِ فِرْعَاءَ وَارْقِصِي
أَلَا يَا أَخِي وَامِلًا كَثُوسَ مُحَبَّةٍ
إِذَا هِيَ هَانَتْ فَانْعَ لِلشَّمْسِ نَوْرَهَا
وَقُلْ: يَا سَمَاءَ النِيلِ وَيْحَكَ أَقْلَعِي
وَغِيضِي عِيُونَ الْمَاءِ! أَوْ فَتَفْجَّرِي
وَقُلْ لِلَّيَالِيهِ الْهَنِيَّةِ: عَوْدِي
بِرَنَّةٍ وَلَهْيٍ أَوْ شَكَاةٍ عَمِيدٍ
وَدُورِي عَلَيْنَا بِالرَّحِيقِ وَجُودِي
بِخُضْرِ أَكَالِيلِ وَحُمْرِ عَقُودِ
مُقَدَّسَةٍ مَوْعُودَةٍ بِخُلُودِ
وَلِلْقَمَرِ السَّارِي بَرُوجَ سَعُودِ
وَيَا أَرْضُ بِالشُّمِّ الرَّوَاسِخِ مِيدِي
لِظَى، وَإِنْ اسْطَعْتَ الْمَزِيدَ فزِيدِي!

مِصر

فديتُكِ! هل وراء الموت حُبٌّ؟
إليكِ، وكلُّ شيخٍ فيكِ صَبٌّ
وكلُّ رضيعَةٍ في المهدِ تحبو
أرى مُهَجًّا لوجهكِ تَشْرِبُ
لها فوق الضَّفَافِ خُطًى ووُثْبُ
له ببيدكِ تَضْفِيرُ وَعَصْبُ
ووقتُكِ الليليّ وهي حَرْبُ
فضاءكِ غيلةٌ ورماكِ خَطْبُ
وبالنَّسَمَاتِ فهي حَصَى وَحَصْبُ
وكلُّ غُصُونِهِ ظُفْرٌ وَخُلْبُ
صواعقٌ ومُضْها رُجْمٌ وشُهْبُ
وفي عينيه إِيماضٌ وسَكْبُ
بها شرقٌ، ويُلقِي السَّمْعَ غَرْبُ
فراعنٌ أو حواريُّونَ عُرْبُ
تموجُ به الضَّفَافُ وثُمَّ رَكْبُ
إليكِ بكلِّ جارحةٍ تدبُّ
أَجَلٌ بُعِثَتْ، وهبَّ اليومَ شَعْبُ
وأفردَ بالأمانةِ فهو صُلْبُ!

هَوَى لِكَ فِيهِ كُلُّ رَدَى يُحِبُّ
فديتُكِ مصرُ، كُلُّ فَتًى مَشُوقُ
ويحلمُ بالفَدَى طفلاً فطيمُ
أراكِ وأينما وَلَيْتُ وجهي
وأرواحاً عليكِ مَحْوَمَاتِ
عليها من دَمِ الفَاديَنِ غَارُ
حَمَتِكَ صدورها يومَ التَّنَادِي
إذا رامتِكِ عاديةٌ وشَقَّتْ
دَعَتْ بالنَّهْرِ فَهُوَ لَظَى ووَقْدُ
وبالشجرِ المَنُورِ فهو غِيلُ
حقائقُ عن يدِ الإِيْمَانِ ترمي
لها في مهجة الجَبَّارِ فَتْكَ
صَنَائِعُ كَالْغَنَائِيَّاتِ يَشْدُو
ويُبْعَثُ في الحَيَاةِ على صداها
أَهْلُوا بالصَبَاحِ فَثُمَّ رَكْبُ
بأَرْوَاحِ مَجْنَحَةٍ نَشَاوِي
لقد بُعِثَتْ مِنَ الْأَحْقَابِ مِصرُ
تَوَحَّدَ في الزُعَامَةِ فهو فَرْدُ

* * *

فيا لكِ مصرُ! ما لجلالِ أُمسٍ
وأُبهمَ فهو رَجُعُ صَدَى وطيفٍ
ذوتَ رِيًّا ملامحِهِ وحالتَ
أكانَ دَمُ الفِذائِيِّينَ صِدْقًا
فيهدمُ ما بَنَى ويقالُ: شادوا
علامَ إذنَ أريقَ بكلِّ وادٍ
وجادَ به شبابُ عبقريِّ
أحقًا ما يُقالُ: شيوخُ جيلٍ
وكانوا الأُمسِ أرسخَ من جبالٍ
فما لهمُ وهتَ منهم حُلُومُ
أأرحامُ مقطَّعةٌ وأرضُ
وأسواقُ تباغَ بها وتُشرى
يطوفُ بها النِّفاقُ وفي يديه
يكاد الليلُ أن يَنسى دُجاءُ
تعالوا يا بني قومي تعالوا
هو الدستورُ منه جنَى قطفنا
فما للشَّرِبِ والجانيَنِ ثاروا
فأهدِرَ مَرَّةً وأبيحَ أخرى
إذا ما الأكثريةُ فيه فازتْ
وإن هي حورِبَتْ عنه وزيدتْ
عجائبُ لم تَقَعْ إلَّا بمصرِ
تعالوا يا بني قومي إليهِ
وما هو أسطُرٌ كُتِبَتْ ولكنْ
تحررتْ الشعوبُ فكلُّ شعبٍ
وهبَتْ في نواحي الأرضِ دُنيا

عَلَّتْهُ غَبْرَةٌ وَطَوَّتْهُ حُجْبُ
بعيدٌ ليس يستجليهِ قُرْبُ
مناقِبُهُ فَهَنَ أَدَى وَتَلَبُّ
وَأَصْبَحَ وهو بعدَ الأُمسِ كِذْبُ
وَتُصَدِّعُ وَحْدَةً وَيُقَالُ: رَأْبُ؟
فأَوْرَقَ مُجِدَّبٌ وَأَنَارَ خِصْبُ؟
وولدانُ كفَرَخِ الطَّيْرِ زُعْبُ؟
على أحقادهم فيه أكبُّوا
إذا ما زُلْزِلَتْ قِمَمٌ وَهَضَبُ
لها بِيَدِ الهوى دَفْعٌ وَجَذْبُ
تُعادي فوقها أهلٌ وَصَحْبُ
ضمايرُ هُنَّ لِلأَهْواءِ نَهْبُ
صحائفُ أَفَعَمَتْ زورًا وَكُتِبُ
إذا نُشِرَتْ وَيَأْخُذُ مِنْهُ رُعْبُ
إلى حَقٍّ وَحَسَبُ الشَّعْبِ حَسْبُ
ونهرُ حياتنا ملآنٌ عَذْبُ
عليه بعد ما طَعَمُوا وَعَبُّوا
وعَيْبُ، وما لَهُ عَيْبٌ وَذَنْبُ
تَحَرَّكَتِ الدَّسائِسُ وهي إَلْبُ
تَحَدَّثُ بِاسْمِهِ فَرْدٌ وَحَزْبُ
وأحداثُ لهن يَطيشُ لُبُ
فما في حُكْمِهِ قَسْرٌ وَغَضَبُ
معانٍ في القُلُوبِ لهنَّ عَلْبُ
طليقٌ والمجالُ اليومَ رَحْبُ
لحقٌ يُجْتَبَى وَمُنَى تَلَبُ

أَنلَعِبُ وَالزَّمَانُ يَقُولُ: جُدُّوا
فَلَا تَقْفُوا بِحَرِيَّاتِ شَعْبٍ
فَمَا تَتْنِي خَطَى شَعْبٍ طَمُوحٍ
إِذَا عَصَفَتْ تَلْقَاهَا بِصَدْرٍ
وَنَرَقُدُ وَالْحَيَاةُ تَصِيحُ هُبُّوْا؟
وَأَمَالٍ لَهُ لِلْمَجْدِ تَصْبُو
زَعَارُغٌ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نَكْبُ
وَرَاءَ ضُلُوعِهِ نَارٌ تُشَبُّ

* * *

سَأَلْتُكُمْو الْيَمِينَ وَحُبَّ مِصْرٍ
إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ لِمِصْرٍ أُوْمَتٍ
فَقَبَّلَهَا وَظَلَّلَهَا هَوَاهُ
وَبِاسْمِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَفْدَى
وَبِاسْمِكَ لَا يُضَامُ لِمِصْرٍ حَقٌّ
وَبِاسْمِكَ مِنْ عُضَالِ الدَّاءِ تُشْفَى
بِحَقِّ عُلَاكَ وَهُوَ هُدًى وَنُورٌ
إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ بِالرُّوحِ مِصْرُ
أَلَمْ يَخْفِقْ لَكُمْ بِالْحُبِّ قَلْبٌ؟!
إِلَى «الْفَارُوقِ» وَهِيَ رَضَى وَحُبٌّ
وَنَدَى قَلْبَهَا وَالْعِيشُ جَدْبٌ
نَقَشَعُ غُمَّةً وَيَزُولُ كَرْبٌ
وَبِاسْمِكَ لَا يُضَارُ بِمِصْرٍ شَعْبٌ
وَبِاسْمِكَ كُلُّ دَاءٍ يُسْتَطَبُّ
وَحَقُّ هَوَاكَ وَهُوَ عُلاٌ وَكَسْبٌ
وَأَنْتَ لِمِصْرَ بَعْدَ اللَّهِ رَبُّ

لِقَاءَ وَدُّعَاءِ

وعهدُكُما للشرق فجرُ أُماني
لِقَلْبَيْنِ في كَفَّينِ يعتنقانِ
حبيبين سارا، أم هما أخوانِ
من الأحمر اللُّجِّي أشرق داني
تَطَامُنُ في صفوٍ لَهُ وَأمانِ
سرائِرُ مِنْ أرضِ الحجازِ حواني
شواخصُ في الثغر المشوق رواني
وَفِيهِ مِنْ الوحي القديم معاني
وَكَيْفَ؟ أَلَمْ تعلم من الخفقانِ
وَتُنْطِقُ مني خاطري ولساني
وَفَجَّرَ شعري مِنْ سماءِ بياني
رُؤْيُ يَقْظَةٍ؟ بل ذاك رَأْيُ عيانِ
تسيرِ إِلَيْهِ الفلكُ دونِ عنانِ
وما هي إِلَّا فرحةٌ وأغاني
هما حِصْنُهُ الواقِي من الحدثانِ
تَمَثَّلَ في آياتها ملكانِ!

لِقائُكُما قد كان حُلْمَ زماني
ولا عهدَ إِلَّا للعروبة والعُلا
تُحَدِّثُنِي عَيْنِي، وقد سِرْتُما معًا
وَيَسْأَلُنِي قلبي، وقد لاح موكبُ
على ملكيٍّ من شرعٍ وَلُجَّةٍ
تناسمه بين العشِيَّاتِ وَالضُّحَى
وأفئدةٌ من أرضِ مصرٍ مَشْوَقةٌ
إلى أَفُقٍ فِيهِ مِنَ الروحِ هِزَّةٌ
أَتَسْأَلُ يَا قلبي وأنت بجانبِي؟
وأنت الذي تُصْغِي، وأنت الذي تَرَى
ومنك الذي أوحى إِلَيَّ فهِزَّنِي
أَنالَ جلالَ اليوم منك، فَخَلَّتْهُ
هو الملكُ الفاروقُ في موقفِ الهدى
يَوْمُ بِها رَبُّ الجزيرةِ مصرُهُ
هما عاهلا الشرقِ العريقِ وركنُهُ
هما الحبُّ والإيمانُ والمجدُ والنَّدَى

بأعذب ما رفّت به شَفَتَانِ
بأفراح دور فوقه ومغاني
رفارف خُصْرًا في ظلالِ جنانِ
وفيك يَحْيِي «الْقِبْلَةَ» الهرمانِ
مخاضرها من لَوْلُو وجُمانِ
يُضْنَنَ بأقمار بهنّ جِسانِ
تَغَايِرَ في لآلئها القمرانِ
مطالعُ «فاروقية» اللّمعانِ
هنا وطنٌ أم ها هنا وطنانِ
أم أنّ قطوفًا «للرياض» دواني
وما اختلفت في صورةٍ ومكانِ
على الرّحب، والدّاران تَلْتَقِيانِ
فما مصرٌ إلّا موطنٌ لك ثاني
مُوَحِّدَةٌ في فكرةٍ ولسانِ

سلامًا «طويلَ العمر» مصرُ تَبْنُهُ
وللنّيل أمواجٌ يثبن صبايةً
تَجَلَّى طارًا في لقائك مُفَرِّدًا
يُحْيِي بك الشعبَ الحجازيّ شعبُهُ
تساءل فيها الصاحبان وقد بدت
وأفاقها «مَكِّيَّة» النور والشّذى
جلاها المساءُ القاهريّ صباحةً
«سعودية» الإشراق تُزْهِى بنورها
أفي مصر؟ أم بطحاء مكة يومنا؟
وتلك قطوفُ النّيل دانية الجنى
هوّى لك يا «عبد العزيز» أصارها
وأنت أخو «الفاروق» دارك دارُهُ
فإنّ تذكر الأوطان والأهل عندها
وما هي إلّا أمةٌ عربيّةٌ

* * *

ويسمع لي الفاروقُ صوتَ جَناني؟
فما لي أرى في الشرق سُحْبَ دخانِ!
برغدِ حسامٍ والتّماعِ سنانِ
وفي القدس جمرٌ مُوشِكُ الثّورانِ
جريحًا إباءٍ في دمِ غريقانِ
وما سترتُ وجهًا لها ببنانِ
مخالبَ ضارٍ أو برائنَ جاني
علام تَضجُ الأرضُ بالشّنّانِ
على غير معنًى من رضى وأمانِ
وداورَ حتى راعٍ في الدّورانِ
وإنّ حورّت في صبغةٍ ودهانِ

أَيْنَصْتُ لي الضيفُ العظيمَ هنيهةً
يقولون: نارُ الحرب في الغرب أُخْمِدَتْ
مَشَتْ بالشتاءِ الجهم فوق تخومه
بإيرانَ صيحاتٌ، وفي الشام ضجّةٌ،
وفي الساحل الغربيّ من «آل طارق»
طماعيةٌ فيه أزالَتْ قناعها
رمت عن يدٍ قفازها وتحفّزتْ
فإن قيل: هذا «مجلس الأمن» فاسألوا
وفيم دعاة السّلم طالَ حديثهم
وأبهم حتى بانَ كالظّل طامسًا
أرى اليوم مثل الأمس صورةً غاصبٍ

* * *

تثاني حيائي والوفاء دَعَانِي
يُفَاخِرُ جَيْلٌ بِالَّذِي هُوَ بَانِي
تُهَدِّدُهُ فِي حَوْزَةٍ وَكَيَانِ
بِكُلِّ فَتَى بِالطَّيِّبَاتِ مُعَانِ
وَمَا زَالَ مِنْ خُلْفِ الْوَعُودِ يُعَانِي
وَلَا فَازَ مِنْ حَرِيَّةٍ بِضِمَانِ
مَطَرَحَةٌ فِي ذَلَّةٍ وَهَوَانِ
بِجَمْعٍ يُدْبِرُ الرَّأْيَ حَوْلَ خَوَانِ
وَأَقْلَامٍ كُتِّبَ وَسَحَرِ بَيَانِ
وَمَاذَا يُصِيبُ الْقَوْلُ يَوْمَ طَعَانِ
بِمُسْتَقْتَلٍ مِنْ حَوْلِهَا مُتَفَانِي
وَأَسْيَافُهُمْ مِنْ صُلْبَةٍ وَلَدَانِ
يَنَابِيعُهُ شَتَّى ذُرَى وَرِعَانِ
عَلَى كَرٍّ دَهْرٍ وَاخْتِلَافِ زَمَانِ

إِلَيْكُمْ مَلُوكَ الشَّرْقِ كَمْ عَنْ مَقَالَةٍ
أَشَدَّتْ بِمَا شَدْتُمْ فِرَادِي، وَكُلِّكُمْ
أَنَاشِدُكُمْ وَالشَّرْقُ بَيْنَ مَطَامِعِ
فَهَلَّا جَمَعْتُمْ أَمْرَهُ وَاسْتَعْنَتُمْ
أَرَى خُلَفَاءَ الْأَمْسِ لَمْ يَحْفَلُوا بِهِ
وَمَا قَرَّرَ فِي ظِلِّ السَّلَامِ بِحَقِّهِ
وَتِلْكَ أَمَانِيهِ عَلَى عَثَبَاتِهِمْ
أَنْقَنَعَ مِنْ حَقٍّ وَ«جَامِعَةٍ» لَهُ
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ قُوَّةٍ غَيْرَ أَلْسِنِ
وَمَاذَا يَفِيدُ الرَّأْيُ لَا سَيْفَ عِنْدَهُ
عَلَى الْبَاسِ فَابْنُوا رُكْنَهَا وَتَاهَبُوا
تَلَاقَى بِهِ رَايَاتُ كُلِّ شُعُوبِهِ
كَأَمْوَاجِ بَحْرِ زَاخِرٍ مُتَلَاظِمِ
ضَمِنْتُ بِكُمْ مَجْدَ الْعُرُوبَةِ خَالِدًا

عَوْدَةُ الْمَحَارِبِ

تَشْقُ الْغَرْبَ أَوْ تَطْوِي ظِلَامَهُ؟
بِهِ، وَاسْتَقْبِلْتُ لَثْمًا غَمَامَهُ!
ضَفَافُ النِّيلِ تَسْتَهْدِي حِيَامَهُ
غَضِيضُ الطَّرْفِ لَمْ يَنْفُضْ مَنَامَهُ
تُظَلِّلُهُ الرِّعَايَةُ وَالسَّلَامَهُ
بِعَيْنِ الْمَلْهَمِينَ رَنَا فَشَامَهُ
وَأَمَجَادًا مُشْهَرَّةً مُسَامَهُ
يَخَافُ الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى غُرَامَهُ
أَبَى غَيْرَ الشَّهَامَةِ وَالْكَرَامَهُ
تُرَاثُ الشَّرْقِ أَوْ يَرَعَى ذِمَامَهُ
وَسَلَّتْ عَزْمَهُ وَجَلَّتْ حُسَامَهُ
وَأَنْفَذَ مِنْ مَضَارِبِهَا هُمَامَهُ
وَزَيْدٌ، فَمَا أَطَاقَ بِهَا مَقَامَهُ
فَعَادَتِ مِنْهُ وَادَّرَأَتْ حِمَامَهُ!
دَمًا حَرًّا وَرَوْحًا مَسْتَهَامَهُ
وَلَا يَنْسَى الْكَمِيَّ بِهَا غُرَامَهُ
وَتُشْجِيهِ بِرَنَّتِهَا الْحَمَامَهُ
إِلَى خَطَرٍ تَعَشَّقُهُ وَرَامَهُ

أَتَدْرِي الرِّيحُ مِنْ مَلَكْتُ زَمَامَهُ
هَفَّتْ لِلشَّرْقِ فَاخْتَلَجَتْ جَنَاحًا
وَقِيلَ: دَنَا وَحَوْمٌ، فَاشْرَأَبْتُ
وَعَانَقَهُ الصَّبَاحُ عَلَى رُبَاهَا
يُضِيءُ بِوَرْدِهِ الْأَزْلَى أَفْقًا
وَوَاكِبُهُ عَلَى «سِينَاءٍ» بَرَقَ
تَمَثَّلَ إِذْ تَأَلَّقَ ذَكَرِيَّاتٍ
لِمَحْتَرِبٍ مِنَ الْأَبْطَالِ فَادٍ
حَوَارِيٍّ عَلَى كَفِّهِ قَلْبُ
نَحِيفٍ مِنْ شُرَاةِ الْخُلْدِ يَحْمِي
كَسْتَهُ خُشُونَةً غَيْرَ اللَّيَالِي
أَشَدَّ عَلَى قَوَاضِبِهَا مَرَاسًا
أَقَامَ عَلَى الْفَلَاةِ طَرِيدَ ظَلَمٍ
وَبَايَعَ فِي شَبِيبَتِهِ الْمَنَايَا
أَحْلَوْا قَتْلَهُ وَتَطَلَّبُوهُ
تُنْسِي الْحَرْبُ كُلَّ فِتْنَى هَوَاهُ
زَنْيِرُ اللَّيْثِ يَطْرِبُ مَسْمَعِيهِ
وَوَثْبُ الْخَيْلِ أَفْرَاسُ الْأَمَانِي

يَصُفُّ البِيضَ وَالسُّمَرِ الْعَوَالِي وَيَرْقُبُ مِنْ فَمِ الصُّبْحِ ابْتِسَامَهُ
وَيَفْرُكُ رَاحِيَتَهُ دَمًا وَنَارًا يُغْنِي حُبَّهُ وَيُدِيرُ جَامَهُ
كَذَلِكَ رَأَى الْحَيَاةَ فَمَا اجْتَوَاهَا وَلَا عَرَفَ الْمَلَالَةَ وَالسَّامَةَ
مَفَازَعُ لِلرَّدَى إِنَّ لَاحَ فَرَّتْ وَرَاءَ خَطَاهُ وَارْتَدَّتْ أَمَامَهُ!

* * *

أَخَا الْهَجَاءِ كَيْفَ شَهِدْتَ حَرْبًا تَمَلَّأَ بِالضَّغِينَةِ وَاللَّامَةِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ بَعْدَ الْحَرْبِ سَلْمًا فَلَمْ يَعُدَّ الشَّنَاعَةَ وَالْدِمَامَةَ
وَقَالُوا: عَالَمٌ قَدْ جَمَّلُوهُ لَتَعَجَزَ أَنْ تُبَيِّنَ لَهَا حَطَامَهُ
تَنَاثَرَتِ الْمَمَالِكُ فِيهِ حَتَّى وَلَا يَدْرِي بِهَا فَلَكْ نِظَامَهُ
مَتَاهَاتٌ تَضِلُّ بِهَا اللَّيَالِي مُفَزَّعَةُ الْخَوَاطِرِ مُسْتَضَامَهُ
فَلَسْطِينُ الشَّهِيدَةِ فِي دِجَاهِ فَعَاثَ بِهَا وَأَفْرَدَهَا طَغَامَهُ
أَقَامَ الْمُسْتَبَدُّ عَلَى حِمَاها وَأَفْأَقَ يُحْمِلُهَا أَثَامَهُ
وَجَاءَ بِأَبْقٍ لَفْظَتُهُ دَارٌ وَشَاطِرُهُ عَلَى حُبْنِ مَدَامَهُ
أَبَاحَ لَهُ عَلَى كَيْدِ جَنَاهَا فَسَدَّدَ فِي مِقَاتِلِهِ سَهَامَهُ!
وَعَلَّمَهُ الرَّمَايَةَ وَاجْتَبَاهُ أَحَسَّ لَهَيْبِهَا وَرَأَى ضَرَامَهُ
نَدِيمُ الْأَمْسِ سَقَاهُ بِكَأْسِ وَعَضَّ عَلَى نَوَاجِذِهِ نَدَامَهُ
رَمَى الشَّيْطَانُ عَنْ فَخَّارَتِهَا فَلَنْ يَنْسَى لَهَا الْحَقُّ انْتِقَامَهُ
أَلَا لَا يَمْرَحُ الْبَاغُونَ فِيهَا عَلَيْهَا، أَوْ تَدُومُ لَهُمْ إِقَامَهُ
مُحَالٌ أَنْ تَطْيِبَ لَهُمْ حَيَاةُ وَأَثْبَتَ مِنْ رِوَاخِهَا دِعَامَهُ
عَرُوبَتُهَا عَلَى الْأُدْهَارِ أَبْقَى جَرِيحًا؟ أَوْ تَشَدُّ لَهُ ضِمَامَهُ؟
أَتَهْدَأُ وَهِيَ فِي الْغَمَرَاتِ تَأْسُو وَرَاءَ تَخُومِهَا يَشْكُو هِيَامَهُ؟
وَمَفْتِيهَا الْأَمِينُ وَمَفْتِدِيهَا وَلَا مَنَعَ الْخِيَالَ بِهَا لِمَامَهُ
فَتَى أَحْرَارَهَا مَا غَابَ عَنْهَا بَلِيلٍ أَقْسَمْتُ أَلَّا تَنَامَهُ
كَأَمْسٍ، كَعَهْدِهَا، لَمْ يَغْفُ عَيْنًا جَسُورَ النَّفْسِ جَبَّارَ الْعُرَامَةِ
يُوَلِّفُهَا عَلَى الْأَحْدَاثِ صَفًّا لَهُ التَّارِيخُ قَدْ أَلْقَى زَمَامَهُ
جَهَادٌ فِي الْعُرُوبَةِ وَاحْتِشَادٌ

* * *

جراح القلب أو رَوَتْ أُوَامَهُ؟ وقد كاد الجلاء يُتِمَّ عامَهُ لمقتتلٍ أطلال به صدامَهُ يَدُ الشهداءِ لم تتركِ عصامَهُ بأصْهَبَ تُمْسِكُ الدنيا لجامَهُ ولم تَخْفِضْ لجَبَّارينَ هامَهُ لأهوالٍ لَقِيتَ، وكم علامَهُ! يعزُّ الجنُّ أن تَرَقَى سنامَهُ فصان عراقه وحمى شامَهُ تَرَى نسرًا به وترى أسامَهُ «عُبَيْدَةَ» وهو في سيفٍ ولامَهُ على أسيافهم رفعوا خيامَهُ!	أخا الصَّبَوَاتِ هل شَفَتِ الليالي حَلَلَتْ بسوريا بعد اغترابٍ فقلْتُ: تحيَّةُ الزمنِ المعادي وأشرقَتِ الكتائبُ عن لواءٍ لأصْهَبَ من أسودِ الحربِ يمشي حواكَ جلالَةً فحنيتَ رأسًا طريقُ المجد كم أنثرَ عليه وكم جبلٍ هبطتَ برأسٍ وادٍ حميتَ الغاصبينَ خُطَى إليه بجيشٍ من «بني عدنان» فادٍ يروك «خالد» فيه وتلقى كأنَّ الفاتحينَ من الأوالي
--	--

* * *

عليه، أذاقه بطشًا وسامَهُ مخالبَ كاسرٍ يبغي التهامَهُ كأنَّ بها إلى دمه نهامَهُ تَشُقُّ بكلِّ مُعْتَرِكٍ زحامَهُ صغا متجبرٌ ووَعَى كلامَهُ صريعُ الوهم من يرجو سلامَهُ!	حُمَاةَ الشرقِ، كم في الغربِ باغٍ وكم أيَّدَ عليه مُجرَّداتٍ نائبٌ حولَ جَنَّتِهِ تعاوى فهزَّوه صوارمَ مُشرعاتٍ هو السيفُ الأصمُّ إذا تَغَنَّى أَعِدُّوا حدَّه لصراعٍ دهرٍ
--	---

بطل الريف

وَيَحِ البشير! بأيِّ سَلَمٍ نَادَى؟
تَجْنِي العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا
شمسُ النهارِ — فخالطُهُ سَوَادَا
أَتَرَاهُمُو صَبَغُوا السماءَ حِدَادَا؟
لو أَطْفَأُوهُ وَأَسْقَطُوهُ رَمَادَا
وَبُرُوقُ كُلِّ غَمَامَةٍ تَتَهَادَى
ضَرَبُوا عَلَى آفاقِهَا الْأَسَدَادَا
تَغْزُو كُھُوفًا أَوْ تَوُمُّ وَهَادَا
وقضى الوجودُ ضلالَةً وفسادَا
مَنْ نَصَّ هَذَا الْكُوكِبَ الْوَقَّادَا؟
أَيَّامَ شَعٍّ عَدَالَةٍ وَرَغَادَا
أَوْ شَيَّدُوا لِحَضَارَةٍ أَوْتَادَا
تَبْنِي الشُّعُوبَ وَتَنْسُجُ الْأَبَادَا
لا تَعْرِفُ الْعُبْدَانُ وَالْأَسْيَادَا
وَعَدِيدُكُمْ تَتَخَايَلُونَ عَتَادَا
ماءٌ بِهِ تَجْدُ الْحَيَاةَ وَزَادَا
قَدَحَتْ بِهِ كَفُّ السَّمَاءِ زِنَادَا
وَيَزِيلُ عَنْ أَوْطَانِهِ اسْتِعْبَادَا

لا السيفُ قَرٌّ ولا المحاربُ عادَا
الأَرْضُ من أجسادٍ من قُتِلُوا بِهَا
فاض السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعَتْ
رَأَتْ الْحِدَادَ بِهِ عَلَى أَحْيَائِهَا
وَدَّ الطُّغَاةُ بِكُلِّ مَطْلَعِ كُوكِبٍ
وَتَخَوَّفُوا وَمَضَ الشَّهَابُ إِذَا هَوَى
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَصَلُوا السَّمَاءَ بَعْلِمِهِمْ
لَوَلَا لَوَامِعُ مِنْ نُهَى وَبِصَائِرٍ
لَمْ يَرْقَ عَقْلٌ أَوْ تَرْقَ سَرِيرَةٌ
رَاعَ الطُّغَاةُ شُعَاعُهُ فَتَسَاءَلُوا
إِنْ تَجْهَلُوا فَسَلُّوا بِهِ آبَاءَكُمْ
هَلْ أَبْصَرُوا حُرِّيَّةً إِلَّا بِهِ
حَمَلَتْ سَنَاهُ لَهُمْ يَدُ عَرَبِيَّةٍ
هِيَ أُمَّةٌ بِالْأَمْسِ شَادَتْ دَوْلَةً
جُرْتُمْ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ بَعْدَكُمْ
وَمَنْعْتُمُوهَا مِنْ مَوَاهِبِ أَرْضِهَا
فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فَتَى مِنْ نُورِهَا
سَلَّتْهُ سَيْفًا كِي يَحْرَرَّ قَوْمَهُ

ما بالكم ضقتُم به وحشدتُم
أشعلتُموها ثورةً دَمَوِيَّةً
حتى إذا أُوهِى القتالُ جَلَدَكم
جئتُم إليه تُهادِنون سُيُوفَهُ
وكتبتمو عهدًا — بحدٍّ سيوفكم —
من دونهِ الأسيافَ والأجنادًا
لا تعرفون لنارها إخمادًا
ومضى أشدَّ بسالةً وجَلادًا
وسيُوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادًا
مَرَقْتُمُوهُ ولم يَجِفْ مِدادًا

* * *

الأهلُ أهْلُك، يا أميرُ، كما ترى
أنَّى نزلتُ بمصرَ أو جاراتِها
مدَّتْ يديها، واحتوتْكَ بصدرها
ولو استطاعت رَدَّ ما استودَعَتْها
وأَتَتْكَ بالذِّكْرِ الخوالِدِ طاقَةً
ماذا لَقِيتَ من الزمانِ بصخرةٍ
وبَلَوْتَ من صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِم
جعلوا البحارَ، ومثلُهنَّ جبالُها،
دُعُهم! فأنتَ سَخَرْتَ من أحلامهم
عشرين عامًا، قد حَرَمْتَ عيونهم
يَتَلَقَّتون وراءَ كُلِّ جزيرةٍ
من أيِّ وادٍ ... موجةً هَتَفَتْ بِهِ
لو أنصفوا قَدَرُوا بطولةَ فارسٍ
نادَى بأحرارِ الرجالِ فقرَّبوا
يدعو لحقٍّ أو لإنسانيَّةٍ
شيخُ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أن ترى
«الرَّيفُ» هَبَّ منازلًا وقبائلًا
حَنَ الحُسامَ لِقَبْضَتَيْكَ، وَحَمَحَمَتْ
وعلى الصَّحارى من صَدَاكَ مَلَجِمٌ
أَوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُدَاءَ، وَاللَّهْمَتْ
عبدُ الكريمِ انظُرْ حيالك هل ترى
والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وَعِمَادًا
جئتُ العُروبةَ أُمَّةً وَبِلَادًا
أُمُّ يَضُمُّ حنانُها الأولادًا
رَدَّتْ عليك المَهْدَ والميلادًا
كأَجَلٍ ما جمعَ المحبُّ وهادى
قاسَيْتَ فيها غُرْبَةً وَوَحادًا
فيها الليالي والسنين شِدَادًا
سَدًّا عليك وأوسعوك بِعادًا
وأَطْرَتْهُنَّ مع الرياحِ بِدادًا
عُمَضُ الجفونِ، فما عَزَفَنْ رُقَادًا
ويسائلون الموجَ والأطوادا
ومضى، فحمَّلَها السلامَ، وعادا
لبلادِهِ بَدَمَ الحُشاشَةِ جادا
مُهْجًا تموتُ وراءَهُ استشهادا
تأبى السجونَ وتَلَعُنُ الأصفادا
هذي الفتوحَ وهذه الأمجادا
يدعو فتاهُ الباسلِ الدَّوَادا
خَيْلٌ تُقَرِّبُ من يديك قِبادا
تُشْجِي النُّسُورَ وتُطْرِبُ الآسادا
فُرسانهم تحت الوغى الإنشادا
إِلَّا صراعًا قائمًا وجهادا

الشرق أَجْمَعُهُ لواءً واحدٌ
لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
سالت حلوقَ الهاتفين دماً، وما
فصُغَ البيانُ به، وأنطقَ حدُّه
كَذَبَتْ مودَّاتُ الشِّفاهِ ولم أجِدْ
نَظَّمَ الصفوفَ وهيَّأَ القُودا
أو يَنسَ من مُتَرَقِّبٍ ميعادا
هزُّوا لطاغيةَ الشعوبِ وسادا
يَسْمَعُ إليك، مَكْرَرًا ومُعادا
رغمِ العداوةِ كالسيوفِ ودادا

لَهَجَتْ قلوبٌ بالذي صَنَعَتْ يَدُ
حَمَلَتْ نَدَى مَلِكٍ، وَنَخْوَةَ أُمَّةٍ
وَحَمَتْ عَزِيْزًا لا يَقْرُ، وَأَمَنْتُ
فَادٍ مِنَ الْغُرِّ الْكُمَاةِ مجاهِدُ
جارت عليه الحربُ ثم تعقَّبتْ
زُغْبٌ صِغارٌ مثل أفراخِ القَطَا
هو من رواسي المجدِ إلا أَنَّهُ
رَجُلٌ رَأَى شَرًّا، ففادَى قَوْمَهُ
ظلموا هواه إِذْ أَحَبَّ بِلادَهُ
شَدَّتْ لِجُرْحِ الْمُسْلِمِينَ ضِمادا
صانَت بها شرفًا أَشَمَّ تِلادا
حُرًّا يِقاسِي الجورَ والإِبعادا
تَتَنازَعُ الأَلامُ مِنْهُ فِؤادا
فِي السَّلْمِ تَحْتَ جَنَاحِهِ أَكبادا
وَحرائِرُ بَتْنِ السَّنينِ سُهادا
عَصَفَ الزَّمانُ بِجَانِبِيهِ فَمادا
وَأَحَسَّ عاديَّةً، فَهَبَّ، وَرَادَى
ما كان ذَنْبًا أَنْ أَحَبَّ ففادَى!

إندونيسيا

أم الشمس يجري فوق صفحتها الدم؟
سيوفٌ تُغْنِي أو حتوفٌ تُرْنَمُ
على جُثثٍ منهن يرَوَى وَيَطْعَمُ
وهنَّ لأهل الغرب نهبٌ مُقَسَّمُ
يُدارُ على الشربِ الرحيقُ وَيُسْجَمُ
كَأَنَّ صداه الغيبُ، لو يتكلَّمُ!
وتُشفِقُ أنواءٌ، وَيَفْرُقُ عَيْلَمُ
فلا تَمَّ آفاقٌ، ولا تَمَّ أنجمُ
إذا الأرضُ غشاها ضلالٌ ومأثمُ
من العيش ما يَقْضِي القوي وَيُبرِّمُ
يُبَاعُ وَيُشْرَى فيهم وَيُسَوَّمُ
لمغتصبٍ، أو من عذابٍ تَأَلَّمُوا!
وفيم أحلَّوه لقومٍ وحرَّمُوا؟
على الحقِّ، بل روحٌ على الجور يَنْقُمُ
على الأَمْسِ كانت كالمزامير تُنْعَمُ
من النَّارِ تُذَكِّيها رياحُ تَهْزُمُ
أُضِيعَ، وحقٌّ يُسْتَباح وَيُهْضَمُ
إلى النور، يطويها ظلامٌ مُخَيَّمُ

سحائبُ حمزٍ؟ أم سماءٌ تَضَرَّمُ؟
على مَشْرِقِ الإصباح من «إندونيسيا»
وفوق رُباهَا يزحفُ الموتُ ضاحكًا
فراديسُ شرقٍ زِيدَ عنهن أهْلُهُ
يُدارُ بها ماءُ الجماجمِ مثلما
وفي أرضها أو أفقها صوتٌ مُخَنَقُ
تميد الصحارى والجبالُ لوقعه
وترتدُّ حتَّى الشهبُ عن سَبَحَاتِها
وفيم تُضيءُ الشمسُ أو يشرق السَّنا
وأصبح فيها المضعفون وحظُّهم
أذلاءُ إنَّ ناموا، أرقَّاءُ إنَّ صحوا
يُسَمَّوْنَ ثَوَارًا إذ ما تجهَّموا
لآيةٍ إنسانيةٍ ذلك الوغَى؟
رويدا بُناةُ الكونِ، ما تلك ثورةٌ
وما هي إلَّا منكمو رَجْعُ صيحةٍ
هو الشرقُ ثارت روحُه فهو لُجَّةٌ
يُنَادِي بعهدٍ بين يومٍ وليلةٍ
وحريةٍ موءودةٍ، طال شوقُها

تُداسُ، وَيُؤْبَى أَنْ يَبُوحَ لَهَا فَمُ!
جَلالُكَ موفورٌ، وَعَهْدُكَ مُكْرَمُ
كَأَنَّكَ فِيهِمْ عَنْ «سَلِيمَانَ» تَحْكُمُ
وَفِي راحَتِكَ السَّبْعَةُ الْخَضِرُ تُسَلِّمُ
لِغَيْرِكَ، أَوْ يَبْعُدُ بِهِ عَنْكَ مَغْنَمُ
عَلَى أَمَّةٍ عِزْلَاءَ بِالسَّلْمِ تَحْلُمُ؟
بَأَجْنَحَةٍ تَغْزُو النُّجُومَ وَتَرْحُمُ
عَلَى نَسَمَاتٍ فِي الْغُصُونِ تُهَيِّمُ؟
تَنَازَعَهَا «الْمِيكَادُ» غَضَبًا وَ«وَلَهُمُ»
يُرَادُّ بِهِمْ أَنْ يُمْسَخُوا أَوْ يُحَطَّمُوا!
مَنْ الدَّهْرُ هَذَا الْبَارِقُ الْمَتَبَسِّمُ
وَطِيفُ بَرُؤْيَاهِ نُسْرٌ وَنَنْعَمُ
نَذِقُ مِنْ نَعِيمِ الْعَيْشِ مَا نَتَوَهَّمُ
تُمَثِّلُ مِنْهُ بَعْضُ مَا كُنْتَ تَزْعُمُ!
لَنَا فِي مِرَاقِي الْعِلْمِ وَالْفَنِّ سَلْمُ
طَمُوحٌ، وَقَلْبٌ بِالْمَحَاسِنِ مُغْرَمُ
مَآثِرَ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَهَدَّمُ
أَوَائِلُنَا، لَسْنَا عَلَى الْبِذْلِ نَنْدَمُ!
بِهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ تَقْدَمُوا
لَهُ أَثَرٌ فِي الْكُونِ أَسْمَى وَأَضْحَمُ
أَيْيَادِهِ شَتَّى، حُسْنِيَّاتٌ وَأَنْعَمُ
فَفِي ضَوْؤِهِ لِلْحَقِّ هَدْيٌ وَمَعْلَمُ
يَلْنُ مِنْكَ قَلْبٌ بِالْحَدِيدِ مُلْتَمِّمُ
مُقَامًا، وَأَنَا أَمَّةٌ لَيْسَ تُظْلَمُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ... فَالْشَّرُّ بِالْشَّرِّ يُخْسَمُ!

مُكَبَّلَةِ الْكَفَّينِ، مَغْلُولَةِ الْخُطَى
سَلَامًا، سَلَامًا، سَيِّدَ السَّلَمِ وَالْوَعَى
وَيَعْنُو إِلَيْكَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ طَاعَةً
وَبَيْنَ يَدَيْكَ الْأَرْضُ تُلْقِي زَمَامَهَا
وَلَمْ تَبْقُ فِي الْكُونِ السَّحِيقِ رَحَابَةً
فَمَا لَكَ بِالْأُسْطُولِ وَالْجَيْشِ وَاثِبًا
وَتَنْقُضُ مِثْلَ النُّسْرِ فَوْقَ سَمَائِهَا
الْأَقْيَمْتَ فِي أَجَوَائِهَا غَيْرَ طَيْرِهَا
وَأُبْصَرْتَ إِلَّا أَمَّةً مِنْ «مُحَمَّدٍ»
مَلَائِينَ مِمَّنْ كَرَّمَ اللَّهُ خَلْقَهُمْ
أَنْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا رِضَاكَ، وَحَسْبُنَا
سَرَابٌ مِنَ الْأَوْهَامِ نُسْقَى بِلَمْعِهِ
وَدَعْنَا بِمَعْسُولِ الْمُنَى وَوَعُودِهَا
وَنُبْدِعُ لِهَذَا الْكُونِ فِي الْوَهْمِ صُورَةً
فَإِنَّا شَعُوبٌ مِنْ سُلَالَةِ «آدَمَ»
لَنَا خَطَرَةٌ تَهْوَى الْخِيَالَ، وَنَظَرَةٌ
عَلَى أَنْنَا نَبْنِي عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى
وَنَزْعَى مَوَاقِيقَ الْوَفَاءِ، كَمَا رَعَتْ
مِنَ الصِّينِ حَتَّى سَاحِلِ الْغَرْبِ عَالَمُ
بَنُوهُ حَضَارَاتٍ ضَخَامًا، وَلَمْ يَزَلْ
نِظَامُ مِنَ الشُّورَى وَعَهْدُ مِنَ الرِّضَا
سَلَّ الْعَامَ إِنْ أَوْفَى عَلَيْكَ هَلَالُهُ
لَعَلَّكَ إِنْ يَمْسَسُكَ مِنْ نُورِهِ سَنَا
وَيُنْبِئُكَ أَنَا لَا نَطِيقُ عَلَى الْأَدَى
عَلَى الْحَقِّ نَجْزِي مِنْ جَزَانَا بِحَقُّنَا،

في صفوفِ المجاهدين

آب الزعيمُ اليوم من أسفاره
نَصَلَ الدُّجَى ألقى عصا تسياره
لِيُنْقِلَ التاريخ في أدواره
ورمى بأسره وذل إساره
ضرب الوجودُ بها وراء بحاره
في مائج مُتَلَتِّمٍ بخطاره
ويروع وحش البحر صَمْتُ قراره
حتى أُتِحْنَ فكنَّ من أخباره
يطلعُ بها زمنٌ على حضاره
يا من غدا التاريخُ من آثاره
حربَ الفدائيين من أنصاره
والكونُ كيف يضيّق عن أحراره
يجري الدمُ القاني ومن أظفاره
«داودُ» لما يَشْدُ في مزماره
والبرقُ، بعضُ دخانه وشاره
أنَّ المآمنَ هن من أخطاره
ودمُ الجناية صارخُ بيساره
كالليل بدَّه الضحى بمناره

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره
جأب البحارَ إليكم حتى إذا
هذا الذي قدر الإله حياته
الأعزلُ المنفَى فارق قيده
عجبًا يُخافُ مطارِدَ بجزيرة
فَيَجْشُمُ المنفى البعيدَ بصخرة
تخشى أساطيلُ الغزاة عبوره
سَيرُ من الأمجاد لم يُسمَعْ بها
تلك البطولة لم تكن يومًا ولم
قم حدثُ التاريخ غير مُكْذَّبٍ
أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا
والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحماؤها
والغاصبُ السِّفَّاحُ من أنيابه
يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم
تحت الرَّمادِ وميضُ نارٍ، فالدجى
رُدُّوا السلامَ إلى الحوادثِ تشهدوا
حملَ البشيرُ قميصَه بيمينه
هذا ضياءُ العدل بدَّ ظلمهم

* * *

سعدُ أهلٌ به وسعدُ جاءكم
فاستقبلوه كعهدكم وتخيروا
قالوا: نفييت! فهل نفى الهوى
لا تلح من كفروا بدعوتك التي
آثامهم فزعت بخالقهم فدع
والله لو لمسوا فؤادك لانتنوا
ومحا سناه ظلام أنفسهم وما
الشعب مثل البحر إن يغضب فما
ورجاله الأبطال، ويح رجاله
خاضوا الحتوف فما انتنت عزماؤهم
طلعوا على حصن الظلام فزحزحوا
قذفوا به غضب السرائر فانظروا
أمسى ورايات الجهاد خوافق

بالحق أبلج في سماء دياره
لجبينه العالي مضفر غاره
ظلم سقيت الأمس كأس عقاره
وضحت وخل أذى المسيء وداره
لله حكم الله في كفاره
جزعين مما لامسوا من ناره
حملن من ذل النكوص وعاره
تقف السدود الشم في تياره
لم يهدوا والظلم في تهداره
عن قاهر الوادي وعن جباره
أجاره ومشوا إلى أغواره
للحصن يسقط في يدي ثواره
حمر منشرة على أسواره

شهيد ميسلون

مهلاً! فديتك، ما الصباح بواضح
فجأتك بالشوق الملح البارح
ووثبت في غسق الظلام الجانح
حمرأء ترعش في وميض لامح
هوجاء تُنذر بالقضاء الجائح
هانت على سيف المغير الطامح
ترعى خطاك على ربي وأباطح
بجوانح مشبوبة وجوارح
أيقنت أنهم فريسة جارح
السابحون على السعير اللافح
شتى جماجم في التراب طرائح
مُهَجًا تضرّم في حطام صفائح
ألفيت، ما ألفت غير جرائح
دموية، رأييت أي مذابح
ماجت بباغ في دمايك سابح
ذات الجلالة تحت سيف الفاتح!
شماء من جلادها المتصايح
في «ميسلون» دم الشهيد النازح

هَبَّ الكميُّ على النفير الصّاح
أيّ الملاحم بين أبطال الوغى
فقضيت ليّك لا هدوء ولا كرى
والشرق من خلف الجبال غمامة
سلّت حراب البرق فوق سمائه
هي صيحة الوطن الجريح وأمة
قرنت بحظك حظّها فتماسكت
في موكب الفادين مجد «أميّة»
لو قستهم بعدوهم وسلاحه
الخائضون الفجر بحر مصارع
الناهضون على السيوف وتحتها
الرابضون على الحصون خرائباً
صرعى ولو فتشت عن أجسادهم
يا «ميسلون» شهدت أي رواية
ووقفت مُنَحَنّة الجراح بحومة
تتأملين «دمشق» يا لهوانها!
جرّت حديد قيودها وتقدّمت
نسيت أليم عذابها وتذكّرت

من هبَّ في غسق الظلام يحوطها
وتَسَمَّعتُ صوتًا فكان هتافُهُ
أُمَّا! خانتني المقادر فاغفري
بذراع مقتتلٍ وصدرٍ مُكَافِحِ
يا للحبيب من المحبِّ البائِحِ!
قَدَّرِي، وإن قلَّ الفداء فسامحي!

«فيحاء» إن نصَّتِ حواليكِ القرى
وتواكب الفُرسان فيك وأقبلوا
وشدا الرعاةُ الملهمون وأغرقوا
أقبلتُ بين صفوفهم مُتَقَرِّبًا
حيث الشهيد رنا لمطلع فجره
وتَلَفَّتْ لِكَ رُوحُهُ فتمثَّلتُ
حيث الرُّبى في «ميلسون» كأنما
وكأنما غَسَلَتْهُ «بغدادية»
أسعى إليه بكلِّ ما جمعتُ يدي
وهو الجدير بأن أُحْيِيَ باسمه
من كلِّ حُرٍّ، نافِضٍ مما اقتني
أو كُلِّ فادٍ بالحياة عَشِيرَهُ

أعلامها، وازَيَّنتُ بِمصباحِ
بالغار بين عَصَائِبِ ووشائِحِ
أبهاء ليلكِ في خِصْمٍ مفارِحِ
بأزاهري، مترنمًا بمدائِحِ
ورأى الغمائمَ في الفضاءِ الفاسِحِ
وَجَّهَ البطولة في أرقِّ ملامِحِ
تهفو إليه بزهرها المُتفاحِ
بدموع مَلِكٍ في ثراكِ مراوِحِ
وبكل ما ضُمَّتْ عليه جوانحي
في الشرق كلَّ مناضلٍ ومنافِحِ
يده، ووهَّابِ الحشاشةِ مانِحِ
لا القول في خُدَعِ الخيالِ السانِحِ

قُلْ للدعاة المحسنينَ ظنونهم
لا تُغريَنَّكم وعودُ محالفٍ
تمضي السنون وأنتم من وعده
والله لو حسر القناع لراعكم
من كلِّ مَصَّاصِ الدماءِ مُنَوِّمٍ

بالغرب: ماذا في السَّرابِ لماتِحِ؟
يطأ الممالك بادِّعاءِ مصالِحِ
تَتَقَلَّبُونَ على ظهور أراجِحِ
قَبْرُ أَعْدَ لَكُمْ وَخِنْجَرُ ذابِحِ
يُدْعَى بِمنقذِ أمةٍ وَمُصالحِ!

يا «يوسف» العظمت غرسك لم يَضَعْ
قُمْ لحظةً وانظُر «دمشق» وقُلْ لها:

وَجَنَاهُ أَخْلَدُ من نتاجِ قرائِحِ
عاد الكميِّ مع النفيرِ الصَّادِحِ

شَهِيدٌ مُسْلِمُونَ

ودعاكِ يا بنتَ العروبةِ فانهضي واستقبلي الفجرَ الجديدَ وصافحي!

سوريا وعيد الجلاء

تحية واعتذار

يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَارَا
لَمْ يَمْتَشِقْ فِيكَ سَيْفًا أَوْ يَخْضُ نَارَا
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَامًا وَأَسْوَارَا
دَمًا يُرَوِّي الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَا
يَوْمَ تَبَارَكَ أَنْدَاءٌ وَأَسْحَارَا
عُرُوبَةٌ فِيكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالْدَارَا
نَارًا، وَهَاجَ النَّسِيمُ الْعَذْبُ إِعْصَارَا
شَدَّتْهُ قَوْسًا، وَسَلَّتْ مِنْهُ بَتَّارَا
مَدَّ النَّبُوغُ لَهُمْ فِي الْخَلْدِ أَعْمَارَا
سَمَّاهُمُ الْغَاصِبُ الظَّلَامُ ثُورَا
عَلَى الطَوَاغِيتِ حِصْنُ الظُّلْمِ فَاثَارَا

هَنَأْتُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَارَا
دَمَشَقُ! يَا بَلَدَ الْأَحْرَارِ، أَيُّ فِتْنَى
ذَوْدًا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ، مِنْ دِمِهِ
زَكَتْ «أُمِّيَّةٌ» فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرِفُهُ
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلَ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
لَوْلَا مَصَابُ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
وَرَوَّعَ الْأُمَّةَ الْغُلَبَاءُ فِي رَجُلٍ
مِنَ النَّوَابِغِ أَعْمَارُ إِذَا قَصُرَتْ
أَحْرَارُ مَمْلَكَةٍ فِي الرَّأْيِ مَا أَثْمُوا
ثَارُوا عَلَى الْقَيْدِ حَتَّى انْحَلُّ، وَاقْتَحَمُوا

* * *

أَطَوَى بِهِ الْجَوَّ آفَاقًا وَأَقْطَارَا
تَحْتَ الصَّفَائِحِ مَقْدَامًا وَمِغْوَارَا
مَا يَنْظُمُ الْمَدْحَ الْحَانَا وَأَشْعَارَا!

لَوْلَاهُ كَانَ إِلَيْكَ الْبَرْقُ رَاحِلَتِي
وَجِئْتُ «فِيحَاءُ» أَزْجِي الشَّعَرَ مُفْتَقَشْدَا
وَالْمَفْتَدُونَ، شُرَاةُ الْخَلْدِ، قَلَّ لَهُمْ

في عالم الذكرى

محمد صبري أبو علم باشا

رغم الفراق بهذا العالم الفاني
عن صفحتي مَرِح في الخلد جَدْلَانِ
عينين حَدَّثَتَا عن رُوحِ فَنَّانِ
كعهديه، وأراه مِلء وجداني
ما في طباعك من حُسْن وإحسانِ
أُنْكِ بحكمتهم أحلام شُبَّانِ
في منطق جهوري الصَّوتِ رَنَّانِ
وفي النَّرى منه زاهرٌ، فوق أفنانِ
فلم تَرُعْهُ بأشكال وألوانِ
لا خوفَ بطشٍ ولا زُلْفَى لسلطانِ
حرًّا، ويجري حبيسًا بين شطآنِ
شَتَّى روائع في حقل وبستانِ
عنه، ويُغْرِقُ فيه كلُّ بهتانِ
لا يأمن العدلُ فيه سطوةَ الجاني
صُنْعُ السماءِ تُرى؟ أم صُنْعُ إنسانِ؟

أَلْقَاكَ في عالم الذكرى وتلقاني
أرْنو إلى وجهك الضَّاحي فيشرقُ لي
وأَجْتَلِي لَمَحَاتِ العَبْقَرِيَّةِ في
لَأَنْتَ حَيٌّ برغم الموت، أَسْمَعُهُ
عذبُ البيان، سَرِيُّ اللفظ مَازَجُهُ
يُذْكِ الشيوخَ بأحلام الشبابِ وكم
أَصْغِي إليك، عميقَ الفكر، ملتَمِعًا
كالغيث يلمعُ في الأفاق بارقُهُ
عَفُّ الضمير حَوَى الدنيا بنظريتهِ
مُقَيَّدٌ بعريقٍ من خلائقهِ
كالنهر يقتلع الأسدَّاء، منطلقًا
يُعْطِي الحياةَ لأقوام وينشرها
تَمَثَّلُ الحقُّ يرمي كلَّ شائبةِ
حامي القضاء وراعي العدل، في بلد
ورافع الصَّرح لاستقلاله، عَجَبًا!

هذي المواكبُ من قاصٍ ومن داني
صدى هُتافك في جنّات رضوانٍ؟
يا صاحبَ الخلد هذا يومك الثاني!

صبري! أحقَّ طواك الموتُ؟ كيف؟ وما
كالأمس ضجّت فهل أَسْمَعَتْ هاتفها
قُمْ بَشِّرِ الحقَّ واخطبْ في كتابه

* * *

حين الشبابِ رُؤى غيدٍ وألحانِ
كهلاً يُصاول عن أهلٍ وأوطانِ
بحبها، مَنْ لهذا المدنّف العاني
عادي الردى، وهو لا واهٍ ولا واني
سيفاً خضيباً وجرحاً من دم قاني!

يا واهبَ الثورة الكبرى يَفَاعَتَهُ
وصاحبَ العهدِ لم يطرحْ أمانتهُ
وَقَفْ على مصرَ هذا القلبُ مُتَّقِداً
قد استبدّت به، حتى استبدّ به
يا للشهيد صريعاً ملء حومته

* * *

هيهات يُسَلِّمها دهرٌ لنسيانِ
على مسماعِ أجيالٍ وأزمانِ
أوطانهم، وأناشيدٍ لفرسانِ
على أساسٍ من الشورى وأركانِ
بسيفٍ باغٍ ولا أصفاد سجانِ
على دموع وآلامٍ وأشجانِ
فيما يرى الجيلُ من مرفوعِ بنيانِ
وسائل الأثر الباقي: مَنْ الباني؟

هذي الصخائفُ من مجدٍ ومن شرفٍ
نخائرُ الوطن الغالي يُرْتَلُّها
فيها أغانٍ لعشاقٍ قد افتقدوا
أحرارُ مملكةٍ أَرْسَوْا دعائمها
لم يَرْهَبُوا سَوْطَ جَلَادٍ ولا حَفَلُوا
ولا أقاموا على ذلٍّ وإنْ ذهبوا
همو البُناةُ وإنْ لم يذكروا يَدُهُمْ
لا تسألنَّ الضحايا عن مآثرهم!

* * *

بالقلب، إلّا وهاجت نارَ أحزانِ
أأربعونَ مَضَتْ؟ أم مَرَّ عامانِ؟
وأنسيَتَ كلماتي شِدْوُ أوزاني
قد صاغه الله من حقٍّ وإيمانِ
وقبَلْتُ جُرْحَهَا في قلبه الحاني!

نذكركَ ما سنحت للفكر، أو عَبَرْتُ
فَزَعْتُ منها إلى الأوهام أسألها
قد أذهل الخطبُ شعري عن شواردهِ
فجئتُ أجريه دمعا في يدي رجُلٍ
هذا الذي باركت مصرُ زعامتهُ

الأمير المجاهد

رزء النُّهى وفجیعةُ الأَقلامِ
بصفوفهم مستقتلِ مقدامِ
في الشرقِ وحیَ یراعةٍ وحسامِ
أصریحِ حربٍ أم شهیدِ سلامِ؟
خُضَّتِ الحیاةُ كثیرةَ الآلامِ
هُوجٌ وموجٌ مُزبدٍ مترامي
مُتَجَبِّرٌ، أو غاصبٍ ظلامِ
في مَوَكِبٍ من نائدينِ كرامِ
متجمِّعينِ على هوى ووائِمِ
سیلُ الرُّبى وشوامخِ الأعلامِ
دَعَاَ النفوسِ وصحَّةَ الأجسامِ
قلماً یصاولُ دونه ویحامي
في الله عَن عَرَبٍ وعن إسلامِ

رزءُ العروبةِ فیکَ والإسلامِ
هو مَأْتَمُ الأحرارِ في متوئِبِ
أبأ المثالیين صوتُکَ لم یزل
وَنَدَاءٌ فادٍ تسألُ الدنیا به
لخلاصِ دارٍ أو فکاکِ عَشیرةٍ
واجتزتِ جِسْرَ العمرِ بین عواصفِ
وشهرتها حرباً على مستعمرِ
تَلْقَى ببسمتک العریضة نارها
متفرِّقين على البعادِ منازلًا
كالبحرِ ماجٍ وفي غواربه التَّقی
وقفوا الحیاةَ على الجهادِ وقربوا
إرثُ الجدودِ الصيدِ أنتَ وهَبَّتْهُ
وشبابٌ مهذورِ الدماءِ مجاهدٌ

* * *

مَسْحُورَةُ الأفنانِ والأکمامِ
أعلامُ آلهةٍ على أطامِ
مسرَى البیانِ ومسبحُ الإلهامِ

الشاعرُ الغریذُ نازحُ جَنَّةِ
أفياؤها ظلُّلُ الدهورِ، وأرزها
قامت على جَبَلٍ أشمٍّ، سماؤه

تُهدي إليه بكل مغرب كوكبٍ أشواقٍ نضوي لوعةٍ وغرامٍ
أُمُّ تحنُّ إلى لقاءٍ نجيبها وأبُّ، هو الوطن المشوق الظامي
يتساءلان متى الإيابُ؟ ويومُهُ يومُ الرحيل، ولات حين مقامٍ

مرَّت «جنيفُ» بخاطري فتمثَّلْتُ صُورُ الشهيد كأنهنَّ أمامي
متوحدًّا في غُرْبَةٍ، متوقِّدًا بصبايةٍ، متفرِّدًا بسقامٍ
شيخٌ يدبُّ على عصاه، وقلْبُهُ متوثَّبُ الآمال والأحلامِ
يطوي الثمانين الوضاءَ مَليئةً بمواكبٍ للذِّكرياتِ ضخامِ
وجلائلُ للمأثراتِ موائلُ وجحافلُ للحادثاتِ جسامِ
هيئات ما أوهتِ قواه ولا ثنَّتْ من خطوه عن غايةٍ ومَرامِ
هيئات ما نالت على إرهاقها من قلبه في نَضْرَةٍ ووسامِ
هيئات ما شابتُ بمُرٍّ مذاقها فيه حلاوةُ روحه البَسَامِ
طلَّقُ الجبين على نديِّ شمائلٍ كالفجر بين أشعةٍ وغَمَامِ

يا ابنَ الإمارةِ نافضًا من إرثها يدُهُ لِنَضْرَةٍ مبدأٍ وزمامِ
حيث الغنى والجاهُ فتنةٌ معشر عن قومهم متخلفين نيامِ
صفٌ كيف أبصرت الحياةَ وأنت في عزِّ الملوكِ وهيبةِ الحُكَّامِ
ورأيت دنيا المالكين بعالمٍ متخوِّنٍ، متلوِّنٍ، هَدَّامِ
تومي إليك قصورهم وكأنها عينٌ مقرَّحةٌ وقلْبٌ دامي
ومشيت تُنذِرُ والوعى مُتَسَعِّرُ والأرضُ غرقى في دمٍ وضرامِ
في حومةٍ من قاهرين تربَّصوا بالمضعفين منافذَ الأيامِ
عنَّتِ الشعوبُ لسيفهم فتألَّبوا يتنازعون مصايرَ الأقوامِ
يأبى يراعك أن يُفارق راحةً خُلِقَتْ لردِّ تحيةٍ وسلامِ
بيضاءَ ملهمةُ البنانِ مزاجها فيضُ من الأضواءِ والأنغامِ
أخذتُ خناقَ الظلم فاستخذى لها وارْتَدَّ يستر وجهه بلِثامِ
وتعقَّبَتْهُ تهزُّ قبضةٍ ثائرٍ فإذا الحديدُ بها صديقُ حطامِ

وَإِذَا الْحِصُونُ الشَّامَخَاتُ حَجَارَةً
وَإِذَا الْمَجَاهِدُ تَحْتَ غَارِ جِهَادِهِ
رُوحٌ يَهْزُ الشَّرْقَ مِنْ أَعْمَاقِهِ
وَيَدٌ تُعَانِقُهُ بِرَغَمِ مَنِيَّةٍ
مَنْثُورَةٌ، وَالنَّارُ سُحْبٌ قَتَامٍ
طُهِرُ الْيَدَيْنِ مُخَضَّبُ الصَّمَامِ
وَسَنًا يَمْزِقُ عَنْهُ كُلَّ ظَلَامٍ
وَفَمٌ يُقَبِّلُهُ بِرَغَمِ حَمَامٍ

مصرع سياسي

كم شهيد فيك مهدور الدماء
كلُّ غالٍ من متاعٍ ودمٍ
إيه يا مصرُ، خُذي ما شئتَه
قيل: أودى «بأمين» قاتلُ
كيف يُودى بفتى من خُلِقِه
كمنَ الغدر له، ثم رمى
صاعدًا يرقى على سُلّمِه
دمُه المسفوك حُبٌّ وندى
ورحيقُ عطرٍ من نفحه
وهوى للوطن الحر الذي
لو أتاه نباٌ عن قتله

* * *

فتنة حمراء شبت نارها
عربدت هوجاء واستشرت قوى
باطل، إن مرّت الرّيحُ به
وإذا ما لمح النّور جرى
لا تقولوا: طائشٌ في رأيه
شهواتٌ ينتحين الأبرياء
واستبدّت بعقول الضعفاء
طارَ عن صاحبه وهو هباءٌ
وتخفى تحت جُنح من مساءٍ
إنما الرأي من الغدر براء

إِنَّمَا النَّاسُ لَهُمْ آرَاؤُهُمْ وَهُمْو الْأَحْرَارُ فِيهَا الطُّلُقَاءُ
وَعَلَى وَدٍّ وَبِرٍّ وَهْدَى لَهُمُو فِيهَا فِرَاقٌ وَلِقَاءُ
غَيْرَ مَا مَسَّ دَمًا فَاجْهَرْ بِهِ وَتَحَدَّ الْحَاكِمِينَ الْأَقْوِيَاءُ
وَإِذَاكَ الْأَوْطَانَ لَا تَأْخُذُ بِمَا يَكْتُبُ الْحَقْدُ وَيُمْلِيهِ الْعِدَاءُ
لَيْسَ مِنْ مِصْرٍ وَلَا مِنْ أَهْلِهَا مُزْهَقُ الْأَرْوَاحِ أَوْ مُجْرِي الدَّمَاءِ

* * *

يَا زَعِيمَ الشَّعْبِ هَذِي مُحَنَّةٌ فَوْقَ مَا يَحْمِلُ طَوْقُ الزُّعَمَاءِ
لَيْسَتْ الْأُولَى وَقَدْ كُنْتُ لَهَا غَرَضًا، مِنْهُ لَكَ الرُّوحُ وَقَاءُ
قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا قَدَّرَهُ لَيْسَ يُعْفَى مِنْهُ سَكَانُ السَّمَاءِ
مَنْ يَكُنْ مِثْلَكَ فِي إِيمَانِهِ كَيْفَ أَدْعُوهُ لَصَبْرٍ أَوْ عِزَاءِ
إِنْنِي أَرِثِي لِمِصْرٍ رَجُلًا مِصْرُ مَنْ فِيهِ أَحْرَى بِالرِّثَاءِ!

أرواح وأشباح

١٩٤٢

الإهداء

إلى صاحب تاييس وسافو وأفروديت والزنبقة الحمراء صديقي الكاتب الكبير
أحمد الصاوي محمد.
تحية لأدبه وحبه.

علي محمود طه

هذه الأرواح والأشباح

بقلم علي محمود طه

هذه الأرواح، تهيم أشباحها ويدور حوارها في صفحات هذا الكتاب، يعيش بعضها في عالم الحقيقة، ويضطرب البعض الآخر بين عالمي الأساطير والخرافات، لم أسع إليها عن عمد، ولم ألقها مصادفة، ولكني تبينتها صورًا يتمثلها خيالي، وحديثًا يتردد في خطرات نفسي، فوجدت مطابقة بينها وبين أشخاص قرأت لهم وسمعت عنهم، ورأيت اتفاقًا ومواءمة بين ما نزعوا إليه في عالم الروح وما صنعوه في عالم المادة؛ فعرضت للطبائع والغرائز والأهواء، واستعرضت الوقائع والآثار والأسماء، فأيقنت أن كلاً يكاد يكون المعنيّ بهذا الحوار، المتسقة طبائعه وغرائزه على هذا الغرار.

وحبب لي هذا الجو الإغريقي الساحر، وأساطيره الغادية الشادية، أنني وأنا أتمثل هذه الأرواح صورًا، وأستلهمها إحساسًا وفكرًا، خيل لي أن روحي قد انسرقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة، أو لحظات الشرود الإلهي، مأخوذة بما ترى، مشفقة مما تسمع، وكأني بها وراء سحابة في عالمها الذي سبق لها أن عاشت فيه عند بعثها الأول، ووجدت نفسي في طريق أفلاطون ومثله العليا، فتنفست في هذا الجو طليقًا حرًا لا تقيدني بيئة أو عقيدة، ولا يحد من حريتي حذر أو اتهام، وأرسلت بصري في هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهت البصر، فإذا أبواب سحرية موصدة، وراءها خفايا وأسرار، وقضايا وأقدار، وإذا بي عند ختام قصيدتي لا أزال في ذات الطريق لم أصل إلى غاية، ولم أوف على نهاية.

وفي عالم الأسرار والأقدار سمعت حوارًا يجري بين حوريات، من صواحب الفن ورباته، هن: سافو، وبليتييس، وتاييس، ورأيت بينهن إلهًا عجيبًا فذاً يحكم بينهن، ويقضي فيهن، وجدت «هرميس» الذي لا مثبه له بين آلهة الإغريق، في تعدد صورته، وتنوع مذاهبه، وتنافر طبائعه، وتناقض وظائفه، إله عجيب شاذ، لائق حقًا بالمهمة الموكلة بها في هذه القضية، ومن غيره إله له في الروحيات والماديات؟ له في التجارة والكسب، وله في الخداع والدهاء، له في الجد والعبث، وله في الشعر والغناء، يجمع بين النزعات العليا، والرغبات السفلى، يلهم الشعراء، ويرعى القطعان، ثم هو بعد ذلك وقبله، لص أو إله للصوص؟

من غيره إله متناقضات حقًا، يحكم بين صاحبات الفن ورباته؟ والحياة لا تذلّ لهن إلا بهذا التناقض، ولا يرين لها جمالًا إلا من خلال أمزجتهن الرقيقة المتقلبة.

لم يكن غير «هرميس» ليحكم بين هذه الأرواح العابثة، اللاهية، المرحّة الغاوية، المتألّمة المعذبة، اللطيفة المتكبرة، ولم يكن لهن غير هذا الإله القوي العجيب، الخبير بالمرأة حقًا، الذي يعرف جمالها ودلالها، ويدرك سرها الذي رآه ووعاه في «أفروديت» ربة العشق وإلهة الصباية. ولم يكن لهن غير إله مرح، قادر، مكر، يتعقب الحوريات ويلعب معهن، وتتحدى قوته العمالقة ويعبث مكره بالآلهة. وما رأيك في إله سرق ليلة مولده خمسين ثورًا من قطع الأوليمب السماوي، وجد بينها في كهف «بيلوس» متلبسًا بياثمه؟ ثم هو بعد ذلك قاتل العملاق «أرجوس» وقائد «هيراكليس» إلى عالم الظلمات.

وهذه «سافو» ربة الشعر الغنائي والأماديج والأناشيد التي يراها «سوينبرن» أعظم شاعرة عرفها التاريخ، والتي اضطربت حياتها في محيط اللذات والآلام، أحبت الرجال ثم اجتوتهم، ووصمت بهذا اللون المريض من العشق، حتى قيل: إنها كانت تعد في «لسبوس» كاهنة الرذيلة، ثم هي هذه المحبة الوامقة التي انتحرت من أجل معشوقها الملاح الميثيليني «فاون» الذي كان بعطر «فينوس» أجمل الرجال!!

هذه المرأة الواقعية، ما سر شذوذها المزعوم؟ وما سر صاحبته «بليتييس» الخرافية؟ السر هو ما يعلل به العلماء هذا الانحراف الجنسي، هو الشعور العميق بالازدراء والامتهان من الجنس الآخر، هو الخيبة الشديدة في الحب، والإخفاق الأليم فيه، يصدم العصب الإنساني فيهزه هزًا عميقًا عنيفًا يختل له نظامه، وهذا ما يتجلّى في حوار الشاعرتين، وما يعبران عنه بالذات في مقطع «دنيا النساء».

أما «تاييس» تلك الراقصة الفاتنة اللعوب، التي لا تستقيم حياتها الخاصة بغير الرجال وغير موداتهم، والتي لا ينمو فنّها ولا يتفتح ولا يزدهر، إلا في أجواء محبتهم

وإعجابهم وتحت أشعات أبصارهم وبين رفيف شفاههم وقلوبهم، هذه المرأة الذكية القلب لم يكن لها غير أن تدافع عن الرجال؛ لأن الحياة كما تعرفها وكما خبرتها لا معنى لها بدونهم، ولا بهجة فيها إلا بهم، وإن عطفت على بنات جنسها في بعض أقوالها، فذلك من البديهيّات التي لا خلاف عليها.

فإن كان ثمت فرق محسوس بين نزوع هذه الأرواح في السماء، وبين صنيع أصحابها في الأرض، فهو الذي تقضي به طبائع الأشياء، ويستقيم به المنطق، فكل روح قد سمعت بحديث الخير والشر، وتأثرت به وطبعت على ما هيئت له وهي في صحبة الآلهة قبل حلولها في أطيافها الأرضية، وهيئات أن ندرك في أقوالها مدى عنفها ولينها، وحبها وبغضها، وسخطها ورضاها، وسلامها وخصامها، وهي روح مجرد في العالم المعقول، كما نرى ذلك ونلمسه في أفعالها، وهي مزاج من روح وجسه في العالم المنظور، وهذه الأطياف الأرضية، سجون أرواحنا، مثار الأهواء الآثمة، ومستقر الغرائز الدنيا.

الشخصيات

هرميس: ابن الإله جوبيتر، وزوج أفروديت إلهة الصباة، ووالد هرما أفروديت الفتاة العجيبة الشاذة المعروض تمثالها في متحف اللوفر بباريس، وهو رسول آلهة الإغريق، إله البلاغة والموسيقى والوحي، ومبتكر جميع الفنون، ومخترع القيثارة في طفولته، وتروي الأساطير حوادث كثيرة عن رجولته ومغامراته الغرامية، وقد أقام له الإغريق شتى المعابد في كثير من أنحاء اليونان وجزائرها كما نصب له الرومان أجمل التماثيل وقيل: إنه المكلف بقيادة الأرواح الآثمة إلى الجحيم.

سافو: شاعرة إغريقية، ولدت في القرن السادس قبل الميلاد، وأنشأت مدرسة لها في جزيرة «لسبوس»؛ لتعليم الفتيات الشعر والموسيقى وكانت لسبوس في ذلك العهد أشد جاذبية من أثينا لرجال الأدب والفن وأحفل منها بمباهج الحياة، ومرادًا فانتًا للهو والقصف، وقد تغنّت سافو في شعرها بالحب والجمال والأهواء العنيفة المضطربة بين الفتون والمرح، واشتهرت بين بنات جنسها بالمذهب السافي في ملذات الحب.

تاييس: راقصة أثينية، غير القديسة التي وضع فيها أناطول فرانس قصته المشهورة، ولدت قبل الميلاد بأربعة قرون. وكانت فاتنة مرحة أكثر ما تكون المرأة فتنة ومرحًا حتى أسكرت بأنوثتها شبان أثينا، وكانت صاحبة فن في حياتها وغواية لكثير من أرباب الخيال وأفذاذ الرجال، ومن عشاقها الشاعر الأثيني «مناندر» وقد تسلطت على الإسكندر الأكبر. وصحبته في فتوحاته الآسيوية وقيل: إنها التي قدمت إليه المشعل الذي أحرق مدينة «برسبوليس»، وفي رواية أنها هبطت مصر وأغوت بطليموس بجمالها حتى تزوج منها.

بليتييس: هي الشاعرة الخرافية التي خلقها إبداع الشاعر الفرنسي «بيير لويس»، وأفرد كتابًا لأشعارها المزعومة باسم «أغاني بليتييس»، وهي مجموعة من الشعر الغنائي الذي يتحدث بالغزل المكشوف، والحب الملتهب، ويرمز إلى رغبات الجنس المكبوتة، وهي صورة محرفة من الشاعرة سافو، وقد ولدت في القرن السادس قبل الميلاد على شاطئ «الملاس» بالقرب من «بانفلي»، ثم انتقلت في صباها إلى «لسبوس»، حيث قضت حياتها في الحب والبؤس والتهتك، وكانت معاصرة لسافو ومن صواحباتها الحبيبات.

الأرقي: نسبة إلى شاعر إغريقي كان يحرك الجماد والنبات بقوة شعره وسحر غنائه، ويروى أنه أبرع من عزف على القيثارة، وكانت لألحانه خوارق المعجزات حتى قيل: إن مدينة «سيبا» بنيت بسحر إيقاعه، وقيل: إنه أخضع الوحوش الضارية لنعماته، فكانت تقبل من كهوفها على أصدائها وترقد تحت قدميه مصغية إليه، وفي الأساطير أنه أحب «يوريدس» وكانت فتاة بارعة الجمال فتزوجها، وفي ليلة العرس لدغتها أفعى في أثناء رقصها فماتت لساعتها، وجن «أرفيوس» حزنًا عليها، فاقتحم أرض الفناء وأخذ يوقع على قيثارته أمام «بلوتو» ملك الموت، أشجى أنغامه المتفجرة لوعة وحزنًا، فتأثرت زوجته «برسيفون» من أنغامه وعطفت زوجها عليه، فوعدها بإعادة «يوريدس» إليه، على أن يخرج من أرض الموت دون أن يلتفت وراءه، وخرج «أرفيوس» وقلبه يتنصت بين جنبيه لواقع أقدام حبيبته، فلما لم يسمعها نظر خلفه فرأها، ولكنها لم تلبث أن تلاشت من عينيه وتبددت بين ذراعيه الممتدتين للقائها!

الأليمب: مقر آلهة الإغريق وسماء وحي شعرائهم.

السامري: بعد خروج موسى ببني إسرائيل من مصر، واجتيازه البحر في طريق الأرض المقدسة، واعد موسى ربه في طور سيناء، فذهب إلى مواعده وسبق قومه الذين تخلفوا عنه في البرية زهاء ثلاثين يومًا، ولما طالت غيبته دبّت فيهم الحيرة وتولاهم القلق، فانبرى منهم السامري فصنع لهم عجلًا من الذهب يسمع له خوار عجب، وقد فتن بنو إسرائيل بهذا المعبود الجديد، فباتوا يغنون ويطربون، وقامت أجمل فتياتهم ترقص حوله على ضوء النيران، ونسي القوم مقالة موسى لهم عند وداعه.

مانا: أعظم آلهة الطابو وأشدّهم انتقامًا، والطابو معناها المقدس، وهي عقيدة بعض قبائل السود المنتشرين على شاطئ العاج الإفريقي وبعض جزر الشرق النائية، ومن الإيمان بها حلول روح القدس في جسد فتاة بارعة الجمال، يسمونها «عذراء الطابو»

إذا مسحها أحد بشر غضبت أرواح آلهتهم، فثارت البراكين وطغت البحار وعصفت الرياح ولعلعت البروق انتقامًا لهذه العذراء المقدسة.

هاواي: من جزائر المحيط الهادي، اشتهرت بجوها الشرقي الساحر وطبيعتها البدائية الفاتنة، وموسيقاها الفطرية المترجمة عن أرق العواطف وأحب خلجات الحياة.

موسوي: إشارة إلى قصة النبي موسى في أرض مدين، وقد مر بمورد للماء مغطى بحجر ثقيل، تقف دونه فتاتان بأغنامهما على استحياء دون أن تستطيعا الورود من زحام الرجال، فخف موسى لنجدتهما وقدم فرفع غطاء البئر بيديه وقرب الماء لهما وسقى الغنم، وأعجبت به إحدى الفتاتين واسمها صفورة، فدعته لمرافقتها إلى والدها الشيخ، وكان ذلك وتزوج موسى منها.

الشاعر

إلى قَمَّةِ الزَّمنِ الغابرِ
سَمَتْ رَبَّةُ الشعرِ بالشاعرِ
يَشُقُّ الأثيرَ صدَّى عابراً
وروحاً مُجَنَّحَةَ الخاطرِ
مَضَتْ حُرَّةً من وثاقِ الزَّمانِ
ومن قَبْضَةِ الجَسَدِ الأسيرِ
وأوفتْ على عالمٍ لم يَكُنْ
غريباً على أَمْسِهَا الدَّابرِ
نَمَتْ فيه بين بناتِ السَّديمِ
وَشَبَّتْ مع الفَلَكِ الدائرِ
تُلَقِّنُ سِيرَتَهَا في الحياةِ
وتنطقُ بالمثلِ السائرِ
وتَرْسُمُ أَسْمَاءَ ما عُلِّمَتْ
من القَلَمِ المبدعِ القادرِ
مشاهدُ شَتَّى وَعَنْهَا العقولُ
وغابتْ صَوَاهَا عن الناظرِ
وجودُ حَوَى الرُّوحِ قبلَ الوجودِ
وماضٍ تَمَثَّلَ في حاضرِ

تبدَّى لها، فانجلى شُكُّها
وثابتَ إلى وَغِيَّهَا الذَّاكِرِ
وأَصْغَتْ، فمَرَّتْ على سَمْعِها
روايةً ميلادِها الغايرِ
هو البعثُ، فاستمعوا واقرءوا
حديثَ السَّماءِ عن الشَّاعِرِ!

فِي السَّمَاءِ

يمر روح جميل، هو فنان آذنته الكلمة بالبعث في عالم الأرض، وقد صحبه هرميس ملك الوحي، حتى يجوز به أقطار السماء، فيمران في طريقهما بحوريات انطلقن في سمرهن، في انتظار بعثهن، فيدور حديثهن الآتي:

سافو:

عَجِبْتُ! مَنْ الْمَلِكُ الْعَابِرُ؟
وَمَنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ الطَّائِرُ؟
أَهْلًا عَلَيْنَا فَمَا سَلَمًا
وَلَا صَافَحَ النَّاضِرَ النَّاضِرُ
وَلِلرَّيْحِ حَوْلَهُمَا زَفَّةٌ
كَمَا صَدَحَ الْمِزْهَرُ السَّاحِرُ
أَفِي عَالَمِ الْأَرْضِ بَعَثُ جَدِيدٌ؟
أَمْ الْوَهْمُ مَثَلُهُ الْخَاطِرُ؟

تاييس:

نعم هو روحٌ جميلُ الإهابِ
يُنِيلُ الرِّيحَ جَنَاحِي مَلِكُ
وذلك هرميسُ يَسْرِي بِهِ

سُرَى النُّورِ فِي سُبْحَاتِ الْفَلَكَ
عَرَفْنَاهُ ... لَا شَكَّ ... هَذَا فَتَى
سَيَسْلُكُهُ الْفَنُّ فَيَمُنْ سَلَكَ
غَدًا تَمْلَأُ الْأَرْضَ الْحَانَهُ
وَيَبْقَى صَدَاهَا إِذَا مَا هَلَكُ!

بليتييس:

إِلَى الْأَرْضِ؟ فليَمِضْ هَذَا الشَّقِيُّ
أَلَا وَلْتَفِضْ كَأْسُهُ بِالشَّجُونِ
جِزَاءَ لِمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِنَا
وَمَرَّ كَأَنَّ لَمْ تَلَقَ الْعَيُونُ
أَرَاهُ، وَلَمَّا يَزَلْ بَيْنَنَا
أَصَابَتْهُ لُوثَةُ أَهْلِ الْفَنُونِ
لِنُنْ صَحَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
فِيَا شَقْوَةَ الْأَرْضِ مِمَّا يَكُونُ

تاييس:

حَنَانِكَ، يَا أُخْتِ، لَا تَغْضَبِي
فَمَا اخْتَالَ زَهْوًا وَلَا اسْتَكْبَرَا
لَقَدْ كَفَّ عَيْنِيهِ بَرَقُ الْحَيَاةِ
فَمَرَّ بَنَا دُونَ أَنْ يُبْصِرَا
لَنَا مِثْلُهُ فِي غَدٍ غَشِيَةٍ
إِذَا مَا حَلَلْنَا رَحَابَ الثَّرَى
إِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الشَّقَاءُ
فَلَا كَانَ بَعْتُ وَلَا قُدْرَا

بليتييس:

أرى في حديثك معنى الرضا
وأسمع فيه هُتافَ الحنانِ
فهلَّا ذكرتَ له إخوةً
حديثهم ملءَ سَمْعِ الزَّمانِ
أصاروا الفنونَ رُمُوزَ الأثامِ
واستلهموا الشرَّ سِحْرَ البيانِ
وأغرَّوا بحواءَ ما لُقِّنُوا
وما حَذَّقُوا من طريدِ الجنانِ

* * *

ألمَ تسمعي بفتى شاعرٍ
يُحَمِّلُهَا عِبءَ أوزارِهِ
تَرشَّفَهَا خمرَةً فانتشى
فألقمها مِرَّ أثمارِهِ؟
أنالَتْهُ أجملَ أزهارِها
فأهدى لها شرَّ أزهارِهِ؟
إذا كنتِ يا أختِ لم تسمعي
خذي فاقرأي بعضَ أشعارِهِ..

الحيةُ الخالدةُ

(تاييس تفتح كتابًا وتقرأ من قصيدة الحية الخالدة.)

«وفي قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة وأثر الغريزة فيه، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجًا حيًّا لفنه، فأغوته بمفاتن جسدها، ودفعته بحماسة في غمار ملذات لا يلبث أن يفيق منها، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه، والموقف كله شذوذ واضطراب، وكله عنف وضعف، وهو تصوير لهذه الحية الخالدة التي يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها».

وَلَقَّتْ ذِرَاعَيْنِ كَالْحَيَّتَيْنِ
عَلَيَّ، وَبِي نَشْوَةٌ لَمْ تَطِرْ
وَقَدْ قَرَّبَتْ فَمَهَا مِنْ فَمِي
كَشَقَّيْنِ مِنْ قَبَسِ مُسْتَعِرٍ
أَشْمُ بِأَنْفَاسِهَا رَغْبَةً
وَيَهْتَفُ بِي جَفْنُهَا الْمُنْكَسِرُ
تَبَيَّنْتُ فِي صَدْرِهَا مِصْرَعِي
وَأَخْرَجَ الْعَاشِقُ الْمُنْتَجِرُ!!

* * *

أفي حُلْمٍ أنا أم يقظة؟
ومن هذه المرأةُ الخاطئةُ؟

هو الحبُّ؟ ... لا ... بل نداءُ الحياة
تُلَبِّيهِ أجسادُنا الزَّمامَةُ
يَخْفُ دمي لصداهُ الحبيب
وتدفعني القدرةُ الهازئةُ
كأنِّي ببحرٍ بعيدٍ القرازُ
طَوَى أَفَقَهُ وَزَوَى شَاطِئَهُ

أرى ... ما أرى؟ جسداً عارياً
تَضجُ به الشهوةُ الجائعةُ
أرى ... ما أرى؟ حَدَقِي سَاحِرٍ
تَوَجَّانَ بالنظرةِ الرائعةِ
أرى ... ما أرى؟ شَفَتِي غَادَةً
تَرِفَّانِ بالقُبلةِ الخادعةِ
تُسَاقِطَنِي ثَمراً! ما أرى؟
أرى حَيَّةَ الجَنَّةِ الضَّائِعَةِ

بعينك أنتِ، فلا تُنْكِرِي
صفاتِ أنوثتكِ الشَّاهِدَةِ
تَمَثَّلْتِ شَتَّى جُسُومٍ وَكَمْ
تَجَدَّدْتِ فِي صُورٍ بَائِدَةٍ
نعم، أنتِ هُنَّ ... نعم ... ما أرى؟
أرى الكلَّ في امرأةٍ واحدةٍ
لقد فَنَيْتِ فِيكَ أرواحهنَّ
وها أنتِ أَيْتَهَا الْخَالِدَةَ

الْحَيَّةُ الْخَالِدَةُ

لقد كنتِ وحيَ رَخَامٍ يُصَاغُ
فأصبحتِ لحمًا يثيرُ الدماءَ
وكنْتُ فتًى ساذجًا لا أرى
سوى دُمِيَّةٍ صُوِّرَتْ من نقاءِ
أنيلِ الثرى قَدَمَيَّ عابِرِ
يعيش بأحلامِهِ في السماءِ
فأصبحتُ شيئًا ككلِّ الرجالِ
وأصبحتُ شيئًا ككلِّ النساءِ!

وكنْتُ أميرة هذي الدُمَى
وصورة حُسنٍ عزيزِ المنالِ
وكنْتُ نموذجَ فنِّ الجمالِ
أحبُّكِ للفنِّ لا للجمالِ
أرى فيكِ ما لا تحدُّ النُّهى
كأنَّكِ معنًى وراءَ الخيالِ
فجرَّدتني رجلًا أشتهي
وجرَّدتُ أنثى تشهَى الرجالِ

دعيني حواءَ أو فابُعدي
دعيني إلى غايتي أنطلقِ
أخمرٌ ونازٌ؟ لقد ضاق بي
كَيَانِي، وأوشكُ أن أختنقِ
أرى ... ما أرى؟ لهبًا؟ بل أشمُّ
رائحةَ الجسدِ المُحتَرَقِ!
فيا لكِ أفعى تشهِيئُهَا
ويا لي من أفعوانٍ نَزِقُ ...

المرأة والفن

(بليتييس تضع يدها على صفحة الكتاب في غضب وتمنع تاييس من القراءة.)

بليتييس:

كفانا، فقد جُنَّ هذا الفتى
وجاوز حدَّ الكلام المباح
نكادُ نُحسُّ اختلاجَ النجوم
ونسمع مُضطرباً في الرياح
مريضُ الغريزة، فتَّاكُها
حَبَّتُهُ الطبيعةُ أَمْضَى سلاح
سَقَّتُهُ الشياطينُ يحمومها
فمَجَّ الرحيقَ وذمَّ الصباح

* * *

تَأَنَّم بالفنِّ حتى غوى
وما الفنُّ بالمرأةِ الخاطئةُ
هو الدَّمُ واللحمُ ما يشتهي ...
هو الخمرُ والمتعةُ الطارئةُ
وكم في الرجالِ سَعَارُ الوحوش

إذا لمسوا الجُبَّةَ الدافئة
فلا تذكرى فَنَّ هذا الفتى
بل الحيوانية الخاسئة
رأى جسمَ حوَّاءَ فاشتاقه
فهاجت به النزوة المُسَكِّرة
سبى روحها، فاشتهدى جسمها
فثارت بعزَّة مستكبرة
سما جسمها وتأبى عليه
فجرَّد في وجهها خنجره
وهمَّ بها، فالتوى قصده
فأرسل صيحته المنكرة

ألم ينسِمِ الخلد من عطرها؟
ألم يغبِ الحسن في زهرها؟
ألم يقبسِ النورَ من فجرها؟
ألم يسرقِ الفنَّ من سحرها؟
شَفَتْ غُلَّةَ الفنِّ حتى ارتوى
وإنَّ دَنَسَ الفنِّ من طهرها
وهامت على ظمأ روحها
وكم ملئوا الكأس من خمرها

على مَذْبَحِ الحبِّ من قلبها
سراجٌ يُسبِّحُ مَنْ لَأَلَهُ
منازٌ يجوبُ الدُّجى لَمَحُهُ
فتلقى السفينُ به مرفأه
يبثُّ الحرارةَ برْدَ الشتاءِ

المرأة والفن

وَيُلْهِبُ شُعَلَتَهُ الْمِطْفَأَةُ
وَتَمْشِي الْحَيَاةُ عَلَى نَوْرِهِ
وَمَا نَوْرُهُ غَيْرُ عَيْنِ امْرَأَةٍ!

خَطِيئَتُهَا قِصَّةُ الْمَلْهَمِينَ
وِإِغْرَاؤُهَا الْفَرْحُ الْمُفْتَقَدُ
بَأَرْوَاحِهِمْ يَرْتَقُونَ الْخُلُودَ
عَلَى سُلَمٍ مِنْ مَتَاعِ الْجَسَدِ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهْوَى فَتْنُهُمْ
صَرِيحَ الظَّلَامِ قَتِيلَ الْجَمَدِ
وَمَا الْفَنُّ إِلَّا سَعِيرُ الْحَيَاةِ
وَتَوَرَّتْهَا فِي مَحِيطِ الْأَبَدِ

لَهَيْبٌ إِذَا الرُّوحُ مَرَّتْ بِهِ
تَضَاعَفَتِ الرُّوحُ فِي نَارِهِ
يُطِيقُ الْقَوِيُّ لَظَى جَمْرِهِ
وَيَعِشُو الضَّعِيفُ بِأَنْوَارِهِ
رَمَتْ فِيهِ حَوَاءُ آثَامِهَا
فَذَابَتْ عَلَى صُمِّ أَحْجَارِهِ
لَقَدْ قَرَّبَتْ جَسَدًا عَارِيًا
وَقَلْبًا يَضِنُّ بِأَسْرَارِهِ

الأصلُ والمِثالُ

أمن صَنَعَةِ الله هذا الجمالُ؟
نعم، ومن الفنِّ هذا المِثالُ!
على مَعْرِضِ مَرمرِيِّ الدُّمى
تَرَامى أشعُّهُ والظلالُ
تماثيلُ من جَسَدِ فاتنٍ
تأبَّى على شهواتِ الرجالِ
حَبَّتْهُ الطَّبِيعَةُ أسرارَها
ولاقى الحقيقةَ فيه الخيالُ

ثَوْرَةٌ

سافو:

لقد أَخَذْتُنَا شَجُونُ الحديثِ
وكم في حديثِ الفتى من شَجُونُ
سَمَرْنَا به وجهلنا اسمَهُ
وما حَظُّه من رفيعِ الفنونِ؟
أَمِنْ رَبَّةِ الشعرِ إلهامُهُ؟
أم الوترِ «الأَرْفُسيِّ» الحنونِ؟
أم المرمَرِ الغَضِّ يجلو به
رَفِيفَ الشفاهِ وَلَمْحَ العيونِ؟

بليتييس:

هبي وحيه من سماءِ الأُولمِبِ
وألِهَةِ الحكمةِ الغابرينِ
فما هو بالْمَلِكِ المستعزِّ
ولَكِنَّهُ الأَدْمِيَّ المَهِينِ
وما الأَدْمِيَّةُ بنتُ السَّماءِ
ولَكِنَّهَا بنتُ ماءٍ وطِينِ
يريدُ لها الفنُّ أَفَقَ النُّجُومِ

ديوان علي محمود طه

فَيُقْعِدُهَا جِسْمٌ عَبْدٌ سَجِينُ!

سافو:

وما فنُّه! ما أراه سوى
أداةٍ مطامعِهِ الواسعةِ
غَدًا يَسْتغْلُ غِرامَ الحِسانِ
سَبِيلًا إلى الشَّهْرِ الذائِعَةِ
يَصِيبُ بهنَّ خُلُودَ اسمِهِ
وهُنَّ قَرابِينُهُ الضائِعَةُ
تَمْنِيْتُ لو أَطَلَقْتَنَا السَّمَاءُ
ويا حَبِّذا لو يُعْتِنَا مَعَهُ ...

انتقام

بليتيس:

ألا حبذا الأرضُ مغدًى لنا
وإن بشرتها المنايا بنا
وما الأرضُ بالمنزلِ المستطابِ
ولكنَّه ثأرُ أترابنا
لنشربَ من دمِ هذا الفتى
مُصَفًّى الرحيقِ بأكوابنا
ونجعلَ من حشرجاتِ الرجالِ
تَحِيَّةَ شاءٍ لأنخابنا

سافو:

ونسلبُ ما رُزِقُوا من جَبًى
ونهدمُ ما رفعوا من قِبابِ
ونبني لهم نُصْبًا خالدًا
يكون على الدهرِ رَمَزَ العقابِ
تطوف به لَعَنَاتُ السماءِ
وترصدهُ مَثَلَاتُ العذابِ

تاييس:

ولكن أرى غير ما قلتما
وما الغدر في الرأي كل الصواب
إذا خلّت الأرض من طيرهم
فمن ذا يحيي الجمال القسيم
ومن يطلق الحب من وكره
على خطرات الغناء الرّخيم؟
وفيم نرقش هذا الجناح
ونصقله ببنان النعيم؟
طيور السماء! حذار الوقوع
على حطب في الثرى أو هشيم؟

دُنْيَا النِّسَاءِ

(بليتييس تخاطب تاييس في ألم وغضب.)

بليتييس:

أَيَغْرِيكَ بِالْحَبِّ سَوْدُ اللَّحَى
غِلَظُ الشَّفَاهِ، الْعَرَاضُ الطَّوَالُ؟
كَأَنَّ الْهَوَى صُنْعُ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ غَيْرَهُمْ كُلُّ عَيْشٍ مُحَالُ؟
إِذَا شِئْتَ كَانَ لَنَا عَالَمُ
يَحُوطُ الْأُنُوثَةَ فِيهِ الْجَلَالُ
حَمَتِ رِقَّةَ الْجِنْسِ رَبَّاتُهُ
فَلَيْسَ بِهَا حَاجَةٌ لِلرِّجَالِ!
لِكُلِّ اثْنَتَيْنِ هَوًى وَاحِدُ
تَلَاقَى عَلَى سِرِّهِ مَهْجَتَانُ
وَعُشٌّ يَضُمُهُمَا فِي الْمَسَاءِ
وَرَوْضٌ بِهِ فِي الضُّحَى يَعْثَانُ
وَفِي رَكْنٍ خَدْرُهُمَا مَغْرَلُ
وَفَوْقَ الْأَرِيكََةِ قَيْثَارَتَانُ
وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أَقْصُوصَةٌ

لقلبيين لم يَرَوْهَا عاشقانُ

تاييس:

وماذا تُرى صَنَعَ العاشقانُ؟
وما ذكرياتُ الليالي الحسانُ؟
حديثُكَ، إنْ لم يكنْ بِدَعَةٍ
فَحُلْمُ جَرَى في قديمِ الزمانِ
وصيحةٌ مُخَفِّقَةٌ في الهَوَى
مُعْرِبِدَةُ الرُّوحِ، سَكَزَى اللسانِ
أَعْيِذُ الأَنْوَتَةَ هذا الهوانُ
وفيها الدهاءُ القويُّ الجَنانُ!

الكَيْدُ الْعَظِيمُ

(تاييس مسترسلة في كلامها.)

تاييس:

لنا الكيدُ إن خَذَلْتَنَا الْقَوَى
أَحَابِيلُ شَتَّى وَفَنُّ عَجَابُ
نُلَقَّاهُ عَنْ مَلِكَاتِ الزَّمَانِ
أَقَاصِيصَ لَمْ يَرَوْ عَنْهَا كِتَابُ
وَقَدْ نَسْتَعِيرُ صَفَاءَ النَّمِيرِ
وَقَدْ نَسْتَمُدُّ صِرَاعَ الْعِبَابِ
وَقَدْ نَسْحَبُ اللَّيْلَ فَوْقَ الْقُلُوبِ
وَنُغْرِى الْعَيُونَ بِقَوْسِ السَّحَابِ
نَسَاقِطُهُمْ مِنْ غَوَايَاتِنَا
أَزَاهِرَ تَنْدَى بِمَاءِ الشَّبَابِ
إِذَا لَأَلَّتْ فَوْقَ مَوْجِ الشُّعُورِ
أَثَارَتْ بِهِمْ ظَمَأً لِلْسَّرَابِ
بِأَلْوَانِهَا الْحُمْرُ جَمْرُ الْغَضَا
وَفِي نَفْجِهَا لَفَحَاتُ الْعَذَابِ
هُوَ الْفَنُّ لَا تَرْتَوِي رَوْحُهُ

بأشهى من الأرجوان المذاب

هو الحسن فتاننا العبقري
هو الحب سلطاننا القاهر
ممثلهم ... لُعبَة في يديه
ومثالهم إصْبَعُ فاجر
والحأنهم من فحيح العروق
يُصعِّدُها الوتر الساخر
ورسائمهم صنم مُبصر
فإن جُمعوا فهم الشاعر!

قلوبٌ مُدَلَّهَةٌ بالجمال
ترى فيه معبودها المُلهمَا
هو الرجل القلب، لا غيره
فأودعنه القبس المضرمَا
أنمن به الشرس المستخف
وأيقظن فيه الفتى المغرمَا
إذا ما اقتحمتن هذا السياج
فقد خضع الكون واستسلمَا!

سافو:

ولكن حذارِ ففي طبعنا
ليانٌ يسمونه بالوداعه
وفيهم جراءة مستأسد
تحدى المنية باسم الشجاعه

تاييس:

وَهَمَّتْ، فَذَلِكَ هَزْلُ الرِّجَالِ
وَفَنُّ أَجْزَانَا عَلَيْهِمْ خِدَاعُهُ
نُذِيبُ بِهِ صُلْبَ أَعْصَابِهِمْ
وَفِي رِقَّةِ الْعُودِ سِرُّ الْمَنَاعَةِ

شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!

سافو:

أَظَلَّنَا الْأَحَادِيثَ عَنْ عَالَمٍ
مُلْتَمَّةٍ أَرْضُهُ بِالْخَفَاءِ
جَعَلْنَاهُ مَطْمَحَ أَحْلَامِنَا
كَأَنَّا شَقِينَا بِسُكْنَى السَّمَاءِ
طَوَانَا عَلَى حُبِّهِ شَاعِرٌ
كَثِيرُ الْمَجَانَةِ نَزَرُ الْحَيَاءِ
أَثَارَ الْمَلَائِكِ فِي قُدْسِهَا
وَأَوْقَعَ فِي سَحْرِهِ الْأَبْرِيَاءِ

بليتييس:

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ جَازَ السَّمَاءَ
وَعَزَّزَ بِالْمَلَأِ الطَّاهِرِ
أَيْمَرُحُ فِي الْكَوْنِ شَيْطَانُهُ
بَلَا وَازِعٍ وَبَلَا زَاجِرٍ؟
دَعِيَ الْوَهْمَ «سافو» وَلَا تَحْقِرِي
«بليتييس» مَعْجَزَةَ الشَّاعِرِ
فَمَا نَتَّقِيهِ بِحَيَاتِنَا

ديوان علي محمود طه

إِذَا هُوَ أَلْقَى عَصَا السَّاحِرِ

(وكانت تسمع ضجة كلما ارتفعت روح الشاعر في معارك السماء.)

تاييس:

«بليتيس» هَلْ هُوَ ذَاكَ الْخِيَالُ
الْمُجَنِّحُ بَيْنَ حَوَاشِي الْغَيُومِ؟
عَشِيَّةَ صَاحٍ بِأَتْرَابِنَا
وَقَدْ أَخْطَأَتْهُ قِسِي الرُّجُومِ؟
وَقِيلَ: لَنَا مَلَكٌ عَاشِقُ
يُسْرِِّي الْهَمُومَ بِنْتِ الْكُرُومِ،
يَجُوبُ السَّمَاءَ إِذَا مَا انْتَشَى
يُعْرِدُ بَيْنَ خُدُورِ النُّجُومِ؟

بليتيس:

أَعَاجِيبُ شَتَّى لِهَذَا الْفَتَى
وَأَعْجَبُ مِنْهَا الَّذِي تَذَكِّرُنِ
كَأَنَّ أَحَادِيثَهُ بَيْنَنَا
أَسَاطِيرُ آلِهَةٍ غَابِرِينَ
إِذَا كَانَ لِلْفَنِّ هَذَا الصِّيَالُ
فَوَا رَحْمَتًا لِلْجَمَالِ الْغَبِينِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّي فِي إِثْرِهِ
دَرَجْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي الدَّارِجِينَ

تاييس:

أَتُغْوِينِ بِالشَّعْرِ شَيْطَانَهُ؟
خَيَالِيَّةٌ أَنْتِ، أَمْ شَاعِرَةٌ؟

بليتيِس:

بل الشعرُ أسرُهُ المستبَدُّ
فيا ليتَ لي روحَه الأسرَةَ
ويا ليتَ لي وثباتَ الخيالِ
وقوَّةَ أربابِه القاهرَةِ
لصيرتُهُ مُثَلَّةً في الحياةِ
وسُخريَّةَ البعثِ في الآخرةِ!

الفنُّ الشَّهِيدُ

تاييس:

صفي لي «بليتيس» هذا الأملُ
وماذا ابتدعتِ له من حيل!

بليتيس:

أدُلُّه هذا الفتى بالجمالِ
وأُسمِعه من رقيق الغزلِ
وأورثه جُنَّةً بالرحيقِ
وأحرِّمه رَشَفَاتِ القُبُلِ
إلى أنْ تُحَرِّقَ أعصابُهُ
ويصرَّعه طائفٌ من خَبَلِ

* * *

وأحفرُ بعد الردى قبرهُ
هناك على قِمَّةِ الهاويةِ
وأغرس في قلبه زهرةً
من الشرِّ روايةً ناميةً
سَقَتْهَا سمومُ شرايينه

ديوان علي محمود طه

ورَفَّتْ بِهَا رَوْحُهُ الْعَاتِيَهُ
تَخَفُّ إِلَيْهَا قُلُوبُ الرِّجَالِ
وترجع بالشوكة الداميّة

* * *

إِذَا جَنَّهَا اللَّيْلُ لَاحَتْ بِهِ
كَعَيْنٍ مِنَ اللَّهَبِ الْمَضْطَرُمِّ
تَثُورُ الشَّيَاطِينُ مِنْ عَطْرِهَا
كَمَجْمَرَةِ السَّاحِرِ الْمَلْتَثَمِ
إِذَا اسْتَأْفَا الرَّجُلُ الْعَبْقَرِيَّ
تَحَوَّلَ كَالْحَيَوَانَ الْوَحِمِ
تَضَجُّ الْبَلَاهَةُ مِنْ حَوْلِهِ
وَيَنْظُرُ كَالصَّنَمِ الْمَبْتَسِمِ!

تاييس:

هَبِي الشَّعَرَ أَوَّلَاكِ مِنْ مُلْكِهِ
سَمَاءَ الْأُلُوهَةِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
وَنَصِّ الْمَعَانِي عَنْ جَانِبِيكِ
فَمِنْهَا السُّرَى، وَإِلَيْكِ الْعُرُوجُ
فَمَا تَصْنَعِينَ إِذَا مَا بُعِثَتْ
وَاحِدَةً مِنْ بَنَاتِ الزُّنُوجِ
أَلَمْ تَقْرَأِي قِصَّةَ «السَّامِرِيِّ»
وَمَا صَنَعَ الْقَوْمُ بَعْدَ الْخُرُوجِ؟

جُنُونِ الْحَيَاةِ!

نَبَاً مَنْطِقُ الْوَحْيِ فِي سَمْعِهِمْ
وَخَفٌّ عَلَيْهِ رَنِينُ الطَّرْبِ
وَمَدُّوا الْعَيُونَ إِلَى فِتْنَةٍ
تَجَسَّدُ فِي حَيَوَانٍ عَجَبٍ
تَرَامَى بِأَحْضَانِهِ غَادَةٌ
أَفَادَ صِبَاهَا شَبُوبَ اللَّهَبِ
جُنُونُ الْحَيَاةِ وَأَهْوَاؤُهَا
أُنُوثَتُهَا وَبَرِيقُ الذَّهَبِ!

* * *

فَأَيْنَ مِنَ الْقَوْمِ سَحَرُ الْبَيَانِ
وَصَيْحَةُ «مُوسَى» قُبَيْلِ الْوَدَاعِ؟
هُمُ النَّاسُ لَا يَعِشُقُونَ الْخِيَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ حَافِزًا لِلطَّمَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَعْبُدُونَ الْجَمَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نُهْزَةً لِلْمَتَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَأْلِفُونَ الْحَيَاةَ
إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعْرِضًا لِلْخَدَاعِ

مَعْرِضُ الْحَيَاةِ!

تماثيلُهُ بعضُ أجسامِنَا
وقد صاغَهَا العبقريُّ الصَّنَاعُ
ولَوَحَاتُهُ صُورُ العاريَاتِ
إِذَا مَزَّقَ الفَنُّ عَنْهَا القِنَاعُ
أبَالشَّعْرِ تُغْوِينَ هَذَا الْفَتَى؟
وَهَمَّتْ إِذْنُ وَجَهَلَتْ الطَّبَاعُ!
أَلَيْسَتْ لَهُ صَبُوءُ الْآدَمِيِّ
وشهوةُ تلكِ الذَّنَابِ الجِيَاعُ؟

فَزَعٌ وَعِتَابٌ

بليتيس (في فزع من حديث صاحبتها عن بعثها زنجية):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَلَا تَغْضَبَا
وَكُفَّا الْعِتَابَ وَلَا تُسْهَبَا
لَقَدْ رُعْتُمَانِي بِهَذَا الْمَزَاحِ
وَأَبْدَعْتُمَا نَبَأً مُغْرِبًا
سَرْتُ بِي مِنْ ذِكْرِهِ رَعْدَةٌ
كَأَنِّي لِبِسْتِثْ بِهِ الْغَيْهَبَا
«أَتَايِسُ» لَا كُنْتُ بِنْتُ الزَّوْجِ
وَلَا شِمْتُ أُمًّا بِهِمْ أَوْ أَبَا!

السَّحَرُ الْأَسْوَدُ

بليتييس (ضاحكة من فزع بليتييس قائلة لها في معاينة):

وَصَمَّتِ الْخَلِيقَةَ فِي بَعْثِهِمْ
كَأَنَّهُمُ الْحَدَثُ الْمُنْكَرُ
وَمَا أَخْطَأَ الطَّيْفُ أَلْوَانَهُ
وَلَكِنَّهُ اللَّهَبُ الْأَحْمَرُ
أَبُوهُمْ، كَمَا زَعَمُوا، آدَمُ
وَحَوَاءُ أُمُّهُمْ الْمُغْصِرُ
لَهُمْ أَعْيُنٌ تَتَمَلَّى الْجَمَالَ
وَأَفئِدَةٌ بِالْهَوَى تَشْعُرُ

* * *

لَهُمْ نَارُهُمْ فِي أَقْصَى الدُّجَى
وَأَبْيَانُهُمْ فِي أَعَالِي الْكَهْفِ
وَسَحَرُ الطَّبِيعَةِ فِي عُرْيِهَا
إِذَا هَنَكَ الْفَجْرُ عَنْهَا الشُّفُوفُ
وَنَائِي يُقَسِّمُ فِيهِ الرَّبِيعُ
وَيَسْكُبُ شَجْوَ الْمَسَاءِ الْهَتُوفُ
وَرَقْصُ يُمَثِّلُ قَلْبَ الْحَيَاةِ

إِذَا مَا اسْتُخِفَّ بِنَقْرِ الدَفُوفِ

تَفَرَّدَ فَتُنُّهُمْ بِالْخَفَاءِ
وَصِيغَ بِفَطْرَتِهِمْ وَاتَّسَمَ
يَعِيشُ جَدِيدًا بِأَرْوَاحِهِمْ
وإنْ عَاشَ فِيهِمْ بَرُوحُ الْقَدَمِ
لَهُ بِأَسْ «مَانَا» وَإِيحَاؤُهُ
إِذَا اضْطَرَبَتْ رُوحُهُ بِالْأَلَمِ
وَرِقَّةَ «هَآوَايَ» فِي شَدْوَاهَا
إِذَا جَاشَ خَاطَرُهَا بِالنَّغَمِ

رُقِيَّةُ!

(سافو وتاييس تشيران إلى بليتييس إشارات السحرة وتنطقان بصوت واحد):

أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ فَنِّهِمْ
سَمُوُ اللَّظَى وَعَتُوُ الْجِبَالِ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ سَحْرِهِمْ
فَنُونُ تَعْطُلُ سَحَرَ الْخِيَالِ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ نَارِهِمْ
وَشَا حُ مَوْلَاهُ بِالْجَمَالِ
إِلَى الْأَرْضِ فَاَنْتَقِمِي لِلنِّسَاءِ
وَكُونِي بِهَا مَحَنَةً لِلرِّجَالِ ...

عَوْدَةٌ

(الملك وقد عاد في طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع الفنان على أفق الأرض.)

هرميس:

سلامٌ لكنَّ عذارى السماء

الحوريات:

سلامٌ لهرميس روحِ الإله

هرميس:

أرى وَمُضَةَ الشَّرِّ في جَوْكَنَ
وَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنِّي أراهُ
يلاحقني في رحابِ السماءِ
ويرتجُّ في مسمعيَّ صداهَ:
«لقد فارقَ البَشْرُ غُرَّ الوجوهِ
وشاعَ الذبولُ بورِدِ الشفاةِ!»

الحوريات:

أجل، أيها الملك المجتبي
صدقناكَ فاغفر عذابَ الضميرِ
لقد مرَّ كالطيرٍ من قربنا
فتى في رعاية ربِّ خطيرِ
رأنا فأعرضَ عنا، ولم
يُحيي السماءَ بروحٍ قريبِ
تخايلَ عجبًا بأوهامِهِ
وأمعن في شرِّه المستطيرِ

هرميس:

ظلمتنَّ هذا الغلامَ البريءَ
وقد غَضَّ من ناظريه الحذرُ
أهلَّ بقلبٍ كفرخِ القطا
يرفرفُ تحتَ جناحِ القدرِ
رأكنَّ فيه وحيًا به
فلم أدِرِ حاجتَهُ للنظرِ!

الحوريات:

وكيف تكلم قلبُ الفتى
وما هو إلا سليلُ البشرِ؟

ابنُ السَّماءِ

هرميس:

هُوَ ابْنُ السَّمَاءِ وَلَكِنَّهُ
مِنَ النِّقْصِ تَرْكِيبُهُ وَالتَّمَامُ
صَنَاعُ الطَّبِيعَةِ، بَلْ صُنْعُهَا،
فَمِنْهَا دَمَامَتُهُ وَالْوَسَامُ
يُسِفُ إِلَى حَيْثُ لَا يَنْتَهِي
وَيَسْمُو إِلَى قِمَّةٍ لَا تُرَامُ
وَيُسْقَى بِكَأْسِ إِلَهِيَّةٍ
مُرْنَقَةٍ بِالْهَوَى وَالْأَثَامِ

* * *

نَقِيضَانِ شَتَّى فَمَا يَسْتَقَرُّ
عَلَى غَضَبٍ مِنْهُمَا أَوْ رِضَاءٍ
تَحْدَى الْحَيَاةَ وَالْآمَها
بِبَاسِ الْجَبَابِرَةِ الْأَعْلِيَاءِ
يَزِيدُ عُتُوًّا عَلَى نَارِهَا
وَيَلْمَعُ جَوْهَرُهُ مِنْ صَفَاءِ
وَيَنْشَقُّ عَنِ نَضْرَةِ قَلْبِهِ

وإنَّ طَمَرْتُهُ ثَلُوجُ الشِّتَاءِ
هُوَ المَرْحُ الشَّارِدُ المَسْتَهَامُ
شُرُودَ الفَرَّاشَةِ عِنْدَ المَسَاءِ
حَبَّتُهُ الأُلُوهَةُ رَوْحًا يَرَى
وَيَنْطِقُ عَنْهَا بِوَحْيِ السَّمَاءِ
يُحَسُّ الخِيَالَ إِذَا مَا سَرَى
وَيَلْمِسُ مَا فِي ضَمِيرِ الخَفَاءِ
وَيَبْتَدِرُ النِّجْمَ فِي أَفْقِهِ
فَيَرشُفُهُ قَطْرَةً مِنْ ضِيَاءِ

* * *

أَرْتُهُ السَّمَاءَ أَعَاجِيبَهَا
وَرَوَّتُهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بَدِيعُ
فَضْنٍ بِلَاءٍ هَذَا الجَمَالِ
وَخَافَ عَلَى كَنْزِهِ أَنْ يَضِيعَ
أَبَى أَنْ يُبَدِّدَهُ نَاضِرَاهُ
فَأَطْبَقَ جَفْنِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ
فَإِنْ شَارَفَ الأَرْضَ نَادَتْ بِهِ
فَفَتَحَ عَيْنًا كَعَيْنِ الرَّبِّيعِ

الفنّانُ الأوّلُ

هناك حيث تشبُّ الحياةُ
وحيث الوجودُ جنينُ العدمِ
وحيث الطبيعةُ جبارةٌ
تشقُّ الوهادَ وتبني القممَ
وحيث السعادةُ بنتُ الخيالِ
ولذَّتْها من معاني الألمِ
وحيث الطريدانِ شجَا الكتّوسِ
ومَجَا صُبابَتها من قَدَمِ
رَنا، والطبيعةُ في حليها
وحواءُ عاريةٌ كالصَّئمِ
فمن أين سارَ وأنى سرى
تصدَّتهُ مُقبِلَةٌ من أممِ
هناك أولُ قلبٍ هفا
وأولُ صوتٍ شدا بالنَّغمِ
وأولُ أنملةٍ صوّرتْ
وخطَّتْ على اللوحِ قبلَ القلمِ
فما لكِ حواءُ أغويتهِ
وأعقبتهِ حَسراتِ النَّدَمِ

لقد كان راعيكِ المجتَبَى
فأصبحَ راميكَ المَتَّهَمُ
ولولاكِ ما ذرفتُ عينُهُ
ولا شامَ بارقَةٌ فابْتَسَمُ
وعاشَ كما كانَ أبَاؤُهُ
يُغْنِي النجومَ ويرعى الغنمَ!

الفَنَانُ الأَعْمَى

لأَجْلِكَ يَشْقَى بِلِمَحِ العَيُونِ
وَيُضْرَعُ بِالنَّظَرَةِ العَابِرَةِ
لَوَدَّ إِلَى الأَرْضِ لَوْ لَمْ يُصِخْ
أَوْ ارْتَدَّ بِالمَقْلَةِ الحَاسِرَةِ
وَكَمْ مِنْ فَتًى عَزَّهَا سَمْعُهُ
وَغَضَّ عَلَى حَذَرٍ نَاطِرَهُ
عَصَاهَا، فَنَادَتْ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ،
فَحَلَّتْ بِهِ لَعْنَةُ الفَاجِرَةِ

* * *

لَهُ مُقْلَتَانِ عَلَى مَا وَعَى
مِنَ الأَلْقِ الطُّهْرِ مَخْتُومَتَانِ
فَفِي عَقْلِهِ حَرَكَاتُ الزَّمَانِ
مُصَوَّرَةٌ، وَحُدُودُ المَكَانِ
وَفِي قَلْبِهِ أَعْيُنُ ثَرَّةٍ
بِهَا النَّارُ طَاغِيَةُ العَنَفَوَانِ
وَفِي كُلِّ خَاطِرَةٍ نَيْزَكٌ
يَشُقُّ سَنَاهُ حِجَابَ الزَّمَانِ

إذا ما هَوَتْ وَرَقَاتُ الْخَرِيفِ
أَحْسَّ لَهَا وَخَزَاتِ السَّنَانِ
وإن سَكَبَتْ زَهْرَةً دَمْعَةً
فمن قلبه انحدرت دمعَتَانِ
ومن عَجَبِ شِدْوَةِ الرَّبِيعِ
وقد يُخْطِئُ الطَّيْرُ شِدْوَ الْأَوَانِ!
وقيثارة الرِّيحِ ما لحنُها
سوى الرِّيحِ في جفوةٍ أو حنانِ

* * *

عَوَالِمُ جَيَّاشَةٍ بِالْمُنَى
ودنيا بأهوائِهَا تَضْطَرِبُ
من اللَّأِ نِهَآيَةِ الْوَانِهَا
مشعشعةٌ بِالنَّدَى الْمُنْسَكِبِ
ففيها الصَّبَاحُ، وفيها الْمَسَاءُ،
وبينهما الشَّفَقُ الْمَلْتَهَبُ
تطوفُ بها صَدَحَاتُ الطُّرُوبِ
وتسهو بها أَنَّةُ الْمَكْتَبِ!

حَنَانُ

الحوريات (يخاطبن هرميس):

لَكَ الْحُبُّ فِيمَا أَتَاخَتْ لَنَا
سَرِيرَتُكَ السَّمْحَةُ الطَاهِرَةُ
وَمَنْ مَلَكَ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ
طُمَأْنِينَةً الْمُهَجِّ الْحَائِرَةِ
عَطَفْتَ عَلَى قَلْبِ هَذَا الْفَتَى
قُلُوبًا عَلَى فَنِّهِ ثَائِرَةً
وَصَوَّرْتَهُ مَلَكًا نَاقِمًا
عَلَى أَدْمِيَّتِهِ الْجَائِرَةِ!!

هرميس:

أَجَلْ هُوَ ذَاكَ وَلَوْ زِدْتُكَ
لَزِدْتَنِي عَطْفًا عَلَى فَنِّهِ
وَمَا ذَنْبُ رُوحِ نَمَتِهِ السَّمَاءِ
إِذَا ضَجَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ سِجْنِهِ
تَعَلَّقَ مَهْوَاهُ فَوْقَ النُّجُومِ
وَحَوَّمْ وَهْنًا عَلَى كُنْهِهِ
لَيَنْعَمَ فِي ظِلِّهِ لَحْظَةً

ديوان علي محمود طه

وَيَمْلَأُ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ
لَهُ وَلَعٌ بِخَدُورِ النُّجُومِ
إِذَا مَا تَخَلَّصَ مِنْ طَيْفِهِ
وَيَا رَبَّ لَيْلٍ كَوَادِي الْخِيَالِ
دَعَتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنْ جَوْفِهِ
فَسَارَ يَضُمُّ صُدُورَ الْغَمَامِ
وَيَسْتَضْحِكُ النُّورَ فِي سُدْفِهِ
وِغَابَ كَأَعْجُوبَةٍ فِي الدُّجَى
تَحَارُّ الْأَسَاطِيرُ فِي وَصْفِهِ!

(هرميس ينظر إلى غمام بيضاء قريبة وكأنما يتقرب شيئاً عندها.)

على الأرض شيطانهُ الحائمُ
وفي الكون وجدانهُ الحالمُ
مضى سابحاً في عُبابِ الأثيرِ
كما يَسْبَحُ النظرُ الساهمُ
يدورُ فلا أفقُ يَنْتَهِي
إليه، ولا كوكبٌ هائمُ
وحيثُ هو الآنَ فيمَن أرى
هناك على سرِّه جاثمُ

سافو:

هناك!

بليتيس:

هناك! كأنني أراه!

حَنَانُ

هرميس (مشيرًا بيده):

نعم خلفَ هذا الغمامِ الرقيقُ
إذا ما عطفتنَ ناديتُهُ
عسى الآنَ من رَوْعِهِ أن يُفِيقَ
ألا أيُّها الروحُ مني السلامُ
وأنتَ بحبِّ العذارى خليقُ
عرائِسُ أحلامِكَ الماثلاتُ
وما أنا إلا مَلَكٌ صديقُ!

(صمت ... الحوريات يبدو عليهن القلق، ويتربعن في لهفة حديث هرميس.)

هرميس:

لقد طَلَعَ الفجرُ، يا شاعري
وكادتْ تزولُ نجومُ الصباحِ
وحانَ الرواحُ فودَّعَ خباءَكَ
وادنُ أهدِّثَكَ قبلَ الرواحِ

الشاعر:

أتهتفُ بي أنتَ؟ أم هُنَّ؟ أم
نذيرُ الردى والقضاءِ المتاحُ؟

بليتييس:

تُراكَ سمعتَ أحاديثَنَا؟

الشاعر:

لقد نَقَلْتُهَا إِلَيَّ الرِّيحُ!
عَجِبْتُ لِحُورِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ
وَيَأْخُذُ أَهْلَ السَّمَاءِ الْعَجَبُ
أَتَحْلُمُ بِالْأَرْضِ مَخْمُورَةً
مِنَ الدَّمِ، رَاقِصَةً فِي اللَّهَبِ؟
وَتُغْرِئِي بِي الْمَوْتَ، لَا جَانِيًا،
وَلَكِنَهَا ثُورَةً مِنْ غَضَبٍ
بَرِئْتُ مِنَ الْإِثْمِ حُورِيَّتِي
فَرُدِّي الظُّنُونَ وَخَلِّي الرَّيْبَ!

حَوَاءُ

أَبْغَضُ حَوَاءَ وَهِيَ الَّتِي
عَرَفْتُ الْحَنَانَ لَهَا وَالرُّضَا؟
وَبَاعَ بِهَا آدَمُ خُلْدَهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَتَمَنَّى الْقَضَا؟
وَرِثْتُ هَوَاهَا، فَرُمْتُ الْحَيَاةَ
وَحَبَّبَ لِي الْعَالَمَ الْمُبْغَضَا
أَرَاهَا عَلَى الْأَرْضِ طَيْفَ النِّعَمِ
وَحُلَمَ الْفَرَادِيسِ فِيمَا مَضَى!
وَكُنْتُ حَيَاتِي مَحْضَ اتِّبَاعِ
فَصَارَتْ طَرَائِفَ مِنْ فَنِّهَا
وَكَانَ شَبَابِي صَمْتِ الْقِفَارِ
وَرَجَعَ الْهَوَاتِفِ مِنْ جَنِّهَا
فَعَادْتُ لِيَالِي الصَّبَا وَالْهَوَى
أَرَقَّ الْمَقَاطِعِ فِي لَحْنِهَا
وَأَفْرَغْتُ بَوْسِي فِي حُضْنِهَا
وَأَتْرَعْتُ كَأْسِي مِنْ دَنْهَا
وَكَمْ ذَكْرِيَّاتٍ لَهَا عَذْبَةً
أَعِيشُ عَلَيْهَا وَأُحْيَا بِهَا

لها في دَمِي خَلَجَاتُ الحَيَاةِ
كَأَنِّي خُلِقْتُ بِأَعْصَابِهَا
مُسَامِرَتِي حِينَ يَمُضِي الشَّبَابُ
وَتَهْتَفُ رُوحِي بِأَحْبَابِهَا
وَتَخْلُو بِي الدَّارُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
وَأَجْلِسُ وَحْدِي عَلَى بَابِهَا!
بَدَتْ شِبْهَ عَابِسَةٍ فَاثْنَيْتُ
وَقَدْ زَايَلَ الشَّمْسُ لَأَلْوَهَا
وَخِلْتُ الحَيَاةَ وَضُوضَاءَهَا
تَمُوتُ عَلَى الْأَرْضِ أَصْدَاؤُهَا
وَكَفَّ عَنِ الْهَمِّسِ حَتَّى النِّسِيمُ
وَأَمْسَكَ عَنِ لَعِبِ مَأْوُهَا
وَنَادَيْتُ، فَالْتَفَتَتْ لَا تُجِيبُ
وَلَكِنْ دَعَانِي إِغْرَاؤُهَا
وَمَرَّتْ إِزَائِي فَتَابَعْتُهَا
بِقَلْبِي، وَعَيْنِي إِلَى أُمِّهَا
رَأَيْتُ مَفَاتِنَهَا غَيْرَ تِلْكَ
وَأِنْ لَمْ يُخَلِّدَنَّ فِي جَسَمِهَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ حَوْلِهَا الْكَائِنَاتِ
جَوَانِحَ تَهْفُو إِلَى ضَمِّهَا
وَيَحْنُو الصَّبَاحُ عَلَى ثَغْرِهَا
وَقَدْ جَنَّ شَوْقًا إِلَى لَثْمِهَا
يُسَائِلُنِي الْقَلْبُ عَنْ أَمْرِهَا
وَأَسْأَلُهُ أَنَا عَنْ سِرِّهَا
وَيَعْطِفُنِي فِي الْهَوَى ضَعْفُهَا
وَأَنْسَى بَأَنِّي فِي أَسْرِهَا
وَتُبْدِي لِي الْأَنْجُمُ الْوَامِقَاتُ

رَفِيفَ الْأَمَانِي عَلَى ثَغْرِهَا
فَأَحْسَبُ أَنْ اهْتَزَّازَ الْحَيَاةِ
صَدَى حُبِّهَا وَرُؤَى سَحْرِهَا
لِكِذْبَتِهَا تُسْتَحَبُّ الْحَيَاةُ
وَيَصْفُو الزَّمَانُ بِتَغْرِيرِهَا
وَيَأْخُذْنِي الشُّكُّ فِي قَوْلِهَا
فَتُقْنِعَنِي بِأَسَارِيرِهَا
وَتَعْصَفُ بِي شَهْوَةٌ لِلْجِدَالِ
فَتُسَكِّنُنِي بِمَعَاذِيرِهَا
غَفَرْتُ لَهَا كُلَّ أَخْطَائِهَا
سِوَى دَمْعَتَيْنِ لِتَبْرِيرِهَا!
أَحَاوَلْتُ أَفْهَمَهَا مَرَّةً
فَأَعْيَا بِهَا وَبَتَفَكِيرِهَا
أَمْخْلُوقَةٌ هِيَ؟ أَمْ رَبَّةٌ
تَسِيرُ الْخَلَائِقُ فِي نِيرِهَا؟
وَمَا سِحْرُهَا؟ أَلْتَكْوِينُهَا؟
وَمَا حُسْنُهَا؟ أَلْتَصْوِيرُهَا؟!
تَقُولُ الطَّبِيعَةُ: بِنْتِي! وَمَا
أُحْسُّ لَهَا بَعْضَ تَأْثِيرِهَا!

أَعِنْدِ الطَّبِيعَةِ هَذَا الدَّلَالُ؟
وَفِي دِفْئِهَا مِثْلُ هَذَا الْحَنَانِ؟
إِذَا قِيلَ لِي: هَاكَ مُلْكُ الثَّرَى
وَدُنْيَا الشَّبَابِ، وَعُمُرُ الزَّمَانِ
فَمَا لِدَّتِي بِالَّذِي نِلْتُهُ،
وَمَا نَشَوْتِي بِرَحِيقِ الْجَنَانِ،
كَرْعَشَةِ رُوحِي وَهَزَاتِهَا

وصدري على صدرها واليدان!

وَعَنَّتْ فَأَسْمَعَنِي صَوْتُهَا
صَدَى الرُّوحِ فِي خَلْجَاتِ الْبَدَنِ
عَمِيقًا كَأَنْفَذَ مَا فِي الْحَيَاةِ
وَأَبْعَدَ مَا فِي قَرَارِ الزَّمَنِ
فَأَحْسَسْتُ كَيْفَ تَطْيِشُ الْعُقُولُ
وَتَسْهُو الْقُلُوبُ وَتَصْحُو الْفِتَنُ
وَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: يَا رَبَّتِي!
فَقَالَتْ لَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ»!!

رَأَاهَا عَلَى النَّبْعِ بَعْضُ الرُّعَاةِ
مَصُورَةً فِي إِطَارِ الْغُصُونِ
فَقَالُوا: أَحْلُمُ تَرَاهُ الْعَيُونُ؟
أَفِي الْغَابِ حَوْرِيَّةٌ؟ مَنْ تَكُونُ؟
وَمَسَّ مَزَاهِرَهُمْ حُبُّهَا
فَرَفَّتْ بِهَا خَالِدَاتُ اللَّحُونِ
وَبَاتَتْ تَعَانِقُ أَحْلَامَهُمْ
وَقَدْ كَادَ يَرْقُصُ حَتَّى السَّكُونِ

وَلَا حَتَّ بِمَرَأَى لِعَيْنِي فَتَى
طَوَى الْبَحْرَ لَيْسَ لَهُ مِنْ قَرَارٍ
تَفَتَّحَ عَنْ صَدْرِهَا مَوْجَتَانِ
وَيَنْشَقُّ فِي الْفَجْرِ عَنْهَا الْمَحَارُ
رَأَاهَا فَجُنَّ غَرَامًا بِهَا

حَوَاءُ

وَعَنَى بِهَا اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ
وَقَالُوا: تَعَشَّقُ جَنِيَّةً
فَتَى شَاعِرٌ تَائِهٌ فِي الْبَحَارِ!

* * *

قَضَى اللَّهُ أَنْ تُغَوِّيَ الْخَالِدِينَ
وَتُغَرِّيَ بِالْمَجْدِ عُشَّاقَهَا
لَقِيتُ عَلَى بَابِهَا الْفَاتِحِينَ
وَعَارَ الْفَتْوحِ وَأَبْوَاقَهَا
وَكُلَّ مُدِلٍّ عَصِيٍّ الْقِيَادِ
دَعَتْهُ الصَّبَابَةُ فَاشْتَاقَهَا
سَلَا مَجْدَهُ الضُّخْمَ فِي قُبْلَةٍ
تُذِلُّ وَتُسْعِدُ مَنْ ذَاقَهَا!
أَمَانِي شَتَّى تَمَثَّلْنَ لِي
بِكُلِّ وَضِيءٍ الصَّبَا نَاعِمِ
مُبْعَثَرَةً، حَوْلَهَا فِي التَّرَابِ،
بَقَايَا الدُّمَى فِي يَدِ الْحَاظِمِ
تَمُرُّ بِهَا وَهِيَ فِي ضُحْكِهَا
وَمَا ذَرَفَتْ دَمْعَةَ النَّادِمِ
فِيَا لَكَ مِنْ طِفْلَةٍ فَذَّةٍ
وَرُحْمَاكِ سَيِّدَةِ الْعَالَمِ!

بليتييس (مخاطبة سافو):

يحاولُ بالشعر إغراءنا

سافو:

لنؤمِّنَ واحدةً واحدةً!

بليتيس:

هو الموقفُ الضَّنْكَ ما يَتَّقِيهِ

تاييس:

كما يَتَّقِي باشقُ صائِدُهُ

سافو:

متى كان صَبًّا عطوفَ الفؤاد
وهذي قصائدُه الجاحِدة؟
ألا نَكْزِرِيهِ بِمَثَالِهِ
ونادي بحَيَّتِهِ الخالِدة

قُلُوبُ الشُّعْرَاءِ

الشاعر (محدثًا سافو):

ظَلَمْتُ الفنونَ وأربابَهَا
وما كنتِ حُورِيَّتي ظالِمَةً
قُلُوبُ تَلِدُ بتعذيبِهَا
غرائزُ عاتِيَةِ عارِمِهِ
تُرْنَحُهَا سَكَرَاتُ الهَوَى
وتُوقِظُهَا الفِتْنُ النَّائِمَةَ
صَحَّتْ من خُمارِ مَلَذَّاتِهَا
تُعَنَّفُ أهواءَهَا الآثِمَةَ

* * *

ألا ما لأختيكِ؟ ما تبغِيانِ؟
أقلبي والخنجرَ المُنتَضِي؟
خذاهُ! اقتلاه! ولا ترحماه!
فليسَ له بَعْدُ أن يَنْبِضَا
أذيقاهُ ما شِئْتُمَا واغْرِسَا
به الشرَّ ملتهبًا مُرْمِضَا
فلن تُنَبِّتَا فيه إلَّا السَّلامَ

ديوان علي محمود طه

وَالْحُبِّ وَالزَّهْرَ الْأَبْيَضَا!

* * *

إِنَاءٌ مِنَ النُّورِ طَافَتْ بِهِ
يَدُ الْحُبِّ غَارِسَةُ الزَّنْبَقِ
تُغَادِيهِ هَاتِفَةٌ فِي الدُّجَى
وَرَاقِصَةٌ فِي الضُّحَى الْمَشْرِقِ
بَأَجْنَحَةٍ كَرُؤَى الْخَالِدِينَ
لَغَيْرِ الصَّبَابَةِ لَمْ تَخْفِقِ
وَقَلْبِي مِنْ قَدَحِ فِي السَّمَاءِ
وَمَنْ نَبْعِ آلِهَةٍ يَسْتَقِي!!

الطيفُ الآدميُّ

سافو (في تهكم):

أَتَخْشَى لِقَانَا سَلِيلَ السَّمَاءِ
أَتَحْذَرُنَا أَمْ تَخَافُ الضِّيَاءَ؟

الشاعر (يهم بالظهور فيحسن أن له جسدًا وأنه لم يعد روحًا مجردًا):

مُحَدِّثَتِي مَا أَحَبَّ اللِّقَاءَ
لَقَدْ حَالَ جَسْمِي دُونَ اللِّقَاءِ
وَكُنْتُ تَخَلَّصْتُ مِنْ طَيْفِهِ
فَلَفَّقْتُهُ حَوْلِي يَدٌ فِي الْخَفَاءِ
كَأَنِّي أَهْذِي بِأَضْغَاثِ حُلُمٍ
أَوْ إِنِّي ضَلَلْتُ طَرِيقَ السَّمَاءِ!!

تاييس:

بليتيُس ... سافو ... الفرار!! الفرار!
فقد لبسَ الروحُ طيفَ البشرِ
أَتَبْصِرُهُ جَسَدًا عَارِيًّا؟
ونقربُه؟ تلك إحدى الكُبر!

هرميس:

على رَسْلُكُنَّ فقد عَاقَبْتُهُ
بأَقْوَالِ الْكُنِّ بَنَاتُ الْقَدْرِ

تاييس:

لقد عاقبته بأشعاره
فيا ليتّه ما هدى أو شَعَرَ

(الحوريات يلتفتن إلى الملك وقد سمعن الشاعر يصرخ في مخبئه).

هرميس:

أَتَصْرَخُ؟ وَيَحَكَ إِنَّ السَّمَاءَ
لِتَأْخُذَهَا صَرَخَاتُ الْأَلَمِ
مَنْ الْغَيْمِ، يَا شَاعِرِي، فَالْتَمَسْ
دِثَارَكَ وَاخْصِفْ بِهِ مَنْ أُمَمٍ
وَحُذْ مِنْ جَنَاحِيَّ مَا تَتَّقِي
بِهِ فِي السَّمَاءِ عَثَارَ الْقَدَمِ
وَأَقْسَمُ مَا رُمْتُ غَيْرَ الْحَنَانِ
وَإِنِّي زَعِيمٌ بِهَذَا الْقَسَمِ

الرَّجُلُ!

(يسمع صوت من وراء غمامة قريبة تنشق عن الشاعر في موقف اضطراب!)

(سافو تنظر إليه في دهشة بينما تاييس وبليتيس متجهتان إلى هرميس).

سافو:

بليتيس! تاييس!

الحوريتان:

ماذا؟

سافو:

انظروا ...
فتَّمَتِ أعجوبةٌ تَظْهَرُ

هرميس:

تعالِ فتى الشَّعْرِ ...

تاييس:

يَا لِسَمَاءِ!
أَبِالشَّعْرِ أَمْ بِالْفَتَى تَسْحَرُ؟

سافو:

أَهَذَا هُوَ الْآدَمِيُّ الْعَظِيمُ؟

بليتيس:

أَلَا شَدَّ مَا يَخْدَعُ الْمَنْظَرُ

تاييس:

تَصَوَّرْتُهُ مِنْ أَحَادِيثِهِ
فَتَى لَوْسَامَتِهِ يُؤَثَّرُ

هرميس:

تَرِيدِينَهُ صُورَةً أَمْ فَتًى
تَهْلُلُ فِيهِ الْحَجَى وَابْتَسَمَ؟

سافو:

رَأَيْتُ الرَّجُولَةَ كُلَّ الْجَمَالِ
هُوَ الرَّجُلُ الْفَرْدُ فِي الْمُرْدَحَمِ
تَرَاهُ عَلَى النَّبْعِ يُعْلِي الْغَطَاءَ
وَيُذْلِي الدَّلَاءَ وَيَسْقِي الْغَنَمَ
وَيَحْدُو الْعَذَارَى إِلَى دَارِهِنَّ

الرَّجُلُ!

حَيَّيْ الخُطَى «مُسَوِيَّ» الْقَدَمَ

هرميس:

لشَدِّ الذي قُلْتِه، يا ابنتي
كَلَامًا تَوَهَّجَ مِنْهُ الحَنِينُ
تَعَالِي هُنَا وَالثِّمِي جِبْهَةً
هَزَأَتْ بِهَا وَهِيَ حُلْمُ السَّنِينِ

بليتيس (تدنو من الشاعر وتلمس بيدها صدره وتمر بها على وجهه):

أَمِنْ حَمَلِ السُّحْبِ هَذَا الدَّثَارُ؟
وَمِنْ حَمَا الْأَرْضِ هَذَا الْجَبِينُ؟

هرميس:

دَعِي طَيْفَهُ وَانْظُرِي رَوْحَهُ
فَفِيهَا الصَّبَا وَالْجَمَالُ الْمَبِينُ

بليتيس:

هل الرجلُ الروحُ؟

تايبس:

لا، إِنَّهُ
مُحَيًّا تَرَقَّرَقَ فِيهِ الْوَسَامُ
وَعَيْنَانِ بِالسَّحْرِ تَسْتَأْثِرَانِ ...

سافو:

خيالٌ لَعَمْرُكَ هذا الكلامُ!
مُحَيًّا وعَيْنَانِ؟ ما في الرجالِ
سوى كُلِّ أَصِيدٍ سَبَطِ القِوَامُ
ذراعاهُ تستدرجانِ الخصورَ
وفي شفتيه حديثُ الغرامِ!

الملك (محدثاً نفسه في قلق وذهول):

تنزَّهْتَ عن شُبْهَةِ عالمي
ولا رابني فيكَ ما أَسْمَعُ
عهدتُ البراءةَ فيمن تُظِلُّ
فما لي من ريبةٍ أَفْزَعُ
وأبدعتَ خَلْقًا وَلَكِنِّني
أراهُ إلى عَبَثٍ يَنْزِعُ
سَبَى السَّحَرِ أَجْمَلَ أرواحِهِ
فأنطقهنَّ بما يَخْدَعُ

* * *

أفي عالم الرُّوح تَفْشُو الظُّنُونُ
وينطق رُوحٌ بهذا الكَلِمِ؟
أَسْأَلُ نفسي ... أَشَيْطَانُهُ
توسوسُ لي؟ أم مَلَكٌ أَثَمُ؟
أم الشُّكُّ أَذْنِني بالصَّرَاعِ؟
أم حلَّ بي غَضَبُ المَنْتَقِمِ؟

الرَّجُلُ!

صوت السماء (في موج من الأنغام الشجية):

بَلِ الْبَعْثُ آذَنَهُنَّ الْغَدَاةَ
فَلَا تَلْحَهُنَّ لَا تَتَّهَمُ

الْبَعْثُ الْأَوَّلُ

هي الأدمية طافتُ بهنَّ
وتلك غرائزُها والطباعُ
غداً تدرجُ الرُّوحُ في طيفها
وما الطيفُ للرُّوحِ إلَّا قِنَاعُ
سترقدُ في غورها الذِّكرياتُ
وتوقظهنَّ السنون السِّراعُ
وتمشي لحاضِرها في الحياة
بمصباحٍ ماضٍ خَفِيَ الشعاعُ
وكم نِباءةٌ كالحديثِ الجديدِ
وما هو إلَّا القديمُ السماعُ
من الخيرِ والشرِّ إلهاُمها
مقادِرُ تجري بهنَّ اليراعُ
فدَعُ للسَّماءِ تصاريِفها
فقد أذنَ البعثُ بَعْدَ انْقِطَاعِ

الملك (مخاطبًا الشاعر وقد أخذ طريقه في السماء):

وداعًا، صديقي ...

ديوان علي محمود طه

الشاعر (في حيرة وذهول):

إلى أين تمضي؟

الملك (ملوحًا بيده):

إلى الملتقى، فالوداع!

الشاعر (ملوحًا بيده والحوريات ينظرن إليه في عطف وابتسام):

الوداع!

أُغْنِيَهُ الرِّيحَ الْأَرْبَعِ

١٩٤٣

أغنية الرياح الأربع

بقلم علي محمود طه

نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من ألفي عام، ونوّه بكشفها ونقلها إلى الفرنسية العلامة الجليل الأب دريتون عام ١٩٤٢، وأتمّها وقَدّم لها شاعر مصري محدث بعد الميلاد بما يقرب من ألفي عام، محاولاً أن يتخيّل قصّتها وأن يهيئ لها جوّاً مسرحيّاً يترسّل فيه الحوار التمثيلي بروح ذلك العهد البعيد الذي نظمت فيه.

القاهرة، ١٩٤٣

تمهيد

- **زمن الرواية:** في عهد الأسرة التاسعة المصرية، أي: منذ أكثر من أربعة آلاف عام.
- **مكانها:** بدأت وقائعها في ميناء بيبيلوس من أعمال فينيقيا (بيروت الآن)، وكانت آشور العظيمة تبسط سلطانها السياسي إذاك على فينيقيا والكلدان وميزوبوتاميا وأرض كنعان. ولبيبيلوس حديث ذائع في التاريخ المصري سواء السياسي أو الديني أو الأدبي ... تقرأه في رسائل تل العمارنة التي وجدت من عهد الملك أخناتون. وفيما أشار إليه «برستد» من نصوص قصيدة «ملاح السفينة المحطمة»، وفي النصوص الدينية لقصة الإله أوزيريس إله الخصب والخير عندما قتله أخوه «ست» إله الجذب والشر، وأودع جثته صندوقاً ألقاه في اليم فحمله التيار إلى ميناء بيبيلوس، حيث استقر في جذع شجرة تعرفت عليها إيزيس بسحرها، وتوصلت بفتنتها إلى اقتلاعها والإبحار بها إلى مصر. وتنتهي وقائع القصة في شاطئ مصر غربي ميناء «رافيا» أول الثغور المصرية من جهة الشرق (رفح الآن).
- **الأشخاص:**

- **باتوزيس:** المغني المتجول. شاعر مصري. صاحب فن ورب خيال، يعيش ليومه قبل غده.
- **أزمردا:** القرصان الفاتن. رجل فينيقي. أنيق البزة. رياضي الجسم. خلاب الحديث.
- **حروازا:** سوداء الشعر. تمثل جمال الشرق.

- **مريتّا:** سوداء الشعر والعينين. تميل إلى الرقص والغناء والمرح، تمثل طابع الغرب.
- **ويشافا:** شقراء أوروبية في صورتها وتكوينها وزیها. تمثل الشمال.
- **أسميتّا:** زنجية هيفاء. تمثل الجنوب.
- **أرسطفان:** صاحب الحانة. رجل يوناني مادي النزعة بين الكهولة والشيخوخة.
- **أنتجونّا:** زوجة أرسطفان. شابة يونانية جذابة الطلعة، خيالية.
- **ماتوكّا:** عبد أسود رئيس خدم سفينة القرصان أزمردا.
- **حرشاف:** بحار فينيقي.
- **داريوس:** بحار يوناني.
- **سرنبال:** بحار إسباني.
- **إمرّا:** امرأة آشورية صديقة حرشاف.
- **نفراي:** امرأة آشورية صديقة داريوس.
- **أزيرو:** عملاق فينيقي من الشذاذ الأفاقيين.
- **شيلّا:** خلية أزيرو.
- **سمارّا:** خلية قديمة لأزيرو.
- **النكرات المسرحية:** جماعة من البحارة الإغريقين والشماليين والشرقيين غانيات وبنات هوى، جوقة من الفتيات الراقصات مختلفات الأعمار يمثلن عرائس الأمواج، جماعة من العبيد السود يعملون في سفينة القرصان أزمردا.

الفصل الأول

حانة «الملاح التائه» حانة صغيرة أنيقة، مزدانة بالقناديل الزجاجية الملونة، رفعت على جدرانها صور تمثل مغامرات العشاق في العصور الأولى. ذات باب عريض مواجه لرصفة البحر بميناء «بيبلوس». أرسطفان الخمار وزوجته أنتجونا في صدر الحانة منهمكان في تجفيف الأقداح وصفها بعناية، وقد أخذ ظل المساء يمتد على الشاطئ.

أنتجونا:

يا لِلْمَسَاءِ الْجَمِيلِ

أرسطفان:

لَأَنْتِ أَجْمَلُ مِنْهُ

أنتجونا:

أرسطفانُ النَبِيلُ
لِسَانُهُ لَمْ يَخُنْهُ
قَوْلُ بَغِيرِ دَلِيلِ
لَا يَصْفَحُ الْقَلْبُ عَنْهُ

أرسطفان:

فَمُ عَنِ التَّقْبِيلِ
إِنْ صُنَّتْهُ لَمْ أَصْنَهُ!

(وقد مال عليها يقبلها ثم يربت على خدها وهو يقول):

أُسْرَعِي، يَا أَنْتَجُونَا، أُسْرَعِي
قَدْ طَوَى الْمَغْرِبُ أَطْرَافَ النَّهَارِ
سَوْفَ لَا يَبْقَى هُنَا مِنْ مَوْضِعِ
قَادَةِ السَّفِينِ وَرَوَّادِ الْبَحَارِ
وَهَمُّوْ فِي كُلِّ زِيٍّ مُبْدَعِ
قَدْ خَلَّتْ مِنْهُ حَوَانِيتُ التَّجَارِ

أنتجونا:

دَعْ حَدِيثَ الزَّيِّ بِاللَّهِ دَعِ
أَنْتِ تُذَكِّي، فِي دَمِي، شُعْلَةَ نَارِ
أَوْتَرْضَى أَنْ أَرَى فِي الْمِرْفَعِ
بِإِزَارِي ذَاكَ أَوْ ثَوَابِ مُعَارِ؟

أرسطفان:

أَقْصِرِي، يَا أَنْتَجُونَا، وَاسْمَعِي
لِكَ مَنْي، فِي غَدٍ، أَعْلَى إِزَارِ؟

أنتجونا (وقد زمت شفتيها):

فِي غَدٍ تَنْسَى وَغُسْرًا تَدَّعِي

الفصل الأول

وَسَرَاوِيكَ مَلَأَىٰ بِالنُّضَارِ!

أرسطوفان:

تَبًّا لَهَا شَرَاهَةُ النِّسَاءِ
تُغْرِي بِهِنَّ أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ
يَحْلُمْنَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
بِالْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَالْأَزْيَاءِ

(يمر في هذه اللحظة باتوزيس وهو يتأمل ما حوله فيسترعي انتباهه منظر الحانة، فيقف بابابها ويعتمد قيثاره ويسترسل في الإنشاد):

باتوزيس:

هَيْمَانُ هَيْمَانُ، يَا غَرَامِي
ظَمَانُ ظَمَانُ لِلْمُدَامِ
مُشَرَّدُ اللَّبِّ لَيْسَ يَذْرِي
تَعَاقَبَ النُّورِ وَالظُّلَامِ
هَيْمَانُ مِنْ حَانَةِ لِأُخْرَى
بَلَا قَرَارٍ وَلَا زِمَامِ
يَشُدُّ قَيْثَارَهُ وَيَشْدُو
لِلنَّجْمِ، لِلرَّيْحِ، لِلْغَمَامِ!
يَخْطُبُ وَدَّ الْكُؤُسِ حِينَا
وَوَدَّ شُرَّابُهَا الْكَرَامِ
يُلْقِي أَغَانِيَهُ وَيُلْقَى
مَبَاذِلَ الْقَوْمِ بِابْتِسَامِ
أُذْنَاهُ لَا تَسْمَعَانِ إِلَّا
تَصْفِيقَ رَاحٍ وَضُحْكَ جَامِ
عَيْنَاهُ لَا تُبْصِرَانِ إِلَّا

ديوان علي محمود طه

مطالع الحسن والوسام
هيمن ظمان، يا غرامي

أرسطوفان (إلى باتوزيس):

كثيرون مثلك مرؤا بنا
فردوا الزبائن عن بابنا
وبثوا السامة في شربنا
ففرج ببعدك عن كزبنا!

باتوزيس:

يا أيها السيّد لا تُقصيني
ولا تكن من رحمة مؤسّي
إن صفرت كفائي من درهم
فما أنا بالرجل المفلس

أرسطوفان:

وما يكون لو هذا الغنى؟
غنى الخيال؟

باتوزيس:

بل غنى الأنفس!
غنيت بالنفس فلم أحتفل
بالزائلين: الزاد والملبس
عندي كنور الفن وهاجة
فهات لي كأساً، وخذ، واقبس
لو كنت في «طيبة» يوماً معي

الفصل الأول

رَأَيْتَ بَاتُوذِيسَ فِي الْمَجْلِسِ
يَسْقِيكَ مِنْ خَمْرَةٍ كُهَاَنَهَا
مَصْرِيَّةً عَذْرَاءَ لَمْ تُمَسِّسِ
عَلَى رَحِيمِ الشَّدْوِ فِي رُفْقَةٍ
مِنَ الْكَرَامِ الطَّيِّبِ الْمَغْرَسِ

أنتجونا:

من طيبة أنت؟

باتوذييس:

أجل

أنتجونا:

حَبِّ ذَا
مَعْدَايَ فِي شَتَائِهَا الْمَشْمَسِ!

باتوذييس (بعاطفة):

لَكُنْتُ، يَا سَيِّدَتِي، أَغْتَدِي
إِلَيْكَ فِي خِمَائِلِ السُّنْدُسِ
بِكُلِّ مَا اخْتَارْتُ وَمَا جَمَعْتُ
إِلَهْتِي مِنْ زَهَرِ اللُّوتَسِ
وَقَلَّ أَنْ يُهْدَى لِهَذَا الصَّبَا
وَالْحَسَنِ كَنْزُ النَّهْرِ الْأَقْدَسِ!

أنتجونا:

أيها المنشدُ الغريبُ فتَيَّ أنتَ مُعْجَبُ
منكَ عَن طَيِّبَةِ الغناءِ جميلُ مُحَبِّبُ

باتوزيس (غناء):

حَبَّذا النهرُ وَالشُّرَاعُ به الرِّيحُ تَلْعَبُ
بين شَطَّيْنِ كالزَّبَرْجَدِ، والماءُ مُذْهَبُ
رَاحَ مَلَّاحُهُ الشَّجِي يُغْنِي فَيُطْرَبُ
وَعَلَى الأفقِ والحقولِ نَشِيدُ وَمَوْكِبُ
أيها الزَّارِعُونَ، ما تُنْبِتُ الأرضُ طيِّبُ
اقتطفوا زَهَرَ أوزريسَ وَمِنْ خَمْرِهِ اشربوا!

(أنتجونا في شبه حلم لذيذ، تنظر إلى زوجها وقد كفت يدها عن الأقداح، وهي تقول):

أنتجونا:

هذا النشيدُ الجميلُ
يَشْدُو بِنَجْوَانَا
مَلَّاحُ وادي النيلِ
بالأَمْسِ غَنَّاْنَا
وَهَزَّ بالترتيلِ
مَوْجًا وَشُطَّانَا

باتوزيس:

أَيُّ صَدَى هَزَّنِي
وَأَيُّ حُلُمٍ عَجَابُ

الفصل الأول

هَلْ لِي إِلَى مَوْطِنِي
يَا رَبَّتِي مِنْ إِيَابٍ؟
يَا رَبَّتِي رَدِّدِي
هَذَا النِّدَاءَ الْجَمِيلَ
الْيَوْمَ أَمْ فِي غَدٍ
أَرَى ضِفَافَ النَّيْلِ؟!

أنتجونا:

يَا لَلْفَتَى دَمْعُهُ
يَجْرِي عَلَى الْقَيْثَارُ
أَرْسُطَفَانُ ادْعُهُ
فَاللَّيْلُ عَيْدُ الْبَحَارِ
وَشَدْوُهُ وَقْعُهُ
تَحْلُو بِهِ الْأَسْمَارُ

أرسطفان:

ذَكَرْتُ مَرَاخِنًا، يَا أَنْتَجُونَا
وَأَيَّامَ الصَّبَابَةِ وَالتَّمَنِّي
وَلَيْلَاتِ «بَطِييْبَةَ» سَاحِرَاتِ
رُؤَاهَا لَمْ تَغِبْ، فِي الدَّهْرِ، عَنِّي

أنتجونا:

وَضَلَّلْتُنَا عَلَى خُضِرِ الرِّوَابِي
وَزَوْرَقْنَا عَلَى الْمَوْجِ الْمَغْنِي

أرسطوفان:

وَشَدَوْ رِعَاتِهَا فِي كُلِّ فَجْرٍ
عَلَى جَرَسِ الْقَطِيعِ الْمَطْمِنِ

أنتجونا:

وَتَرَجِيعِ الْحَمَائِمِ وَهِيَ تَهْفُو
حَوَائِمَ بِالنَّخِيلِ الْمَرْجَحِ

أرسطوفان:

دِيَارُ مَنْ بَنَى فِرْعَوْنَ طَالَتْ
بِأَسْ مِنْ حَضَارَتِهَا وَرُكْنِ
إِذَا أَبْوَابُهَا فُتِحَتْ أَطْلَتْ
عَجَائِبُ لَمْ تَجُلْ يَوْمًا بَظُنٍّ
تُنْسِي صُنْعَ أَشُورٍ وَتَجْلُو
رَوَائِعَ مُلْهِمَاتِ كُلِّ فَنٍّ

(أرسطوفان يملأ قَدْحًا ويضعه على المائدة، أنتجونا ترفعه وتقدمه إلى
باتوزيس، وهي تقول):

أنتجونا:

إِشْرَبْ، وَعَنْ الآنَ، يَا شَاعِرِي
وَاقْضِ هُنَا اللَّيْلَ مَعَ السَّامِرِ
وَهَاتِ لَحْنَ الْبَلَدِ السَّاجِرِ
مَصْرَ الَّتِي مَا بَرَحْتُ خَاطِرِي

باتوزيس (يشرب القدح دفعة واحدة، وينحني شكرًا وهو يغني):

خَمْرٌ طَبِيبَةٌ أُم بَابِلِيَّةٌ
هَذِهِ نَفْحَةٌ رُوح قُدْسِيَّةٌ
مِنْهُ الحُسْنُ بِكَفِّي أَرِيحِيَّةٌ
تَمْنَحُ الرَّحْمَةَ قَلْبَ الْبَشَرِيَّةِ
لَكَ، يَا أَجْمَلَ رَبَّاتِ الْبَرِيَّةِ،
دَعْوَةٌ صَادِرَةٌ مِنْ أَصْغَرِيَّةِ!

(تسمع ضجة من بعيد تقترب، فيقف باتوزيس بباب الحانة متطلعًا وهو يقول):

أَرَى سَاحَةَ الْمِينَاءِ شَتَّى مِشَاعِلِ
تَبْتُ سَمَاءَ الْبَحْرِ شَتَّى مِفَاتِنِ
رَبَابِنَةُ السُّفْنِ الْمَوَاحِرِ أَقْبَلُوا
يُحْيُونَ عِيدَ الْمَاءِ، عِيدَ السَّفَائِنِ
يَلُوحُونَ مِنْ أَقْصَى الطَّرِيقِ بِمَوَكِبِ
تَصَايَحَ فِيهِ كُلُّ نَشْوَانَ مَاجِنِ
أَلَا حَبَّذَا عِيدُ الْبَحَارِ وَحَبَّذَا
شَرَابِي فِيهِ أَوْ شَجِي مَلَا حِنِي!

أنتجونا:

أَرَسْطَفَانُ انْظُرْ جَمَالَ الْمَوَكِبِ
وَاسْمَعْ لَذِيَّاكَ النَشِيدَ الْمَطْرِبِ
أَرَاهُمْ مِنْ بُعْدٍ كَأَنَّهُمْ
فِي مَرْقَصٍ يَلْهَوْنَ أَوْ فِي مَلْعَبِ
كُلُّ فَتَى ضَمَّ فَتَاةً وَمَشَى

ديوان علي محمود طه

يَخْطُرُ فِي زَهْوِ الْمَحَبِّ الْمَعْجَبِ
أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ ...

أرسطوفان:

أَنْتَجُونَا، مَا أَرَى
غَيْرَ خَلِيطِ هَائِجٍ مُؤَلَّبٍ
مِنَ الرِّجَالِ الْعَابِثِينَ، بَيْنَهُمْ
أَخُ الْأَثَامِ وَالْغَرَامِ الْقُلُوبِ
وَبَائِعَاتِ الْحَبِّ فِي أَسْوَاقِهِمْ
مِنَ النِّسَاءِ جَامِعَاتِ الذَّهَبِ!
حَبِيبَتِي، أَخْشَى عَلَيْكَ سُكْرَهُمْ
فِي حَانَتِي، فَاجْتَنِبِيهِمْ وَادْهَبِي

أنتجونا:

مِمَّ تَخَافُ؟ فَتْنَةً أَمْ غَيْرَةً؟
تَظُنُّ بِي سَوْءًا؟ أَمَا وَثِقْتَ بِي؟

أرسطوفان:

أَصْغِي إِلَيَّ الْآنَ، يَا صَغِيرَتِي
وَامْضِي إِلَى مَخْدَعِكَ الْمَحَبِّ

أنتجونا:

كَلَا! سَابَقِي هَا هُنَا

أرسطوفان:

بل اذهبي
ولا تثيري غضبي

أنتجونا:

بل اغضب!!

أرسطوفان (يأخذ بيد زوجته مشيراً لها إلى باب خلفي):

هذا طريقك، فاذهبي بأمان
سارَ الهتافُ على طريقِ الحانِ
إنِّي أخافُ عليكِ وسوسةَ الطَّلَا
في كأسِ عريبيد الصُّبا، نشوانِ
وهبَ المخاطرَ عُمُرُهُ، فشبابُهُ
أحلامُ كأسٍ أو خيالُ غواني
وأخافُ نظرةَ جارجٍ متربِّصٍ
تُخفي حُلَاهُ حَبَائِلَ القُرْصَانِ
عَزَلًا، إذا ساقَ الحديثَ حَسْبَتِهِ
ربَّ الخيالِ وشاعرِ الوجدانِ
يُغوي إناثَ الجنِّ لا يعيا بها
حَيْلًا، ويقنصها بطرفِ بنانِ
أرسي سفينتهُ هناكَ كأنَّها
مقصورةُ العشاقِ في بستانِ
ملعونةِ الحُجَرَاتِ، كُلُّ أثاثها
قَيْدُ الضحِيَّةِ أو سياطُ الجاني
إنَّ يَدْعُ زائرةً لها فسبيلُها
سوقُ الرقيقِ وعالمُ النسيانِ

ديوان علي محمود طه

عن قنصٍ جاريةٍ وخطفِ أميرةٍ
كم عندَ قُرصانِ البحارِ أغاني!

(تخرج أنتجوتا من الباب الخلفي كأنها متضايقه.)

أرسطفان:

وأنتِ، يا باتوزيس، هيّا
إملاً فضاءَ المساءِ شدّوا
وابعثُ أغانيك مفرحاتِ
أنّا، وأنّا يسِلنَ شجّوا
وإنّ علّت ضجّةُ السّكاري
فألهُ معَ الشاربينَ لهوا
ولا تَضُقْ بالسّبَابِ صدراً
وظنّ ما ينطّقون لغّوا

(يقترب موكب الملاحين وهم ينشدون نشيدهم حتى يدخلوا الحانة بأزيائهم
البهجة، وهم مستمرون في نشيدهم ويأخذون أماكنهم.)

الجميع:

نحنُ قادةُ السفين
نحنُ سادةُ البحارِ
لا يعزُّنا السّفارُ
أو يهزُّنا الخطارُ
عيّدنا من الجمالِ،
والجلالِ، والفخارِ
نحن سادةُ البحارِ
البحارِ

أحد البحارة:

البحار مهْدُنَا

الجميع:

وَالسَّفِينُ مَجْدُنَا

أحد البحارة:

قَدْ عَشَقْنَاهَا شِرَاعًا خَافَقَا

بحار آخر:

أَيْنَا لَمْ يَكْ يَوْمًا عَاشِقًا؟

الجميع:

لَابِنَةُ الْمَاءِ عَرُوسِ الْجَارِيَاتِ
عَيْدُهَا أَجْمَلُ أَعْيَادِ الْحَيَاةِ
أَيُّ عِيدٍ مِثْلُهُ فِي الْكَائِنَاتِ!

أحد البحارة:

غَادَةً عُشَّاقُهَا فِي كُلِّ ثَغْرِ
تَعَشَّقُ الْمَجْهُولَ وَالْوَجْهَ الْغَرِيبَا

بحار آخر:

تَحْمِلُ الْأَشْوَاقَ مِنْ بَحْرِ لِبَحْرِ

الجميع:

وَهِيَ لَا تَوَثِّرُ بِالْقُرْبِ حَبِيْبًا

أحد البحارة:

عَنْ أَبِيهَا وَرِثَتْ حُبَّ الصَّرَاعِ
يَوْمَ لَاقَى الْأَرْضَ غَضْبَانَ عَتِيًّا

بحار آخر:

طِفْلَةٌ تَرْقُصُ فِي ظِلِّ الشَّرَاعِ

بحار آخر:

وَتَقْوُدُ الْمَوْجَ وَالنَّوَى الْعَصِيًّا

الجميع:

إِنَّهَا بِنْتُ الْبَحَارِ
الْبَحَارِ

(الجميع يصفقون ويهللون.)

سرنبال:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ عَجِّلْ بِأَبَارِيْقِ الْمُدَامِ
هَاتِنَا مِنْ خَمْرَةِ الشَّرِقِ أَفَاوِيْقَ الْغَرَامِ

(أرسطوفان يسرع بالأقداح والأباريق.)

الفصل الأول

(الجميع يملئون أقداحهم ويرفعونها وهم ينشدون مع الإعادة وبالطرق على الموائد.)

(أحدهم يغني الشطر الأول والجميع يرددون الشطر الثاني.)

الجميع:

غَنُّوا الكَاسَا يَا أَصْحَابِي
حَيُّوا الشَّمْسَا فِي الْأَكْوَابِ

سرنبال (وهو يتأمل الحانة):

بِاللَّهِ مَا أَجْمَلَ هَذِي الْحَانَةُ
وَضِيئَةُ جِدْرَانِهَا مَزْدَانَةُ
بِالصُّوْرِ الرَّائِعَةِ الْفَتَانَةُ
تُمَثِّلُ الصَّبُورَةَ وَالْمَجَانَةَ

حرشاف:

صَاحِبُهَا الْمَلَّاحُ فِي الْبَحْرِ شَرْدُ

داريوس:

وَرُبَّمَا يَعُودُ آخَرَ الْأَبْدِ

سرنبال:

لَا! بَلْ حَسَا شَرَابُهُ حَتَّى نَفَدَ

داريوس:

فهام في اللجة يعصر الزبد

حرشاف:

بل عبثت جنيته برأسه

سرنبال:

فظنّها إحدى بنات جنسه

حرشاف:

يا ويحه مانفعه بنفسه
وهو أسير حبه وكأسه؟

سرنبال:

أغاص في البحر أم قدح الخمر

حرشاف:

أم أبجر الشعر من حيث لا يدري؟

داريوس:

يا أيها الخمار، قل ودلنا
من صاحب الحانة؟ أين؟ قل لنا

أرسطفان (دهشًا):

من صاحبُ الحانّة؟ من هذا؟ أنا!

داريوس:

أنت؟ عجبٌ أن نراكَ بيننا

حرشاف (ضاحكًا):

انظر إلى وجهك في المرآة
وصِفْ لَنَا عَجِيبَةَ الْحَيَاةِ

داريوس:

مِنْ أَيِّ غَابٍ، يَا وَحِيدَ الْقَرْنِ

سرنبال:

وما اسمُكَ الصحيحُ؟ لا تُكْنِي!

أرسطفان (مبتسمًا):

أرسطفان

حرشاف (ممسكًا بشعرات شارب أرسطفان):

عَلِمَ مَغْلُوطٌ
صَحَّتْهُ وَشَكَّلَهُ الْمَضْبُوطُ
تُنْبِئُ عَنْهُ هَذِهِ الْخِيوطُ

سرنبال:

أرسطفانُ أنتَ أخطُوطُ

داریوس:

حَرشَافُ هَذي شَعراتُ مُضجِكَ

سرنبال:

يَلْفُهَنَّ بِيَدِ مَرْتَبِكَ

داریوس:

في شاربٍ يَرْعُدُ مِثْلَ السَّمَكَةِ

حَرشَاف:

إِلَيَّ، يا داريوسُ، هاتِ الشَّبَكَةَ!

(ضحك متواصل.)

أرسطفان (هامساً متضرعاً):

باتوزيسُ هيا غَنِّي
نَدِّهم عَنِّي بصدى لحن!

(يرتقي باتوزيس مائدة ويشير إلى أرسطفان فيناوله قدحاً فيرفعه عاليًا، وهو يَنشد.)

باتوزيس:

جَدُّدُوا، يَا أَيُّهَا الصَّحْبُ، مَسَرَّاتِ الزَّمَانِ
إِنَّ هَذِي لَيْلَةٌ الْحُبِّ فَضْجُوا بِالْأَغَانِي
ارْفَعُوا الْأَقْدَاحَ مَلَأَى، وَاشْرَبُوا نَخْبَ الْحَسَنِ!

(الرجال يرفعون أقداحهم والنساء يصفقن رافعات الأقداح.)

حرشاف:

للسواحبِ الحسانِ

إمرا:

للشبابِ

نفراي:

للغزل!

سرنبال:

للقدودِ

داريوس:

للخدودِ

حرشاف:

للتغورِ

باتوزيس:

للقُبْل!

داريوس:

للعينِ

حرشاف:

للفتونِ

سرنبال:

للجنونِ

باتوزيس:

للاُمْل!

إمرا (واقفة رافعة قدحها):

نَحَبَ صَاحِبِي الْجَمِيلِ كُلُّ شَارِبٍ نَهْلٍ!

(يميل عليها حرشاف فيقبلها والجميع يهتفون):

الجميع:

تحيا القُبْلُ يحيا الغَزْلُ

الفصل الأول

حرشاف (رافعاً قدحه مشيراً إلى إمرا):

وَنَخَبَ عَيْنِكَ، يَا جَمِيلَةَ

داريوس:

يَا أَظْرَفَ الْغَانِيَاتِ طُرّاً

نفراي (وهي تجذبه):

تُغِيظُنِي أَمْ تَرِيدُ حِيلَهُ؟

داريوس:

إِنِّي أَحْيِي صَنِيعَ إِمْرَا

نفراي:

قَوْلٌ تَوَقَّعْتُ أَنْ تَقُولَهُ!

داريوس:

نِفْرَايَ لَا شَكَّ أَنْتِ غَيْرِي!

نفراي (ساخرة):

غَيْرِي؟ أَمِنْ هَذِهِ الْهَزِيلَةِ؟
داريوس أَنْتِ امْتَلَأْتَ خَمْرًا

داريوس:

بَلْ أَنْتِ نَفْرَاي! أَنْتِ سَكْرَى

نفراي:

داريوسُ ما لَكَ عَيْنُ
تَطِيقُ وَهَجَ ضِيَائِي
أُنْظِرُ لَوَجْهِي قَلِيلًا
وَلَا تَذُبْ مِنْ حَيَاءِ
أَيُّ الْجَمِيلَاتِ مِنِّي
أَحَقُّ بِالْإِطْرَاءِ
«بيبلوس» تعرف سحري
وَفَتْنَتِي وَرَوَائِي
إِذَا خَطَرْتُ الْهُوَيْنَا
وَالْعَاشِقُونَ وَرَائِي
مِنْ كُلِّ سَابِ جَمِيلٍ
جَمُّ الصَّبَا وَالْثَرَاءِ
لَوْ نَالَ تَقْبِيلَ تُغْرِي
أَتَى بِمُلْكِ السَّمَاءِ
لَكِنْ صَدَّقْتُكَ حُبِّي
وَأَنْتَ، فِي الْبَحْرِ، نَاءِ
داريوسُ ما لَكَ عَهْدُ
لَأَنْتَ زِيرُ نِسَاءِ

(ثم تثب فجأة واقفة ملقية بمعطفها نازعة وشاحها، وتبدأ في رقصة خلابة
مثيرة تشرب إليها الأعناق، وتتردد صيحات الإعجاب. ثم تنتهي رقصتها
فتقف حانية رأسها، مضمومة اليدين على صدرها، بين التصفيق والهتاف،
وتلمع الفتنة في عيني داريوس فينحني مقبلًا قدميها ماذًا ذراعيه لضمها،
وهو يصيح):

داریوس:

هيا اهتفوا، أيها الرجالُ
لربّةِ الحسنِ والدلالِ
نفرايَ معبودةِ الجمالِ

(في أذن إمرا.)

داریوس یحنو علیها یبحثُ عن شفتيّها

إمرا:

قد خَرَّ بَينَ يَدَيِّها مُقَبِّلًا قَدَمَيِّها

(ويحتضنها داریوس وينزل بها وهي مغمضة العينين موسدة رأسها صدره،
وهو يناجیها):

داریوس:

ضَعي هنا رَأْسَكِ، يا حَبِيبَتِي
لشَدِّ ما أَهواكِ، يا جَمِيلَتِي
أُرْني إِلَيَّ، واغفري خَطِيئَتِي
أنا الغيورُ، فاصفحي عَن غَيْرَتِي

(ويقبلان بعضهما.)

حرشاف:

والآن، يا أيها النساءُ هيا إلى الرقص والغناء

(وفجأة يدخل أزمردا الحانة بزيه العجيب ومشيته المهيبة دون اكتراث بالجميع، فيسترعي منظره الأنظار، ويأخذ مكانه بانحراف في آخر الحانة بينما ينظر إليه باتوزيس من طرف خفي، وهو يقول لنفسه):

باتوزيس:

مَنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ يَبِينُ نَصْفُهُ؟
هَذَا فَتَى مَا غَابَ عَنِّي وَصْفُهُ
جَبِينُهُ، وَعَيْنُهُ، وَأَنْفُهُ
أَذَاكَ أَزْمَرْدَا تُرَى! أَمْ طَيْفُهُ؟
يَا لِلْعَيْنِ لَمْ يُصِبْهُ حَتْفُهُ
حَيًّا أَرَاهُ وَالصَّبَا يَحْفُهُ
وَالْخَمْرُ فِي الْأَقْدَاحِ تَسْتَحْفُهُ

داريوس:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ هَيَّا أَتَرَعِ الْكَاسَ وَنَاوِلْ

حرشاف:

لَا تَدْعُ فِي الدَّنِّ شَيًّا وَاسْقِنَا مِنْ خَمْرِ بَابِلْ

(ويسري المرح في جو الحانة من جديد ويسرع أرسطفان بأباريق الخمر فيهتف سرنبال):

سرنبال:

أَيُّهَا الشَّادِي، أَمَا تُسْمَعُنَا لَحْنًا شَجِيًّا؟

نفرأي:

غَنَّا، يَا شَاعَرَ الْحَبِّ، قَصِيدًا عَبْقَرِيًّا

داريوس:

قِصَّةٌ مِصْرِيَّةٌ الْأَلْحَانِ وَزَنًا وَرَوِيًّا

إمرا:

أَوْ نَشِيدًا أُسِيوِيًّا

حرشاف:

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّ هَيَّا

(يعتمد باتوزيس قيثاره ويأخذ في الإنشاد حيناً والغناء حيناً آخر ويشترك معه الجميع في بعض أبياتها):

باتوزيس:

يَرْوِي لَكُمْ، فِي الشَّعْرِ، بَاتُوزِيسُ
أَجْمَلُ مَا يُرْوَى
مِنْ قَصَصِ أَوْحَتْ بِهِ إِيزِيسُ
يُغْجِبُ مَنْ يَهْوَى
وَيَسْتَثِيرُ الْوَجْدَ وَالشَّجْوَ
فِيمَا مَضَى، مِنْ غَابِرِ الْأَيَّامِ كَانَ فَتَى مَلَّاحٍ
نَهَارُهُ أَوْ لَيْلُهُ أَحْلَامٌ بِالْغَيْدِ وَالْأَقْدَاحِ
مُسْتَغْرِقًا فِي اللَّهْوِ وَالْأَفْرَاحِ
جُنَّ بِأَشُورِيَّةٍ هَيْفَاءَ مَعْبُودَةِ الْحُسْنِ

كانت لها سفينة في الماء أميرة السفن
شرأعها أعجوبة الفن
وليلة مرّ فغنّاهَا أغاني الحب
فاستمهلْتُ تُصغي، فحيّاها تحية القلب
فأومأت تدعوه من قرب
وعلمته القنص والأسفار في الغرب والشرق
فطوّفا في قاصيات البحار أو لجة العشق
عامين مرّا كسنا البرق
وليلة في الشاطئ الفضّي أسرى إلى القنص
بيننا دنت من شعب الأرض سفينة اللص
تدبّ في خوفٍ وفي حرص
وحَدَعَتْهَا رنة الصوت من هاتفٍ بالباب
يصيحُ في حشجة الموت يا رحمة الأرباب
هذا غريق في ثنايا العباب
وأوقعتها نخوة الإحسان في قبضة القرصان
ولم يزل عاشقها الولهان من سالف الأزمان
يسأل عنها الريح والخلجان
وقال راو: حدّثوا عنه في قصّتي نوح
إنّ إلها زوّجت منه في عالم الروح
فأنجبت آلهة الريح!
فإن سمعتم في صدى الأمواج أو لحن شاديكم
أغنية تهفو على الأتباع حيرى تغاديكم
فهي لها، وهي تناديكم!

حرشاف:

يا للفاجر يا للغادر

داريوس:

أَيْنَ نَرَاهُ! أَوْ نَلْقَاهُ؟

باتوزيس:

سَلْ إِلَهَ الرِّيحِ عَنْهُ إِنَّ أَرَدْتَ الثَّأْرَ مِنْهُ!
هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ جَائِثٌ إِنَّ تَفْتَقِدُهُ
وَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ إِنَّ تَسَلَّ عَنْهُ تَجِدُهُ
وَتَرَاهُ بَيْنَنَا الْآنَ وَإِنْ لَمْ تَعْتَقِدْهُ
مَثَلٌ لِلشَّرِّ مَهْمَا يَطُوهُ الدَّهْرُ يَعِدُهُ

إمرا:

أَنْقُضِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَسْرَى هَذِهِ الْحَانَةِ؟
وَفِي بَيْبُلُوسَ أَلْوَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ فَتَانَةٌ

حرشاف:

هَلُمُّوا، أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، فَاللَّيْلَةُ حُسَّانَةٌ

نفراي:

وَهَذِي الْغُرْفُ الْحَمْرَاءُ بِالْإِغْرَاءِ مَلَانَةٌ

داريوس:

وَمَعْشُوقَاتُنَا يَنْظُرْنَ مِنْ آنٍ إِلَى آنَةٍ

سرنبال:

هَلُمُّوا قَبْلَ أَنْ يَهْجَرَ طَيْرُ الْفَجْرِ أَوْ كَانَهُ

حرشاف:

وَيُجْرِي الشَّقَقُ الْأَوَّلُ فَوْقَ الْمَاءِ عُقْيَانَهُ

داريوس:

وَيَدْعُو صَاحِبُ الْفُلِكِ إِلَى الدَّفَّةِ سَفَانَهُ

باتوزيس:

فَلَنَزَعَ الْأَكْوَابُ
وَلَنُدِرَ الْأَنْخَابُ

سرنبال:

فِي صَحَّةِ الْإِعْرَاءِ

نفراي وإمرا:

وَالْغُرْفِ الْحَمْرَاءِ

حرشاف:

بَلْ نَحَبَ بَاخُوسِ

داريوس:

وَحُورِ بِيْلُوسِ

الجميع (ينشدون في صوت واحد، وهم يغادرون الحانة):

فَلْيُحَيِّ بِاخُوسُ وَلْتَحَيِّ بِيْلُوسُ

حرشاف (وهو يأخذ بذراع إمرا):

فَوَاتِنَ الدُّنْيَا هَيَّا بِنَا هَيَّا

(ويغادر الجميع، ما عدا أزمردا، وقد ألقوا بنقودهم، ثمن الشراب، على الموائد فيسرع أرسطفان إلى جمعها مبتهجا.)

باتوزيس (إلى أرسطفان متعمداً تجاهل أزمردا):

إِلَيَّ بِجَرَعَةٍ قَدْ جَفَّ حَلْقِي
وَأَوْهَى الْمِعْزَفُ الشَّادِي بِنَانِي

أرسطفان (يملاً قدحاً ويسرع به إلى باتوزيس ضاحكاً مرحاً):

إِلَيْكَ إِلَيْكَ، باتوزيس، فاشربْ
مَعْتَقَةً مَخْتَمَةَ الدِّانِ
لَقَدْ أَبْدَعْتَ فِي شَدْوٍ وَلَهُوَ
كَمَا أَبْدَعْتَ فِي نَظْمِ الْأَغَانِي!

أزمردا (للخمار مشيراً إلى باتوزيس):

وَهَاتِ لَهُ بَثَانِيَةً فَإِنِّي
طَرِبْتُ كَأَنَّ آلِهَةً تُغْنِي

لَقَدْ غَنَّكَ طَيْبِي نَبِيلٌ
أَرَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَنَأْ عَنِّي
تَحَدَّرَ مِنْ ضِفَافِ النِّيلِ حَتَّى
أَتَى أَشُورَ فِي ثَوْبِ الْمَغْنِيِّ

(مشيرًا لباتوزيس).

أَبَاتُوزِيسَ هَاتِ الْكَأْسَ هَيَّا
تَعَالَ، تَعَالَ، وَاذْنُ الْآنَ مِنِّي
سَمِعْتُكَ فِي الطَّرِيقِ فَجِئْتُ أَصْغِي
إِلَيْكَ، وَأَنْتَ فِي سُبُحَاتِ فَرْ
وَأَزْمُرْدَا صَدِيقَكَ لَمْ تَخُنْهُ
فَرَأَسْتُهُ، وَصَوْتُكَ لَمْ يَخُنِّي!

(باتوزيس يتصنع الدهشة والفرح معًا، يحمل قدحه ويخف به إلى أزمردا وهو يقول):

باتوزيس:

يَا لَفَجَاءَاتِ الْفَرَحِ! وَيَا لَنَشْوَةِ الْقَدَحِ!
أَأَنْتَ أَزْمُرْدَا؟ أَحَقًّا أَنْتَ؟ أَمْ أَنْتَ شَبِيحُ؟

(مشيرًا إلى ثياب أزمردا).

هَذَا الْجَلَالُ! مَا أَرَى؟ أَرَى نَفَائِسَ الْحُلِّ
كَأَنَّهَا أُسْطُورَةٌ يَبْرُزُ لِي مِنْهَا بَطْلٌ
أَقُولُ: مَنْ هَذَا الْأَمِيرُ فِي صِدَارَةِ الدَّهَبِ؟!
وَهَذِهِ الْجَوَاهِرُ الْمَضُوتَاتُ كَالشَّهْبِ!

أزمردا:

وَلَا تَقُول: بَلْ فَتَى عَرَفْتُهُ عَلَى الزَّمَنِ
كُنَّا مَعًا نَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ وَنَقْتَادُ السُّفُنَ!

باتوزيس (رافعاً قدحه):

نَخْبَ الثَّرَاءِ الْعَظِيمِ
نَخْبَ الصَّدِيقِ الْقَدِيمِ

أزمردا (رافعاً قدحه):

نَخْبَ الْغِنَاءِ الرَّخِيمِ
وَنَخْبَ صَيفِي الْكَرِيمِ

باتوزيس:

ضَيْفُكَ! مَا تَعْنِي؟ وَمَاذَا تُرِيدُ
تَضِيفْنِي أَنْتَ الثَّرِيُّ الْعَتِيدُ
وَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ مُغْنٍ شَرِيدُ
فِي أَيِّ قَصْرِ أَوْ بِنَاءٍ مَشِيدُ؟
تَقِيمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ السَّعِيدُ؟!

أزمردا:

أَقِيمُ فِي قَصْرِ؟ وَفِيمَ الْقُصُورِ
وَطَوَّعَ سُلْطَانِي هَذِي الْبُحُورِ
أَوْمٌ فِيهَا حَالِيَاتِ الثُّغُورِ
مِبْتَهِجِ الْأَصَالِ نَضَرَ الْبُكُورِ
عَلَى شَرَاكِ قَرْمَزِيٍّ جَسُورِ

ديوان علي محمود طه

منطلقًا يَغْرُو سَمَاءَ النُّسُورِ
ولا يَنِي بينَ الصَّبَا والدُّبُورِ
يثيرُ أهواءَ الحسانِ الحورِ
حتى تُرى في ظِلِّهِ المَنَشُورِ
يحملها إلى الغَدِ المقدورِ!

باتوزيس:

سِرُّكَ، يا صاح، عرفتُ مَكْمَنَهُ
سفينك الراسي وعيشُ القرصَنَةِ
يا للثراءِ، وَيَحَهُ، ما أَلَعَنَهُ!

أزمردا:

ألا تزالُ، يا فتى، مهذارا
مُحَدِّثًا أو منشِدًا ثَرْتَارًا
تُلَفِّقُ الألحانَ والأشعارا
تَتَّهَمُ السفينَ والبحارا
وَتَخْلُقُ القراصنَ ابتِكارًا
في صورةٍ تكسو الرجالَ عارا؟

باتوزيس:

عارُكَ لن يُمَحَى ولن يُوَارَى!
أذاكرَ أنتَ أزمردا منعَمَةً
بيضاءَ كالشمسِ في أبهى مطالعِها؟
إذا مَشِينَا على الميناءِ تَرْمُقُها
خَلْسًا، وعيناك نارٌ في مدالِعِها
خدعتني عن خطاها وهي واثبةٌ

مِثْلَ الغزاليّة تلهو في مراتبها
 حتى ظفرت بها غدراً وطرت بها
 مثل الرياح أضلّت خطو تابعها
 قنصتها قنص جبار وما شفعت
 لديك حتى الدوامي من مدامعها
 يا بؤسها، وهي في الأسواق عارية،
 ويا لها بين شاريها وبائعها!
 معروضة الجسم تلتف العيون بها
 تكاد تنفذ من أخفى مقاطعها
 كأنها دُميئة المثلّ يفحصها
 نقّاده ليزوا أخطاء صانعها
 كأنها الشاة والقصاب ينقذها
 بمثل ما جسّ لحمًا في أضالعها
 رواية كلما مرّت يجددّها
 قرصان بحر ويحيي من وقائعها
 فاذكّر مصائب آباء بما اجتاحت
 يدك، أو أمّهات في فواجعها
 واذكّر فتاتك إن صرت الغداة أبا
 وكان مثلك مقدورًا لطالعها!

أزمردا:

أراك كما فارقتك الأمس شاعراً
 على الدهر عريداً، من الناس ساخرًا
 ترامى بك الحانات تشدو بمزهر
 تغني السكارى والنساء العواهر
 حوانيت لهُو أنت فيها فراشة
 تظلّ على أضوائها العمر حائراً

وسادُكْ كرسِيّ عتيقُ بحانَةٍ
إذا ضافَكَ الخَمَّارُ وامتنَّ أجراً
ومن عجب تُزري على الجاه والغنى
وتسألُ بي هذي الحُلَى والجواهرَا
وتهزأُ بي بين السُّكاري وما أرى
بهم غيرَ فتاكٍ يَلصُّ المواخرَا

باتوزيس:

وَعَذْرُكَ أزمردا! تكلّمْ فإنّني
أرى منك وحش الغاب أنقى أظافِرا!

أزمردا:

رويدك، باتوزيس، ما كنتُ غادرا
وما كنتُ إلّا أسيوياً مُغامِرا
أبيعُ الصبايا الهائِماَتِ على الطوى
لأمنحنَّ العيشَ رِيَّانَ ناضِرا
وأخدعُ فيهنَّ الرجالَ وربما
نَسَلَنَ نجومًا أو ولدنَ عباقرَا
وأغشى بهنَّ الدُّورَ عاليَةَ الدُّرى
لأجعلَ منهنَّ الإماءَ حرائِرَا
والهةً فوقَ الشعوبِ يسمُنّها
مقادَةَ رَبّاتٍ يَقْدَنَ المقادِرا
فخلَّ خيالَ الفنِّ للساعةِ التي
يدينُ لك المالُ النُّهى والخواطرَا
هو المالُ غَفَّارُ الخطيئاتِ فالتمسْ
به خالقًا يَغْفُو ويبيطُشُ قادِرا

باتوزيس:

أَيْهَا السَّاجِرُ دَعْنِي كُفَّ هَذَا السَّحَرِ عَنِّي
أَيُّ أَنْعَامٍ مِنَ السُّحْرِ مُرْنَاتٍ بِأُذُنِي
كَدْتُ أَنْ تَبْلُغَ مَا لَمْ تَبْلُغَ النُّشُوءُ مِنِّي
كَدْتُ أَلْقِي فِي يَدِ الشَّرِّ بِسَيْفِي وَمَجَنِّي
لَا عَلَيْنَا الْآنَ مِنْ هَذَا التَّحْدِي والتَّجَنِّي
لَكَ سُلْطَانُكَ فِي الْبَحْرِ، وَلِي كَأْسِي وَلَحْنِي!

أزمردا:

وَلَكَ الْخِيَالُ الْعَبْقَرِيُّ يَصُوغُ آلِهَةَ الرِّيحِ
مُتَرَنِّمَاتٍ بِالْعَشِيِّ مَغَنِّيَاتٍ بِالصَّبَاحِ
تَحْتَالُ تَذَكُّرُهُنَّ فِي قِصَصٍ مِنَ الْكَذِبِ الصُّرَاحِ
قِصَصٍ تُنَمِّقُ لَا إِزْيِسُ بِهِنَّ تَعْلَمُ أَوْ بَتَاخُ!
وَتَرَوْحُ تَغْمَزْنِي، وَأَنْتِ تَجِدُ فِي قَوْلِ الْمَزَاخِ!

باتوزيس:

وَيْكَ أَزْمَرْدَا دَعِ الظَّنَّ وَلَا
تَحْسَبِ الْقِصَّةَ مِنْ هَزْلِ الْحَيَاةِ
كَنْتُ فِي «طَبِيبَةٍ» مِنْ عَامٍ مَضَى
وَتَسَمَّعْتُ لِأَخْبَارِ الرُّوَاةِ
فَتَيَاتٍ أَرْبَعُ يَظْهَرْنَ فِي
كُلِّ عَامٍ صُورًا مُخْتَلِفَاتٍ
رَائِعَاتٍ يَتَخَطَّرْنَ عَلَى
هَذِهِ الْأَمْوَاجِ مِثْلَ النَّسَمَاتِ

أزمردا:

حبذا هُنَّ، أَلَا صِفْهِنَّ لِي
كَيْفَ يَطْلَعْنَ؟ وَفِي أَيِّ الْجِهَاتِ؟

باتوزيس:

فَوْقَ شَطْءٍ رَمْلُهُ مِنْ ذَهَبٍ
لِوَلَوِيِّ الْمَاءِ دُرِّيِّ الْحَصَاةِ
مَنْ يَحْزُنُهُنَّ يَحْزُنُ مُلْكُ الثَّرَى
وَمَقَالِيدَ الْبَحَارِ الطَّاغِيَاتِ

أزمردا:

آه، لَوْ يَسْنَحَنَ لِي كُنْتُ إِذَنْ
سَيِّدَ الْبَحْرِ وَرَبَّ الْغَزَوَاتِ!
كُنْتُ، باتوزيس، أَحْبُوكَ الْغِنَى
وَمَسَرَّاتِ الْعُصُورِ الْخَالِيَاتِ

باتوزيس:

يَا لِأَطْمَاعِكَ أَزْمَرْدَا، أَفِي
مُلُوكَاتِ الرِّيحِ قِفْ! بَعْضَ الْأُنَاةِ!

أزمردا:

أَوَأَنْتَ باتوزيسُ تَوْمُنُ بِالْقُوَى الْمُتَجَسِّدَاتِ؟
وَبِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ فِي صُورِ الْإِنَاثِ مُصَوَّرَاتِ؟
أَوَأَنْتَ تَوْمُنُ!

باتوزيس:

كيف لا! والروح كُبرى المعجزات
نحيا كآلهة بها ونعيش من بعد الممات

أزمردا:

هذي الرواية من نسيج الوهم أو صنْع الخيال
أَوَأَنْتَ تَؤْمَنُ؟

باتوزيس:

لستُ أؤمنُ بالخدِعة والضلالِ
أمنتُ بالروحِ القويِّ يهدُّ طاغيةَ الرجالِ
ويصبُّ صاعقةَ السماءِ على العتيِّ من الجبالِ

أزمردا:

لَمْ يَكُنْ عهدي بباتوزيسَ نشوانَ يُجادلُ
وَلَقَدْ أَغْمَدْتُ سيفي، وَهُوَ لَا زَالَ يَنَاضِلُ
أَنْتَ ضِيفِي، فَقِمِ الْآنَ، وَدَعْ هَذَا الْمَبَاذِلُ
وَتَهَنُّ بِالْكَرَى الْعَذِبِ وَصِلْ مَا أَنْتَ وَاصِلُ
مِنْ ذَوَاتِ الْقُرْطِ وَالشَّفِّ وَرَبَّاتِ الْخِلَافِلُ
وَلْيَكُنْ حُلْمُكَ حُورِيَّاتِ آشُورَ وَبَابِلَ

باتوزيس (مغضباً):

لَكَ عُذْرِي، يَا أَخَا الْوَدِّ، فَمَا أَنْتَ بِقَائِلُ؟

أُزمردا:

يا أيها الفتى الرقيقُ، لا تَكُنْ مُعاندي
أَنْتَ أَخِي، فلا تُرَبِّكْ، يا أَخِي، مقاصدي
ذَكَرْتُ عَهْدَنَا الْقَدِيمَ وَالْوَفَاءُ شَاهِدِي
فَرَاغَنِي أَنِّي أَرَاكَ فِي هَوَانٍ شَارِدٍ
تَقْتَاتُ كَالْهَرَّةِ مِنْ سَوَاقِطِ الْمَوَائِدِ
تَعَالَ فِي سَفِينَتِي، وَكُنْ أَخِي وَسَاعِدِي
وَاسْتَقْبِلِ الدُّنْيَا وَغَنِّ لِلْغِنَى الْمَوَاعِدِ
وَذُقْ مَبَاهِجَ الْحَيَاةِ عَذْبَةَ الْمَوَارِدِ
دَعِ الْخَيَالَ وَاطْرَحِ تَوَافِهَ الْعَقَائِدِ
وَحُضْ مَلَا حِمَ الرِّجَالِ، وَافْتَحِمْ، وَجَالِدِ!

باتوزيس:

قُلْ لي: مساء الخير، يا صديقي
وَلْنَفْتَرِقْ كُلُّهُ إِلَى طَرِيقِ!

(وفجأة تعلقو ضجة بباب الحانة حيث يبدو «أزيرو» متعلقة بذراعه «شिला»
ومن ورائه جماعة من الرجال والنساء بينهن «سمارا»، ويأخذ أزيرو مكانه
مواجهًا لأُزمردا وهو يقبل شिला فيندفع رجل من الجماعة إليه):

أزيرو:

إِلَيْكَ عَنِّي الْآنَ؟ مَا تَرُومُ؟

الرجل:

أَطْلُبُ حَقِّي، أَيُّهَا الزَّعِيمُ!

أزيرو:

أها هُنا حَقُّكَ، يا لئيمُ؟

الرجل (بصوت جهوري):

أنا اللئيمُ؟ بلْ أنا المَلُومُ!

أزيرو:

إِلامَ تَهْذِي أَيُّها المَحْمُومُ
غــــــدًا أراك

الرجل (مهددًا بيده):

موعدٌ محتومٌ!!

أزيرو (وهو يلعب بسففيه علامة التهديد):

ألا تعيشُ، يا فتى، إلى الصباح؟

الرجل (وقد تقلص وجهه):

ألا أعيشُ؟

أزيرو (متوعدًا ساخرًا):

لا تَحَفْ وَلَا تُرْعَ!

ديوان علي محمود طه

الرجل (في استخفاف):

ممن أخافُ؟ منك!

أزيرو (مشيرًا لسيفه):

بل من السلاح

الرجل (في شراسة):

عَفُوا أزيرو نحن في الهوى شَرَعُ
هذا سِلَاحُ لم يُعَدَّ للكفاح
عَدَا غِنَاءُ أَوْ بكاءُ وَقَزَعُ!

أحد الجماعة:

يا للشقيِّ قَدْ نَجَا بنفسِه

شيلا:

كَيْفَ أزيرو لَمْ تُطَحْ برأسِه

أزيرو:

لَا لَنْ أُمَدَّ إِصْبَعًا للمِسِه
غُـدًّا أَرَاهُ

أحد الجماعة:

راقداً في رَمْسِه!

شילה (مصفقة):

أرسطفان هيئ الشرابا

سمارا:

إملاً لنا الصحاف والأكوابا

أزيرو:

فاكهة وخمرة عجابا

(ويسرع أرسطفان بالأقداح بادئاً بأزيرو وشילה واضعاً أمامهما صحتين من العنب والتين، ويمر بالجميع موزعاً الأقداح فيرفعونها وهم يهتفون):

الجميع:

نخب الزعيم نشرب ونلعب ونطرب

شילה:

هيا اشربوا هيا اطربوا

أزيرو (يقبلها ثم يهمس في أذنها ويخرج من صدارته شيئاً وهو يهتف):

شילה أغمضي ناظريك واقتربي
عندي كنز إليك أهديه

(تغمض عينيها وتقرب وجهها منه فيضع في عنقها عقداً مصاعاً من دنانير ذهبية صغيرة، والجميع ينظرون بلهفة بينما تنهض سمارا من مكانها في غيظ وكمد):

ديوان علي محمود طه

شيللا (وهي تتحسس عنقها):

ماذا أزيرو وَضَعَتْ فِي عُنُقِي؟
ع _____ ق _____ د _____

أزيرو:

أَجَلٌ، يَا حَبِيبَتِي، تَهَيَّ
أَجْمَلُ عَقْدٍ رَأَيْتُهُ، وَأَرَى
جَيْدَكَ أَمْسَى أَحَبَّ مَا فِيهِ

شيللا (إلى سمارة وهي تتأمل العقد):

هَآكِ اَنْظِرِيْهِ!

سمارا (في خبث):

نَظَرْتُ ... وَاعْجَبِي!
بَعْضُ نَحَاسٍ وَبَعْضُ تَمْوِيَةٍ

(مشيرة إلى عنق شيلا.)

لَوْ كَانَ هَذَا أَحَبَّ مَا فِيهِ
مَا بَاتَ مِنْ دِرْهَمٍ يَسَاوِيهِ

شيللا (غاضبة):

لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ، يَا سَمَارًا، لَاحْتَفَيْتُ عَنِ الْعْيُونِ

الفصل الأول

سمارا (وهي تشير إلى أزيرو):

لو كَانَ لي رَجُلٌ لَكُنْتُ ... وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَا أَكُونُ!
لكن سُرِقْتُ وهكذا يُسَبَّى الرجالُ وَيُسْرَقُونَ

شيلا (صارخة في سمارا):

وَيْحَكَ، يَا سَارِقَةَ الْجِيُوبِ!

سمارا (وهي تشيح عنها):

أَشْرَفُ من سَارِقَةِ الْقُلُوبِ!

شيلا:

أَأَنْتِ، يَا عَدُوَّةَ الْجَمَالِ

سمارا (في حدة):

بَلْ أَنْتِ، يَا خَاطِفَةَ الرِّجَالِ
أَسْطَى من القُرْصَانِ فِي السَّفِينَةِ
كَيْدُكَ، يَا قُرْصَانَةَ الْمَدِينَةِ!!

(وينهض أزيرو حائقًا فيصفع سمارا ويدفع بها بقوة بين قدمي أزمردا وهي تتشج بقاء، فيرفعها أزمردا ويجلسها على كرسيه بينما يتقدم أزيرو منه صائحًا):

أزيرو:

تَنَحَّ عنها، أَيُّهَا الْقُرْصَانُ!

أُزمردا (بصوت رائع):

وَمَنْ تَكُون، أَيُّهَا السَّكَرَانُ؟

(فيسْتَلُّ أزيرو سيفه وفي لمحة خاطفة يجرد أُمردا سيفه، ويضرب به سيف أزيرو فيكسره ويقف أزيرو عاجزًا.)

أُزيرو (مدممًا):

قَدْ خُنْتُني!

أُزمردا (في عنف وهو ينزع قلنسوته):

بَلْ خَانَكَ الْجَنَانُ
أَنْظِرْ لَوَجْهِ أَيُّهَا الْجَبَانُ!

(وتتردد صيحة من جوانب الحانة.)

أُزيرو (وهو ممتقع الوجه.):

أُزِم ... ردا أُزِم ... ردا
أُزِم ... ردا

(ويتراجع الرجال والنساء متلاصقين خوفًا وهم يرددون هذا الاسم في رعب وفزع، بينما يغمد أُمردا سيفه ويتناول قلنسوته، ويشير إلى باتويزيس فيهرع إليه طائعًا، ويسير إلى جانبه كالمسحور، وهما يغادران الحانة تتبعهما سمارة بين هذه الصيحات والهمسات!)

الفصل الثاني

المنظر الأول

أزمردا، سفينته الصغيرة الأخاذة المنظر راسية في الصباح في مكان غربي ميناء «رافيا» على شاطئ غريب منبسّط متألّق الرمال. فيه زهرات برية مختلفة الألوان ونبت جميل وشجرات صغيرة من النخيل والزيتون، منتشرة بينها بعض الصخور وعلى الأفق تبدو أشباح سحب وجبال. أزمردا وماتوكا يتأملان في دهشة الشاطئ.

ماتوكا:

سَيِّدِي! ما أرى الغداةَ إزائي؟

أزمردا:

شاطئٌ ضاحكُ الثرى والماء

ماتوكا:

فيه نبتٌ، وفيه زهرٌ جميلٌ،
وظلالٌ تموجُ في أضواءِ

أزمردا:

كَالَّذِي تَذْكُرُ الْقَوَافِلُ عَنْهُ
كُلَّ عَامٍ فِي مُسْتَهْلِ الشِّتَاءِ
مُلْتَقَى الْعَابِرِينَ مِنْ أَرْضِ كِنْعَانَ
إِلَى مَصْرَ أَوْ حَمَى سَيْنَاءِ

ماتوكا:

أَيُّ رُوحٍ خَفِيَّةٍ، أَيُّ رِيحٍ
حَمَلْتُنَا بِأَجْنَحٍ فِي الْخَفَاءِ؟
نَشَرْتَ ذَلِكَ الشَّرَاعَ وَأَمَّتْ
ذَلِكَ الشَّاطِئُ الْعَجِيبَ الرِّوَاءِ

أزمردا (وكأنه لم يسمع كلام ماتوكا):

نَحْنُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ إِلَى مَصْرَ
وَهَذِي عَجِيبَةُ الْأَنْبَاءِ

ماتوكا (تاركًا أزمردا متوجِّهاً إلى البحر منحنياً يبحث بين الأصداف):

يَا لِهَذِي الرِّمَالِ تَلْمَعُ وَالْأَصْدَافِ
فِيهَا كَثِيرَةُ اللَّأْلَاءِ
فَلَا تَقْشَرَنَّ فِيهِنَّ عَنْ دُرَّةِ عَصْمَاءِ
وَلْتُحَسِّنِ الْحِظُوظُ لِقَائِي!

أزمردا:

يَا مَاتوكَا الزِّمِ الْحِذْرُ نَحْنُ فِي مَوْقِفِ الْخَطَرِ
تَطْمَعُ الْآنَ فِي اللَّالِي، يَا هُزُوءَ الْقَدْرِ!

ماتوكا (وهو مستمر في بحثه):

منك، يا سيدي، عرفتُ متى أَلْزَمُ الحَذَرَ
وَتَعَلَّمْتُ سَيِّدِي كَيْفَ لَا يَقْنَعُ البَشَرُ!
أنا، في البحرِ، باحثٌ عَنْ يَتِيمٍ مِنَ الدُّرُرِ
مثلما أَنْتَ باحثٌ عَنْ يَتِيمَاتِكَ الْأُخْرَى!
الصبايا المُرَنِّحَاتُ مِنَ الدَّلِّ والخَفَرِ!

أُزمردا:

أيها الغُرُّ، لا تُغْرِكَ بَرَّاقَةُ الحَجَرِ
جَفًّا حَلَقًا مِنَ الظِّمَاءِ ذَاكَ بَرْقٌ بِلَا مَطَرٍ

(ويستمر ماتوكا في عمله غير مصغٍ إلى كلام سيده فينصرف أُزمردا عنه
ويجلس على صخرة، وهو يقول):

عِشْتُ عمري بذلك البحرِ أَلْقَى
فِيهِ شَتَّى الرِّيحِ وَالْأَنْوَاءِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَلْقَ مِثْلَ رِيحِ
الْأَمْسِ! يَا لِلْعَوَاصِفِ الْخُرْسَاءِ!
أَهِيَ تِلْكَ الَّتِي تَحَدَّثُ بَاتُوْزَيْسَ
عَنْهَا فِي مَجْلِسِ الصَّهْبَاءِ؟
فَتِيَّاتُ الرِّيَّاحِ، أَلْهَةُ المَوْجِ
المَغْنِيِّ، عِرَائِسُ الدَّامَاءِ؟
قِصَصٌ مِنْ خِرَافَةِ أَوَّلِ النَّاسِ
بِهَا كُلُّ حَادِثٍ بِقَضَاءِ
وَأَسَاطِيرُ «طَيْبِيَّةٍ»، رَبَّةِ السَّحَرِ،
ومَهْدِ الْخِيَالِ وَالْإِغْرَاءِ

وَعَجِيبُ رُقَادُنَا لَا نُحِسُ الْفَلَكَ
تَجْرِي وَلَا هَدِيرَ الْمَاءِ
أُتْرَى بِاتُّوزِيسُ دَبَّرَ أَمْرًا
فَسَقَانِي وَاشْتَطَّ فِي إِسْقَائِي!
وَرَأَنِي أَغْطُ فِي النَّوْمِ فَاَنْسَابَ
خَفِيفًا كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ
ثُمَّ حَلَّ الشَّرَاعَ، وَانْتَزَعَ الْمَرْسَاةَ،
مَسْتَلْهِمًا مَهَبَّ الْهَوَاءِ
لَا ... فَأَيْنَ الْعَبِيدُ أَمْ أَيْنَ مَاتُوكَا
الشَّدِيدُ الْحَرِصُ الْقَوِيُّ الدَّهَاءِ
لَا ... فَمَا زَالَ بِاتُّوزِيسُ صَرِيعَ الْكَأْسِ
نَهَبَ الْأَحْلَامَ وَالْأَهْوَاءِ
هُوَ فِي مُخْدَعِي كَمَا بَاتَ، يَهْذِي
بِالسُّكَارَى، وَبِالطَّلَا وَالْغَنَاءِ
فَلْيَكُنْ مُنْشَدُ السَّفِينَةِ أَحْتَالُ
بِهِ فِي مَوَاقِفِ الْإِغْوَاءِ
كَلِمَا أَطْبَقْتُ فِخَاخِي عَلَى صَيْدِ
غَرِيرٍ مِنْ نَافِرَاتِ الظُّبَاءِ
غَاشِيَاتِ الْأَسْوَاقِ فِي كُلِّ مِينَاءِ،
وَمِنْهُمْ صَاحِبَاتُ الْخُبَاءِ
كَانَ عِيدُ الْبَحَارِ مُوسَمَ صَيْدِي
فِي دِيَارِ بِالْمُغْرِيَّاتِ مِلَاءِ
عُدْتُ مِنْهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ بِيَوْمِ
لَمْ أَفْقُ فِيهِ مِنْ خُمَارِ الْمَسَاءِ
فَلْتَكُنْ وَجْهَتِي إِلَى الْغَرْبِ عَلَيَّ
ظَافِرٌ مِنْ غَنِيمَتِي بِلِقَاءِ!

(ثم يقف أزمردا متطلعًا إلى الأفق البعيد متأملًا صفاء السماء، وهو يقول):

الفصل الثاني

يا عَيْنُ ما أَجْمَلَ هذا الصُّبَّاحُ
يُثِيرُ في نَفْسِي قَوِيَّ الطُّمَاحِ
للصَّيدِ، والكَّأْسِ، وَحُبِّ المَرَّاحِ

(تبدو في هذه اللحظة أربع فتيات جميلات كأنهن قادمات إلى نزهة على الساحل، وهن يتمخرن صفًّا واحدًا متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموسيقي الموقع، فيشيع في نفسه الرجاء ويفرك كفيه مبتهجًا، وهو يقول):

يا عَيْنُ، ما هذي الوجوه الصُّبَّاحُ
وَهَذِهِ القاماتُ مِثْلُ الرِّمَّاحِ
طوالُ الحُسْنِ، الصِّبَايا، المِلاحِ

(لنفسه)

حبائلي، لا يُخْطِئَنَّكَ النُّجَاحُ
وهل يُتَّاحُ الصَّيْدُ لي؟ هل يُتَّاحُ؟

(الفتيات وقد اقتربن من مكان أزمردا وهن مبتهجات باليوم الجميل ومنظر الميناء، وينظرن إلى أزمردا وهو يحني رأسه قليلًا ويشير بيديه تحية لهن):

أزمردا:

عَمَّنْ صباحًا، أيها الحسانُ

الفتيات:

وعَمَّنْ صباحًا، أيها الرُّبَّانُ

أُزمردا:

أَمْبَحَرَاتُ؟ حَبَّذا الْأَوَانُ
فَالْبَحْرُ صَفْوُ كُلِّهِ أَمَانُ
حَتَّى الرِّيحُ مَسَّهَا الْحَنَانُ
أَوْ عَطَفَتْهَا لِلْكَرَى الشَّطَّانُ
سَفِينَتِي، يَا حُسْنَ، لَوْ تَرَانُ
بَكْنَ أَوْ يُسَعِدُهَا الزَّمَانُ

(أُزمردا يتوجه إليهن باسمًا بعد أن أتم كلامه، فيبتسمن له ويقفن كأنما
يتفرجن على سفينته الراسية بينا يختلسن النظرات منه ومن زيه الغريب
الجميل):

حروازا:

أَيُّهَا الرَّبَّان، لَسْنَا مُؤَذِّنَاتٍ بِرَحِيلٍ
نَحْنُ مَا جِئْنَا إِلَى الشَّاطِئِ نَسْعَى لِسَبِيلِ

مريتا:

إِنِّهَا تَسْلِيَةُ النَّفْسِ، وَإِرْضَاءُ الْمَيُولِ
بَيْنَ نَوْرِ الْأَفُقِ الضَّاحِكِ وَالْبَحْرِ الْجَمِيلِ

أُزمردا:

حَبَّذا أَتَنْتَنَ، فِي الشَّاطِئِ، تَخْطُرْنَ مَلِيًّا
يَا أَرْقُ الْحَوْرِ، يَا أَجْمَلَ مَنْ رَفَّ عَلَيَّا
حَبَّذا هَذَا الْحَدِيثُ الْعَذْبُ مِنْكَ إِلَيَّا

(إلى حروازا):

خَبَّرْنِي أَنْتِ، يَا حَسَنَاءُ، يَا أُخْتَ الثَّرِيَّ
صَوْتِكَ السَّاحِرُ يَسْرِي نَعْمًا فِي أُذُنِيَا
وَبَعِينِي فَتَوُّنُ مِنْ سَنَا هَذَا الْمُحَيَّا
أَتُرَى تَسْكُنُ هَذَا الْوَادِي الْخَضِبَ الْنَدِيَّا؟
حَبْذَا الدَّارُ الَّتِي تَمْنَحُنَهَا الْعَيْشَ الرَضِيَّا
خَبَّرْنِي، أَيْنَ أَلْقَى ذَلِكَ الْمَغْنَى الْوَضِيَّا
لَأُحْيِيهِ إِذَا مَا جِئْتُ صُبْحًا وَعَاشِيَّا

حروازا:

يَا أَخَا الرِّقَّةِ وَالزِّيِّ الْعَجِيبِ
أَنْتَ لَا شَكَّ غَرِيبٌ هَا هُنَا
إِنْ تَسَلْ عَنْ مَرْفَأِ النَّيْلِ الْقَرِيبِ
فَاتَّجِهْ غَرْبًا عَلَى هَذَا السَّنَا

مريتا:

أَوْ تَسَلْ عَنْ ذَلِكَ الْوَادِي الْخَضِيبِ
فَهُوَ مَغْنَى الْأُنْسِ، أَوْ رَوْضُ الْمُنَى

ويشافا:

نَلْتَقِي فِيهِ عَلَى شَطِّ حَبِيبِ
كُلِّ عَامٍ مَا دَعَا الشَّوْقُ بِنَا

أسميتا:

مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ فِيهِ رَتِيبِ
مِصْرٍ مِنْ أَطْرَافِهَا دَارُ لَنَا!

(ثم يعدن إلى خطرتهن الأولى متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموقع،
متجهات في طريقهن الأول مبتعدات عن أزمردا.)

أزمردا (هاتفًا بعد تفكير خاطف كأنما كان يدبر في نفسه أمرًا):

هذه اللحظة الجميلة حلم البحر،
حلم السفائن الراقصات
سرت وامرحن، أو تغنين ماشتن،
وانعمن بالصبا والحياة
وليكن يومكن، يا فتياتي،
يوم عيد لهذه الكائناتِ

ويشافا (ناظرة خلفها):

رَجُلٌ مُعْجِبٌ وَأَعْجَبُ مِنْهُ
زِيَّةُ الْمُذْهَبِ الْجَمِيلِ الشَّيَاتِ!

(ويظهر ماتوكا في هذه اللحظة مقبلًا من الشاطئ فيرى الفتيات الأربع ولا
يصدق ما يراه، وينظر إلى أزمردا فيراه واقفًا في مكانه شاخصًا إلى الفتيات
وكأنه مأخوذ وحين يرى ماتوكا إزاءه يقول):

ماتوكا:

أَذْنَنِي بِوَجْهِكَ الظَّهَوْرُ
فَغَابَ عَنِّي الْأَنْسُ وَالْحَبَوْرُ
وَأَنْتَ، يَا أَسْوَدُ، يَا مَغْرُورُ

(مشيرًا إلى الفتيات وهن يبتعدن.)

تَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ يَغِيبُ النُّورُ!

ماتوكا (شاخصًا حيث يشير أزمردا):

أَبْصِرْ حُورَ الْبَحْرِ يَمْرُحْنَ، أَمْ تَرَى
هُوَ الشَّاطِئُ الْمَسْحُورُ، أَمْ أَنَا أَحْلَمُ؟

أزمردا:

بَلِ الْوَاقِعُ الْمَرِئِيُّ حُورٌ فَوَاتِنُ
دَعَاهُنَّ لَهُوَ أَوْ دَعَاهُنَّ مَائِثُ
تَحَايَلْتُ أَدْعُوهُنَّ حَتَّى حَسِبْتُنِي
أَخَا صَبُوءَةٍ أَوْ شَاعِرًا يَتَرَنَّمُ
وَسَدَدْتُ سَهْمِي فِي الصِّمِيمِ فَصَدَّهُ
خِيَالُ خَفِيِّ، أَوْ جَلالُ مُلَنِّمٍ
رَأَيْتُ قُوَى فِيهِنَّ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا
كَالْهَةِ عُلُويَةٍ تَتَكَلَّمُ

ماتوكا:

أَمِنَكَ تَعَلَّمْتُ الْجَرَاءَةَ وَالسُّطَا
وَأَلْفَاكَ أَزْمَرْدَا تَهُمُّ فَتُحْجَمُ؟

أزمردا:

رَوَيْدَكَ، مَا تَوَكَّا، فَمَا تِلْكَ خَطَّتِي
وَلَا أَنَا مِمَّنْ يُسْتَثَارُ فِيهِجْمٍ
وَلِي قَدْرَةٌ لَيْسَتْ تَعْفُ، وَجَرَاءَةٌ
يَخَافُ سَطَاها الْقَسُورَ الْمُتَأَجِّمُ
وَأَشْتَفُ أَهْوَاءَ النَفُوسِ بِنَظَرَةٍ
تَذُوقِ الطَّلَا فِي الدَّنِّ، وَهُوَ مَخْتَمٌ

وَلَكِنِّي أَحْتَالُ بِالشُّعْرِ وَالْهَوَى
وَأَسْتَلْهُمُ الْحَسْنَ الْخِيَالَ وَالْهَمَّ
وَيَا رَبَّ صَيِّدِ نَفَرْتَهُ ضِرَاوَةً
وَأَسْلِسْهُ فِي الْقَيْدِ لَفْظُ مَنْعَمٍ

ماتوكا:

وَلَكِنْ قُوهَنَّ الْعَجِيْبَاتُ!

أزمردا:

لا تَرْعُ
فَلَلْمُنْطَقُ الْخَلَابُ أَقْوَى وَأَعْظَمُ

(مشيرًا إلى لسانه.)

بِقِطْعَةٍ هَذَا اللَّحْمِ يَمْضَغُهَا الْفَمُ
أَزْلِزْ أَرْكَانَ الْجِبَالِ وَأَحْطِمْ

ماتوكا:

وَإِنْ هُنَّ حَاولَنَ الْفِرَارَ!

أزمردا:

حَبَائِلِي
تَسُدُّ عَلَى الرِّيحِ الْفَضَاءَ وَتَدْهَمُ
أَتَفَلَّتُ مِنْ كَفِّي قَنَائِصُ أَرْبَعٍ؟
لَهُنَّ جَمِيعًا لِي مَتَاعٌ وَمَغْنَمُ!

ماتوكا:

أُثِرَتْ فُضُولِي بِالْكَلامِ فما تُرَى
وَقُوفُكَ تَرْنُو نَحْوَهُنَّ وَتَبْسَمُ؟

أزمردا:

لَأَمْضِيَ فِي آثَارِهِنَّ وَأَتَّقِي
خُطَاهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَ الْمُتَكَتِّمُ
أَرَاهُنَّ لَا أَبْدُو، وَأَسْمَعُ لَا أَرَى
كَأَنِّي خِيَالُ ضَائِعِ الظِّلِّ مُبْهِمُ!

ماتوكا:

وما تَتَّقِي؟

أزمردا:

إِنَّ النِّسَاءَ غَرَائِزُ
تَحْسُ دُيُوبَ الْوَهْمِ إِذْ يُنَوِّهَمُ

ماتوكا:

وما تَبْتَغِي؟

أزمردا:

أَسْرَارَهُنَّ وَإِنْهَا
مِفَاتِيحُ بَابِ خَلْفِهِ الْحِظُّ يَجْتُمُّ

ماتوكا (وهو يلف طيلساته على كتفه بقوة):

إِيهِنَّ أْزَمَرْدَا! إِيهِنَّ لَا تَقْفُ!
أَلْهَةِ الشَّرِّ انْظُرِي كَيْفَ أُقَدِّمُ!

(وينطلق أزمردا في أثر الفتيات.)

المنظر الثاني

بقعة خضراء تشبه الواحة ذات شجر ونبات خلف صخرة بيضاء تحجبها عن البحر، وعن الأنظار، يهبط إليها الفتيات دون أن يشعرن بتعقب أزمردا لهن وقد اختفى وراء الصخرة مطلقاً عليهن من فجوة صغيرة، فيراهن وقد أخذن يخلعن غلائلهن الشفافة ويلقينها على العشب بينما تنشد حروازا:

حروازا:

إِلَى صَخْرَتِنَا الْبِيضَاءِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخُضْرَةِ
تَعَالِي، يَا مَرِيَّتَا، وَارْقُصِي رَقْصَتَكَ الْحُرَّةَ
عَلَى تَرْنِيمَةٍ أَسْمِيَّتًا، وَشَدِّ الْمَوْجِ لِلصَّخْرَةِ
وَعَنِّي أَنْتِ وَيشافا بصوتٍ سَاحِرِ النَّبْرِ
أَغَانِي الرِّيحِ عَلَى حَوَافِي الْأَعْيُنِ الثَّرَّةِ
وَأَنْتِ، عَرَائِسُ الْأَمْوَاجِ، قَدْ أَفْشَى الْهَوَى سِرَّهُ
وَنَادَتْكِ شِفَاهُ مِنْ زُهورِ الْأَرْضِ مَفْتَرَهُ
فَهَبِّي مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ، أَوْ فَاَنْطَلِقِي عَبْرَهُ
وَعَنِّي مَعَنَا لَحْنَ النَّدى الرَّفَافِ بِالزَّهَرَةِ
وَتَلْعَابِ السَّحَابِ إِذَا أَثَارَ الْبَرْقِ أَوْ غَرَّهُ

(وفجأة تتردد من فضاء البحر ضحكات مطربات، وتنب عرائس الأمواج شاديات راقصات مرسلات الشعور شبه عاريات، يتحلين بصفائر الورد

الفصل الثاني

والأصداف البراقة ويملأَن جوانب المكان، بينما يأخذن جميعهن في الرقص التوقيعي، وهن ينشدن):

عرائس الموج
نحنُ الحبيباتُ
لنا على المَرَجِ
للَّهِ مِيقَاتُ

إِنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ
تُفْتَحُ الْأَصْدَافُ
وَيَصْدَحُ الْبَحْرُ
فِي مَوَكِبِ زَفَافٍ

لَبَّيْكَ قَدْ جِئْنَا
بِالْجِسْمِ وَالرُّوحِ
فَسَلِّسْ لِي اللَّحْنَ
أَلْهَةَ الرِّيحِ

عُشَّاقُنَا نَامُوا
عَنْ فَجْرِنَا الْوَهَّاجِ
وَالْأَفْقُ أَنْغَامُ
وَالشُّطُّ وَالْأَمْوَاجُ

مَا مَتَّعُوا النَفْسَا
بِطُلُوعَةِ الْحَوْرِ

ديوان علي محمود طه

أَوْ مَلَأُوا الْكَأْسَا
مِنْ خَمْرَةِ النُّورِ

(وينتهين من إنشادهن بانتهاء مريتا من رقصتها فتتقدم ويشافا وتبدأ
أغنيتهما):

ويشافا:

أَنَا أُخْتُ الصَّبَا
أَنْ بِنْتُ الشَّمَا
أَنَا رُوحُ الصَّبَا
أَنَا حُلْمُ الْخَيَالِ

طَوَّقْتُ سَاعِدِي
بِحُرِّ «إِيْجَا» الْجَمِيلِ
وَأَحْتَوَتْ بِالْيَدِ
شَطْرَ مَصْرِ الظَّلِيلِ

أَتَشَهَّى الرِّقَادَ
وَأُحِبُّ الْمَرْخَ
مَنْ يَجِيءُ بِالْوَدَادِ
جِئْتُهُ بِالْفَرَحِ

لَيْسَ يَشْكُو الْمَلالُ
مَنْ صَفَا لِي هَوَاهُ
إِنَّ رِيحَ الشَّمَالِ

هِيَ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ آلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَتَبَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

حروازا (تتقدم وهي تغني):

أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ أَوْ بِنْتُ الضِّيَاءِ
أَنَا مَنْ تَمَنَحُ أَنْفَاسَ الشَّرُوقِ
بِيَدَيَّ أَفْتَحُ طَاقَاتِ السَّمَاءِ
عَنْ ذَرَى وَلَآلٍ يَرُوقُ
أَصْحَبُ الشَّمْسِ إِلَى ضَحَوَاتِهَا
وَهِيَ تَسْعَى يَسْبِي وَيَدَاها فِي يَدَيَّ
هَيَّأْتُ لِي الشَّمْسَ فِي سَاحَتِهَا
مَنْزَلَ الْحُبِّ وَعَيْشَ الرَّغْدِ
كَمْ تُرَى يُشْغَفَنِي حُبُّ الطَّعَامِ
مِثْلَ «أَبِيس» اشْتِهَاءً وَهِيَامًا
نَهْمٌ يُغْرِي بِمَضْغٍ وَالتَّهَامِ
مِثْلَ «سَيْت» حِينَ يَشْتَاقُ الطَّعَامَا
أَنَا بِنْتُ الشَّرْقِ، أَوْ رُوحُ سَنَاهُ
أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ، أَوْ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ آلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَتَبَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيَتْهَا

أحيا بها أبدَ الزمانِ، وفي يدي ملكوتها

مریتا:

أنا ريحُ الغربِ
بَنَنْتُ الأَبَـادِ
أنا هَمْسُ القلبِ
أنا رَجْعُ الشادي
أنا رَمَزُ الحُبِّ
في هذا الوادي
أنا التي أُعْبِرُ الصحراءَ فوق خُطَى
مِنْ ذِكْرِيَّاتٍ وَأَحْلَامٍ وَأَشْوَاقٍ
أنا التي اتَّخَذْتُ رُوحِي لها وَطَنًا
أَجْسَادَ آلِهَةٍ عَانِينَ عُشَّاقٍ
لم أَرَنْ يوماً ورائي، غيرَ ناظِرَةٍ
إِلَّا لِضَوْءٍ بِأَفْقِ الغربِ خَفَّاقٍ
يهتاجني مَوْجُهُ وَالشَّمْسُ سَابِحَةٌ
في مِثْلِ بحرٍ من النيرانِ أَلَّاقٍ
مَضَى حَبِيبِي ولم أَبْرَحْ لِعَوْدَتِهِ
على الرُّبَى بِفؤَادٍ جَدِّ مُشْتَاقٍ
والليلُ يُرْخِي على شعري جَدَائِلَهُ
فوقَ الرَّمَالِ، وزادَ البردُ إِرْهَاقِي
وقد سَنَدْتُ بِكَفِي جَبْهَتِي، وهوتُ
قِيثَارَتِي من يدي من طولِ إِطْرَاقِي
من قَبْلِ ما كان في الوادي وَضَفَّتْهُ
مُلُكَانٍ مُخْتَلِفَا عَهْدٍ وَمِثَاقٍ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيْتُهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

أُسْمِيَتَا (تتقدم وتغني):

أَنَا بِنْتُ الْجَنُوبِ، رِيحُ الْحَيَاةِ
أَنَا زَنْجِيَّةٌ تَسُوقُ الْمَاءَ
أَنَا حُبُّ الثَّرَى، وَحُلْمُ النَّبَاتِ
فِيهِ أَحْيَا وَأُبْعَثُ الْأَحْيَاءَ
أَنَا سِرُّ الْحَيَاةِ وَالْكَائِنَاتِ
إِنَّ رِيحَ الْجَنُوبِ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيْتُهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

(وتسرع الفتيات وهن يتضحكن في ارتداء غلائلهن وقد سارت عرائس الموج
إلى البحر، فيغادر أزمردا مكانه ويدخل عليهن فجأة فتشرئب العيون إليه
وهو في زيه الفاتن الرائع فيشيع الصوت بينهن، وهو يقول):

أزمردا:

أَيُّهَا الْفَاتِنَاتُ، أَيَّتُهَا الْأَرْوَاحُ، أَنْتَنَّ يَا رِيَا حَ السَّمَاءِ
يَا جَمِيلَاتُ، هَلْ لَكُنَّ بَأْنَ تَقْبَلْنَ مِنِّي تَحِيَّتِي وَوَلَائِي؟
مَا تُرَاهَا أَسْمَاوَكُنَّ، وَمَنْ وَاهِبُ هَذِي الصِّفَاتِ الْأَسْمَاءِ

من تراه؟ ومن حباكنَّ هذا البأس والملك واسع الأرجاء؟

حروازا:

قد وُلدنا من قبل أن يبعث الناس لعيشٍ مقدَّرٍ وهلاكٍ

مريتا:

ووجدنا من قبل أن يوجد الأرباب، من قبل دورة الأفلاكِ

ويشافا:

قبلما يغتدي إلى الصيد قنَّاصٌ ويهوي طيرٌ صريعٌ شباكٍ
قبلما تعلقُ الحبالُ بثورٍ أو ثقتهُ، فما له من فكاكِ

أسميتا:

قبلما لامس الهوى جسم «ماتريت»، ومسته قبلة المشتاقِ

مريتا:

قبلما ضمَّها ذراعُ مُحبٍّ، واحتوتها أحضانهُ لعناقٍ

حروازا:

قبلما أشبعت رِغابُ إلهٍ، أزلِّي، مصوِّر، خلَّاقٍ
منحتني إلهة الريح سلطاني هذا، فسُدت في الأفاقِ!!

أمردا (إلى حروازا):

يا رَبَّةَ الحسَنِ تَعَالَيْ مَعِي
سَفِينَتِي فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
أَلْقِي عَلَيْهَا نَظْرَةً وَارْجِعِي
هَلَّا نَزَلْتُ الْآنَ؟ هَيَّا مَعِي!

حروازا:

لا ... إِنَّ لِي سَفِينَتِي مَهْيَأَ
تَجْرِي إِلَى الثَّغْرِ تَوْمَ مَرْفَأِ
حَيْثُ أُعِدَّتْ لِي فِيهِ مُنْشَأُ
مَنْشُورَةٌ قُلُوعُهَا مُضَوَّاهُ
مَأْمُونَةٌ عَلَى الْمَدَى سَبِيلُهَا
أَلْفُ ذِرَاعٍ لَوْ عَلِمْتَ طَوْلُهَا
أَرْقَى بِهَا مَعَارِجَ السَّمَاءِ
لِلشَّمْسِ فِي مَنْزِلِهَا الْوَضَاءِ

أزمردا (قائلاً لنفسه):

أَقُولُ: قَدْ ضَهَبَتْ مُحَاوَلَتِي سُدَى؟
هِيَهَاتَ إِنْ وَسَائِلِي لَنْ تَنْفُذَا!
أَيَّتُهَا الرِّبَابُ، إِنْ تَجْهَلُنَّنِي فَمَعْدِرَةٌ
لِقَاوُكُنَّ قِسْمَهُ الْإِلَهَةِ الْمُقَدَّرَةِ
عَرَفْتَكُنَّ بِالْوَجْهِ وَالْخُطَى الْمَعْبُورَةِ

(مشيراً لحروازا).

أَلَسْتُ حَرَوَازَا ابْنَةَ الْمُطَالَعِ الْمُنَوَّرَةِ؟

ديوان علي محمود طه

حَبِيبَةُ الْمَشْرِقِ أَوْ أَنْفَاسُهُ الْمُعْطَرَّةُ

(إلى ويشافا.)

أَلَسْتُ وَيَشَافَا ابْنَةَ الشَّوَاطِئِ الْمُنْصَرَّةِ؟
طَيْفَ الشَّمَالِ، رَوْحَهُ الْقَوِيَّةَ الْمُؤَثَّرَةَ

(إلى مريتا.)

أَلَسْتُ أَنْتِ، يَا مَرِيَّتَا، الْفَتْنَةَ الْمَصُورَةَ؟
حُلْمَ الْمَسَاءِ، رَبَّةَ الْمَغَارِبِ الْمَعْصُفَرَةَ

(إلى اسميتا.)

وَأَنْتِ، يَا اِسْمِيَّتَا، ابْنَةَ الْيَنَابِعِ الْمَفْجَرَةِ
إِلَهَةَ الْغَايَةِ، عِذْرَاءَ الْجِبَالِ الْمَقْمِرَةِ

حروازا:

عَقُولُنَا مِمَّا رَوَيْتِ، يَا فَتْنَى، مُنْبَهَرَةً

مريتا:

لَا شَكَّ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ الْكَوْنِ رُوحٌ مُحْضَرَةٌ

أسميتا:

إِنْ لَمْ تَكُنْ مَشْعُودًا أُوتِي عِلْمَ السَّحَرَةِ!

أزمردا (إلى الفتيات):

يا جميلاتُ، يا فواتنُ، يا أطرف ما مثَّلتُ صفاتُ السماءِ
يا أرقَّ المسمَّياتِ بأحلى
ما جرى في الشفاهِ من أسماءِ
فلَيَزِدْكُمْ مِنْ شَبَابٍ وَحَسَنِ
كُلِّ صُبْحٍ مُجَدِّدٍ وَمَسَاءٍ
ورعتُ خطوكنَّ آلهةَ الوادي
على الأفق، والثرى، والماءِ
يا حريَّاتُ بالذي ما تراءى
لعيانٍ، ولا جرى بسَمَاعِ
ما السفينُ المجنَّحاتُ تناهى
طرفاهما بألفِ ألفِ ذراعِ
كالتى صَفَّقَتْ لَكُنَّ مَجَادِفَ
وَحَيَّتْ بِقَرْمَزِيٍّ شَرَاةِ
جَمَعَتْ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،
وَمِنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَمَتَاعِ
كُلُّ ما في سفينتي طَوْعُ أَيِّدِيكُنَّ،
من كُلِّ جَوْهَرٍ وَثِيَابِ
مِنْ شَفُوفٍ وَرَدِيَّةٍ نَسَجْتَهُنَّ
العذارى عرائسُ الأربابِ
مِنْ يَواقِيَتِ، مِنْ يَتِيمٍ لَالٍ
ما رَأَتْها في الحُلُمِ عَيْنُ كَعَابِ
مِنْ طَيُوبٍ بِكَفِّها قَطَرَتْها
مَلِكاتُ الْجَمالِ مِنْ كُلِّ غَابِ

ويشافا:

كَمْ مَرَحْنَا بِشِرَاعٍ وَسَبَحْنَا بِسُفِينِ

أَسْمِينَا:

وَسَمِعْنَا مِنْ خَيَالٍ وَعَرَفْنَا مَنْ يَقِينِ

مَرِينَا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالْجَوْهَرِ وَالْدُرِّ الْمُصُونِ؟

حُرُوزَا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالطَّيِّبِ وَبِالثُّوبِ الثَّمِينِ؟

ويشافا:

أَيُّهَا يَصْلُحُ لِي عِنْدَكَ يَا رَبَّ الْفِتُونِ؟
أَيُّهَا الْفَاتِنُ بِالرَّقَّةِ وَاللَّفْظِ الْمُبِينِ

أَزْمَرْدَا (إلى ويشافا):

أَيُّهَا الْقَادِمَةُ الْحَسَنَاءُ مِنْ خُضْرِ الْبَقَاعِ
أَنْتِ، يَا مَنْ طَوَّقَتْ «إِيْجَةً» مِنْهَا بِذِرَاعِ
وَاحْتَوَتْ أَطْرَافَ مِصْرٍ بَيْنَ رَفَافِ الشُّعَاعِ

* * *

أَنْتِ، يَا بَاعِثَةَ الْبَهْجَةِ فِي قَلْبِ الصَّدِيقِ
لَكَ عِنْدِي كُلُّ فَتْنَانٍ مِنَ الثُّوبِ أَنْيَقِ

* * *

يُبْرزُ الْفِتْنَةَ مِنْ سَاقِيكِ وَالْقَدَّ الرَّشِيقِ
لَكَ عِنْدِي مِزْهَرٌ صُنْعُ أُسَاطِيرِ الشَّمَالِ
وَحَيٍّ مُوسِيقَاهُ بُوْهِيمِيَّةٌ بِنْتُ خِيَالِ
وَهُوَ لَحْنٌ فَاضَ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ

* * *

شَعْرُكَ الْمَرْسَلُ، يَا شَقْرَاءُ، مَا أْبْلَغَ سِحْرَهُ
إِنْ تَحَلَّى مِنْ أَوَانِيِ الْحَبِيبَاتِ بَرْهَرَهُ
وَزَهَتْ فِي مَفْرَقِيهِ مِنْ بَحَارِ الشَّرْقِ دُرَّهُ

* * *

لَكَ عِنْدِي تَحْتَ ضَوْءِ الْأَفُقِ الشَّرْقِيِّ حَجَرَهُ
وَوَسَادُ عِبْقَرِيٍّ إِنْ غَفَّتْ عَيْنَاكَ فَتَرَهُ
حَشْوُهُ رِيَشُ نَعَامٍ لَمْ يَرِ الصَّائِدُ وَكَرَهُ

حروازا:

وَأَنَا، مَاذَا تُرَى أَعْدَدْتَ لِي
مِنْ طَيُوبٍ، وَشَفُوفٍ، وَحُلِيِّ
أَيُّهَا الشَّادِي الرَّقِيقُ الْغَزَلِ

أزمردا (إلى حروازا):

يَا أُسَيُويَّةُ أَنْتِ، يَا غِيدَاءُ، يَا بِنْتَ الضِّيَاءِ
يَا مَنْ وَهَبْتَ الشَّرْقَ أَنْفَاسًا مُسْلَسَلَةَ النِّقَاءِ
يَا مَنْ تَفَتَّحَ عَنْ عَيُونِ الْمَاءِ طَاقَاتِ السَّمَاءِ

* * *

أَنْفَاسُكَ الذَّهَبِيَّةُ النُّشْوَى بِصَهْبَاءِ الشُّرُوقِ
لِمَ لَا يُنَاسِمُهُنَّ عِطْرٌ فِي إِنَاءٍ مِنْ عَقِيقٍ
مَزَجَتْهُ سَاحِرَةٌ بِسَرِّ الْحَبِّ فِي زَمَنِ سَحِيقٍ

* * *

أُخْرَى بِلَبَّتِكَ الْجَمِيلَةِ، يَا جَمِيلَةً، عِقْدُ مَا سِ
لِصَفَاءِ رُوحِكَ أَوْ لِدَاثِكَ فِي أَشْعَتِهِ انْعِكَاسُ
مَا فِي كُنُوزِ الْأَرْضِ مِنْهُ، وَمَا لِجَوْهَرِهِ جِنَاسُ

* * *

أُخْرَى بِإِصْبَعِكَ الرَّهِيْفَةِ خَاتَمٌ، بَلْ خَاتَمَانُ
تُؤَمِّي بِأَحْكَامِ الْمَقَادِيرِ فِيهِمَا يَاقُوتَتَانِ
مَا خُتِّمَتْ بِهِمَا مَتَوَجِّةٌ عَلَى عَرْشِ الزَّمَانِ

* * *

أُخْرَى بِقَامَتِكَ الرَّشِيقَةِ مُطَرَفُ ضَافِي الذُّيُولِ
رَسَمْتُ عَلَيْهِ يَدُ الْهُوَى أَحْلَامَ فَاتِنَةٍ قَتُولِ
شَهْبٍ وَأَزْهَارٍ، وَلَيْسَ لَهَا أَفُولٌ أَوْ ذُبُولُ

* * *

فَإِذَا احْتَوَتْكَ سَفِينَتِي نِلْتِ الَّذِي أَبَدَعْتُهُ
وَطَعَمْتِ مِنْ ثَمَرٍ مِنَ الْكَرَمِ الْجَنِيِّ جَمَعْتُهُ
وَشَرِبْتِ مِنْ قَدَحٍ بِخَمَرِ إِلَهَتِي أَتْرَعْتُهُ

حروازا:

يَا أَخَوَاتِي، هَلْ رَأَيْتَنِّي فَتَيَّ فِي حُسْنِهِ

الفصل الثاني

مَا ضَرَرْنَا إِلَّا نَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ

مریتا:

أُخْتَاهُ، مَا أَحْذَرُ غَيْرَ سَحْرِهِ وَفَنِّهِ

حروازا:

لَا تَحْذَرِي، إِنِّي أَرَى الطَّيِّبَةَ مِلءَ عَيْنِهِ
يَكَادُ قَلْبُهُ يُضِيءُ فِي بَيَاضِ سِنِّهِ

ويشافا:

أَسْمَعَتِ الْطَّفَ مِنْ عِبَارَتِهِ

حروازا:

وَرَأَيْتِ أَجْمَلَ مِنْ إِشَارَتِهِ
وَيَدَاهُ تَعَبَتْ فِي صِدَارَتِهِ؟

مریتا:

أَغْرَاكِ، يَا حَوَاءُ، سَبَطُ الْقَوَامِ
انْتَظِرِي حَتَّى يُتِمَّ الْكَلَامَ

أزمردا (إلى مریتا):

أُخْتُ «يَا هُو»، إِلَهَةُ الصَّحَرَاءِ
يَا جَمَالَ الطَّبِيعَةِ الْعِذْرَاءِ
أَيُّهَذَا الصَّبِيَّةُ الْحَيَّةُ الْأَشْوَاقُ، ذَاتُ الْغَلَالَةِ السُّودَاءِ

لك عندي قيثارة لحنها الذكرى، وأصداؤها حفيف المساء
يسمعُ الطيرُ صوتَها فيلبي وتُلبّي الوحوشُ في البیداءِ

* * *

أنتِ، يا من ترفرفين على الوادي بأنفاسك العذابِ النديّ
أنتِ، يا من تراقصين على النبعِ ظلال الأصائل العسجديّ
حقُّ هذا الشَّهرِ المكملُ شفَّ نسجت وشيَه يد الأبديةِ
خالداتُ سِماَتُ حُسنكِ فيه رائعاتُ آياته السرمديّ

* * *

حقُّ هذا الحصرِ النحيلِ إزارٌ من نُصارٍ مقدسٍ وجُمانٍ
حقُّ تينِ الأذنينِ قرطانٍ من دُرٍّ بحارٍ مسحورةِ الخُجانِ
حقُّ هذا الفمِ الرقيقِ سلافٌ عُصرتُ من حدائقِ النسيانِ
قبلما قَبَلْتُ خطاكِ رَبِّي الوادي وقامت عليه مملكتانِ

الفتيات (ويشافا ومريتا وحروازا):

ينسي فتاةَ الجنوبِ!	إنَّا نرى الفاتنا
تكاد شوقًا تذوبُ؟	أما يرى أختنا
واليومُ وشكُ الذهبِ	الوقتُ قد فاتنا

أزمردا (إلى أسميتا):

حييتِ، يا بنتِ جبالِ القمرِ	يا من تُطلِّين على المنحدرِ
فيضحك البرقُ ويبكي المطرُ	ويتغنَّى بالحياةِ الشجرُ

* * *

حُيِّيتِ، يا فرعاءِ	يا ربَّةَ السَّحَرِ
يا من تسوقُ الماءَ	من منبعِ النهرِ

الفصل الثاني

يا نشوة المَلَّاحِ في الليلة القمرَاءِ
يا فتنة الفلَّاحِ في الضِّفَّةِ الخضراءِ

عقيصة الشَّعْرِ حَقٌّ لها حَقٌّ
ذوبٌ من العطرِ لَمْ يَخُوهِ حَقٌّ

مزاجُهُ النُّورُ في شَفَتَي زَهْرِهِ
كم ودَّتِ الحورُ مِنْ ذوبِهِ قطره

عبيزُهُ يُغْري آلِهَةَ الغابِ
بالرقصِ للجمْرِ والجسدِ الصابي

جيدكِ ما أحلاه في لونه الفتانُ
يَسْحَرُ لو حلَّاهُ عقدٌ من المرجانِ

حبَّاتُهُ الحُمْرُ تَذكو بها الأشواقُ
لَمْ يَنِمِها بحرٌ بل مُهَجُّ العشاقِ

يا سَحَرَ ما يُبدي ذراعَكَ الوَهَّاجِ
تُزْهِى به عندي أسورةٌ من عاجِ
ما في الثرى منه جوهْرُهُ الفَرْدُ
إفريقيّا عنه تسألُ والهنْدُ

حروازا:

يا أَخَوَاتِي، حَانَ وَقْتُ الْوَدَاعِ
انْتَصَفَ الْيَوْمُ وَمَالَ الشُّعَاعُ

(متلفته إلى أزمردا.)

إِلَى غَدٍ ... أَلْقَاكَ، يَا صَاحِبِي
فِي مَوْكَبِ الشَّمْسِ وَظِلِّ الشَّرَاعِ

مریتا:

فَلَنَبْقَ حُرُوزًا إِلَى أَنْ نَرَى
حَوَاشِي الظِّلِّ تَلْفُ الطَّرِيقُ
فَالْقَيْظُ يُلْقِي جَمْرَهُ وَالتَّرَى
مَفَازَةً فِي هَبَوَاتِ الْحَرِيقِ

حروازا:

وَدِدْتُ لَكِنِّي أَخْشَى السُّرَى
وَحَدِي، وَالْمَشْرِقُ نَاءٍ سَحِيقُ!

أزمردا:

كَمَا شِئْتُ فَاتِنَةَ الْمَشْرِقِ
وَلَكِنْ عِدِينِي ...

حروازا:

غداً نلتقي!

(وبينما تنسق حروازا ثوبها إيداناً بالرحيل تنتحي مريتا بويشافا وأسميتا جانباً، وهي تقول):

مريتا:

يواعدُها وحدها!

أسميتا:

وهي لا تُفكّر في ذلك المزلقِ

ويشافا:

لعلّ بها صبوّة

أسميتا:

صبوّة؟

مريتا:

وما هي والآدمي الشقي

ويشافا:

ولم لا، وفي وجهه مَسْحَةٌ
من الجاذبيّة والرّونق؟!

أسميتا:

وَفِي صَوْتِهِ رَنَّةٌ حُلُوةٌ
من الحبِّ ساحرةُ المنطقِ

مريتا:

أَتَلْقَاهُ لَا تَتَّقِي غَيَّهْ؟

أسميتا:

وكيف؟ أَللهُ تَتَّقِي؟!؟

مريتا:

عِصْمَةٌ نَحْنُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ كَالْبَشَرِ
يَتَسَاوَى ابْنُ آدَمَ — وَإِلَهُ — إِذَا شَعَرَ
إِنْ أَحَبًّا فَلَا خِلَافَ وَلَا فَرْقَ فِي الْأَثَرِ

ويشافا:

يا مريتا، تَقَدَّمِي وَخُذِي مَوْقِفَ الْحَذَرِ

أسميتا:

فَلَنَحُلْ دُونَ شَرِّهِ أُخْثِنَا مِنْهُ فِي خَطَرٍ!

(ولا تكاد تتم هذه العبارة حتى تهمل حرواها بالانصراف وقد وضعت يدها في يد أزمردا، وهي تقول):

الفصل الثاني

أيها السيّد الرقيقُ، وداعًا ... إلى اللقاء!

ويشافا:

أُمهلي ...

مريتا:

بل تريّثي نحنُ في موقفٍ سواءٍ
ما علينا ولم تحُلْ بعد إشراقة السماء
إن مَضَيْنَا إلى السفينة في موكب الضياء
وَرَأَيْنَا كنوزها وظفِرنَا بما نشاء!

أزمردا:

حبّذا هذه السّماحةُ منكُنَّ والرضاءُ
حبّذا في سفيتتي ذلك الودُّ والصفاء!

حروازا (وقد سحبت يدها من أزمردا):

أو تذهبن؟

مريتا (بعد تردد):

لحظةً قبل أن يُقْبَلَ المساء!

حروازا:

أو تذهبن وحدكنّ؟

ديوان علي محمود طه

مریتا:

وما عنك من غناء!

حروازا:

أتصدّقن قَوْلَهُ؟

مریتا:

أَتَشْكِين؟

حروازا:

لا مراء

أُزمردا (مندفعًا في خبث):

أَسْفًا رَبَّتِي فما قلت زورًا ولا ادعاء

حروازا:

هاتِ برهانك المبينَ وَمِنَّا لكَ الوفاءُ!

(يخرج أزمردا من صدارته ياقوتة كبيرة ذات بريق أخاذ ويقدمها إلى حروازا
بين نظرات الإعجاب.)

أُزمردا (بصوت مؤثر):

إِلَيْكَ، إِلَيْكَ، يا حسناء، سَحَرَ العَيْنِ وَاللُّبِّ
ورمَزَ المجدِّ، والسُّلطانِ، والفتنةِ، والعُجبِ

الفصل الثاني

خُذِي ياقوتةَ حمراءَ تحوي صورةَ القلبِ
هديةً ربةِ الربّاتِ من عاشقها الصبِّ!

حروازا (وهي تتأملها مشدوّهة):

كلونِ الدمِ

مريتا (وهي تحديق فيها):

والغيرةِ

أسميتا (وهي تلمسها):

والشهوةِ

ويشافا (وهي تتنهد):

والحبِّ!

أزمردا (في حماسة):

خُذِيهَا وافْتِنِي الأربابَ، يا معبودتي، واسْبي
ألا وَلْتَمْلِكِي العالَمَ من شرقٍ إلى غَرْبٍ

مريتا:

وكيف أراكَ لم تُحرِزِ بها العالَمَ إحرازًا؟

أزمردا:

هو السرُّ الذي أُلْهِمْتُهُ وحيًا وإِعْجَازًا
فهذا جوهرٌ ضَنَنْتُ بِهِ الرَّبَّاتُ إِعْزَازًا
ولم يُخْلَقْ لغيرِ إلهةٍ تُسَمَّى «بحروازًا»

مريتّا:

أعندك غيرُهُ؟

أزمردا:

عندي وطوبى للذي فازًا

ويشافا:

يوأقيتْ؟

أسميتّا:

وبالأسماء؟

أزمردا (وهو يشير بيديه إشارات رائعة):

إِسْهَابًا وَإِيْجَازًا!
أُلْهِمْتَنِي السَّمَاءُ أَيْنَ أَرَاكِنَّ فَطَوَّفْتُ فِي الْبَحَارِ الْقَصِيَّةِ
وَلِبْلَوْسٍ بِاسْمِ إِيْزِيسَ أَبْحَرْتُ بِرُوحٍ مِنَ الْقَضَاءِ خَفِيَّةِ
وَنَقَلْتُ الْكَنِينَ مِنْ كَنْزِ أَوْزْرِيسَ وَالتَّاجِ وَالْعَصَا الْعَسْجَدِيَّةِ
وَيُؤَاقِيَتُهُ وَلَوْلَاهُ الْمَنْظُومُ حَتَّى الْقِيْثَارَةَ السَّحَرِيَّةِ
ثُمَّ قَادَتْ سَفِينَتِي حَيْثُ أَنْتَنَ وَقَادَتْ أَقْدَامَكُنَّ إِلَيْهِ

الفصل الثاني

وبأسمائكُ آلهَ الرِّيحِ سرى صَوْتُها على شَفَتَيْه
إِنَّ أَلْفًا من الهدايا لحرواها وكلُّ خُصَّتْ بألفِ هديّه

(وهو يمد يديه لهن.)

يا مريتا، ويا ويشافا، ويا اسميتا، ألا ضَعْنَ أيديا في يديّه
سرن بي الآنَ للسفينة، للكنز، وخذن الودائع القدسيّة!!

(وتقبل الفتيات الأربع على أزمردا ويسرن به كالمسحورات متجهات إلى
السفينة.)

الفصل الثالث

مخدع القرصان أزمردا في مقدم سفينته، حجرة أنيقة وثيرة الأثاث، معلق فوق السرير بها سيف لماع رائع، وبحوائطها حلقات من حبال، وسياط متنوعة، يجاورها بهو السفينة وهو رحب مزدان بقناديل زجاجية، وبه أثاث متواضع. باتوزيس مضطجع على السرير بمخدع الربان، والنوافذ الصغيرة حوله مسدلة الستائر غير نور منبعث من شعاع الضحى يتخللها من كوة صغيرة، يدخل ماتوكا حاملاً مائدة طعام بعد أن يطرق الباب.

باتوزيس (وهو يتقلب في وساده):

مَنْ هَا هُنَا عندي؟

ماتوكا:

عبدُكَ ماتوكا!

باتوزيس:

مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ؟ عبيدي!

ماتوكا (وهو يتقدم بالمائدة في دهشة واضطراب):

عبدُكَ ماتوكا!
حُييتَ، يا سيدي وطابَ هذا النَّهارُ
لم آتِ في موعدي بوجِبَةِ الإفطار

باتوزيس:

ماذا جرى، يا تُرى أكادُ لا أفهمُ

ماتوكا:

إنَّ الذي قد جرى أعجبُ لو تعلمُ
قد حملتنا الرياحُ ونحنُ صرعى الكرى
وما رأينا الصُّباحُ إلَّا بهذا الثُّرى!

باتوزيس:

أيُّ ثرى؟

ماتوكا:

شاطئُ تضحكُ فيه الرِّمالُ
نسيمُهُ دافئٌ ومأوهُ سلسالُ

* * *

يَعْرِفُهُ مِنْ سَناءَ ربابنُ البحرِ
أَوَّلُ ما نلقاهُ من طَرْفِي مصر!

باتوزيس:

مصرُ؟

ماتوكا:

أَجَلٌ: مصرُ! وَنَحْنُ فِيهَا الْآنَ
من دوننا تُغْرُ من دونهُ يومانُ

باتوزيس (مشيراً إلى المائدة):

ما زِلْتُ مربوگًا من هذه الأحلام
ما تِلْكَ ما توکا؟

ماتوكا:

مائدةٌ من طعام
مائدةٌ حافلةٌ كثيرةُ الإغراء
جاءتُ بها قافلةٌ تدلفُ من سَيْناءَ

من كلِّ روضٍ بهيَجُ فاكهةٌ ناضجة
وكلُّ لحمٍ نضيجٍ وَبَقْلَةٍ طازجة

وإنَّ تَشَأْ فالرحيقُ مُهِياً مُخَضَّرُ
من كلِّ لَوْنٍ عَتِيقُ شميمه يُسْكِرُ

طَوَّفَ كالكوگب على توالي السنين

من شاطئِ المغربِ إلى بحارِ الصينِ

بين السَّنا والنَّدَى وفي الرياحِ الهُوجُ
والحرُّ يُذكي الصَّدى والقرُّ يذروُ الثَّلوجُ

تحيَّةُ الإخوانِ في بُغرِ الصَّيفِ
من سيِّدي الرُّبانِ لسيِّدي الضَّيفِ!

باتوزيس:

والسيدُّ أزمردا هل قامَ من النَّومِ الآنَا؟

ماتوكا:

هو عندَ الشاطئِ يستقضي
نَبأً وَيُسأِّلُ رُكبانا

إن شاء سيِّدي أَمُرُ
أرفعُ هاتيكَ السُّتُرُ

(ويمضي ماتوكا في رفع الستائر بإشارة من باتوزيس فيغمر نور الضحى
المخدع، باتوزيس يحملق فيما حوله فيروعه منظر السيف المتألق بشعاع
النهار.)

باتوزيس (مشيراً إلى السيف):

ما ذلك الشيءُ أَرى؟

الفصل الثالث

يَكَادُ يَبْهَرُ النَّظْرُ
أَجَلِيَّةً نَادِرَةً
أَمْ ذَاكَ مِنْ مَاضٍ أَثَرُ

ماتوكا (متباهياً):

بَلْ ذَاكَ سَيْفُ سَيِّدِي
وَعَوْنُهُ عَلَى الْخَطَرِ
حَدِيثُهُ مِلْءُ الْبُحُورِ
وَالْتَّغَوْرِ وَالْجُرُورِ
هُوَ الرَّدَى إِذَا مَشَى
فَكُلُّ كَائِنٍ خَبِرُ

باتوزيس:

وَمَا السَّيِّئُ هَذِهِ؟
السَّنَةُ مِنَ الشَّرِّ

ماتوكا (في حماسة):

يُلِينُ لَدُّعْهَا الْحَدِيدَ
أَوْ يَفْتَتُّ الْحَجَرَ!
تُخْرِسُ أَوْ تُنْطِقُ مَنْ
تَشْكُو الْكَلَامَ وَالْحَصَرَ!

باتوزيس:

وهذه الحبالُ؟

ماتوكا (مترسلاً في حماسته):

هُنَّ مِنْ حَبَائِلِ الْقَدَرِ!
تَلْتَفُّ بِالسُّوقِ الرِّقَاقِ
وَالْمِعَاصِمِ النُّضْرِ
وَلَا تَرُقُّ لِلدُّمُوعِ ضَارِعًا بِهَا الْحَوْرُ!

باتوزيس (مشمئزاً):

كَفَاكَ ماتوكا كَفَاكَ
فَالْحَدِيثُ لَا يَسُرُّ!
قَرَّبَ إِلَيَّ الْكَأْسَ أَوْ
هَذَا النُّضِيجَ وَالْثَمَرُ!

(ماتوكا يسرع بالمائدة فيضعها أمام باتوزيس وقد جلس في السرير، وهو يقلب أنواع الشراب فيختار لوناً ويملاً به قدحه ويشربه ويأكل قطعة من النضيج.)

باتوزيس (شبه مسرور):

طَيِّبَةُ هَذِي السَّلَافُ وَالطَّعَامُ طَيِّبُ
إِنِّي عَلَى مَوْثِقِ أَزْمَرْدَا وَعَهْدِي أَشْرَبُ
قُلْ لِي ماتوكا أَأَنْتَ لِلْجَنُوبِ تُنْسَبُ؟
إِنَّ بِلَادًا أَنْجَبَتْكَ لِلْكَرَامِ تُنْجَبُ

ماتوكا (شبه متألم):

أَيُّ الْبِلَادِ هَذِهِ أَذْكُرُهَا لِسَيِّدِي؟
جَهَلْتُ مَنْ أَتَيْنَ أَنَا وَأَتَيْنَ كَانَ مَوْلِي!
دَرَجْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ وَالْخَفَاءِ مُوجِدِي

كَأَنَّمَا أُمِّسِي يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِي وَعَدِي
مَا لِلْعَبِيدِ فِي مَصَايِرِ الْحَيَاةِ مِنْ يَدٍ
وَلَيْسَ مَاتوكَا الرَّئِيسُ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ
حَبَاهُ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ جَمَّةَ التَّرْعِدِ

(وقد تغيرت لهجته إلى العنف.)

وَبَثَّ فِي رُوحِهِ رُوحَ قِضَاءٍ مُرْصِدٍ
يَصُولُ بِالسُّوْطِ إِذَا شَاءَ وَبِالْمُهَنْدِ
وَيَقْتَدِي سَيِّدَهُ، دَمِي فِدَاءُ سَيِّدِي!

باتوزيس:

حَبَاكَ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ؟ عَبَثٌ مُضَلِّلُ!
أَنْتَ أَسِيرٌ بَطْشِهِ، بِسَحْرِهِ مُغْلَلُ
سَبْتُكَ مِنْهُ قُوَّةٌ تَصْرَعُ أَوْ تُقْتَلُ
أَنْتَ وَأَزْمَرْدَا سَوَاءُ وَالْأَصُولُ تَعْدِلُ
أَلَسْتُ إِنْسَانًا تُحْسُ مِثْلَهُ وَتَعْقِلُ؟
تَفْعَلُ مَا يُوْجِي بِهِ الضَّمِيرُ أَوْ لَا تَفْعَلُ؟
كَيْفَ تَعِيشُ لَا رَجَاءَ فِي غَدٍ تُؤَمِّلُ؟
يِرْعَاكَ أَزْمَرْدَا وَأَنْتَ فِي قُوكِ تَرْفُلُ
فَإِنْ مَرَضْتَ أَوْ هَرِمْتَ أَنْتَ مِنْهُ مَهْمَلُ
أُنْظِرْ إِلَى الْأَطْيَارِ فِي أَجَوَائِهَا تَنْقَلُ
سَيِّدَةً تَصْعَدُ مَا شَاءَتْ هُنَا وَتَنْزِلُ
مُوطًا لَهَا السَّحَابُ وَالثَّرَى مُدَلِّلُ
تَبْنِي الْحَيَاةَ فِي الْوَكُونِ حُرَّةً وَتَنْسَلُ
لَهَا الضِّيَاءُ وَالْفَضَاءُ وَالنَّمِيرُ السَّلْسَلُ
هِيَ الْحَيَاةُ حُرَّةً فِي طَائِرٍ تُمَثِّلُ

حَقِّكَ لَا مَنْ بِهِ عَلَيَّكَ أَوْ تَفْضُلُ

ماتوكا:

يا سيدي، أنى لي الكون الذي تُخِيلُ؟
أنى لمثلي ذاك العالم؟ إنني أجهل!
سفينتي هي الحياة، والغد المؤمل
قد طاب لي في ظلها العيش وطاب المنزل
ومن كساء سيدي الرُبان هذا المخمل
ومن شرابه أعلُّ هانئًا وأثمل
أي حياة لي من هذي الحياة أجمل!

(ثم ينحني ويغادر الحجرة بالمائدة ويظل باتوزيس مبهورًا ثم يعاوده
الكسل، فيتمدد على الفراش بينما يدخل إلى البهو أزمردا ومعه الفتيات
الأربع وهو يحييهن باسمًا، وبينما هن يتأملن البهو ومنظره والصور وجلود
الحيوانات المعلقة على جوانبه، يعتذر إليهن أزمردا ليعد الكنز ويختفي من
باب صغير وهن منشغلات عنه يتهاوسن):

ويشافا (متعجبة):

أهذه السفينة الموعودة
حاملة العجائب المنشودة؟!

مريتا (حائرة):

ماذا أرى؟ طاقاتها مسدودة!

أسميتا:

ورأوها كنوزهُ المرصودة!

حروازا:

تَمَهَّلِي! سوف نرى وُعودَه
وَالْفَتَنَ الرائعةَ المشهودة!

مريتا:

أُحسُّ بصوتِكَ المهموسِ هزَّاتٍ من العطفِ

حروازا:

لَقَدْ جاءَ ببرهانٍ

مريتا:

وَهَلْ ياقوتَةُ تكفي!

حروازا:

أَيُغريني ترابِيُّ بهذا الوضعِ وَالوصفِ؟

مريتا:

لَقَدْ أغراكِ حروازا بأمرِ ظاهرِ الزَّيْفِ

ويشافا:

وَكِدَّتْ عَلَى ذِرَاعِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَنْ تُغْفِي

حروازا (مبتسمة):

حَزَرْتُ حَدِيثَكَ هُنَاكَ حِينَ غَضَضْتُ مِنْ طَرْفِي
مَرِيئًا ... لَا يَغْرُنُّكَ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ ضَعْفِ
فَهَذَا عَبَثٌ مَنِّي وَبَعْضُ اللَّهْوِ

مريتا:

وَالظَّرْفِ

حروازا:

أَرَدْتُ بِهِ لِأَعْرِفَ مَا يُسِرُّ لَنَا وَمَا يُخْفِي!

أسمتيا:

وَكَيْفَ إِذَا تَحَدَّانا؟

ويشافا:

وَنَحْنُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ؟

حروازا (في قوة واعتداء):

أَلَلَّهْ تَخَافُ النَّاسَ؟ هَذَا مُنْتَهَى السُّخْفِ!

مریتا:

وإن لم ینفع اللین؟

حروازا:

أَخَذْتُ الْأَمْرَ بِالْعُنْفِ!
إِذَا وَاجِهْتُهُ فَاصْمُدْنَ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ خَلْفِي!

(و یسمعن أصواتًا بالحجرة المجاورة فیخفضن من أصواتهن، ویستمعن حیثًا إلى مصدر الصوت وینظرن حیثًا آخر إلى محتویات المكان، ثم یمیل بعضهن على بعض وهن یتهامسن قلقات بینما یدخل أزمردا من باب خلفي على باتوزیس فی المخدع وهو شدید الاضطراب الممزوج بالفرح هامسًا فی انفعال):

أزمردا:

هَنَ هَنا! هَنَ! باتوزیسُ أما
تسمعُ أصواتهنَّ بالباب؟
هَنَ هَنا هَنَ باتزیسُ أَفَقُ
أُخرجُ علیهنَّ غَیرَ هیَّاب!
أَعَدَّ قَیثارک، استَثَرُ نغمًا
یروُّضُ حتی الوحوشَ فی الغابِ
حتى تراهنَّ بَینَ شادیةٍ
وَبَینَ رَقاصةٍ بأکواب!
یکادُ قلبی لما ظفرتُ بِهِ
یَطیرُ من فرحةٍ وإعجابِ

باتوزيس (وهو ينهض من الفراش مبهوًتاً):

من هُنَّ أزمردا أثرت نفسي
ورُعَّتْ أوهامي وهجت حِسِّي؟

أزمردا (مشيراً بأصبعه على فمه):

لا ترفع الصوت وقلْ بهمسٍ
فهنَّ يسمعنَ خفيضَ الجرسِ
آلهةَ الرياحِ حُلُمُ الأُمسِ
لَقِيتَهُنَّ في شروقِ الشمسِ
بينَ الغياضِ والصخورِ المُلسِ
يرقصنَ في غلائلِ الدمقسِ
ما زلتُ أحتالُ بغيرِ يأسٍ
حتى تُسمعنَ لضعفِ الجنسِ
وجئنَ في ابتهاجةِ وأنسِ

باتوزيس:

بل هذه تخيلاتُ الكأسِ!
ما هُنَّ إلَّا من بناتِ الإنسِ
وَقَعْنَ في تدبيرِك الأُخسِ
ويحك أزمردا وويح نفسي
أحسبُ أن اليومَ يومُ نحسٍ!

أزمردا (ملاطفاً):

تُنكرُ ما شِمتُ بعيني رأسي؟
مَسَّكَ باتوزيسُ أيُّ مسٍّ!

باتوزيس:

وهبْ أَنهِنَّ كَمَا قُلْتَهُ فَمَاذَا بِالْهَيْ تَصْنَعُ؟

أزمردا:

أَسْخَرَهُنَّ قُوًى يَنْتَظِمْنَ شَرَاعِيَّ مَا قَادَنِي الْمَطْمَعُ
أَسِيرَاتِ بَأْسِي أَوْ صَاحِبَاتِي أَرْسُو كَمَا شِئْتُ أَوْ أَقْلَعُ
وَأَغْزُو بِهِنَّ مَنِيْعَ الثَّغْوَرِ وَأَجْنِي الثَّرَاءَ وَأَسْتَمْتَعُ

باتوزيس:

أَتَطْمَعُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ؟

أزمردا:

هُوَ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَا يَقْنَعُ

باتوزيس:

خُلِقْنَا غَرَائِزَ مِنْهُومَةِ
فَلَيْسَتْ تُرَوَّى وَلَا تَشْبَعُ!

أزمردا:

تَعَالَ مَعِي وَاتَّبِعْ حَكْمَتِي
فَدُونَ سَعَادَتِنَا إِصْبِعْ!

باتوزيس:

أَلَمْ يَكْفِ مَا حُزَّتْهُ مِنْ غِنَى
وَمَا تَقْتَنِي مِنْ غَرِيبِ النِّسَاءِ؟
أَضَاقْتُ بِمَنْسَرَكِ الْكَائِنَاتِ
فَحَاوَلْتُ تَخْطِفُ حَتَّى الْهَوَاءِ؟

أزمردا:

ليضحكني مِنْكَ هَذَا الْحَدِيثُ
خِيَالٌ بَدِيعٌ وَقَوْلٌ مُرَاءٍ
دَلِيلُ الْحَيَاةِ اغْتَصَابُ الْمَتَاعِ
وَمَا الزَّهْدُ إِلَّا دَلِيلُ الْفَنَاءِ
تَمَتَّعْ بِأَوْفَرِ مَا تَسْتَطِيعُ
وَلَا تَقْتَصِدْ وَاغْتَصِبْ مَا تَشَاءُ

باتوزيس (صائغًا):

يَا لِمَسَاءِ الْحَانَةِ اللَّعِينَةِ
قَدْ قَادَنِي لِهَذِهِ السَّفِينَةِ

أزمردا (ملاطفًا في ثورة نفس ضارغًا):

مَا هَذِهِ الْخَفَّةُ وَالرَّعْوَنَةُ
كَفَى صِيَاغًا وَالزِّمِ السَّكِينَةُ
أَوْ لَا فَدَعْ هَيْئَتَكَ الرِّزِينَةَ
وَأَكْثِرِ الضَّحِكَ وَزِدْ رَيْنَهُ
وَهَاتِ مِنْ وَادِي الْهَوَى لِحُونَهُ
مَسْحُورَةً، مَخْمُورَةً، مَجْنُونَةً!

باتوزيس (ضارعاً):

سَأَلْتُكَ الْآلِهَةَ الْحَزِينَهَ
لَا تُؤْذِ هَٰذَا الْمُهْجَ الْمَفْقُونَهَ
فَإِنَّهَا بَرِيئَةٌ مَسْكِينَهَ

أُزمردا:

أَنْتَ فَتَى لَمْ يَطَّرْخْ مُجُونَهَ
يَسْأَلُنِي الرَّحْمَةَ وَالْمَعُونَهَ
وَلَوْ رَأَى الْخَمْرَةَ فِي قَنِينَهَ
لَبَاعَ دَنِيَاهُ بِهَا وَدِينَهَ!
دَعْ عَنْكَ هَٰذَا الْمُثَلَّ الْأَفِينَهَ!
وَلَا تُضِعْ فُرْصَتَكَ الثَّمِينَهَ!

باتوزيس (غاضباً):

عَهْدِي، يَا قَرِصَانُ، لَنْ أَخُونَهَ
مَا كُنْتُ أُزمردا، وَلَنْ أَكُونَهَ!!

أُزمردا:

أَجْنَنْتَ بَاتُوزِيسَ وَيَحْكَا! لَا تُثِرْ هَٰذَا النِّزَاعَ
أَنْسِيَتْ حُلُوَ حَدِيثِنَا، وَالْكَأْسَ ضَاكِكَةَ الشَّعَاعِ
وَرِوَاةَ طَيْبَةِ عَنْ بَنَاتِ الرِّيحِ آلِهَةِ الْبَقَاعِ
فِيمَ التَّشَاوُؤِ، وَالتَّنَكُّرِ، وَالتَّغْيِيرِ، وَالْخَدَاعِ؟
وَلِمَ الصِّيَاحُ إِذَا دَعَوْتُكَ لِلرَّوِيَّةِ وَالسَّمَاعِ؟
أَتُرِيدُ تَسْمَعَهُنَّ صَوْتِكَ؟ لَا رَجَاءَ وَلَا انْتِفَاعَ!
أَحْكَمْتُ أَمْرِي، وَالْعَبِيدُ هُنَا عَلَى أَهْبِ الصِّرَاعِ

بإِشارةٍ تَهْوِي السَّيَاطُ وسَيْفُ أزمردا الشَّجاعُ
إِنِّي عَرَضْتُ عَلَيْكَ أَجْمَلَ ما أَدَّخَرْتُ مِنَ المَتاعِ
لَكُنْ أَبَيْتَ وَخانني فِيكَ الغَرائِزُ والطَّباعُ
فاسلَمْ بِنَفْسِكَ باتزيسُ! ولا سَلامَ ولا وَداعُ!
عَمَّا قَلِيلٍ يَهتَفُ الداعِي وينطَلِقُ الشَّراعُ!!

(ويسرع باتوزيس بمغادرة الحجرة بينما يرتفع صوت من البهو المجاور،
هو صوت القلق المستحوذ على الفتيات وأزمردا داخل عليهن.)

حروازا:

ما هذه الضَجَّةُ والصياحُ
نسمعُ والرَّوْيَةُ لا تُتَّاحُ
كأنما تَقْتَتِلُ الأشْباحُ
من حولنا أو تَتَبُّ الأرواحُ!

أزمردا:

معذرةً، أَيْتَها المَلاحُ
فخادمي قد هَزَّه المِراحُ
فانزلقتُ من تحته الأُلواحُ
وانتثرتُ من كَفِّه الأَقْداحُ
فضجَّ واستخَفَّه الصياحُ!

مريتا:

والكنزُ؟

أُزمردا:

بعد لحظة يُتاحُ

ويشافا:

ياقوتُهُ ودرُّهُ اللماحُ؟

أُزمردا:

والذهبُ المقدَّسُ الصُّراحُ!

أُسميتا:

عما قليلٍ تُظلمُ البطاحُ
ويصعبُ الغدوُّ والرواحُ

أُزمردا:

هنيئةً حتى تجيءَ الرَّاحُ

(ويظهر ماتوكا في مخدع سيده حائراً وهو يشير إلى أُمردا دون أن تراه
الفتيات، فيسرع إليه أُمردا وحروازا تقول له):

حروازا:

أسرعُ فقد راحَ بنا المراحُ

ماتوكا (لأُمردا):

إنَّ السجينةَ في غيابة قبوها

ديوان علي محمود طه

ليستْ تكفُّ تمرُّدًا وصياحا
قطعتْ عُصابتها فجئتْ أذودُها
فهوتْ تُحطِّمُ في يدي المصباحا
لولا العناية طارَ بعضُ شراره
وطوى السفينة شعله واجتاحتا

أزمردا:

زدها عذابًا ...

ماتوكا:

سيدي عذبتُها
فأبتْ وقد ملئتْ دمًا وجراحا

أزمردا:

إن لم تكفَّ عن الصياح فألقها
في اليمِّ ...

ماتوكا:

أخشى صَوْتها الفضاحا
يعلو فيملاً زائرائك ربيّة
أو يستخفُّ لنجدة ملاحا

أزمردا:

والحلّ ماتوكا؟

ماتوكا:

تعالَ معي لها
فلربما أبدتُ رضىً وسماحا

(ويسرع ماتوكا بأزمردا إلى قبو السفينة وحين يختفي خيالهما يظهر باتوزيس فجأة من مخبئه خلف باب المذبح، ويدخل على الفتيات الأربع متفرسًا فيهن متلفئًا وراءه من الخوف.)

حروازا (وقد بوغتت برؤية باتوزيس):

من أنتَ، أيها الفتى وكيف جئتَ ها هنا!

باتوزيس (هامسًا):

لا وَقْتَ للسؤال من أنتِ هنا، ومن أنا!
أنتنَّ في سفينةِ القُرصانِ ... لا وقت لنا ...!

حروازا:

ومن يكونُ!

باتوزيس:

قائلٌ يملأُ شرُّهُ الدُّنا
بل هو أزمردا ...

حروازا:

وما تراهُ صانعًا بنا؟

باتوزيس:

أراهُ صانعًا بكنَّ؟! ويحكَّنُ إنَّ دنا!

حروازا:

هوَّنْ عليك، لا تخفْ أدنى، ولا تخش ضنى
آلهةُ الرياحِ نحنُ فارتَقِبْ صنيَعنا
ولا يرُعك إنَّ رأيتهُ يحومُ حولنا

ويشافا:

ومن تكونُ، يا فتى إنَّا نراك مُحسنا!

باتوزيس:

من بني مصرَ باتزيسُ الشجِيُّ المعذبُ
شاعرٌ، واسمهُ هناك مَعْنٌ ومطربُ

مريتا:

من بني مصرَ باتزيسُ؟

أسميتا:

إلى أين تذهبُ؟

باتوزيس:

أنا، في هذه الحياة، شريدٌ مغرَّبُ
أين؟ لا أين أذهبُ! أنا في التَّيه أضربُ!!

الفصل الثالث

(وتسمع وقع أقدام أزمردا وهو قادم من أقصى السفينة متجهاً إلى مخدعه.)

باتوزيس:

هذه خطأ ...

مريتا:

قد أتى!

حروازا:

بل اسمعي

مريتا:

أهو قريبٌ من هنا؟

باتوزيس (مشيراً):

في المخدع!

حروازا (وقد رأت باتوزيس يتحرك من مكانه):

أخائفٌ؟

باتوزيس:

بل ثابتٌ في موضعي!

مریتا:

أَنْتَ شَجَاعٌ

باتوزيس (وهو يتأهب للقاء خصمه):

رَبِّتِي تَشَجَّعِي!

(وبينما أزمردا في مخدعه يسرع في تقلد سيفه، يدخل عليه ماتوكا ويقف خلفه مبهوراً فيلتفت إليه أزمردا ويدرك أن وراءه شيئاً.)

أزمردا:

ما لي أراك واجماً مُرتاعاً

ماتوكا:

يا سيدي عفوك لن تُرَاعا
لـكـنْ ...

أزمردا:

تَكَلَّمْ، زِدْتَنِي صُدَاعاً

ماتوكا:

إِنَّ سَمَارَا خَانَتِ الْآتِبَاعَا
كَمَا أَمَرْتُ، سَيِّدِي، مُطَاعَا
فَتَحْتُ دُونَ بَابِهَا الْمَصْرَاعَا
فَأَفْلَتْتُ وَانْسَرَقْتُ خَدَاعَا
كَأَنَّهَا الظِّلُّ امْحَى وَضَاعَا

أُزمردا (خائفاً):

وأين تمضي؟ أتشقُّ القاعاً؟
أم تستحيلُ بيننا شعاعاً؟
أسرعْ مَتوكا، ولتكنْ شجاعاً
اطووا الحبالَ وأنشروا الشراعا
وأتوا إليَّ ها هنا سِراعاً!

(ويدخل أزمردا من باب المخدع على الفتيات فيرى باتوزيس بينهن وهن متحفزات وفي عيونهن بريق الغضب، فيفهم الموقف ويقف صامتاً واضحاً يده على مقبض سيفه.)

باتوزيس (ساخراً):

أقبلت أزمردا وليس تحيةً
للزائراتِ، ولا عليَّ سلامٌ!

أزمردا:

صَهْ، يا أجيرَ العاهراتِ، فإنما
قربُ الحرائرِ من خطاك حرامٌ!

باتوزيس:

أتسبُّ ضيفك أو صديقك جهرةً؟
عجباً؟ فأين الودُّ والإكرامُ؟

أزمردا (صارخاً):

ضيفي؟

حروازا:

أَتُنْكِرُ؟

أزمردا:

بل وَأَغْسِلْ إِثْمَهُ
بِدِمَائِهِ

باتوزيس (ساخرًا):

لَوْ تُغْسِلُ الْآثَامَ
انْظُرْ عَيُونَ الزَّائِرَاتِ فَإِنَّهَا
رَصَدٌ عَلَيْكَ وَلَعْنَةٌ وَضِرَامٌ

أزمردا (صارحًا):

دعهنَّ ...

باتوزيس:

بل دعهنَّ أَنْتَ ...

أزمردا (مستخفًا):

أَجَلٌ وَمَا
تَبْغِيهِ؟

باتوزيس:

ما لي باسمهنَّ كلام!

أزمردا (إلى الفتيات):

قسماً بكنَّ فما أردتُ خيائنةً
بل عطفَ آلهةٍ بكنَّ يُشامُ!
ما رُمْتُ إلا أنْ تكنَّ صواحيبي

باتوزيس:

ما كلُّ شيءٍ في الحياة يُرامُ

حروازا:

لِمَ لَمْ تضارحنَا، وكيف دَعَوْتَنَا
لَا كُنْزٍ؟

مريتا:

أوزوريسُ والإلهامُ

أزمردا:

هذي طباعُ الآدميِّ، وهذه
أطماعُهُ

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (ساخرًا):

فرضٌ عليه لزامٌ!

مريتا:

بَلْ حِيلَةُ الْقِرْصَانِ أَنْتَ أَرَدْتَنَا
صَيِّدًا يُبَاعُ فِرَاؤُهُ وَيَسَامُ

حروازا:

وَبِكُمْ تَسُوْمُنِي إِذَا مَا يَعْتَنِي
وَالسُّوقُ حَوْلَكَ ضَجَّةٌ وَزِحَامٌ

ويشافا (مدنية إليه بوجهها):

انظرُ جمالي ...

أسمتيا (تدور حول نفسها):

بل تأملِ فتنتي ...

باتوزيس (صائحًا طربًا):

يا للرشاقةِ كلكنَّ غرامُ!

مريتا:

أَوَكُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تُسَخِّرَنَا قُوَى
لِسْفِينَةٍ يَحْدُو بِهَا الْإِجْرَامُ؟

أزمردا:

خَيْرٌ لَكِنَّ الصَّمْتُ

حروازا (وهي تواجهه):

قُلْ خَيْرٌ لَنَا
بِيَدِكَ تَسْلِيمٌ!

مریتا:

أَوْ اسْتِسْلَامٌ!

باتوزيس (ساحراً):

أَوْتَقَتَ أزمردا بهنَّ؟

أزمردا:

كَمَا تَرَى
ثَقَّتِي بِمَوْتِكَ ...

باتوزيس (متصنّعاً اللطافة):

مَا يُفِيدُ الدَّامُ

أزمردا (وهو يجرد سيفه ويهم بطعن باتوزيس):

قَادَتِكَ باتوزيسُ آخِرُ خُطْوَةٍ
لِلْمَوْتِ! خُذْهَا مَا عَلَيَّ مَلَامٌ!

حروازا (تحول بذراعها دونه):

قِفْ ...

أزمردا (حانقًا):

لا ...

حروازا:

حذارِ ...

أزمردا (محاولًا الاندفاع):

بَلِ ابْعِدِي
رُدِّي ذِرَاعَكَ ...

حروازا (بصوت رائع وهي تلوح بقبضتها في وجه أزمردا):

لا يُرَدُّ جِمامُ!
يا أيها النفسُ الأثيمةُ أقصري
وقفي مكانكِ خانكِ الإقدامُ!

(وتقف مريتا وويشافا وأسميتا وراء حروازا وهن ينفخن، فإذا بقوة هائلة كالعاصفة تدفع أزمردا وماتوكا وعبيده إلى الوراء، وتقع السياط من أيدي الرجال وهم يرجفون رعبًا وتتجمد ذراع أزمردا وتتقلص أصابعه حول مقبض سيفه وجسده يهتز بعنف كأنه يصارع جبارًا لا يرى، ويسقط السيف من يده فيحاول استرداده جاثيًا فلا يستطيع وهو يهدر):

أزمردا:

ماذا أَحْسُ؟ ما أرى! ماذا أَصَابَ مِسْمَعِي
أَنْفَاسَكُنَّ تِلْكَ؟

باتوزيس:

بَلْ هَبُّ رِيحٍ زَعَزَعِ

حروازا:

حَدَّعْتَنَا

أزمردا:

لَمْ أَخْذَعْ

حروازا:

أَيَّ كَلَامٍ تَدَّعِي!
سوف ترى نهايةً بمثلها لم يُسمع!!

أزمردا (وقد خفت صوته):

أهكذا أَنْتَنَّ، يا للهوَلِ! يا لمصرعي!
لم أدرِ قَبْلَ الْيَوْمِ ما سِرُّ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
إِذَا تَأَلَّبَنَ عَلَى سَفِينَةٍ بِمَوْضِعِ
فِيَا لَكِنَّ مَنْ قُوَى تُخْضَعُ مَنْ لَمْ يَخْضَعِ!!
إِلَيَّ مَاتُوكَا إِلَيَّ

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو لا يستطيع حراكًا):

سيدي!

أزمردا:

أَنْتَ مَعِي ...

أَيْنَ الرِّجَالُ؟ ...

ماتوكا (وقد حبس صوته):

هم ...

أزمردا:

أَمْ

تَرَى؟ إِلَيَّ أَسْرِع ...

أَسْرِع إِلَيَّ

ماتوكا (باكياً):

لا أَطِيقُ ...

أزمردا (وهو يركع متخاذلاً):

آه مَا عُدْتُ أَعْي!

(وتترقق الدموع في عين أزمردا فيذهل بأتوزيس لما يراه فيصدق وكأنه لا يصدق):

باتوزيس:

ويحك أزمردا أفي عينيك بعض أدمع؟
أحقاً ذي دموعك أم خداع الخوف والألم
أتبكي، أيها التمساح

أزمردا (بصوت خافت):

لا تَشَمَتْ ولا تَلَمْ
صديقي أنت باتوزيس أنقذني من العدم
ألا صفحاً فهذي ساعة التكفير والندم!!

(وينظر إلى الفتيات ضارِعاً، وهو يقول):

هذي الدموع وجدتُها فَوَجَدْتُ إنسانيتي
أنتن أرجعتن لي ما عَزَّ من أُمْنِيَّةِ
هذا الشعور حُرْمَتُهُ عُمري، فيا لسعادتي
أحسستُ أني الآن إنسانٌ لأول مرةٍ
وهي الحياةُ بها التقيتُ على لقاء منيَّتي!

مريتا (متأثرة):

وإذا عَفَوْنَا عَنْكَ!

أزمردا (إلى مريتا):

يا للنُّبْلِ، يا للرحمةِ
أحسنْتَ لي، وَمَحَوْتَ مني الآنَ كلَّ خطيئةٍ
فلأُفْنِيَنَّ العمرَ في الإحسانِ باسمِ إلهتي

حروازا:

بعض هذا الحنان ما تاب لكنْ خَرَّ عَجْزًا فراح ينطق كذُّبًا
إنَّه في مفازِ الموتِ يحتالُ ليلقى سَلَمًا ويرتدُّ حربًا

أزمردا (ضارعًا):

رحمةً ربَّتي فما أستطيع الآن قولاً ولست أملكُ عتْبًا
يا ابنة الشرقِ! أنتِ أيتها الحسناء يا من ملأت قلبي حبًّا
لم يعدْ بعدُ ما أخاف فأخفي عنك حبي ما كان حبي ذنبًا
إنْ يكنْ حانَ مصرعي فعديني بعد موتي وتلك آخر رُغْبِي
امنحيني بعض العزاء ولا تلقي بجسمي في اليمِّ أفقدك غصبا
وسديه عشبَ المكان الذي فيه التقينا، ففيه أمسيتُ صبا
عندما قَبَلْتُ محياك عيناَي وضمتُ صبابتي منك قلبًا
فإذا ما سريتِ فجراً فمسي جسدًا مقفراً من الرُّوح جذبا
عانقيه ظلًّا أحبَّكِ روحًا كشعاع الصباح، ريان، عذبا
واسحبي فوقهُ الظلال ومدي ورقًا ناضرَ الأفانينِ رطبًا
وإذا أبليتِ الليالي كياني، فاسكبي فوقهُ الغمائم سكبا
أو فذريه في الفضاء كما شئتِ وأنى سريتِ شرقًا وغربًا
إنها ميتةٌ ألدُّ من العيش فلا تحرمي مُحَبَّكِ قربًا!!

(وتسمع ضجة وصيحات تتردد بها جوانب السفينة، وإذا بسمارا ممزقة
الثياب دامية اليدين شاحبة الوجه تظهر هاربة من الباب ووراءها عبدان
يتبعانها في أيديهما السياط، وهي تلوذ بالفتيات الأربع فيحطن بها منصرفات
عن أزمردا دون انتباه.)

حروازا:

من أنتِ، أيتها الفتاة؟

سمارا:

أنا المكبلة السجينه
وأنا ضحية ذلك الوحش الذي تتأملونه

باتوزيس:

هذي سمارا بنت ببلوس وحسناء المدينه
بالأمس أنقذها ولم أفطن لخدعته المشينه

سمارا:

باسم الوفاء تبعته طوعاً إلى هذي السفينه
وكرّ الخيانة والأذى، ومباءة الشرّ اللعينه
وظننته رجلاً فكان النذل مُبتدعاً فنونهُ

(تشير إلى جراحها).

أنقذني بالله، وانظرن الجراحاتِ الثخينه

(حروازا وقد انشغلت بالفتاة دون أزمردا فينفك عنه سحرها الذي كان
مسلطاً عليه بتأثير ذراعها، ويشعر بالدماء تجري في عروقه فيمد ذراعه في
غفلة عنهن ويتناول سيفه، ويهم واقفاً ووراءه العبيد وقد تبدلت هيئته وبدا
الشر في عينيه، وهو يصيح):

أزمردا:

هيا رجالي أذن الكفاح

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (صائحا وقد شرع العبيد يتقدمون):

إلى الوراء، أيها الوقاح
دماؤكم أول ما تباح!

أزمردا:

لا تسمعوا فقوله مزاح
سكران قد هيح له جماح!

باتوزيس (وقد رأى أزمردا هاجما بسيفه):

ما أنت، يا قرصان، والسلاح
رأسك أزمردا به يطاح!

حروازا (وقد رفعت ذراعها في وجه أزمردا فيقف بغتة):

هذا هو القرصان، يا أرواح
قناعه عن وجهه يزاح

أزمردا (وهو يحاول الحركة فلا يستطيع):

خير لکن الصمت لا الصياح

حروازا:

ماذا تقول؟

أزمردا (في عنف):

أَقْلَعِ الْمَلَأْحُ ...!

حروازا:

طغيتَ واستشرى بك الطَّمَا حُ

مريتَا، ويشافَا، أَسْمِيتَا (في غضب وثورة ملوحات بأيديهن مهددات):

يَا لِحُصُ!

يَا مَفْضُوحُ!

يَا فَضَّاحُ!

(حروازا والفتيات مندفعات إلى جانب باتوزيس رافعات أيديهن وقد بدأت العاصفة من جديد):

الفتيات:

حَقُّ عَلَيكَ الْمَوْتُ، يَا سَفَّاحُ

نحن الردى والقَدْرُ المتأحُ

لَنَا الفِضَاءُ الرَّحْبُ وَالْجَنَاحُ

نَطِيرُ لَا يَعْزُنَا السَّرَّاحُ

حروازا:

إِنْ نُغْرِقِ الْفَلَكَ فَلَا جُنَاحُ

سَفِينَةُ الْقَرِصَانِ تُسْتَبَاحُ

هَيَّا بِنَا ... إِعْصِفْنَ، يَا رِيَّاحُ!

(وتعصف الرياح والأربع بالسفينة فتتخبط الأبواب وتطير الستائر وتسقط الصور من جوانب البهو ويتكفأ العبيد، صارخين محاولين الهرب من الأبواب

ديوان علي محمود طه

ويقع أزمردا جاثيًا، بينما تثبت الرياح الأربع في خفة من جانب السفينة
الموشكة على الغرق ومعهن باتوزيس وسمارا).

باتوزيس يرثي أزمردا

عثرنا على هذه القصيدة التي يرثي فيها باتوزيس أزمردا، وقد هبطت الفتيات الأربع به في مكان من ساحل البحر، مذهولاً مما مر به، وهو متجه بعينيه إلى فضاء البحر وأمواجه مشيراً على مكان السفينة الغارقة والفتيات حوله ينظرن حيث يشير، وهو ينشد:

وخيالٌ مُجَنَّنُ	أَثَرُ لَيْسَ يُلَمَحُ
حَوْلَهُ الْمَوْتُ يَسْبَحُ	وَشَرَاغٌ مُحَطِّمٌ
نَسَمَةٌ أَوْ تُرَنِّحُ	مُغْرَقًا لَا تَهْزُهُ
مَظْلَمُ الْغُورِ أَفِيحُ	يَحْتَوِيهِ مَزْمَجْرُ
نَنَّةٌ وَانْفَضَّ مَسْرَحُ	غَرَقَتْ تَلَكُمُ السَّفِيحُ
أَمَّا عَادَ يَطْمَحُ؟	مَا لِرُبَّانِهَا الطَّمُوحُ!
أَغْبَرُ الْوَجْهِ أَكْلَحُ	وِيحَهُ وَهُوَ ذَاهِلٌ
حَوْلَهُ وَهُوَ يَضْبَحُ	يَتَكَفَّى رَجَالَهُ
يَتَغَنَّى وَيَمْرَحُ	بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَهُمُ
بِالْمَنَايَا يُلَوِّحُ	غَرَّةَ السِّيفِ مُضَلَّتَا
كَيْفَ يَفْرِي وَيَذْبَحُ	لَا يُبَالِي إِذَا رَمَى
دَعْوَةَ الْخَيْرِ أَمْزَحُ	خَالَني إِذْ دَعَوْتُهُ
حَةً أَوْ كَانَ يُنْصَحُ	عَاشَ لَوْ قَدَّرَ النِّصِيحُ
زَةَ وَالْخَيْرُ يَقْبَحُ	يَحْسُنُ الشَّرُّ بِالْغَرِيحُ

صاحب الأُمس، لا رحيب	ق، ولا كأس تصدح
فاشرِبِ اليومَ من إنا	ئِكَ بالموتِ يطفح
أَمِنَ البحرُ مِخلبيـ	ك، وشط، وأبطح
وعذارى كأنهنَّ	الأقاحُ المُفتَّحُ!
محصناتُ تصيدهنَّ	وتُغوي وتفضح
أيها الصَّقْرُ، لا تُغـ	ر، فللريـحِ أجْنَحُ!
يتلقَّاكَ بأسُها	صامدًا لا يُزحزحُ
هُنَّ من رحمةِ السما	ءِ مَقاديرُ تسنحُ
فإذا الطائرُ السجـيـ	نُ طليقُ مُسرَّحُ
وإذا الصائدُ الغشو	مُ صريعُ مُطرَّحُ
من دَمِ الغدرِ قَلْبُهُ	سائلُ العرقِ ينضحُ
فامضِ لا فرحةً بمو	تك! ما الموتُ يُفرحُ
قد عفا عنكَ هالِكا	قَدَرُ ليس يصفحُ!

